الاستيعاب

في تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

دراسة تاريخية نقدية استقصائية موثقة

تأليف

د. سلطان فالح الأصقه آل حثلين

رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات

الجزء الثاني

منشورات مركز الفرقدين للدراسات والنشر

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

منشورات مركز الفرقدين
للدراسات والنشر

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

(دار وقفية دعوية)

الإدارة (الكويت): الجهراء - مجمع المخيال - هاتف: - ٢٤٥٧٠٠٨٢ - ٩٦٩٩٩١٨٢ (٩٦٥+).
الفرع الأول: حولي -شارع المثنى - بجوار مجمع البدر - تلفكس: ٢٢٦٤١٧٩٧ (٩٦٥+).
الفرع الثاني: الجهراء - مجمع الخير - الدور الأول - مكتب ١٠ - تلفكس: ٢٤٥٥٧٥٥٩ (٩٦٥+).



في تاريخ الدولة السعودية الأولى

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

دراسة تاريخية نقدية استقصائية موثقة

تأليف

د. سلطان فالح الأصقه آل حثلين

رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات

الجزء الثاني

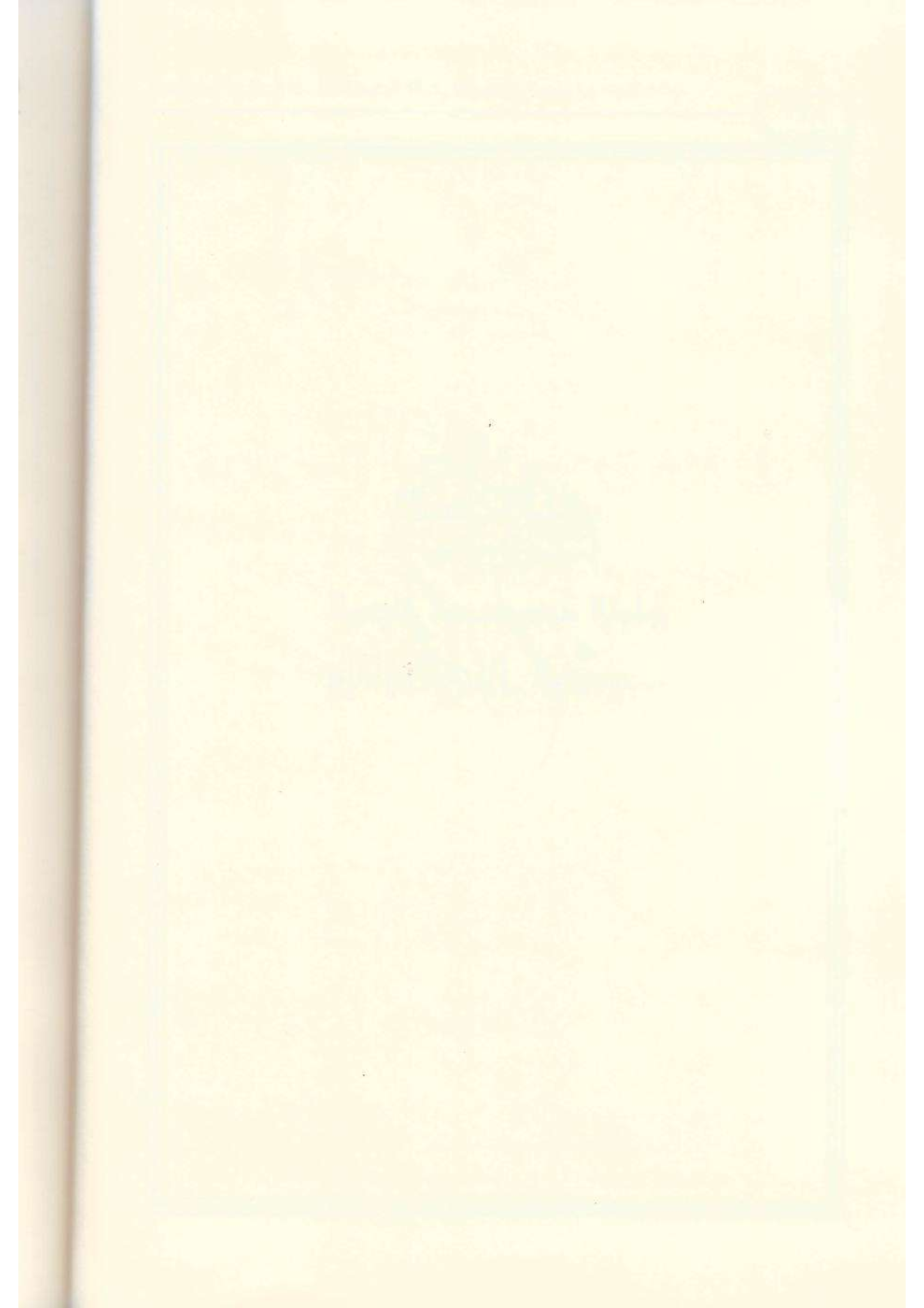
دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

منشورات مركز الفرقدين
للدراسات والنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السابع:

الدولة السعودية الأولى وإقليم الهلال الخصيب.





أولاً: الدولة السعودية الأولى والباشوية العثمانية في العراق.

* رسالة الإمام عبدالعزيز إلى الوالي العثماني في العراق:

دأبت الدولة السعودية الأولى على إرسال مجموعة من الرسائل، وأحياناً إرسال بعض أهل العلم إلى البلدان والأقاليم المجاورة لإعلام الناس بمبادئ دعوتها السلفية عن طريق الوسائل السلمية، وهذا حصل في نجد والأحساء ومحيطها وجنوب الجزيرة العربية والحجاز، من هنا كان طبيعياً أن يرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رسالة تحوي النصيحة إلى أهل العراق وولاتها هناك مِنْ قِبَلِ الدولة العثمانية، وخاطبهم أوّل ما خاطبهم بالتي هي أحسن، وبيَّنَ لهم حقيقة الدعوة السلفية الإصلاحية التي تعتنقها الدولة السعودية وتناصرها وتدعو إليها.

لم يتجاوز الأمر هذا الحدّ، ولم يسجِّل التاريخ أيّ تحرّكٍ سعودي... حتَّى جدَّ ما سيأتيك خبره.

كانت هناك دوافع دفعت الإمام عبدالعزيز على إرسال الرسالة المذكورة إلى الباشا العثماني في العراق سليمان باشا الكبير (ت:

١٢١٧هـ/١٨٠٢م)[١] والي بغداد من قِبَل الدولة العثمانية[٢]، فمن تلك الدوافع ما كان معلوماً من حال العراق آنذاك من مظاهر انحراف العقيدة وفسادها في كثير من مدنه وقراه وبلداته وقبائله وعشائره، حيث تكثر مزارات الشرك ومواطن البدع ومحلّات الخرافة وأماكن الفسق هناك[٣]، لذا سارع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بإرسال رسالة إلى سليمان باشا الكبير مصحوبة بعددٍ من رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونسخة من كتابه «كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد»[٤].

يقول المؤرِّخ العراقي عبّاس العزّاوي (ت: ١٣٩١هـ/١٩٧١م):

---

(١) سليمان باشا الكبير: تولّى ولاية بغداد عام ١١٩٣ ـ ١٢١٧هـ/ ١٧٧٩ ـ ١٨٠٢م. اشتهر بلقب سليمان باشا الكبير. انظر أخباره عند: عثمان بن سند «مطالع السعود» (١٨٤ ـ ٣٣٦). وعبّاس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٨١/٦ ـ ٨٥) (١٤٤ ـ ١٤٩).

(٢) تقلَّب على حكم ولاية بغداد إبَان حكم الترك العثمانيين عدد من الولاة، أكثرهم من العبيد خرِّيجي مدرسة البلاط العثماني، وكان من بينهم التركي والألباني والسلافي والشركسي والمجري والإيطالي والبولوني وغيرهم، وكان يندر فيهم من يكون والياً صالحاً، بل غالباً ما تراهم من ذوي الانحطاط، وكثيراً ما ترى في ولاة العراق العثمانيين الأُمِّيّ الجاهل والعاجز الفاشل والأَفَّاق المغامر والسِكِّير المُعربد والعَصَبيّ المُتَهَوِّر. انظر: عبدالكريم غرايبة «مقدمة تاريخ العرب الحديث» (٩٢). وجعفر الخياط «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة» (١٧).

(٣) راجع ما أوردناه عن حال العراق العقدي في الفصل الثالث.

(٤) انظر: سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلّاق» (٢٨). وعبّاس العزّاوي «ذكرى أبي الثناء الآلوسي» (٣٧).

«كان بدء دخول هذا المذهب[1] العراق سنة ١١٥٥هـ [١٧٤٢م] في أواسطها. وفي أواخر القرن الثاني عشر [الهجري/الثامن عشر الميلادي] وَرَدَت رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب»[2].

وقد بيَّن الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الأسباب التي دعت الإمام عبدالعزيز بن محمد أن يرسل تلك الرسالة إلى أهل العراق وواليه العثماني، وعلَّل العلَّة في إصحابها برسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكتابه «كتاب التوحيد»؛ فقال: «**إنَّما أُرسل الكتاب لأمرين؛ الأول: ليحصل العلم عند الخاص والعام أنَّا لم نقاتل الناس إلا على إقامة دين المصطفى محمد ﷺ، من العلم بمعنى هذه الكلمة الطيبة والعمل بها وعمل سائر المعروف التابع لها من صلاةٍ وزكاةٍ، والتعلُّم بما أوجب الله على عباده وما طلبه منهم وخلقهم له وبما نهاهم عنه وحذَّرهم منه، فإنَّ الرجل من أهل هذا الزمان يشبُّ ويشيب وهو لا يعرف المعروف بأنواعه، بل حتى التوحيد وضدّه، وفروض وضوئه وصلاته وما يبطلها لا يعلمه، وإزالة سائر ما هو تابع لها من زنا وشرب خمر ولواط[3] وسائر المحرمات، ومع ذلك نحن لا نُكفِّر بالمعاصي كما توهَّمه مطيعو العدو، وإنما**

(١) يقصد: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وعجباً لِمَا ذَهَبَ إليه عبَّاس العزَّاوي؛ فمَذهَب الشيخ وأهل الدعوة هو مذهب الحنابلة فروعاً وأصولاً، كما أنَّ العراق مَهد المذهب الحنبلي!.

(٢) عبَّاس العزَّاوي «ذكرى أبي الثناء الألوسي» (٣٧).

(٣) اشتهر عن عمر باشا أحد الولاة العثمانيين في العراق بأنَّه اتخذ له مخنَّثاً إيرانياً هيمن عليه، فألقى له الوالي برسَنِهِ. انظر: تعليق محبّ الدين الخطيب على كتاب «مختصر مطالع السعود» (ص٦٨) من تأليف أمين الحلواني.

نُكفِّر المشركين الذين كفَّرهم الله في كتابه المبين، أو الراضين أعمالهم، المظاهرين لهم علينا والمكفِّرين بأمرنا ونهينا.

الثاني: النصيحة لهذا الوزير[(١)] الذي هو عندنا في محلٍّ، حرصاً عليه وشفقة منَّا إليه؛ لودّنا له ما وَدَدْنا لأنفسنا من أنواع الخير، فيتأمَّل ويعمل رجاء أنَّ الله يهدي به خلقاً كثيراً»[(٢)].

* ردّ والي بغداد العثماني على رسالة الإمام عبدالعزيز:

لمَّا وصل كتاب الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود مصحوباً برسائل الشيخ محمد ومنها كتاب «التوحيد»، أمر سليمان باشا الكبير بإسناد الكتاب إلى **عبدالله أفندي الراوي** (ت: ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)[(٣)] خطيب مسجده، ولم يُودع الباشا كتاب ابن سعود إلى علماء العصر في العراق لإبداء الرأي فيها، بل أودعه لعبدالله أفندي الراوي[(٤)] **الذي كان معارضاً لدعوة أهل نجد السلفية ومناصراً للدولة العثمانية في**

---

(١) يلقَّب والي بغداد العثماني بلقب الوزير؛ لأنَّه أهمّ ولاة العراق قاطبةً. انظر: عبدالكريم غرايبة «مقدمة تاريخ العرب الحديث» (٥٤) (٩١).

(٢) سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلّاق» (٢٩ ـ ٣٠) باختصار.

(٣) عبدالله أفندي الراوي ابن الحاج محمد أفندي الراوي: وُلِدَ سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، وهو من أسرة الراوي التي خرج منها جملة من علماء العراق ذاك الوقت. وللمُتَرجَم الراوي شرحٌ على صحيح البخاري، وكان معيَّناً للتدريس في حضرة الإمام أبو حنيفة في جامعه، وهي وظيفة لها مكانتها عند اهل العراق آنذاك. انظر: السيّد محمد سعيد الراوي «تاريخ الأسر العلمية في بغداد» (٥٨ ـ ٦٠) وقد انفرد المؤلّف بترجمة الراوي ولم يسبقه إلى ترجمته أحد.

(٤) انظر: عبَّاس العزَّاوي «تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق» (٤٢٦).

رأيها[١]، فكتب الراوي جواباً على رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب المضمَّنة بكتاب ابن سعود، **ومنذ ذاك الوقت ابتدأت المشادَّة بين الدولة العثمانية وبين ابن سعود المناصر لدعوة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب**[٢].

هذا وقد جاء الرد من الشيخ الراوي على دعوة الدرعية بما نصّه: «صدر منه[٣] الأمر الواجب القبول والاتباع، وأشار إليَّ وإشارته حكم وطاعته غُنْم، فامتثالاً لأمره نظرنا فيه[٤]، فبعد أن طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتاباً جامعاً لشتاتٍ من المسائل مشتملاً على عدة رسائل، لكنه قد يجمع غثّاً وسميناً وقويّاً ووهيناً[٥]، وجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن فيها نظراً[٦]، ولا قرأ على أحد من يهديه إلى النهج القويم ويدلّه ويوقفه على العلوم النافعة[٧] التي هي الصراط

---

(١) انظر: المرجع السابق (٤٠٨).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٤٢٦).

(٣) يقصد: من سليمان باشا الكبير والي بغداد.

(٤) يقصد: نظرنا في «كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٥) بقي كتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب يتداوله الناس ويثنون عليه ويستفيدون منه، في حين ذهبت سفسطات عبدالله أفندي الراوي أدراج الرياح لا ذِكْرَ لها في التاريخ، فالحمد لله الذي أظهر الحقَّ وأمات الباطل.

(٦) راجع ما أوردناه في هذا الكتاب في الفصول السابقات من أقوال العلماء الراسخين في العلم: كالصنعاني والشوكاني وغيرهم مِمَّن أثنى على علم الشيخ وعميق فهمه وعلوّ كعبه في التأليف.

(٧) راجع في الفصل الرابع عن العلماء والأشياخ الذين طلب الشيخ العلم عليهم، مِمَّا ينسف أكاذيب وافتراءات عبدالله أفندي الراوي.

المستقيم»[(١)].

وقد ردَّ الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب على الراوي ونقض كلامه من ألفِهِ إلى يائِهِ في كتابه «توضيح الخلَّاق».

* جذور المواجهات بين الدولة السعودية الأولى والباشوية العثمانية في العراق:

بالرغم من ذلك الرفض الذي أظهرته العراق وواليها العثماني فإنَّ الدولة السعودية الأولى لم تتعرَّض للعراق ولم تعتدِ عليه أو تقترب من حدوده، ولم تناوش قبائله وعشائره ولا تحرَّشت بقوافله ومحامله.

وتلك حقيقة تاريخية شهد بها بوركهارت حين قال: **«إنَّ الوهابيين لم يعلنوا الحرب على الحكومتين القريبتين منهم؛ حكومة بغداد في الشمال وحكومة الحجاز في الجنوب، ولم يعتدوا على حقوقهما، فقد عبرت قوافل الحجاج من دمشق وبغداد أراضيهم دون أن يمسُّوها بسوء»**[(٢)]، وهو ذات الأمر الذي شَهِدَ به المؤرّخ الإنجليزي أندرو كرايتون[(٣)] والمؤرخ المصري محمود فهمي المهندس[(٤)] رغم مناوأة المهندس للدعوة والدولة السعودية الأولى.

---

(١) سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٤).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٠).

(٣) في كتابه «تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية» (٣٠).

(٤) في كتابه «البحر الزاخر» (٩٨ ـ ٩٩).

والذي حصل على وجه التحقيق أنَّ الوالي العثماني في العراق والقبائل والعشائر التابعة له في جنوبه هم من ناوشوا السعوديين وتحرَّشوا بهم وبادروهم بالعداوة، فكانت الوقائع الشهيرة بين الدولة السعودية الأولى والباشوية العثمانية في العراق إنَّما هي ردَّة فعل من قبل السعوديين ضدّ تحرشات الباشوية العثمانية في العراق واعتداءاتها على أهل الدولة السعودية بدعمٍ من الحكومة العثمانية في إسطنبول[(١)].

وهو ما تتناوله الصفحات القادمات بالتبيان والتوثيق ومزيد البحث والتحقيق في وقائع تاريخ تلك الفترة وتمحيص الحق من حوادثها، ولكن في البداية لابدّ من بيان الأسباب التي جرَّأت الوالي العثماني في العراق على التحرّش بالدولة السعودية الأولى.

يقول موظف الحكومة البريطانية في الهند ج. ج. لوريمر: «**بدأ الوهابيون يثيرون الفزع في قلوب حكّام العراق الأتراك**»[(٢)].

ونفهم مرمى كلمة لوريمر من خلال ما ذكره المؤرّخ الإنجليزي المستر ستيفن لونكريك[(٣)] حين قال: بأنَّ العراق أصبح قبل سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م يُحسّ بجارٍ حديثٍ غير مستقر، فقد أخذت الدعوة الوهابية (بحسب وصفه) لذلك الجار الحديث تنتشر بين مراعي

---

(١) انظر: أمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية» (١/ ٥٨).

(٢) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/ ١٥٨٠).

(٣) المستر ستيفن هيمسلي لونكريك: المفتّش الإداري في الحكومة الملكية العراقية. انظر ترجمته في: مقدِّمة جعفر الخياط لكتاب «أربعة قرون من تاريخ العراق» لستيفن لونكريك.

الظفير[١] والمنتفق[٢] والشامية[٣]، وأنَّ دعاة الوهابية صاروا ينتشرون بين خيام الضيوف عند العشائر الفراتية، وصارت دعوتهم الوهابية مثل الحُمَّى تنتشر بين عربان العراق الجنوبي، فتوجَّسَ والي العراق سليمان باشا خيفةً من أولئك الدعاة السعوديين.

ويُنَبِّه هذا السياسي الإنجليزي فيقول: «وبالرغم من كلّ ذلك فإنَّ علائق الدعاة السعوديين والعراق العثماني لم تتجاوز حتى ذاك الوقت الدعوة بين العربان دون أي احتكاك مع السلطة أو فرسان القبائل العراقية»[٤].

ويؤكِّد المؤرِّخ العراقي عبَّاس العزَّاوي من خلال مخطوطةٍ عنده يحيل عليها: بأنَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية انتشرت

---

(١) الظفير: قال ابن فضل الله العُمَريّ في «مسالك الأبصار» (ص١٥٣): «وظفير من بني لأم ومنازلهم الظِّعْنُ قبالة المدينة النبوية». وقال حمد بن لعبون في «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (ص: ٤٠): أنَّهم من بني لام.

(٢) المنتفق: المقصود هنا الموضع المعروف بالعراق باسم (المنتفك) وليس القبيلة. وموضع (المنتفق/ المنتفك) يتبع ضفَّتي (الفرات) والجزء الغربي الصحراوي الملاصق من (دراجي) بين مدن (السماوة) و(الناصرية) حتى التقاء (الفرات) مع (دجلة). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٦١٣/٤).

(٣) الشامية: قسمٌ من سنجق (الديوانية) في ولاية (بغداد) في الباشوية العثمانية في العراق بين (نهر الفرات) في الشرق و(بحر النجف) أو المجرى الأدنى لشطّ (الهندية) في الغرب. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٢٣٣/٦).

(٤) المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٦) بتصرّفٍ يسير.

بين أفراد قبيلة عراقية يقال لها قبيلة العبيد[(١)] **وأنَّها تميل للسعوديين وتتعاون معهم**، وهو الأمر الذي أغاظ الوالي العثماني في الموصل فأراد التنكيل بتلك القبيلة العراقية لموالاتها السلفيين السعوديين[(٢)].

وكان **عثمان بن سند** (ت: **١٢٤٢هـ/١٨٢٦م**)[(٣)]، وهو شاهد عيان وقتها، قد **شهد بأنَّ قبائل العبيد وأبناءَها صاروا يعتنقون دعوة وعقيدة اهل الدولة السعودية، وتمسّكوا بها وأعلنوها في العراق**، حتَّى قال ابن سند وهو يتميَّزُ حَنَقاً: «أظهروه في المحافل واحتجوا لصحته بالكتاب والسنة والإجماع والقياس، وصاروا بذلك أشدّ من أهل العارض»[(٤)].

ويقرِّر المؤرِّخ الاجتماعي العراقي علي الوردي (ت: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)[(٥)] قائلاً: «وفي المدن [العراقية] بدأت الدعاية الوهابية تنتشر هنا وهناك فتؤثِّر في بعض الأفراد لا سيَّما في رجال الدين السنيِّينَ، وأخذ الجدل يظهر بينهم، فمنهم من وَجَدوا في الدعوة الوهابية تنقية للإسلام من البدع المستحدثة وعودة إلى سُنَّةِ

---

(١) قبيلة العبيد: عشيرة عراقية، من زبيد الأصغر. انظر: عبَّاس العزَّاوي «عشائر العراق» (١٥١/٣).

(٢) انظر: عبَّاس العزَّاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٥٨/٦ ـ ١٥٩).

(٣) عثمان بن سند النجدي الوائلي ثمَّ البصري المالكي: الصوفي النقشبندي القبوري. انظر ترجمته عند: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٤٠٧/١ ـ ٤١٢). ومحمود شكري الآلوسي «المسك الأذفر» (١٤١ ـ ١٤٦).

(٤) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٤٩).

(٥) علي الوردي: عراقي متخصّص بعلم الاجتماع. انظر ترجمته عند: نزار أباظة وزميله «إتمام الأعلام» (٢٩٣).

السلف الصالح فحبَّذوها، ومنهم من وجدوا فيها إنكاراً لفضلِ الأولياء وكراماتهم فشجبوها»[١].

كلُّ تلك الشهادات السابقة والتحقيقات الآنفة ذكرت انتشاراً جرى في العراق لدعوة أهل الدولة السعودية، ولم تذكر تلك الشهادات وهذه التحقيقات من قريبٍ أو بعيدٍ شيئاً عن احتكاكٍ أو صدامٍ حدث في ذاك الوقت تحديداً!.

إذن كيف جرى الاحتكاك وكيف وقع الصدام الذي تطوَّرَ إلى مواجهات عسكرية وحملات حربية؟. ومن هو المسؤول عن وقوع تلك الاحتكاكات والمصادمات وعن تلك المواجهات والحملات؟.

وسيأتيك جواب تلك التساؤلات:

* حملة ثويني على القصيم:

الاحتكاك الفعلي بين الدولة السعودية الأولى والسلطات العثمانية في العراق بدأ نتيجة للأعمال العسكرية التي كانت تدور بين السعوديين وزعماء الأحساء في مرحلة التقدّم السعودي صوب الأحساء؛ وفي بلدة العيون[٢] تحديداً[٣]، حيث بدأت الاشتباكات بين الطرفين عن طريق قبيلة المنتفق[٤] التي كانت مضاربها جنوبي العراق.

---

(١) علي الوردي «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» (١/١٩٩).

(٢) العيون: واحةٌ صغيرة تعتبر امتداداً لواحةِ الأحساء من الناحية الشمالية. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/١٢٥٠).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٥٤).

(٤) قبيلة المنتفق: هم بنو المنتفق بن عامر بن عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن=

وحاصل تلك الحوادث؛ أنَّه في عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م ثار بعض زعماء بني خالد على سعدون بن عريعر[١] بمساعدة ثويني بن عبدالله (ت: ١٢١٢هـ/١٧٩٧م) رئيس قبيلة المنتفق العراقية، وهُزِمَ سعدون بن عريعر في تلك الوقعة التي سُمِّيَت بوقعة جضعة، فلمَّا لم يَجِد سعدون بن عريعر ملجأً بعد هزيمته، هرب إلى الدرعية[٢]، وحين اقترب منها أرسل إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود يطلب الأمان، على أنَّ الإمام عبدالعزيز أبى ذلك؛ لأنَّ هناك هدنة معقودة بينه وبين ثويني، ولكنَّ سعدون بن عريعر عَزَمَ ودخل الدرعية بلا أمان، عندها شاور الإمام عبدالعزيز الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي قال للإمام عبدالعزيز: عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودَّة والله غفور رحيم، فأكرمه الإمام عبدالعزيز غاية الإكرام[٣].

فلمَّا بلغ ثويني ذلك تعاظم الأمر، بالرغم مِن أنَّ الإمام

= عامر بن صعصعة. وهي أقوى قبيلة في الباشوية العثمانية في العراق. ورجال قبيلة المنتفق شيعة، ولكنّ الشيوخ الحاكمين والمسمّين آل سعدون سنَّة. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٤/١٦١٣ ـ ١٦١٤). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام في كتابه «علماء نجد» (٣/٥٧٥). وعن نسب قبيلة المنتفق انظر: عبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (٤/١٤٤) (١٦٦ ـ ١٦٨). وأبو العباس أحمد القلقشندي «قلائد الجمان» (١٢٠ ـ ١٢١).

(١) انظر أخباره عند: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٥ ـ ١٤٦) (١٤٨ ـ ١٤٩) (١٥١).

(٢) انظر: عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٢٩٨ ـ ٢٩٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٥٦ ـ ١٥٧). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٢٠).

عبدالعزيز أرسل لثويني بلطيف الكلام مُبيِّناً له حقيقة الأمر وجلية الموقف فلم ينجح، وبالرغم من أنَّ الإمام عبدالعزيز أبان لثويني أنَّه لن يعين سعدون بن عريعر ولن يَدَعَهُ يَفعل شيئاً ضدَّ حكَّام الأحساء أو ضدَّ ثويني نفسه، **ومع ذلك أبى ثويني إلَّا أنْ يجمع الكيد بآل سعود وأتباعهم**[١].

ففي محرم سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م سار ثويني بن عبدالله بالعساكر والجنود العظيمة من المنتفق وأهل المجرَّة وجميع أهل الزبير وبعض العربان، ومعه العدد والعُدَّة ما يفوق الحصر من البنادق والمدافع، حتَّى أنَّ أحمال زهبة البنادق والمدافع وآلاتها بلغت سبعمئة حمل، فسار بتلك الجحافل والجيوش من أوطانه وقصد القصيم، فوصل التنومة[٢] ونازلها بتلك الجموع وحاصرها أياماً أشدّ الحصار وضربها بالمدافع كلّ يوم فلم ينجع فيهم، ثمَّ أرسل إليهم من يفاوضهم، فخدعهم ودخل بلدهم عنوة، واستأصلت جنوده أهلها قتلاً ونهباً، قيل: إنَّ الذي قُتِلَ منهم مئة وسبعون رجلاً لم يبقَ منهم إلا الشريد[٣].

ثمَّ ارتحل ثويني بتلك العساكر من التنومة وقصد بلد بريدة

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٨٥٥/٢ - ٨٥٧).

(٢) التنومة: من قرى (بريدة) في (القصيم). تقع بين (عين ابن فهيد) و(الطرفية). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٨٧٦/٥). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٦٥٧/٢).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٦٠/٢ - ٨٦٢). مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٨٦ - ٨٧). وعثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣٠٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٥٨/١ - ١٥٩).

ونزلها وحصل بينه وبين أهلها بعض القتال، وبينما هو محاصرها بجنوده أتاه الخبر بأنه وقع في وطنه البصرة اختلاف وخلل، فارتحل من بريدة راجعاً دون أن يدرك منها شيئاً[(١)].

وكان رئيس الأحساء وقتها عبدالمحسن بن سرداح (ت: ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) قد سار إلى القصيم بجميع عربانه نصرةً لثويني، فأقبل يريد الاجتماع به لمحاربة آل سعود في نجد، وقد اعتقد أهل الأحساء بقيادة زعيمهم أنَّ ثويني بانتظارهم، فلمَّا بلغ ابن سرداح الدهناء علم برجوع ثويني وارتحاله عن القصيم، فما كان من زعيم الأحساء ومن معه إلا الرجوع بعد أن تكبَّدوا المشاق من شدة الحر، فتفرَّقت كلمتهم ولم يتم لهم ما قصدوه[(٢)]، خصوصاً وأنهم يدركون عجزهم عن إثارة الحرب وحدهم ضدَّ آل سعود[(٣)].

ومن الباحثين من يرى أنَّ رجوع ثويني من القصيم ما هو إلا خوفاً من سعود بن عبدالعزيز بن محمد لمَّا علم ثويني بقدومه، فَكَرِهَ ملاقاته في القصيم وتعلَّلَ بالأحداث التي وقعت في موطنه وقفل راجعاً دون أن يحقّق أهدافه[(٤)].

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٩٣). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٣١).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٦٢ ـ ٨٦٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٥٨ ـ ١٥٩). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٦/١٢٤ ـ ١٢٥). ومحمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (١٣١).

(٣) انظر: مؤلّف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٨٦). وأمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية» (١/٥٩).

(٤) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية والدولة العثمانية» (١٦٧).

ومن قبلُ ذكر المؤرّخ عثمان بن سند ـ وهو شاهد عيان ـ: أنَّ ثويني بعد أن «كاد يطيعه البادي والحاضر، انصرف من نجد بلا سبب، وأسرع القفول منها إسراع من هرب»[١].

وحين وصل ثويني إلى العراق سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م وجد أن باشا بغداد قد عزله عن رئاسة المنتفق وعيّن بدلاً منه ابن أخيه حمود بن ثامر، فقامت بين ثويني وبين باشا العراق ومن معه معركة قاسية[٢] في أدنى المجرَّة قرب سوق الشيوخ[٣]، فاقتتلوا قتالاً عنيفاً، فانهزم ثويني وجنوده هزيمةً شنيعة وقُتِلَ منهم قتلى كثيرة، وجمع سليمان باشا رؤوس القتلى العرب وجعل منها ثلاث منارات، ففرَّ ثويني ومن معه إلى الكويت[٤] عند الجهراء الماء المعروف هناك، ثمَّ رحل منها إلى الصمَّان[٥] من ديار بني

---

(١) عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣٠٠).

(٢) انظر: عباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٦/١٠٢ ـ ١٠٥)

(٣) سوق الشيوخ: مدينة يقع أغلبها في الضفَّة اليمنى لنهر الفرات. انظر: سليمان الدخيل في مَقَالِهِ «سوق الشيوخ» نُشِرَ في «مجلة لغة العرب» ج١، السنة ٢: محرم ١٣٣١هـ/ كانون أول ١٩١٢م (ص٢٤٥ ـ ٢٥١).

(فائدة): قال عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام في كتابه «علماء نجد» (٣/٥٧٦): (سوق الشيوخ) نسبةً إلى شيوخ المنتفق آل سعدون، فهو قاعدة إمارتهم، ومؤسِّس هذا السوق الشيخ ثويني بن عبدالله بن محمد، جدّ الأسرة السعدونية.

(٤) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٩٣). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٣١).

(٥) الصمَّان: منطقةٌ واسعةٌ شرقي (الدهناء) مجاورةٌ لها. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٧/٢٤٠٧ ـ ٢٤٠٨). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/١٠٠٣ ـ ١٠٠٦).

خالد[١] ذلك الوقت.

وفي سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م تحرك سعود بن عبدالعزيز بن محمد بجيوشه من حاضرة نجد وباديها وقصد جهة الشمال، فوافق ثويني في ديرة بني خالد من أرض الصمَّان، وذلك بعد أن خرج من البصرة كما ذكرنا، ومعه قطعةٌ من المنتفق وآل شبيب[٢] فنازلهم سعود وأخذ محلتهم وأثاثهم، ثمَّ اتجَّه بجيوشه وقصدّ فئات أخرى من المنتفق، فوجدهم بالموضع المعروف بالروضتين[٣] بين سفوان[٤] والمطلاع[٥]، فناوخهم وغلبهم وغنم منهم[٦].

وكانت هذه هي المرة الأولى التي تحاذي فيها القوات السعودية

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٦٠ ـ ١٦١).

(٢) آل شبيب: جماعة ثويني الأدنون، أمراء المنتفق. انظر: عبَّاس العزَّاوي «عشائر العراق» (١٥/٤) (٢٩) (١٠٧ ـ ١٠٩).

(٣) الروضتين: تقع شمال الأراضي الكويتية، وهما روضتان: شمالية تبعد ٩٤ كلم وجنوبية ٨٨ كلم عن العاصمة (الكويت). انظر: حمد السعيدان «الموسوعة الكويتية المختصرة» (٧٠١/٢).

(٤) سفوان: قرية في العراق جنوب بلدة (الزبير). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٠٨٣/٦).

(٥) المطلاع: ثغرة في سلسلة مرتفعات (غضي) تتخذ طريقاً للعبور إلى الأراضي الشمالية من الجنوب أو العكس، يبعد (المطلاع) مسافة ٣٩ كلم عن العاصمة (الكويت). انظر: حمد السعيدان «الموسوعة الكويتية المختصرة» (١٥٣٨/٣).

(٦) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٧٨/٢ ـ ٨٧٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٦٧ ـ ١٦٨).

الأراضي العراقية، فهاجموا مَن اعترضهم مِن العساكر التركية هناك ودحروها[١].

* موقف الباشوية العثمانية في العراق من انضمام الأحساء للدولة السعودية الأولى:

لمَّا كانت الهجمات على الدولة السعودية قادمة من الأحساء ومتعاونة مع هجمات أهل العراق، فإنَّ سعود سار بجنوده من الحاضر والبادي في ذات السنة **١٢٠٣هـ/١٧٨٩م** ناحية الأحساء ونازل أهل المبرَّز ووقع بينه وبين أهلها رميٌ بالبنادق، ثمَّ رحل من المبرَّز ونازل أهل قرية الفضول شرقي الأحساء فأخذها[٢].

في تلك الأثناء كانت المكائد ضدَّ الدولة السعودية الأولى قائمة على قدمٍ وساق من جهات الحجاز والأحساء؛ ومن ذلك أنَّ **الشريف غالب شريف مكة** أرسل إلى **عبدالمحسن بن سرداح** بخطابٍ يخبره بالمَدَدِ الذي أرسلَه له ضدَّ آل سعود[٣]، ويحرّضه في ذاتِ الوقت على عدم إعطاء ابن سعود الفرصة لالتقاط أنفاسه، ويدعوه إلى تطويقه في نجد[٤].

وعندما جاءت سنة **١٢٠٤هـ/١٧٩٠م** سار سعود بن عبدالعزيز بن

(١) انظر: الرحالة الإنجليزي جاكسون «مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧م» (٩٣).

(٢) فصّلنا ذلك سابقاً في أوّل الفصل السادس.

(٣) وثّقنا ذلك سابقاً في أوّل الفصل السادس.

(٤) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٦٩).

محمد بجنوده مستلحقاً معه قبيلة الظفير وقبائل العارض ومعه زيد بن عريعر وجلوية بني خالد الذين كانوا عنده في الدرعية، فقَصَدَ الأحساء التي كان رئيسها وقتئذٍ عبدالمحسن بن سرداح وابن أخيه دويحس بن عريعر وهم نازلون عند غريميل[١]، فنازلهم سعود وتقاتل معهم طيلة ثلاثة أيام فانهزموا، فكرَّ عليهم سعود في ساقتهم وغنم منهم، وفرَّ عبدالمحسن بن سردح إلى العراق حيث المنتفق الذين استنجد بهم ضدَّ الدولة السعودية الأولى[٢].

فانزعج الباب العالي في الدولة العثمانية انزعاجاً كبيراً من وصول السعوديين بحملاتهم العسكرية إلى العراق في نقطٍ مختلفة، ولم يَكُنْ في وِسع رجال الدولة العثمانية أن يَتَنَبَّؤُوا بتلك الهجمات حتى يستعدّوا لها، لأنَّ النشاط الذي كان يصحب احتشاد السعوديين والسرعة الخاطفة التي يُغِيرونَ بها على أعدائهم أدهشت الدولة العثمانية، فكان من الطبيعي أن تتجّه أنظار الباب العالي أوّل الأمر إلى والي العراق، لتوكلَ إليه كبح الاقتراب السعودي ناحية حدود الباشوية العثمانية في العراق[٣].

هذا بالرغم من أنَّ الدولة السعودية كانت متخذةً موقف ردّ الفعل ليس أكثر، وكانت تحركاتها ردعاً لمن بَدَأَهَا بالمحاربة، وكانت مطارداتها لمن يقوم بالتحريض على دولتهم السعودية بغية إسقاطها.

---

(١) انظر ما تمَّ بحثه في آخر الفصل الخامس من هذه الدراسة.

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٨٣/٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧٠/١).

(٣) انظر: عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (ص ٣ ـ ٤).

ثمَّ إنَّ الوالي العثماني في العراق كان يعلم أنَّ المعتدين على الدولة السعودية يتجّمعون على أرضه في العراق وينطلقون منها للتحرّش بالسعوديين، ويشنّون من أراضي العراق الجنوبية الهجمات على السعوديين وقوافلهم. هذا من ناحية.

ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ الوالي العثماني في العراق يعلم أنَّ مشاكل الدولة السعودية في الأحساء أساسها أناسٌ جْلُوِيَّة (جالين من نجد والأحساء إلى جنوب العراق) يحرّضون على محاربة الدولة السعودية، وهؤلاء الجلوية يشاركون في زعزعة حكم ابن سعود في الأحساء. ومع هذا كان والي العراق صامتٌ عنهم لا يمنعهم ولا ينهاهم!.

من هنا ستستبين معك الحوادث اللاحقة بالدعم المادي والعسكري الذي يقدّمه الوالي العثماني في العراق إلى أعداء الدولة السعودية، وسيستبين معك أنَّ الباشوية العثمانية في العراق هي التي بدأت بالعدوان على الدولة السعودية الأولى، وأنها كانت ترسل القوى لقتالها من دون أن تسيء لهم الدولة السعودية أو تعتدي عليهم؛ ومن ذلك أنَّ قبيلة المنتفق (في الباشوية العثمانية في العراق) استمرت في استقبال خصوم الدولة السعودية والفارّين منها، كما حدث بين سنتي ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م، وسنة ١٢٠٧هـ/١٧٩٣م، مما جعل قادة الدولة السعودية يفكّرون جديّاً في تقليم أظافر القبيلة المذكورة، وقد شجّعَهُم على ذلك انضمام الأحساء والمنطقة الشرقية من جزيرة العرب للدولة السعودية الأولى، فقاموا بغارات وصلت إلى حدود البصرة[١].

وزاد من تحمّس الدولة السعودية لتلك الغارات التأديبية ضدّ

---

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٥٥/١).

الباشوية العثمانية في العراق ما جدَّ من تقدّم شريف مكة سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩١م، والذي كان قدْ قَدَّمَ الدَّعم لأعداء الدولة السعودية في الأحساء كما مرَّ معنا، ثمَّ عزَّز الشريف خطته في إحكام قبضة الكماشة ضدَّ الدولة السعودية بأن سار بجيوشه من مكة ونواحيها ليحارب السعوديين في **قصر بسَّام**، ثمَّ محاربته لهم في **بلدة الشعراء**، وفي كلتا الهجمتين عاد شريف مكة مهزوماً ولم يحقق إحكام الكمّاشة ضد الدولة السعودية.

المقصود؛ أنَّ الدولة السعودية الأولى بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود استطاعت في سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م أنْ تضبط جُلّ الأمور تحت تصرُّفِها في الأحساء، فالتفتت بعد ذاك الضبط إلى العراق وقبيلة المنتفق فيها، والتي كانت تأوي المناوئين للدولة السعودية والفارّين من وجهها وتعاونهم في التحرّش بالدولة السعودية، وتيقَّن الإمام عبدالعزيز بن محمد بأن المنتفق ومعهم قبيلة الخزاعل[١] وبعض العربان والعشائر العراقية وراء كثير من الاضطرابات التي تنشب بين حين وآخر في الأحساء وفي بعض البلدات النجدية[٢].

من هنا رأى الإمام عبدالعزيز بن محمد أنَّه لابدَّ من إرسال حملات تأديبية وتوجيه بعض الضربات الوقائية وربما بعض الهجمات الاستباقية التي تنطلق من الدولة السعودية لردع التحرشات العراقية وتأديب قبيلة المنتفق ومن معها من جلوية نجد والعربان والعشائر

---

(١) الخزاعل: قبيلة عربية في العراق، وهم شيعة، ومن أقسامها: المعلم وآل بو حسن ولملوم، وهناك فرع صغير منهم يدعى بنو العارض. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٢٨١/٣).

(٢) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٢٠٣).

المناوئة التي تعين على تلك التحرشات، فكانت الضربات السعودية تصل في بعض الأحيان إلى حدود البصرة، ويُكْتَب لها النجاح[(١)].

* أوامر الحكومة العثمانية على الوالي العثماني في العراق بالتحرّك لحرب الدولة السعودية:

في الوقت الذي كانت فيه الجيوش السعودية تحصد النجاحات في جنوب العراق، كانوا أيضاً في جهة الحجاز يحققون الانتصارات المتتالية هناك، فكانت تلك النجاحات السعودية المتتالية منبّهاً للحكومة العثمانية في إسطنبول لتدرك مدى القوة التي وصلت إليها الدولة السعودية الأولى[(٢)].

وعليه تحركَّت حكومة إسطنبول لتأمر باشا بغداد بالعمل على محاربة تلك الدولة والقضاء عليها[(٣)]، **على أنَّ هذا الباشا كان - فيما يظهر - مدركاً صعوبة الإقدام على محاربة السعوديين الذين يتقنون حروب الصحراء ويتميزون بخفَّة الحركة في المعارك ويحسنون عمليات الانسحاب والمناورة على أرضهم لدرجة أنهم يستطيعون في سهولةٍ أن يُوقِعوا الجيش المهاجم في أزمةٍ قد لا يجد منها فكاكاً إلا بالاستسلام**[(٤)].

---

(١) انظر: أمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية» (٦١/١). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٥٥).

(٢) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٣٩ - ٤٠).

(٣) جان ريمون، المصدر السابق (٥٦ - ٥٧).

(٤) انظر: عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٤). وعبدالعزيز سليمان نوَّار «داوود باشا والي بغداد» (٣٨).

وهذا مِمَّا اشتهرت به القوات السعودية إبَّان الدولة السعودية الأولى. وشهد لهم بذلك القنصل الفرنسي لوي روسو حين قال: «**ليس هناك ما يضاهي طريقة الوهابيين في القتال من حيث السرعة والفاعلية**»[١].

وشهد لهم أيضاً بذلك ج. ج. لوريمر حين استنطق وثائقه البريطانية التي وكَّدَت قائلة: «**كانت السرعة التي يستطيع بها الوهابيون حشد قوَّة ما، ثمَّ السرعة التي تنطلق بها هذه القوة في سبيلها إلى هدفها، أمراً يندهش له دائماً العثمانيون**»[٢].

وبناءً على ما سبق من تَسَبُّبَاتٍ؛ **رأى باشا بغداد أن يبحث عن رجلٍ مناسب لتلك المهمة، فوقع طائر فكره على ثويني الذي كان الباشا قد عفا عنه وولَّاه إمارة المنتفق، ثمَّ عاهده ثويني أن يسير إلى نجد ويخربها ويقتل أهلها، فهشَّ لذلك باشا بغداد واستحسنه، وزادت ثقته بثويني بعد أنْ رأى كثير من الجالين من أهل نجد في الزبير يسعون عند الباشا ويثنون على ثويني ويزيّنون له بأنه الأكفأ والأقدر على ضرب الدولة السعودية الأولى وإسقاطها ـ بزعمهم**[٣] ـ، **كما سعى في ذلك التحريض بعض من الرؤساء والعلماء سيّما محمد بن فيروز** المتواجد في العراق بعد أنْ انضمَّت الأحساء لآل سعود[٤].

---

(١) من تقرير القنصل الفرنسي جان لوي روسو، ضمن كتاب «الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد» (١٣١).

(٢) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٨١/٣).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٤٨/٢ ـ ٩٤٩).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام، المصدر السابق (٩٥٢/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢١٧/١ ـ ٢١٨).

* حملة ثويني على الأحساء:

هكذا وجد باشا العراق ضالَّته المنشودة في ثويني وكلَّفه بقيادة حملة ضدَّ السعوديين، وأعطاه ترخيصاً بمقاتلتهم وعزَّزه بَحَمَلَةِ البنادق من موظّفي البصرة الأتراك، وخمس قِطَع من المدافع وأرسل معه أحد أغوات بيروت لمعاونته[(١)].

وعلى إثر ذلك الدعم من قِبَل الوالي العثماني في العراق **استنفر ثويني رعاياه من المنتفق وأهل الزبير وأهل البصرة ونواحيها، وحشد معه بعض العربان، ثمَّ حشد الجالين من الأحساء إلى العراق فاتَّفق له قوة هائلة** في سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م[(٢)]، وقد ذكرت بعض الوثائق التركية أنَّ قوات ثويني بلغت عشرة آلاف جندي من الترك وضعف هذا العدد من العرب وغيرهم[(٣)].

فتقاطرت تلك الجموع على ثويني وهو نازلٌ في الجهراء في الكويت[(٤)]، فأقام هناك ثلاثة أشهر وهو يجمع البوادي والعساكر

---

(١) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٤). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٢٢/٦).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٥٠/٢). رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٤). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٢٠٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٢٥/١).

(٣) ذُكِرَ هذا العدد في وثيقة تركية أوردها علي دخيل الله الحازمي في رسالته «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (١٢٧) رسالة ماجستير غير منشورة.

(٤) يذكر المؤرّخ البريطاني المستر ستيفن لونكريك في كتابه «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٧): أنَّ جماعاتٍ من (الكويت) شاركت في ذلك=

والمدافع وجميع آلات الحرب من البارود والرصاص والطعام وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر، وأركب عساكر الترك من البصرة التي أمدَّته بها باشوية بغداد العثمانية بإسطولٍ بحريٍّ يحملهم، ومعهم أحمال الطعام والتموين تباريه في البحر وقصدوا ناحية القطيف(١).

فلمَّا بلغ ذلك عبدالعزيز بن محمد بن سعود أمر نواحي الخرج والفُرَع(٢) ووادي الدواسر والأفلاج وسدير وجبل شمَّر فاجتمعوا، واستعمل محمد بن معيقل(٣) أميراً عليهم، فساروا ونزلوا موضعاً يقال له قرية(٤).

= الجيش. ويذكر المؤرِّخ حسين خلف الشيخ خزعل في كتابه «تاريخ الكويت السياسي» (٦٤/١): أنَّ ثويني سيَّرَ قسماً من جيشه على السفن الكويتية.

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٥٧/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٢٥/١). والمستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٧).

(٢) الفُرَع: هو (وادي بُرَيْك) وفيه بلدة (الحوطة) و(الحلوة) وما بينهما من قرى وتوابع. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٤٨/٢).

(٣) محمد بن معيقل: كان من أشهر قادة الدولة السعودية الأولى في السنوات ١٢٠٥ ـ ١٢٢٤هـ/ ١٧٩١ ـ ١٨٠٩م. قال عنه ابن بشر: بأنَّه صاحب (شقراء) في سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م. وانظر أخباره عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٢٢/٢ ـ ٩٢٣) (٩٣٠) (٩٦٦). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٢٠٣ ـ ٢٠٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧٦/١) (٢٠٧ ـ ٢٠٨) (٢١٢) (٢٢٥ ـ ٢٢٦) (٢٣٦) (٣٠٦). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة في نجد» (٧٨٥).

(٤) قرية: اسم قريتين واقعتين شرق (الصمَّان) وغرب مرتفعات (الطَّفّ)، فكبراهما (قرية العليا) والأخرى (قرية السفلى). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٤١٦/٤).

كما أمر الإمام عبدالعزيز على ما لديه من القبائل من **العجمان وقحطان**[١] **ومطير**[٢] **وسبيع**[٣] **والسهول**[٤] **وغيرهم من قبائل نجد يحشدون بأهليهم وأموالهم ويقصدون النواحي التي في أطراف الأحساء ويتفرَّقون في أمواهِها ويثبتون في وجوه هؤلاء الجنود،**

---

(١) قحطان: يقول حمد الجاسر في «معجم قبائل المملكة» (ص: ٦٤٥): «ليس المقصود بقحطان هنا القبيلة القديمة التي تعتبر الأصل الثاني من أصول العرب بمقابل عدنان، بل قحطان هنا فرعٌ من ذلك الأصل» انتهى كلام الجاسر.

وقحطان هذه قبيلة لها فروعٌ كثيرة تنتشر في شرق (سراة الحجاز) وجنوبها وفي الأودية المنحدرة منها نحو نجد؛ مثل فروع أودية (بيشة) و(تثليث) و(طَريب) و(جاش) و(ظهران الجنوب) و(الجوف) وغيرها. ومن هذه القبيلة بحسب موقع بلادهم: قحطان الجنوب الذين منهم سكَّان (تثليث) ونواحيه. وهناك قحطان نجد الذين منهم الجحادر وجنب. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٦٤٥ ـ ٦٤٦).

(٢) مُطَير: قبيلة تنتشر في بلدات في عالية نجد ووسطها وشرق (الدَّهنا). وأشهر فروع القبيلة: علوا وبريه وعبدالله. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٤٩٦) (٧٨٠).

(٣) سبيع: قبيلة منتشرة في بلدان نجد، وتعتبر بلدة (رَنْيَة) قاعدة هذه القبيلة. وينتشرون في (وادي الخُرْمَة)، و(لقطة) في عالية نجد، وفي المنطقة الشرقية في (معقلة) لبني عامر منهم، و(حزوا) و(شوية) في الشرقية أيضاً. ولهم في (الرياض) بلدات هي: (الحاير/ حاير سبيع) و(رماح) و(الرّمْحِيَّة) و(حَفْر العَتْك). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٤) السهول: قبيلة تقطن في أطراف (العارض) على مقربةٍ من (الرياض). أشهر فروعهم: الظُّهْران وآل محيميد والبرازات والسريَّة والمَحلف والقبابنة وآل مَرضُوع. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣٧٥ ـ ٣٧٦).

فحشدوا واجتمعوا فيها، ثمَّ حشد الأمير سعود من الدرعية بشوكةٍ من أتباعه وسار بأهل العارض واستلحق من جميع البلدان، ونزل التنهات[١] عند الدهناء وأقام أياماً ثمَّ رحل منها ونزل الحَفْر المعروف بحَفر العَتَك[٢]، فأقام أكثر من شهر[٣].

أمَّا ثويني فتحرّك بجموعه الهائلة من الجهراء وقصد ناحية الأحساء فنزل الطَّفّ[٤] ثم نزل الشباك[٥] الماء المعروف في الأحساء، وأثناء وجوده في الشباك شاء الله أن يخذله ويخذل من معه؛ إذ تسلَّط على ثويني عبدٌ يسمَّى طعيس من عبيد الجبور من بني

---

(١) التنهات: روضة من رياض نجد، يدفع بها أربعة أودية من أكبر أودية (العرمة) وهي: (وادي الطَّيْري) و(وادي العتك) و(وادي الشوكي) و(وادي الودي). انظر: عبدالله بن خميس، «معجم اليمامة» (١/٢٠٦).

(٢) حَفْر العَتْك: هو بحذاء (العرمة) وراء (الدهناء)، يقع في أسفل (وادي الطَّيْري) قبل أن يدفع في (روضة التنهات)، يبعد عن (الرياض) شمالاً حوالي ١٥٠ كلم. انظر: عبدالله بن خميس، «معجم اليمامة» (١/٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٥٧ ـ ٩٥٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٤) الطَّفُّ: إحدى مناطق (الأحساء) تجاور (جبل الطف) من جهة طرفه الجنوبي، وهو يشكّل امتداداً للأراضي المرتفعة في شرقي (الصُّلب) و(الصُّمَّان). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٧/٢٤١٧). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٠٣٢).

(٥) الشِّبَاك: موضعٌ اطلق عليه هذا الاسم كوصفٍ للآبار المتقاربة، سُمِّيَت بذلك لتجاورها وتشابكها، وهي جنوب (أبو حدرية) شرق (جبل الصفاوي) الواقع شرق قرية (عتيِّق). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٢/٩٠٧ ـ ٩٠٨).

خالد[(١)]، إذ أقبل طعيس ومعه زانة فيها حربة ضعيفة فطعن بها ثويني طعنة واحدة ليست نافذة، ولكنَّ الله جعل فيها حتف ثويني الذي مات من فورِهِ في محرم ١٢١٢هـ/يونيو ١٧٩٧م[(٢)].

من هنا جرت هذه الحادثة مجرى المثل عند أهل نجد، فيقولون: «**بَيعَةَ طُعَيس**» يضربونه للإقدام على المخاطر[(٣)].

وعن تلك الحادثة قال المؤرّخ ابن غنَّام قصيدة منها:

بِرَبِّ طُعيسٍ لا طُعَيس تَقَشَّعَت ... سحائبُ رجزٍ بالمنايا لها شرُّ
أرانا بهذا البطش ذو العرش آيةً ... وذكرى لنا في ضمنها يظهر البِشْرُ[(٤)].

فلمَّا قُتِلَ ثويني وقع التخاذل والفشل في جنوده وألقى الله الرعب في قلوبهم وارتحلوا منهزمين لا يلوي أحدٌ على أحد، فتبعتهم الجنود السعودية بقيادة سعود يقتلون منهم ويغنمون غنائم ضخمة دون مشقَّة منذ انهزامهم من نواحي الأحساء حتى أوصلوهم إلى الكويت، **وطيلة هذا الطريق والجنود السعودية تطاردهم وتحوز منهم الغنائم من الأموال العظيمة والإبل والغنم والأزواد والأمتاع وغير ذلك**، ثمَّ

---

(١) انظر أخبار طعيس عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠١٩/٢ - ١٠٢٠).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام، المصدر السابق (١٠١٧/٢ - ١٠٢٠). وعثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٢٩٤). ورسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٤). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٢٦/١ - ٢٢٧).

(٣) انظر: محمد بن ناصر العبودي «الأمثال العامية في نجد» (١٨٧).

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٥/٢).

حُمِلت المدافع والقنابل إلى الدرعية[١].

يقول رسول حاوي الكركوكلي (ت: ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م)[٢]: «مهما قيل في هذه الحادثة[٣]، فإنَّها قَلَبَت الخطّة رأساً على عقب، وسبَّبَت عودة هذه القوات من حيث أتَت، وفيما هم في طريق عودتهم **هَجَم عليهم الوهابيون وأوقعوا بهم قتلاً وفتكاً ذريعاً.** أمَّا إخوان الشيخ ثويني وعشائر المنتفك فقد ألقوا ما بأيديهم من المدافع واكتفوا بإنقاذ عوائلهم وأنفسهم وفرّوا إلى ديارهم. **وأمَّا العسكر البلوجي فقد وقع الوهابيون به ضرباً وأسراً**، واستولوا على ما معه من مدافع وعتاد وغير ذلك وذهبوا بها غنيمة باردة إلى الدرعية»[٤].

وفي ذلك يقول ابن غنَّام:

لقد أقبلوا والأرض ترجف منهمُ ... وقد أدبروا يقفوهم الذلّ والصغر
وساروا بأسباب المكائد والردى ... إلينا فما أغناهم الكيد والجرّ
فآبوا وقد خابوا وما أدركوا المنى ... وبادوا وما سادوا وعقباهم الخُسر[٥].

لقد أحدث مقتل ثويني قلقاً كبيراً لدى الحكومة العثمانية في

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢١/٢). وعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٨/١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٢٨/١).

(٢) رسول حاوي الماهوني أصلاً الكركوكلي وطناً. مؤرِّخ تركي الأصل والمنشأ. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢١/٣).

(٣) يعني حادثة مقتل ثويني.

(٤) رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٥).

(٥) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٤/٢).

العراق التي علّقت ثقةً كبيرة في القدرات التي اشْتُهِرَ بها، فاعتمدت عليه اعتماداً كبيراً في هزيمة دولة آل سعود، ولكنّ الأمور سارت بعكس ما تمنّته الدولة العثمانية وواليها في بغداد[١].

وقد وصف المؤرّخ الاجتماعي العراقي علي الوردي صدمة والي بغداد العثماني من فشل حملة ثويني، فقال: «فوجئ الوالي سليمان باشا بفداحة الضربة التي لم يكن يتوقعها، **ولعلّه كان يظن أنّ الحركة الوهابية أمرها هيِّن لا يحتاج قمعها إلى كبير عناء، ثمّ تبيَّنَ له أنَّها أعظم مِمَّا كان يظنّ**»[٢].

* الدولة السعودية تدعو الباشا العثماني في العراق إلى عقد مسالمة بينهما:

أحدث مقتل ثويني وفشل حملته أن كُسِرَ الحاجز النفسي لدى السعوديين؛ حيث أصبحوا يستشعرون ما لديهم من قدرات على مهاجمة الباشوية العثمانية في العراق[٣]، وعلى الرغم من تلك القوة التي استشعرها آل سعود وأتباعهم فإنهم كانوا يؤثرون السلم ويحرصون عليه أكثر من الحرب واشتعالها.

وهذا معلومٌ من سيرة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود،

---

(١) انظر: الرحالة الإنجليزي جاكسون «مشاهدات بريطاني في العراق ١٧٩٧م» (٩٢ - ٩٣).

(٢) علي الوردي «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» (٢٠١/١).

(٣) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (١٩٥). وعلي دخيل الله الحازمي «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (١٣٠).

ومعلومٌ أيضاً من سيرة ابنه الإمام سعود، **فكان عبدالعزيز وابنه سعود قبل أن يبادروا إلى أيِّ معركةٍ يرسلان رسالةً إلى خصومهم بطلب التفاوض حقناً لدماء المسلمين، فإذا لم يقتنع الخصم بالسلم، فلا مناص من الحرب**[(١)].

وهذا ما حدث؛ فإنَّ الوالي العثماني في العراق تعنَّت وأبى إلَّا أن تُسقَط دولة آل سعود؛ وشاهد ذلك أنَّ الكيخيا[(٢)] علي باشا[(٣)] لمَّا وصلته رسالة من سعود بن عبدالعزيز أرسلها له مع أحد ثقاته يُعرب فيها عن رغبته في العيش بسلامٍ مع جيرانه، فما كان من الكيخيا إلَّا أنْ استقبل رسول ابن سعود بجفاءٍ، وأخبره أن يبلغ سعود أنَّه آتٍ لحربه في الدرعية.

عندها علم آل سعود أنهم استنفدوا جهودهم مع الباشوية العثمانية في العراق في سبيل السلم وحقن الدماء عن الحرب، فجاء الردّ السعودي على حملة ثويني الفاشلة واعتداء الباشوية العثمانية في العراق على الدولة السعودية الأولى، حيث سار سعود بجنوده من

---

(١) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٣٦).

(٢) الكيخيا/الكتخدا: لفظةٌ يُطلقها الترك على الموظَّف المسؤول والوكيل المعتمد. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٢٩).

(٣) علي باشا الكيخيا: ترجم له لوريمر في وثائقه التي جمعها قائلاً: كان ياوراً شخصياً لسليمان باشا الوالي العثماني في العراق، وعلي الكيخيا كان عبداً رقيقاً من (جورجيا) لكنَّه تزوَّج بابنة سيِّدِهِ سليمان باشا. وقد وصفه الذين عرفوه بأنَّه رجلٌ مغرورٌ عنيدٌ خائنٌ سيّ الخلق. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٨٢/٣).

جميع نواحي نجد وقبائلها، وكان من ضمن قادة تلك الحملة السعودية كلٌّ من فهاد بن سالم بن شكبان وعثمان المضايفي، فقَصَدَت تلك الحملة الباشوية العثمانية في العراق في رمضان سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٨م، **وأغارت على سوق الشيوخ الذي عاون أهله حملة ثويني وكانوا يتحرشون بالدولة السعودية**، فقَتَلَ سعود منهم قتلى كثيرة وهرب أناس منهم فغرقوا في الشطّ، فقام أهالي سوق الشيوخ بهدم الحواجز المقامة على قناة مياه نهر الفرات فأصبحت المياه منهمرة تحيط بسور المدينة، **فخاض سعود وجنوده الماء وهجم على بعض التحصينات فاستولى عليها بقوةٍ ونشاط**[1].

ولمَّا فرغ سعود من سوق الشيوخ توجَّه إلى السماوة[2] لأنَّ أهلها عاونوا ثويني سابقاً في حملته على الأحساء، فنازلهم سعود على ماء الأُبَيِّض[3] هناك وقتل من رؤسائهم وغنم من محلَّتهم الإبل والمتاع[4]، فهرب أكثر أهالي المدينة وتحصنوا داخل أسوارها ولم يخرج منهم أحدٌ لملاقاته، فقد تملّكهم الخوف من لقاء سعود الذي

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢٠ ـ ٣٢١). وحسن الريكي «لمع الشهاب» (١٥٧).

(٢) السماوة: مدينة تقع على (الفرات)، بالقرب من (المسيَّب)، على بعد ٥٠ ميلاً جنوب مدينة (الديوانية). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢١٤٠/٦).

(٣) الأُبَيِّض: تصغير أبيض. ماء معروف في ناحية (السماوة) في العراق، وهو في أنحاء (الحجرة) قريب من ماء (الأخيضر) في (الشامية). انظر: عبَّاس العزَّاوي «عشائر العراق» (١٣٩/١) (٣٠٥).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٤٠/١ ـ ٢٤١).

كان مرهوب الجانب فتحصنوا وراء أسوارهم، ولمَّا أيقن سعود أنَّه ليس من محاربٍ له هناك، أخذ طريقه لمغادرة البلاد[١].

* رسالة الكيخيا وردّ الإمام سعود عليها:

استشاط الوالي العثماني في العراق سليمان باشا غضباً من الضربات التي وجهَّها سعود بن عبدالعزيز للباشوية العثمانية في العراق، فأمر سليمان باشا أن يرسل كيخياه علي باشا الكيخيا إلى سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رسالةً مِلْؤها التهديد والوعيد، وهي في ذات الوقت **غير خالية من الغطرسة التركية والعنجهية واحتقار العرق العربي بكل صراحة**، فقد كتب علي باشا الكيخيا لسعود قائلاً له: «إنَّكَ تحارب حرب اللصوص الذين يلوذون بالفرار حفاظاً على حياتهم، **أنتَ بدوي وتطمح إلى المُلك**، **وإنَّ بلادك بلاد مسيلمة**، وسآتيك بنفسي لمهاجمتك في الدرعية عاصمتك»[٢].

فأجابه سعود برسالةٍ مليئة بالأَنَفَةِ العربية، قال فيها: «تأخذ علينا أننا نحارب كاللصوص وأننا نلوذ بالفرار دون قتال، ولكننا بقينا شهراً في إقليم العراق بانتظارك، ولم تخرج إلينا»[٣].

ثمَّ قال سعود: «وقولك: إنَّكَ طلبتنا أنتَ وباشتك، فالكذب عيب في أمر الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢١ ـ ٣٢٢).

(٢) نصّ رسالة علي باشا الكيخيا ورد سعود عليها موجودة عند: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢٢ ـ ٣٢٣).

(٣) المصدر السابق (٣٢٣).

يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥]، وجميع الناس يفهمون أنَّا لمَّا نزلنا الأخيضر(١) فوق القصر(٢) على ثغبان(٣) أقمنا بها سوق الحراج(٤) إحدى عشرة ليلة على منزلٍ واحد، وركابنا كلها عزيب(٥) ليست عندنا، وربما عندك من العربان من هو معنا في ذلك المنزل، اسألهم يخبروك إن كنتَ لا تدري، ونحن ننتظركم في

---

(١) الأخيضر: ينبوع ماء في صحراء تبعد ١٢ ميلاً جنوب شرق (شفاثا) ناحية (الشامية) في العراق، بين (الأُبَيِّض) وبين (عين التمر). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٣٥٤/٧). وعبَّاس العزَّاوي «عشائر العراق» (٣٠٥/١). أيضاً: عباس العزَّاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٥٩/٦).

(٢) يقصد قصر (الأخيضر)، وهو لا يزال قائماً حتى اليوم، قصرٌ أثريٌّ على بُعد نيف وخمسين كلم غربي (كربلاء). انظر: مقال «قصر الأخيضر ورأي العلامة الآلوسي فيه» منشور في «مجلة لغة العرب»، ج٢: شعبان ١٣٣٠هـ/ آب ١٩١٢م (ص٤٥ ـ ٥٢). وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنَّ (حصن الأخيضر) الذي لا تزال أطلاله باقية إلى اليوم في صحراء العراق، ربَّما سُمِّيَ باسم إسماعيل بن يوسف الأخيضر عندما عَهِدَ إليه أبو طاهر القرمطي بإمرةِ (الكوفة) عام ٣١٥هـ. انظر: عبدالله الشبل «من تاريخ اليمامة: الدولة الأخيضرية» (ص: ٤٦٢).

(٣) ثغبان: مفردها ثغب؛ وهو مستقرّ الماء دون الحفنة. أمَّا «الحفنة» فهي إذا كان مستقر الماء أكبر من الغدير. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٦٤٧/١).

(٤) السوق الذي يعنيه الإمام سعود هو (سوق قصر العين) لأنَّها هي التي في (شفاثا) الموقع الذي يشير إليه الإمام سعود عند (الأخيضر). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٣٥٤/٧).

(٥) عزيب: بعيدة عن أهلها. انظر: جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي «لسان العرب» مادَّة (عزب). وعبدالرحمٰن المانع «معجم الكلمات الشعبية في نجد» (٧٤).

تلك المدة أنَّكم تظهرون علينا وَنَكِرُّ عليكم ونستأصل عساكركم ونتغلب على بلدانكم، فلمَّا أيسنا منكم وفرغ المسلمون من بيع ما أفاء الله عليهم رحلنا بالعزِّ والسلامة والمغنم والأجر إن شاء الله تعالى، ثمَّ بعد ذلك مشينا ونزلنا على بلدك البصرة وأقمنا بها عشرة أيامٍ وذبحنا ودمَّرنا ما بلغك علمه»[١].

ثمَّ التفتَ سعود إلى ما قاله الكيخيا في حقِّه ومحاولة احتقاره له على أساس أنَّه عربي بدوي، فردَّ سعود على الكيخيا قائلاً: «**وتقول إنني بدوي أطمح للمُلك، فاعلم أنَّ البدوي خيرٌ من مملوكٍ مثلك، اشتراه سليمان باشا بثلاثمئة قرش**[٢]. **وإذا كانت بلادنا بلاد مسيلمة، فإنَّ بلادك شهدت ولادة عبادة الأوثان، وكان أهلها يعبدون النار قبل أن ترى النور**، ولكنَّ الأرض هي الأرض، والرجال هم الذين يرفعون شأن أوطانهم وليست الأوطان هي التي تصنع مجد الرجال.

ولستَ تَجِدُ حَرَجاً من القول: إنَّك ستأتي لتحاربنا في الدرعية، وسوف تكون هذه المدينة كما كان قبلها إقليم الأحساء شاهداً على هزيمتك المنكرة»[٣].

---

(١) من رسالة سعود بن عبدالعزيز بن محمد إلى علي باشا الكيخيا، ضمن «الدرر السنية» (٩/٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) قال الحلواني: إنَّ الأمير سعود ابن الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود في خطاباته للكيخيا: يخاطبه بالكيخيا علي، دون أن يذكر لعلي أباً، إشارةً إلى كونه لا يعلم له أَباً. انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٣٤).

(٣) من رسالة علي باشا الكيخيا ورد سعود عليها موجودة عند: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢٢ ـ ٣٢٣) باختصار.

ولمَّا طعن الكيخيا في آل سعود وأتباعهم وطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ردَّ عليه سعود بن عبدالعزيز بن محمد فنسف تهمته وافترائه نسفاً واضحاً، مُبيِّناً له أنَّ العيب عنده وبين جنوده الترك، وأنَّ الفساد والمفاسد منتشرة تحت وطأة حكمهم المهيمن على العراق، حيث قال سعود: «**إنْ قُلْتَ [أيها الكيخيا] أنَّكم لم تعبدوا غير الله فأفعالكم تُبطِل أقوالكم ظاهراً وباطناً، فإذا كانت الحضرات الباطلة والمشاهد الملعونة والبنايات على القبور وسؤال ما لا يسأل إلا من الله تعالى والصلاة عندها والتمسّح بها، كلّ ذلك موجود عندكم ظاهراً.**

وكذلك الصلوات الخمس متروكة، وكثير من الناس لم يصلّوا جمعة ولا جماعة ولا منفردين، والذي يصلّي جماعة قليل الناس، فإذا صلَّى خرج على الناس وهم في الأسواق تاركين الصلاة مقيمين على الفسوق واللهو والفجور والبغي ولا ينكر عليهم. وكذلك الزكاة متروكة، وجميع أعمال البرّ غير الفرائض لم تكن لكم شعاراً ولم تأمروا بها.

وجميع القبائح عندكم ظاهرة وهي سجية كثيركم: الشرك بالله والزنا واللواط؛ فعل قوم لوط أهل المؤتفكات[١]، وكذلك الربا والسحر وادعاء علم المغيّبات، وجميع الآثام كالخمر وأنواعه من المسكر كالتنباك وأشباهه، والبغي والظلم والعدوان وأخذ أموال الضعفاء والفقراء»[٢].

---

(١) راجع ما ذكرناه أوَّل هذا الفصل مِنْ أنَّ والي بغداد عمر باشا كان معروفاً باتخاذه مخنَّثاً إيرانياً.

(٢) من رسالة سعود بن عبدالعزيز بن محمد إلى علي باشا الكيخيا، ضمن «الدرر السنية» (٩/٢٧٥ ـ ٢٧٧) باختصار.

* الدولة العثمانية تترك مصر تحت احتلال الفرنسيين، وتتحرَّك لمحاربة السعوديين:

لا بدّ من التنبيه على فاصلة تاريخية تدعو إلى السخرية مما وصل إليه حال الدولة العثمانية آنذاك، فإنَّه في سنة **١٢١٣هـ/١٧٩٨م** شنَّت فرنسا حملتها على مصر التي كانت تابعة للدولة العثمانية ومن أراضي السلطان العثماني، **على أنَّ سلطان الدولة العثمانية لم يُجَيِّش جيوشه في ذاك الوقت لتحرير مصر من الفرنسيين الذين احتلوها**[1]،

---

(١) من السخرية أن تجد المؤرّخ الحاقد على السعوديين الفاجر في خصومته معهم: عثمان بن سند، يذكر في كتابه «مطالع السعود» (٢٦٣ - ٢٦٤) أنَّ السلطان العثماني أرسل يوسف باشا (الصدر فشق) ليخلّص مصر من أيدي الفرنسيين، وقال ابن سند بأنَّه خلَّصها فعلاً بعد معارك بطولية!!!.

على أنَّك لن تجد من حوادث تاريخ ذاك الوقت ما يُسعف كذبة عثمان بن سند المتعصّب للعثمانيين، بل ستجد ما ينافيه جملةً وتفصيلا: فيوسف باشا كانَ لِصّاً - كعادة القادة العثمانيين - فكان في طول طريقه من تركيا مروراً ببلاد الشام ووصولاً إلى (غزَّة) و(العريش) يسرق وينهب ويسلب من العرب القاطنين في القرى التي يمرّ بها والبادية العربية التي يخوّفها بسلاحه. يقول الجبرتي: «في رجب ١٢١٤هـ [آخر ١٧٩٩م] وصل يوسف باشا الصدر فشق وصحبته نصّوح باشا وعثمان آغا كتخدا الدولة وغيرهم، وعسفوا بالبلاد الشامية، وضربوا عليهم الضرائب العظيمة، وجبوا الأموال، وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال». ثمّ ذكر ما يُفْهَم مِنْه بأنَّ يوسف باشا وصحبه جَبنوا من محاربة الفرنسيين، فصالحوهم، من دون طائل من مسيرهم من تركيا حتى وصولهم مصر، سوى أنَّهم نهبوا وسلبوا ما في طريقهم ذهاباً وإياباً. انظر تفاصيل ذلك عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/١٤٠ - ١٤١).

* ثمَّ إنَّ الذي طرد الفرنسيين من مصر هم الإنجليز، لذلك تجد أمين الحلواني في «مختصر مطالع السعود» (ص: ١٠٩) يوم اختصر كتاب ابن سند=

بل أصدر السلطان أمره إلى والي بغداد بتجهيز حملة كبيرة ضدَّ السعوديين تكون على درجةٍ عاليةٍ من الإعداد المتناسب مع آمال الحكومة العثمانية في تدمير القوة السعودية تدميراً تامّاً، وغايتها ليست أقلّ من إخضاع نجد كلّها[١].

وهذا يدلُّكَ على تنامي الانزعاج الذي صارت تشعر به الحكومة العثمانية تجاه أتباع هذه الدولة، وعلى مدى تعاظم قوة وشهرة السعوديين[٢].

* حصار الكيخيا لقصر صاهود في الأحساء:

في سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٩م جَيَّشَ والي بغداد ووزيره علي باشا الكيخيا الجيوش من العراق وجمعوا للحملة جموعاً عظيمة، ودعمتها حكومة إسطنبول بالعتاد والعساكر[٣].

فسيَّر سليمان باشا والي العراق العساكر الكثيرة من المحمَّرة والأكراد، سار بهم وزيره علي الكيخيا، فاتفَّق له قوة هائلة من

= «مطالع السعود» لم يتابعه على تلك الأكذوبة، بل جاء بالواقعة التاريخية الحقيقية التي تثبت أنَّ الإنجليز، وليس الأتراك، هم من أخرجوا الفرنسيين من مصر. وسيأتيك تفصيل ذلك في أول الفصل التاسع من هذا الكتاب.

(١) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٩٠١/٤). وتعليقات الأمير شكيب أرسلان على «حاضر العالم الإسلامي» (١٦٢/٤) من تأليف: لوثورب ستودارد.

(٢) انظر: السير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٨٣).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٨/١٢). والمستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٨). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٢٦/٦).

المدافع(١) والقنابل وآلات الحرب، وأُعِدَّت للكيخيا الأرزاق في البصرة عدا ما أحضره معه من بغداد، كما أُحضِرَت له السفن كواسطةٍ بحرية لنقل المؤونة، إلى جانب الإبل التي هُيِّئَت له لنقل جنوده وأحماله بَرّاً، حتى قيل إنَّ الخيل التي رافقته بلغت ثمانية عشر ألفاً، وبلغ عدد الإبل نحو ثلاثين ألفاً.

ثمَّ توجَّه الكيخيا إلى الزبير فنزل في محلٍّ يقال له **الدريهمية**(٢) **وجهَّز من هناك خمسة آلاف بندقي من المرتزقة**(٣) **استؤجروا لهذا الغرض، وسار معه من هناك أهل الزبير وما يليهم جمٌّ غفير وأميرهم إبراهيم بن ثاقب بن وطبان**(٤)، **وانضمَّ لهم بوادي وعربان المنتفق،** واجتمع معهم بوادي وعربان آخرين، ورافقهم **عربان ما وراء العراق،**

---

(١) انظر: السير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٨٧).

(٢) الدريهمية: موضع ماء على رأس فرسخ من (الزبير). انظر: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٥٨).

(٣) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٨). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠٠).

(٤) إبراهيم بن ثاقب بن وطبان: يقول عنه أمين الحلواني في «مختصر مطالع السعود» (ص: ١٢٧) (ص: ١٣٠): أنَ ابن ثاقب كان رجلاً فصيحاً منطيقاً من دُهاة العرب. أمَّا عثمان بن سند في «مطالع السعود» (ص: ٣١٤) (ص: ٣١٨): فقد اتَّهمه بأنَّه ثبَّط الكتخدا فيما بعد عن حرب آل سعود، لأنَّ ابن ثاقب من أقارب آل سعود. وقال الحلواني في «مختصر مطالع السعود» (ص: ١٣٠): بأنَّ ابن ثاقب كان على عقيدة آل سعود. ولقد أخبرني مؤرِّخ أسرة آل ثاقب في الكويت؛ وليد بن عيسى بن يوسف الثاقب (أحد أحفاد إبراهيم بن ثاقب بن وطبان): أنَّ إبراهيم بن ثاقب هذا كان أوَّل من تولى مشيخة الزبير من آل ثاقب، وأنَّ أهل الزبير سنَّموه الأمر لِما عُرِفَ به من الحكمة.

حتى أن بعض المؤرخين قدَّرَ عددهم بما لا يقلّ عن ثمانية عشر ألفاً من الفرسان والجنود النظاميين من الأتراك وغيرهم[١]، مضاف إليهم عشرة آلاف من العربان[٢] زيادةً على الخمسة آلاف بندقي الذين ذكرناهم قبلاً.

الحاصل؛ أنَّ الكيخيا سار بذلك العدد الهائل وذاك العتاد الرهيب وقصد الأحساء، فلمَّا وصله **انضمَّ إليه بعض من تمرَّد من أهل الأحساء على الدولة السعودية الأولى**[٣]، **فتضخَّمت أعداد المشاركين في تلك الحملة أكثر من أعدادها المشار إليها سابقاً.**

ثمَّ بدأ الكيخيا يستقبل سفنه التي تحمل العتاد من العراق والتي رست في ميناء العقير بالأحساء فأنزلوا ما تحمله من المدافع والذخائر التي جاؤوا بها لمحاربة السعوديين[٤].

وحين استتبت كامل عُدّته الحربية واصطَفَّت تلك الأعداد المهولة من المحاربين، زحف بهم الكيخيا ليهاجم **قصر المبرَّز** المسمَّى **قصر صاهود** وحاصره[٥] من سابع رمضان إلى سبعٍ مضين من

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٢).

(٢) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٩). وجون ب. كيلي «بريطانيا والخليج» (١/١٥٧).

(٣) انظر: عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣١٤). وعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٩).

(٤) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٥ ـ ٢٠٦). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٦/١٢٨ ـ ١٢٩).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٣).

ذي القعدة ١٢١٣هـ/من فبراير إلى أبريل ١٧٩٩م، **وهو يحاول هذا الحصن بكلّ الأسباب من القتال وسوق عساكره من الترك والأعراب عليه وتتابع الرمي العظيم بالمدافع على جدران الحصن وحَفْرِ الحفر حوله ومَلْئِها بالبارود**[(١)].

فأقاموا طول تلك المدة كلّ يوم يجددون لهذا الحصن قتالاً وأسباباً فلم ينفعهم ضرب الحصن بمدافعهم، فقد عجزت تلك المدافع عن تأدية مهمّتها واعتراها الخلل، وكانت تَتَمَزَّق وتنفجر بعد الطلقة الرابعة، واستعصى عليهم التقدّم شبراً واحداً، ولمَّا رأى المتحصنون في **قصر صاهود** عجز هذه المدافع، وهي السلاح الوحيد الذي يعتمد عليه الجيش العثماني، قاموا فوراً بإصلاح ما فسد من الحصن وأعادوا تقويته من جديد[(٢)].

عند ذلك تناول جيش الكيخيا المعاول وهجم على الحصن وراحت الجنود العثمانية تعمل على هدمه ولكن دون جدوى[(٣)]، فوقع في جنود الكيخيا الفشل بعدما يأسوا من اقتحام ذلك الحصن السعودي، بالرغم من أنَّ هذا الحصن لم يكن فيه إلا قريب من مئة رجل سعودي[(٤)].

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠١). وجان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٥). وعبدالرحمٰن بن حسن «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠١).

(٣) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٦).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥١ ـ ٢٥٢).

* انسحاب جيش الكيخيا من الأحساء ـ وانعقاد الصلح:

لمَّا طال المقام بجنود علي الكيخيا وعساكره وماتت كثير من إبلهم وقلَّت مؤنهم، بَطلَ كيد جنود الكيخيا وتخاذلوا، **فقرَّ قرارهم على الارتحال من الأحساء والعودة لأوطانهم** بعد أن حاصروا الحصن قرابة سبعين يوماً(١)، **ورحل معهم من تمرَّد من أهل الأحساء على الدولة السعودية، فهرعوا هاربين لا يلوي أحدٌ على أحد، ثمَّ إنهم جمعوا سلالمهم وزحافات الخشب والجذوع التي أعدّوها لتسلّق جدران الحصن المذكور، وجمعوا أيضاً خيامهم ومتاعهم وطعامهم وأشعلوا فيها النيران، عندها تيقَّنَ علي الكيخيا أنَّ هيبته سقطت أمام أسوار الأحساء**(٢).

أخذ جيش الكيخيا يتسحَّب حتى بلغ القَطّار(٣) المعروف عند حوِيرّات الأحساء(٤)، **ثمَّ طارت قلوب جنوده فَرَقاً لمَّا جاءتهم أنباء** تحرّك سعود ومن معه، **فَطفقت جنود الكيخيا تدفن مدافعها ورصاصها في الموضع المذكور**، ثمَّ أحرقوا تارةً أخرى بعض خيامهم(٥).

يقول أمين الحلواني: «فرُّوا في أسوأ حال من التشتُّتِ وعَدم

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠١).

(٢) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٤).

(٣) القَطّار: آبار ماء بالقرب من (العيون) شمال (الأحساء). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٤٣٩/٤).

(٤) حويرّات الأحساء: جمع حويرّة تصغير حارَّة، وهي موضعٌ قرب (الأحساء) بالقرب من بلد (المطيرفي). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٥٦٩/٢).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٢/١ ـ ٢٥٣).

وجود رواحِلَ، فكانوا مشاةً حُفاةً جائعين عَطشى، **يَجِدُّونَ في السير خوفاً من أنَّ ابن سعود يُدرِكهم**، تاركين الأموال والديار سالكين المهامِه والقِفار»[١].

وصل سعود بجنوده من الحاضرة والبادية وحطَّ رحاله في روضة خُرَيْم[٢] لينظِّمَ صفوف جيشه[٣]، ولمَّا علِمَ سعود بانسحاب الكيخيا وأنَّه قد حوَّل وجهته ناحية وادي المياه[٤]، أخذ سعود يسابقه على الوادي المذكور، وكان سعود يرمي الملح في كلّ بئر ماءٍ يمرّ عليه[٥]، حتى يُنهَك الكيخيا وجنوده ظَمأً.

ثم أدركه سعود عند ماء ثاج[٦]، فنزل الحِنَّاءة[٧]، وجمع الله

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٢٩).

(٢) روضة خريم: نقى كبير من أنقية (الدهناء). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) (٢/ ١٥١).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٤) وادي المياه: ليس وادياً بالمعنى المراد بهذه الكلمة، ولكن لكثرة عيونه وآباره. يُعرف قديماً باسم (وادي الستار)، ويُدعى أيضاً (نُقرة بني خالد)، ويمتدّ شمالاً من (النعيرية) حتى ينتهي بالقرب من (جودة). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٤/ ١٧٨٠ ـ ١٧٨١). وغالب سكّان هذا الوادي اليوم هم من قبيلة العجمان. ويُسَمَّى عند كثير من الناس باسم «وادي العجمان».

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٣). والمستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٩).

(٦) ثاج: في (وادي المياه)، شرقي (الأحساء). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٢/ ٣٠٧ ـ ٣١٥).

(٧) الحِنَّاءة: على لفظ الحِنَّاء النبات الذي يُصبَغ به. وهي تقع في (وادي المياه)، =

بينه وبين جيوش الكيخيا التي كانت نازلة في الشباك قرب ثاج، فاشتبك القتال بين الفريقين، وجرى بين السعوديين وجنود الكيخيا محاولة خيل وطراد، وأقاموا على ذلك أياماً حتى وقع الفشل في الكيخيا وجنوده، فطلب الصلح من سعود، وأنَّ كلّاً من الفريقين يرحل وتُحقن الدماء، فصالحهم سعود على ذلك وارتحلوا إلى أوطانهم[(١)]، أو بمعنى أدق كما قال أمين الحلواني: «فرَّ الكتخدا هارباً مع عسكره قاصداً العراق»[(٢)]، دون فائدة تُذكر من حملتهم الفاشلة.

وقد علَّق السير هارفرد جونز بريدجز في تقريره لحكومته البريطانية عن تلك الحادثة قائلاً: «كانت الحسنة الوحيدة التي أنجزها الكيخيا هي عقد هدنة مع سعود سَمَحَ بواسطتها لبقايا جيشه المحطَّم بالعودة إلى بلاده»[(٣)].

وعلَّق أيضاً المؤرخ العراقي عثمان بن سند الذي عاصر تلك

= وتُنطَق (الجِنَّاة)، وهي مُرتَفَعٌ من الأرض تحيط بها أكَمَات مُرتفعة، فجنوبها بينها وبين (ثاج) تقع (القويديات)، وغربها (جبل الأَحَصِّ) و(جبل الكُوَيْخَا) وشمالها أرضٌ رملية. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٢/٥٤٦ ـ ٥٤٨).

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٣ ـ ٨٤). ورسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٨ ـ ٢١٠). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠١ ـ ٣٠٢). وعثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣١٥ ـ ٣١٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٢٨).

(٣) السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٩١).

الحادثة ذاكراً: **أنَّ علياً الكيخيا إنَّما عَمِلَ الصلح لمَّا داخله الخوف من ابن سعود، وأنَّ بعض مستشاري الكيخيا عظَّم له حال عسكر سعود بن عبدالعزيز بن محمد، فخاف الكيخيا وطلب المصالحة من سعود**، فأنشد البصري بعض الأبيات التي بيَّنَ فيها خوف الكيخيا من ابن سعود قال فيها:

لسانُ الحال قال لهم: غَزَوْتُم ... سعوداً كي يَعزَّ وكي تُذَلُّوا
تَمَنَّوا أن يلاقوه بِنَجْدٍ ... فلمَّا أنْ دَنا جَبنوا وذَلّوا(١).

ويؤكِّد حقيقة جُبن الكيخيا علي باشا من سعود وفراره مِنه، ما ذكره أحد المؤرخين بأنَّه قد وَجَدَ في كتابٍ أرسله الكيخيا علي باشا إلى السلطان العثماني هذه الكلمات التي تظهر شدَّة خوف الولاة العثمانيين من شجاعة سعود وفتكه، قال: «**إنَّه كالصقر سريع الاختطاف طويل اليد شديد البأس**»(٢).

وعليه قرَّر السير هارفرد جونز بريدجز وهو معاصر للحدث وموجودٌ في العراق وقتها، فقال: «إنَّ فشل الحملة يعود بالكليَّة إلى الطريقة الخاطئة المتَّسِمَة بالجُبْن». ثم قال: «هذه الحملة التي كان يُنتظر منها الكثير فشلت فشلاً تامّاً، ولم يقتصر الأمر على الفشل فقط، بل في الواقع ترتَّب على ذلك الفشل نتائج مفجعة لحكومة بغداد [العثمانية]، بحيث أنَّها حطَّمَت الروح المعنوية لسليمان باشا وقصَّرت من عُمرِهِ وعجَّلَت بوفاته»(٣).

---

(١) عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣١٨ - ٣١٩).

(٢) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٣/٢١).

(٣) السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٩٠).

من هنا قال المؤرخ محود فهمي المهندس: بأنَّها «كانت من أتعس الغزوات على الترك وأشأمها؛ لأنَّ الوهابيين عرفوا جيداً الطرق التي بها يكيدونهم وينكثونهم»[١].

* البحث في أسباب غزو السعوديين لكربلاء:

بالرغم من الصلح المعقود بين ابن سعود والباشوية العثمانية ببغداد، فإنَّ العلاقات سرعان ما توتَّرت بينهما من جديد، **وكان السبب في التوتُّرُ هو اعتداءٌ وقع على الدولة السعودية الأولى من قِبَلِ أتباعِ الولاية العثمانية في العراق.**

هذا بالرغم من أنَّ تاريخ وقائع تلك الفترة يشهد بأنَّ آل سعود احترموا الصلح المعقود بينهم وبين والي بغداد، وهو الأمر الذي شهد به بوركهارت حين قال: «**لم يُعهد أنَّ سعوداً نقض عهده في أية مناسبة، وشهرة سعود في محافظته الدقيقة على العهد من الأمور التي أقرَّ بها ألدّ أعدائه ومجَّدها أصدقاؤه باعتبارها مناقضة تماماً لغدر الأتراك**[٢]، وكان سعود قد أصدر أوامر صارمة لكل قادة الجيوش الوهابية أن يحافظوا بدقَّةٍ على الأمان الموعود»[٣].

وتظهر مصداقية شهادة بوركهارت فيما جاء من الحوادث تالياً، **فالوالي العثماني في العراق يبدو أنَّه لمَّا يئِسَ من الانتصار على آل سعود، ظهر له أَنَّ يُلحق بهم الأذى والإهانة والتنكيل، فأوعز إلى**

---

(١) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠١) باختصار.

(٢) تأمَّل كلمة بروكهارت هذه؛ فإنَّها مفتاح لفهم كثير من مستغلقات حوادث تلك الحقب.

(٣) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٧٥ ـ ٧٦) باختصار.

رجاله أن يقطعوا الطريق على قوافل الحجاج المسافرة تحت حماية آل سعود، فأخذ أتباع والي بغداد العثماني يقطعون السبيل على كلّ عابر.

ومن ذلك أنَّ **قبيلة الخزاعل الشيعية العراقية** داهمت قافلة تحميها الدولة السعودية، فنهب الخزاعل أموال القافلة وسلبوا ما استطاعوا منها وقتلوا بعض الرجال السعوديين المرافقين للقافلة، حدث ذلك في منتصف سنة ١٢١٤هـ/بداية عام ١٨٠٠م[١].

وقد قدَّر بعض المؤرخين عدد قتلى السعوديين بثلاثمئة قتيل[٢]، في حين أنَّ شاهد عيان قدَّر عددهم بمئتي وهابي ـ بحسب وصفه ـ، وأنَّ ثلاثين وهابياً قتلوا ولاذ الباقون بالفرار وحملوا نبأ الكارثة إلى الإمام عبد العزيز[٣]، فأثار هذا العدوان الفظيع على حجاج بيت الله الحرام ثائرة السعوديين[٤].

ولدينا شهادة على ذلك الأمر من السير هارفرد بريدجز الذي كان موجوداً في العراق ذاك الوقت فذكر: بأنَّ أهل العراق قد هاجموا قافلة من الحجاج الفرس ونهبوها بين الحلَّة[٥] ومشهد

---

(١) انظر: لويس دو كورانسيه «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م» (ص٢١٣ ـ ٢١٤). ومحمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٤٣).

(٢) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٢١٦).

(٣) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٧).

(٤) انظر: أمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية» (١/ ٦٢).

(٥) الحلَّة: مدينة تقع على ضفَّتي نهر (الفرات) على بعد ٣٠ ميلاً أسفل (المسيَّب). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢/ ٨٩٩).

علي[١].

وفي شهادة المستشرق بوركهارت المعاصر لتلك الحوادث تفصيلٌ قال فيه: «**لم يلبث السلام بين الطرفين أنْ تحطَّمَ، فقد هاجم عرب تابعون لحكومة بغداد التركية قافلة حجاج فارسيين معها حرس وهَّابي بين الحلَّة والمشهد**»[٢].

وهو عين الأمر الذي وكَّدته الوثائق البريطانية التي جمعها لوريمر، فذكرت وثائقه: بأنَّ والي بغداد وأتباعه هم من نقضوا معاهدة الصلح بينهم وبين أهل الدولة السعودية الأولى، حين قام بعض الأعراب التابعين لباشوية بغداد العثمانية «بمهاجمة قافلة للحجاج الإيرانيين يحرسها الوهابيون في المنطقة الواقعة بين الحِلَّة والنجف ونهبوها»[٣].

وظاهرٌ أنَّه كان مع قوافل الحجّ تلك بعض من تجار الدولة السعودية يذهبون للمسابلة[٤] في العراق أثناء مرافقة قوافل الحجاج المنضوية تحت حماية ابن سعود، وهو ما شهد به المؤرخ والبحَّاثة

---

(١) انظر: السير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٩٧). أمَّا (مشهد علي) فيقع في (النجف). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٧٢٢/٥).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٤).

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٨٣/٣).

(٤) المسابلة: هي تجارة العرب، وكانت تعني قدوم التجَّار الرُّحَّل لمدينةٍ ما وبيعهم ما معهم من بضاعةٍ وشراء عِوَضاً عنها. انظر: حمد السعيدان «الموسوعة الكويتية المختصرة» (٧٥٣/٢).

العراقي عباس العزاوي حين قال: «وفي هذه الأثناء [١٢١٤هـ/نهاية ١٧٩٩م وبداية ١٨٠٠م] وردت حَدْرَة من الوهابية سابلة، فصادفها الخزاعل فقتلوا منها نحو ثلاثمئة رجل؛ جاء الخزاعل إلى النجف للزيارة فحدثت الواقعة، على خلاف الشروط المعطاة إلى سعود بن عبدالعزيز السعود، وكانت السبب في الوقائع الأخيرة»[١].

وهو عين ما علَّله مِنْ قَبْل قنصل فرنسا في حلب حين أرسل تقريره لحكومته الفرنسية عن الحادثة قائلاً: «**في بداية عام ١٨٠٠م قَدِمَت إلى مشهد علي بغرض التجارة قافلةٌ من الوهابيين مؤلَّفَة من مئتي شخص، نشب بينهم وبين جماعة من قبيلة الخزاعل كانت تزور مشهد علي عراك قُتِلَ فيه أربعون وهَّابياً، فطلب عبدالعزيز [بن محمَّد بن سعود] أن يُسَلِّمه والي بغداد الفاعلين، فلم يستَجِب الوالي لطلبه، حينئذٍ بيَّتَ عبدالعزيز في نفسه الثأر لهؤلاء القتلى بمهاجمة مشهد الحسين بكربلاء**»[٢].

وهو ذات التعليل الذي أتى به الأمير شكيب أرسلان حين ذكر أن سبب حرب السعوديين على كربلاء «**هو تعدِّي قبيلة الخزاعل الشيعية على قافلةٍ وهَّابية**»[٣].

وكان الضابط الفرنسي جان ريمون قد وصف تلك الجريمة التي

---

(١) عباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٣٨/٦).

(٢) لويس ألكسندر دو كورانسيه «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م» (ص٢١٣ ـ ٢١٤).

(٣) شكيب أرسلان في تعليقاته على «حاضر العالم الإسلامي» (١٦٣/٤) من تأليف: لوثورب ستودارد.

ارتكبت في حقِّ السعوديين بأنها جريمة غير إنسانية[١].

فمن تلك الشهادات السابقة تعلم أنَّ **الخيانة للعهد ونقض الصلح والاعتداء وقع من جانب الوالي العثماني ببغداد وأتباعه على جماعات من السعوديين كانت تحرس قافلة من الحجاج الإيرانيين كانوا في طريق عودتهم إلى أوطانهم يرافقهم تجار من نجد للمسابلة في العراق**[٢].

هذا وقد اعتبر آل سعود أنَّ ما جرى من تلك الجريمة هو في عداد الخرق الصريح للصلح المعقود بينهم وبين الوالي العثماني في العراق، وهو بمثابة التحدي المكشوف المستوجب للعقاب، من هنا لا نستغرب حينما صرَّح الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد في رسالته لعلي الكيخيا يَتَّهِمُ فيها سليمان باشا بأنَّه صاحب وعود كاذبة بل من أكذب الكذب[٣].

من تلك الشرارة اشتعلت نار غزوة السعوديين على كربلاء.

---

(١) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٨).

(٢) على أنَّ المؤرِّخ التركي رسول الكركوكلي في كتابه «دوحة الوزراء» (٢١١)؛ يناقض ما حقَّ من وقائع تاريخ تلك الأيام ويدّعي: بأنَّ (الوهابيين) هم من اعتدوا على الخزاعل، إلا أنَّ الدليل التاريخي يعوزه، وشهادة من عاين الحدث تخالفه، أضف إلى ذلك أن الكركوكلي ناقض نفسه حين ذكر بأنَّ الخزاعل كانت تقطع الطريق على الحجاج وعابري السبيل في تلك الأيام التي قُتِلَت فيها سابلة أهل الدولة السعودية. وانظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٤٤).

(٣) انظر رسالة سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن «الدرر السنية» (٢٧٥/٩).

ولا يُلتفت لترَّهات وأكاذيب محسن الأمين حين ذكر[١] حادثة كربلاء باجتزاءٍ لأحداثها وانصرافٍ عن أسبابِها، **فكتابُه مشحونٌ باختلاقاتٍ كاذبةٍ وافتراءاتٍ دافعُها التعصّبُ والحقدُ وطلبُ الشهرة؛ ليذكرَه القرَّاء بأنَّه ردَّ على السيِّد رشيد رضا صاحب مجلة المنار.**

أمَّا عبدالله بن حسن باشا بن فضل باشا[٢] **فإنَّ جُلَّ اعتماده على محسن الأمين وزيني دحلان، فأخذ يقفو آثارهم في نقلِ الكذب وتناقل الافتراءات.**

ولنبدأ الآن ببحث تفاصيلِ تلك الحادثة على حقيقتها بتتبُّعِ شهاداتِ من عاينَ وقوعَها، مرفقٌ معها **دحض ما أحيط بها مِن أكاذيب مَن لا يرجون الأمانة في الكتابة ولا يرقبون الصدق في تدوين الحوادث.**

* والي بغداد العثماني يحاول مهادنة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود:

كان طبيعياً جداً أن يعتبر الإمام عبدالعزيز أنَّ الاتفاق الذي عُقِدَ بينه وبين الوالي العثماني ببغداد قد خُرِقَ، سيَّما بعد الجريمة البشعة التي ارتكبها أتباع والي بغداد من قبيلة الخزاعل الشيعية في حقِّ السعوديين، لذلك قام الإمام عبدالعزيز من فوره وأرسل احتجاجاً لوالي بغداد وطالبه بدفع الديَّة وإلا نُقِضَ العهد الذي بينهم[٣]،

---

(١) في كتابه «الحصون المنيعة في ردّ ما أورده صاحب المنار في حقّ الشيعة» (ص: ١٦ ـ ١٧).

(٢) في كتابه «صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر» (ص: ١٢٦).

(٣) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٧ ـ ٦٨). ولويس=

وليتحمَّل بعدها والي بغداد غضبة السعوديين.

أدرك والي بغداد سليمان باشا الكبير خطورة المسألة وما يتبعها من غَضْبَة السعوديين، فترجَّى من جهته المقيم البريطاني في بغداد السير هارفورد جونز ليذهب ويتفاهم مع الإمام عبدالعزيز علَّه يتنازل عن ديَّة قتلى السعوديين، لكنَّ المقيم البريطاني فشل في مهمَّته[1].

ثمَّ ترجَّى والي بغداد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الشاوي[2] أن يأتي آل سعود في الدرعية أثناء عودته من أداء فريضة الحجّ، وطلب منه مباحثة الإمام عبدالعزيز وولده سعود حول هذا الموضوع[3].

ولكن مهمَّة الشاوي فشلت مثلما فشلت من قبله مهمة المقيم البريطاني، وعاد الشاوي إلى العراق وقد امتلأ إعجاباً بآل سعود وتملّكه الاقتناع بدعوة أهل نجد السلفية حتَّى صار من دعاتها، وصار

= ألكسندر دو كورانسيه «تاريخ الوهابيين» (٢١٤). ورسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢١٣).

(١) انظر: جون ب. كيلي «بريطانيا والخليج» (١٥٨/١).

(٢) عبدالعزيز بِكْ الشاوي: ابن عبدالله بِكْ ابن شاوي الحميري من أمراء بادية العراق. وقد قتله علي الكيخيا خَنْقاً لمَّا رآه يميل إلى آل سعود وأنَّه اعتنق العقيدة السلفية. انظر أخباره عند: عثمان بن سند «مطالع السعود» (١٩) (٣٢٨ ـ ٣٢٩) (٣٤٧) (٣٤٩ ـ ٣٥١). وأمين الحلواني «مختصر طالع السعود» (١٣٦ ـ ١٣٧) (١٤٥ ـ ١٤٦). وانظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢٤٢/٦).

(٣) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٧ ـ ٦٨). ورسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢١٣).

بشَّر بعقيدة السلف في العراق، وتابعه في بغداد خلقٌ كثير[١].

يقول **المؤرِّخ العراقي عبَّاس العزاوي** (ت: ١٣٩١هـ/١٩٧١م): «**وكان الأستاذ عبدالعزيز بِكْ ابن عبدالله بِكْ الشاوي ذهب إلى نجد للحجِّ والمفاوضة مع آل سعود، فاقتنع** [الشاوي] **بمذهبهم**[٢] **وحَمَلَهُ إلى العراق فصار داعيتهم**، فلم يكتفِ بالمظاهر والظواهر، وإنَّما خالط القوم حتَّى بلغ من المعرفة الصحيحة مبلغها، فاختار أن تكون عقيدته»[٣].

فلمَّا رأى ذلك **المؤرِّخ عثمان بن سند الوائلي البصري**، وهو الحاقد على دعوة الشيخ والحانق على دولة آل سعود، قال: «لمَّا أرسله سليمان [باشا الكبير] إلى الوهابية، عَنَّ له من اعتقادهم ما عَنَّ، وظنَّ أنه الحقّ ولبِئْس ما ظنَّ، فلمَّا عَرَفَ ميله إلى هذا المذهب[٤] ناسٌ أظهروه في المحافل[٥]، واحتجُّوا لِصِحَتِّهِ بالكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس، وصاروا في ذلك أشدّ من أهل العارض»[٦].

---

(١) انظر: عباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٦/١٥٧). وعبدالعزيز نوَّار «داوود باشا والي العراق» (٣٩).

(٢) يقصد: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد سبق (في بداية هذا الفصل) أن انتقدنا وصف العزَّاوي لدعوة الشيخ بأنَّها مذهباً. وما انتقدناه على العزَّاوي هناك، ينسحب على ما أورده هنا.

(٣) عبَّاس العزَّاوي «ذكرى أبي الثناء الألوسي» (٣٧).

(٤) يقصد ميل عبدالعزيز الشاوي للعقيدة السلفية.

(٥) أشهرهم قبيلة العُبيد جماعة الشاوي. وانظر ما أوردناه عن قبيلة العبيد أوَّل هذا الفصل.

(٦) عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣٤٩).

وقال ابن سند أيضاً: إنَّ الشاوي «لمَّا شرب من مائهم[١] وجلس بين دعاتهم وعلمائهم، مازجه من بِدعتهم شُبْهةٌ ونزعة جَذَبَ إليها شَبَهُه، فألَّف له بعضهم كتاباً ألبسه من الشبهات جلباباً، وسَرَت تلك الشبهة إلى علماء وأعوام[٢] وهلك بها خاصٌّ وعام»[٣].

وقد ردَّ **المؤرخ والبحاثة العراقي عباس العزاوي** على ابن سند فقال: «**وصاحب المطالع [عثمان بن سند] متحاملٌ على آل سعود، فلا يؤَمَّل أن يكون محايداً**»[٤].

كما انتقد **العزَّاوي** وصف ابن سند للشاوي، حيث يقول: «وفي عبارته هذه تحامل»[٥].

وقال **العزَّاوي** في موضع آخر: «**وابن سند كان له عداءٌ مع الوهابية، وماشى الدولة [العثمانية] في إظهار النُفرةِ**»[٦].

وكان الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ قد قال عن ابن سند صاحب «مطالع السعود»: بأنَّه «**اشتُهِرَ بالأشعار الخبيثة، ومدح**

---

(١) يقصد دعوة آل سعود السلفية.

(٢) يقصد: عَوَام.

(٣) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٢٩).

(٤) عباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٦/١٣٥).

(٥) المرجع السابق (٦/١٤١).

(٦) المرجع نفسه (٦/١٥٧).

الطريقة النقشبندية[١] ووضعها، ومَدح الظَّلَمَة الفُجَّار»[٢]، وأنَّه يصرِّح بسبِّ وعداوة أهل الدعوة النجدية[٣].

الحاصل؛ أنَّ الشاوي وصل إلى بغداد وعرض على واليها العثماني سليمان باشا الكبير مطالب الإمام عبدالعزيز.

ولدينا شاهد عيان يشهد على حُسن المطالب التي تقدَّم بها ابن سعود، وهو الفرنسي جان ريمون في تقريره لحكومته الفرنسية، والذي قال فيه: «على الرغم من أنَّ ما عرضه الشاوي على الباشا كان هو الحقّ بعينه إلا أن الباشا لم يُصْغِ إليه؛ لأنَّه يأبى أن يُنصف عدواً يحتقره[٤]، فأثار ذلك التصرف غضبة الوهابيين، ومُلِئَت قلوبهم برغبةٍ

---

(١) لعثمان بن سند كتاب سمّاه «أصفى الموارد من سلسال أحوال مولانا خالد» في أحوال الصوفي خالد النقشبندي. انظر: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٤٠٨/١). وينبّه الشيخ حمّاد الأنصاري: بأنَّ النقشبندية من أشدِّ أعداء العقيدة السلفية. انظر: عبدالأول بن حمّاد الأنصاري «المجموع في ترجمة العلامة المحدِّث الشيخ حمّاد بن محمَّد الأنصاري» (٦٩١).

(٢) رسالة للشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، تجدها ضمن «الدرر السنيَّة» (٥٥٢/١١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥٣٤/١١).

(٤) لا تستغرب من احتقار هذا العثماني التركي لابن سعود العربي؛ فإنَّ الأتراك كانوا (والحق أنَّه لا يزال سوادهم الأعظم حتَّى يوم الناس هذا) يحتقرون العرب بدافعٍ عرقيٍّ مقيت، فقد كانوا (من قبل) يسمُّون عرب الحجاز باسم «ديلنجي عرب» أي: العرب الشحاذين، وكانوا يسمُّون عرب مصر بـ«كور فلَّاح» أي: الفلَّاحون الأجلاف، وإذا سُئِلَ التركي في مصر كم كان عددكم في هذا المجلس؟ قال: ثلاثة ومصري، أو أربعة ومصري، لأنَّ المصري عندهم غير محسوب. ويقول الأتراك أيضاً: «بَسْ عَرَب» أي: العرب القذرين. وإذا قال لك التركي: «عرب» فإنَّه يقصد: الكلب الأسود أو الرقيق الأسود.=

الانتقام لِما تعرَّضوا له من ظلم في هذه القضية، وبدأ عبدالعزيز يعمل على توفير الوسائل اللازمة للَّردّ على الرفض الذي بَدَرَ من سليمان باشا، واختار في [١٧ ذو الحجَّة[(١)] ١٢١٦هـ] ٢٠ أبريل نيسان ١٨٠٢م لتحقيق ذلك بمهاجمته مشهد الإمام حسين في كربلاء»[(٢)].

* الجيوش السعودية تتحرك إلى كربلاء:

أصبح الصلح منتقضاً بين الطرفين، وأضحت الدولة السعودية تعلن عدم قبولها الاعتداء الذي جرى عليها أو على أبنائها؛ كما حصل للثلاثمئة سعودي الذين قَتَلَت بعضهم قبيلة الخزاعل العراقية، كما لا يمكن لأهل الدولة السعودية أن ينسوا أنَّ والي بغداد العثماني هو الذي جيَّش على السعوديين حملاته العسكرية الضخمة مستهدفاً إسقاط دولتهم وإفناء أتباع آل سعود ودعوتهم السلفية[(٣)].

من هنا جيَّشَ السعوديون جيوشهم يريدون الباشوية العثمانية في العراق. وقد اختلف المؤرخون في إحصاء عدد ذلك الجيش؛ حيث بالغ المؤرخ اليمني المعاصر لتلك الحوادث لطف الله جحَّاف (ت:

= انظر: عبدالرحمٰن الكواكبي «أم القرى» ضمن «المجموعة الكاملة لأعمال الكواكبي» (٤٣٠). وأحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٨١). وانظر توكيد ذلك الازدراء ببحث علمي يستقصي جذوره، عند: لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (٧٨/٤ ـ ٨٤).

(١) وقيل إنَّه في ذي القعدة ١٢١٦هـ، كما عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٧/١).

(٢) جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٨).

(٣) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٢١٧).

١٢٤٣هـ/١٨٢٧م)[١] حين ذكر بأنَّ عدد مقاتلي الحملة ستون ألف مقاتل راجلاً، وألفان وخمسمئة فارسٍ[٢]، في حين بالغ أحد مؤرّخي الفرس بأن جعل عددهم خمسة وعشرين ألفاً[٣].

ومن جهة ثانية قلَّل البعض الآخر من أعدادهم حيث قدَّرهم المؤرخ السياسي البريطاني لوريمر بستة آلاف[٤]، في حين قدَّرهم المفتش الإداري الإنجليزي في العراق المستر ستيفن لونكريك بستمئة هجَّان وأربعمئة فارس[٥]، وقدَّرهم عبدالحسين الأميني باثني عشرة ألفاً[٦]. ومن جهةٍ وسطى تأتينا رواية قد تقترب إلى تقدير معقول، وهي التي أتى بها أندرو كرايتون[٧] وفيلكس مانجان[٨] وحسن بن جمال الريكي[٩] اللذين قدَّروا عدد الجيش السعودي بشكلٍ تقريبي إلى العشرين ألف مقاتل.

---

(١) لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد جحَّاف: مؤرّخ وأديب يماني. انظر ترجمته عند: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٢/٤ ـ ١١).

(٢) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العين» (٤٩٥).

(٣) انظر: أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبو طالب خان إلى العراق وأوروبا» (٢٦٩).

(٤) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٥٨٣).

(٥) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٦١).

(٦) انظر: عبدالحسين الأميني «شهداء الفضيلة» (٢٩٤).

(٧) في كتابه «تاريخ الوهابيين» (ص ٣٢).

(٨) في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (ص ٣٠٤).

(٩) في كتابه «لمع الشهاب» (ص ١٥٧).

الحاصل؛ أنَّ سعوداً سار بجيوشه من حاضرة نجد وباديتها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك **وقصدوا أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين** (كربلاء)، وذلك في ذي القعدة سنة ١٢١٦هـ/١٨٠٢م، **ومن ظلِّ أحد خانات البلد** [١] تسوَّرَ سعود وجنوده بجذوع النخيل جدران المدينة ودخلوها عنوة [٢] بعد أن أحدثت المدفعية السعودية ثغرة كبيرة في الجدار، فهرب نقيب المدينة والحاكم المدني لها، وساد في المدينة ذعرٌ شامل [٣].

اندفعت الجيوش السعودية تقتل من يعترضهم بالقتال والمناوشة، **ولم يتعرّضوا للنساء والأطفال أو العاجزين والشيوخ** [٤]، **ثمَّ توجّهت الجنود السعودية إلى هدم ما رأوه مخالفاً للدين ومقيم للشرك والبدعة والخرافة، فهدموا قبة قبر الحسين وأخذوا ما فيها من القرابين المكوَّنة من المال والذهب والحلي والجواهر، وأخذوا ما حول القبة من القرابين التي زيَّنَت القبر من زمرّد وياقوت وجواهر** [٥].

ويذكر أحد المعاصرين للحادثة أنَّ جنود آل سعود لمَّا صبَّحت

---

(١) خانات البلد: الخانات مفردها: خان؛ كلمة فارسية تعني المنزل الذي ينزل فيه المسافرون الغرباء. انظر: إبراهيم السامرَّائي «المجموع اللفيف» (١٧٤).

(٢) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٢ ـ ٣٣). والمستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٦١).

(٣) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٨٣/٣ ـ ١٥٨٤).

(٤) شهد بذلك: فيلكس مانجان مؤرّخ محمد علي باشا في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠٤).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٧/١). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٩٨). See also: D. G. Hogarth, Arabia, p. 102.

كربلاء بالغزو هرع أهل المدينة مستقبلين مشهد الحسين ومستدبرين الكعبة ويستغيثون بصاحب القبر ويسألونه هلاك عبدالعزيز وسعود وجنودهما[١].

* الروايات التاريخية التي وصفت حادثة كربلاء؛ عرضاً ونقداً[٢]:

معلوم ومؤكَّد من التحقيق التاريخي أنَّ الجيش السعودي لم يلبث في المدينة إلَّا ساعات قليلات، فقد دخلها ضحوة وخرج منها قرب الظهر متوجِّهاً إلى موطنه في الدرعية دون أن تدركه قوات علي باشا التي أُرْسِلَت لمهاجمته.

هكذا أكَّد المؤرِّخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن[٣]. **إلّا أنَّني أنبِّه هنا على أنَّ عبدالرحيم عبدالرحمٰن في كثير من مواضع رسالته تلك ينقل حوادث تلك المعركة معتمداً على عثمان بن سند البصري**؛ وابن سند هذا متحامل ومناوئ ومفترٍ على السعوديين، **وعبدالرحيم ينقل عنه دون أن ينتقد رواياته الْبَتَّة!**. ومثله فعل **مصطفى جواد** محقق كتاب «رحلة أبو طالب خان» ولكنَّ هذا المحقّق العراقي متحاملٌ متعصّب ضدَّ السعوديين وضدَّ دعوتهم السلفية؛ **وليس مثله كمثل عبدالرحيم عبدالرحمٰن الذي يحاول أن يُظهر نفسه في رسالته تلك بمظهر المنصف المحايد.**

---

(١) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العين» (٤٩٦).

(٢) أجود من تناول تلك الحادثة بالبحث والتمحيص؛ هو محمد الخضيري في كتابه «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية».

(٣) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٢١٧).

والحقُّ أنَّ عبدالرحيم عبدالرحمٰن يترصَّد أقوال الأعداء وآراءهم، ويتَتَبَّعها ثمَّ يحاول تثبيتها في رسالته المذكورة، ثمَّ يأتي من جهةٍ أخرى فيتجنَّب أقوال ابن بشر والسير بريدجز وبوركهارت الذين أنصفوا السعوديين في تلك الواقعة، مع أنَّ عبدالرحيم جعل ابن بشر وبريدجز وبوركهارت من ضمن مصادر رسالته، **ومع هذا انحنى عبدالرحيم عبدالرحمٰن عن شهاداتهم وذهب لافتراءات ابن سند الحاقد على السعوديين ودعوتهم السلفية.**

المقصود؛ **هنا نقطةٌ جديرةٌ بالتنبيه، وهي أنَّ كثيراً من المؤرّخين بالغوا في عدد القتلى،** فقد ورد في بعض الروايات أنَّ عدد القتلى بلغ في ليلةٍ واحدة عشرين ألف شخص(١)، كما ورد في روايةٍ أخرى أنَّ عدد القتلى بلغ ثمانية آلاف(٢)، ويقال إنَّ من قُتِلَ عند ضريح الحسين خمسين شخصاً وفي الصحن خمسمئة(٣)، ومنهم من قال إنَّ القتلى بلغوا أربعة آلاف(٤)، وآخرون قالوا إنَّهم خمسة آلاف(٥)، في حين أنَّ ابن بشر قدَّر عدد القتلى بألفي شخص(٦)، وقدَّرهم رسول حاوي

---

(١) انظر: عبدالحسين الكليدار آل طعمة «بغية النبلاء في تاريخ كربلاء» (٣٤).

(٢) انظر: علي الوردي «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» (٢٠٦/١).

(٣) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٦١).

(٤) انظر: لطف الله جحّاف «درر نحور الحور العين» (٤٩٥).

(٥) انظر: أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا» (٢٧٠). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابين» (٨٤). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٣).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٨/١).

الكركوكلي بألف شخصٍ فقط[١].

والحقُّ أنَّه من الصعوبة تقدير عدد القتلى في وقتٍ لم يكن عدد الجيش السعودي نفسه معروفاً، والأقرب إلى الحقيقة أنَّ عدد القتلى ليس كبيراً **لكون الحادثة وقعت بينما كان أهل كربلاء يحتفلون بأحد أعيادهم خارجها، ولم يكن فيها إلا بعض الناس**، وهو ما شهد به واحدٌ مِمَّن عاصروا المعاينين للحدث[٢].

على أنَّ غالب من كتب في التاريخ من دون تروي وتحقيق للوقائع يذكرون أنَّ السعوديين - الذين يسمّونهم الوهابيين - **قتلوا النساء والأطفال والعجائز في كربلاء، وعند التحقيق والتقصي التاريخي يستبين لك بطلان ذلك الافتراء**، ودليل ذلك في التحقيق الآتي:

من الثابت أن صفوف القتلى في الجانب العراقي كانت في فئات الرجال المقاتلين والقادرين على حمل السلاح، **ولم يتعرّض السعوديون إلى النساء والأطفال أو العجائز والشيوخ**، وهو الأمر الذي شهد به المؤرِّخ الفرنسي فيلكس مانجان مؤرِّخ محمد علي باشا[٣].

وشهد به أيضاً القنصل الفرنسي ببغداد لوي روسو (وهو شاهد عيان) إذ قال عن آل سعود: **إنَّهم ذَوُو سياسة وحنكة، وجيوشهم**

---

(١) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢١٧).

(٢) انظر: أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا» (٢٦٩).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودي الأولى» (٣٠٤).

الوهابية لا تتعرض للنساء والفتيات، فالوهابية تصون شرفهن دائماً[(١)].

وشهد أندرو كرايتون أنَّ الجيش السعودي لا يتعرَّض لكبار السن والنساء والأطفال[(٢)].

وهو عين ما وكَّدَهُ مؤرِّخ نجد عثمان بن بشر[(٣)] حين ذكر أنَّ الإمام سعود وأتباع دولته ودعوته لا يتعرّضون لمن لم يبلغ الحلم أو امرأة أو شيخ كبير.

وبناءً على تلك الحقائق التاريخية قرَّر أحد الكتَّاب: أنَّ السعوديين «في جميع حروبهم لم يقتلوا من الرجال إلا من قاتلهم وأبى قبول الحق، وأمَّا أسر النساء والأطفال فهذا كذبٌ صريح لم يحدث في أيِّ وقعةٍ من الوقعات التي جَرَت بينهم وبين أعدائهم، بل هم يعاملون أولئك وغيرهم ممن لا يقاتل المعاملة الشرعية، لأنهم في كلّ أفعالهم يسيرون على نهج المصطفى ﷺ وخلفائه الراشدين»[(٤)]، «فلم يُعرف عنهم في جميع مغازيهم أنَّهم سَبَوا النساء أو أقرّوا ذلك ورضوا به»[(٥)].

---

(١) Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique. وانظر: «الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد» (١٣٢).

(٢) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٣).

(٣) في كتابه «عنوان المجد» (١/٣٤٧).

(٤) محمد أديب غالب «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي» (٩٠ ـ ٩١) في الهامش.

(٥) المرجع السابق (١٤٨) في الهامش.

بل إنَّ السعوديين أصلاً لا يلحقون بالمدبر من أعدائهم في حربهم له ومعاركهم معه، فكيف يقتلون الأطفال والنساء، وهو الأمر الذي شهد به **الجبرتي** في حقِّ السعوديين حين قال: إنَّ الوهابيين لا يذهبون خلف المدبر من أعدائهم في حروبهم ومعاركهم(١).

أقول: مع أنَّ هؤلاء القتلى سقطوا نتيجة الأحداث التي وقعت في كربلاء، إلا أنَّه **ثبت أنَّ هناك من استغلُّوا فرصة الأحداث في كربلاء فأغاروا عليها أثناء وبعد رحيل القوات السعودية، وخصوصاً الأعراب المجاورين لكربلاء وبعض قطَّاع الطرق الذين تزيَّوا بزِيِّ السعوديين حتى لا ينكشف أمرهم**(٢).

وهذا ما شهد به معاصرٌ للحدث روى ما وقع بشهادة من عاين الواقعة، وهو **أبو طالب بن محمد خان**(٣) في رحلته، حيث قال: «**لمَّا خرج الوهابيون عن المدينة استفاد العرب [البدو] المجاورون لكربلاء من الذعر الذي عمَّ تلك النواحي والبلاد، فدخلوا المدينة وانتهبوا جميع ما تركه الوهابيون، وقتلوا أيضاً عدداً كبيراً من**

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٢٢).

(٢) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٥٥ - ٢٥٦).

(٣) أبو طالب بن حاجِّي محمد بِيكْ خان: أصله تركيّ وأبوه مولودٌ بفارس فهاجر إلى الهند، وهناك وُلِدَ أبو طالب خان، وهاجر للبنغال وعمل بها محصِّلاً للضرائب، وتعامل مع موظَّفي شركة الهند الشرقية البريطانية. تنقَّل بالأسفار في آسيا وأوروبا، وقد كان له صِلَةٌ بالملك جورج الثالث ملك إنجلترا، وصلةٌ بنابليون الأول ملك فرنسا. انظر ترجمته في: مقدِّمَة مُحقِّق الرحلة «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا» (١٢ - ١٧).

السكان، ولبثوا في المدينة نهارين وليلة واحدة»[١].

ويعزِّز هذا الدليل ما ذكره المعاصر لتلك الحوادث وهو **الرحالة الإنجليزي فريزر** الذي كان موجوداً في العراق، فقال: «إنَّ جميع العتبات التي كانت لها قدسية خاصة قد جُعِلَت ملاذاً لشرار الناس في المجتمع وأكثرهم تفاهة، ومن المحتمل أن يكون هذا قد نشأ عن طبيعة الحماية التي تقدمها هذه الأماكن للناس من دون تفريق بينهم، ولأنَّ هذه الحماية يستغلها بالدرجة الأولى أسوأ الخارجين على القانون من الناس بطبيعة الحال.

وهكذا يتجمَّع أصحاب السوء، وقد يدفعون الكثير من المال من أجل الحصول على الحماية، حتى يكون في مقدورهم الهيمنة عليها كما هي الحال في محلَّة الشيخ عبدالقادر ببغداد[٢] نفسها، وقد حصل مثل هذا الوضع كذلك في النجف وكربلاء معاً، ولكن بمقياس أوسع وحالة أسوأ بكثير؛ إذ ازداد عدد المتمردين والمتجمِّعين هناك بحيث لم يعد من الممكن لحاكم المنطقة ولا لسلطة الباشا أن تسيطر عليهم.

وهؤلاء لا يفعلون ما يريدون فحسب، بل كانوا أيضاً يطلبون من الزوَّار الذين يأتون لزيارة العتبات المقدسة أن يذعنوا لأوحش الطلبات وأبعدها عن المألوف والمعقول، وفي حالة عدم الانصياع كانوا ينهبون أمتعتهم ويجرِّدونهم حتى من ألبستهم، كما يسلبونهم زوجاتهم وبناتهم في بعض الأحايين»[٣].

---

(١) أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا» (٢٧٠).

(٢) هي المحلَّة التي فيها ضريح عبدالقادر الجيلاني في (بغداد). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٣) جيمس بيلي فريزر «رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤م» (١٧٥).

ويقول **المؤرِّخ العراقي جعفر الخياط**: إنَّ كربلاء «كانت ـ بمقتضى مركزها هذا ـ كثيراً ما تكون ملاذاً للشُّقَاةِ والهاربين ومَلْجأً للعُصاةِ والخارجين على قوانين الحكومة، وقد ظَلَّت في وضعها هذا رَدحاً طويلاً من الزمن حتى استفحل أمرها واستعصت على الولاة العثمانيين. وقد أدَّى ضعف الحكومة تجاهها وسوء تصرفاتها في معالجة شؤون البلاد وأحوالها أَنْ تَكَوَّنَت فيها عصابات اليرماز[1] القوية التي تتألَّف أكثريتها من الشقاة والخارجين على النظام أو الهاربين من التعقيبات الحكومية في جهات البلاد الأخرى.

وقد بلغ بعصابات اليرماز هذه أنَّها صارت تعتدي حتى على أهالي كربلاء أنفسهم، صغيرهم وكبيرهم، فقيههم وتاجرهم، وأخذت تبتزّ الأموال وتصادر الأملاك لمصلحة رؤسائها، وتعتدي على الأعراض فتنتهك الحُرُمات من دون أن يمنعها مانع أو يزعها وازع؛ فقد تَجَرَّؤُوا في يوم من الأيام على السيِّد إبراهيم القزويني[2] وهاجموا داره في الليل فاختطفوه، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن أدَّى لهم مبلغاً كبيراً من المال يناهز الأربعة آلاف قران إيراني.

وتجاوز شَرُّها حتى وصل إلى اضطهاد الزوَّار الإيرانيين وابتزاز الأموال منهم أو الاعتداء على حرماتهم، فقد حدث في أيام داوود

---

(١) اليرماز: كلمة تركية تعني السفيه الذي لا يصلح لشيء. انظر: جعفر الخيَّاط «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة» (٣٠٥).

(٢) إبراهيم بن محمد بن باقر الموسوي القزويني. إماميٌّ من أهل (قزوين) ووفاته في (كربلاء) سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» ١/ ٧٠).

باشا [ت: ١٢٦٧هـ/١٨٥١م][(١)] أن اعتدت عصابة من عصابات اليرماز هذه على بنت من بنات شاهزادات الأسرة القاجارية المالكة، فاختطفتها من موكبها الخاص المتوجّه إلى الزيارة وحاولت التعرُّض بها، وتطوّر أمرها فوصل حدّ التوتر ما بين الدولتين، فاضطُرَّت حكومة داوود باشا إلى تجريد قوةٍ خاصة للاقتصاص من العصاة المعتدين وإرجاع الأمور إلى نصابها بعد أن تحدّوا إنذارها لهم ومطالبتهم بتسليم الفاعلين المجرمين الذين بلغ مجموع أتباعهم عشرة آلاف مقاتل»[(٢)].

وبناءً على هذا الوضع الذي كانت تعيشه كربلاء، فليس هناك أدنى شك في أنَّ جماعة من المتمردين وجماعة من الأعراب وعصابات اليرماز استغلُّوا فرصة هجوم السعوديين على قبائل الخزاعل وعلى بلدة كربلاء ليأخذوا بعض ما وجدوه في القبَّة الحسينية من الأموال والجواهر، وهم يتحملون بلا شك وزر عدد كبير من القتلى، خصوصاً إذا عرفنا أنَّ هؤلاء العصابات وقطّاع الطرق مكثوا في كربلاء يومين وليلة[(٣)]، بينما لم يمكث الجيش السعودي فيها إلا بضع ساعات ثم غادرها.

---

(١) داوود باشا: والي بغداد ذاك الوقت. مسيحيٌّ من (بلاد الكُرج). لمَّا صار عمره إحدى عشر سنة اختطفه بعض النخَّاسين إلى (بغداد)، وتنقل من يد سيِّدٍ إلى سيدٍ آخر، حتى اشتراه سليمان باشا والي بغداد، وقيل إنَّه أسلم على يديه، ثم تولّى ولاية (بغداد) سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م. انظر ترجمته عند: عبدالرزاق البيطار في «حلية البشر» (١/٥٩٧ ـ ٦٠٧). ويوسف عز الدين «داوود باشا ونهاية المماليك في العراق» (ص ٢٣ وما بعدها).

(٢) جعفر الخياط «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة» (٣٠١ ـ ٣٠٦).

(٣) انظر: أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا» (٢٧٠). ومحمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٥٨).

وهذه حقيقة شهد بها المؤرخون المعاصرون للحدث؛ فهذا **المؤرّخ لطف الله جحّاف**[١] **يقدّر تواجد السعوديين في تلك الموقعة من الصبح إلى قبل صلاة العصر.**

وهذا **الرحّالة أبو طالب بن محمد خان** يقول إنَّ السعوديين: «**انصرفوا من تلقاء أنفسهم في أفول الشمس**»[٢].

وهذا **المؤرّخ التركي رسول حاوي الكركوكلي** يقول: إنَّ الوهابيين قد خرجوا من كربلاء قبيل العصر نحو الأخيضر[٣].

وهذا **المؤرّخ الفرنسي فيلكس مانجان** يقدِّر وجود السعوديين وقت وقعة كربلاء بثماني ساعات فقط[٤].

كما شهد بتلك الحقيقة أيضاً شهود العيان؛ فهذا **جان ريمون** قدّر تواجد الجيش السعودي في وقعة كربلاء بخمس ساعات فقط[٥].

وهذا **المؤرّخ عثمان بن بشر** يقول: «لم يلبثوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر»[٦].

وهاهم المؤرخون الذين جاؤوا من بعدهم يشهدون بما شهد به

---

(١) في كتابه «درر نحور الحور العين» (٤٩٦).

(٢) أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا» (٢٦٩).

(٣) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة لوزراء» (٢١٧).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠٦).

(٥) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٧١).

(٦) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٨/١).

من سبق ذكرهم؛ فهذا البريطاني لوريمر يقدِّر وجود الجيش السعودي في كربلاء بثماني ساعات فقط[(١)]. والمؤرّخ الشيعي عبدالحسين الأميني النجفي قدَّر وجودهم بستِّ ساعات[(٢)].

أمرٌ آخرٌ مهم؛ وهو أنَّ الحملة التي قام بها الأمير سعود والتي وقعت خلالها بعض الأحداث - خاصةً في كربلاء - لا تتعدَّى كونها حملةً من جملةِ الحملات المتبادلة بين القوات السعودية وقوات والي بغداد العثماني، ولكن باعتبار أنَّ هذه الحملة وصلت كربلاء التي لها مكانة خاصة لدى الشيعة، وأنَّ هذه الحملة استهدفت مكاناً عزيزاً على نفوسهم وهو مشهد الحسين، فقد عظّموا الأمور مستغلين الدعاية السيِّئة التي أخذت الدولة العثمانية تنشرها ضدّ الدولة السعودية الأولى، وأخذوا يؤلِّفون الكتب المستفيضة عن أحداث كربلاء.

فهذا أبو طالب خان يشهد قائلاً: «وهذا الحادث[(٣)] على حداثته، فلا يتكلَّم الناس على غيره ولا يتحدَّثون بما سواه من الحوادث»[(٤)].

وقد تطوّر هذا الأمر على مرِّ السنين، وأخذ المؤرخون يعتمدون على تلك الكتابات المهوِّلة غير الدقيقة، دون الإلمام بالأحداث عن كثب أو حتى محاولة معرفة الحقيقة.

---

(١) انظر: ج. لوريمر «دليل الخيج/ القسم التاريخي» (٣/١٥٨٤).

(٢) انظر: عبدالحسين الأميني النجفي «شهداء الفضيلة» (٢٩٤).

(٣) يقصد: حادث الحملة السعودية على كربلاء.

(٤) أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا» (٢٧٠).

فهذا المؤرِّخ عبدالله بن صالح المطوَّع (ت: ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) يؤكِّد وهو يتحدَّث عن حادثة كربلاء قائلاً: «فأحدث ذلك ضجَّةً في العالم، دَوَّى لها الأُفُق؛ لأنَّ الناس أعداءٌ لما جهلوا، وقد اتَّخذَ الأعداء من هذه الحادثة قميص عثمان، وأخذوا يلوِّحون به للجُهَّالِ ظاهراً وباطناً، ويحاولون به الوصول إلى غرضهم من كسب الحطام وجمع الآثام»[1].

والحقُّ؛ إنَّ الحملة التي قامت بها القوات السعودية في كربلاء لم تكن الأولى وليست الأخيرة، فقد سبقتها ولحقتها حوادث وقعت في هذه المدينة على يد جهاتٍ أخرى أشدّ وأعنف بكثير مما وقع فيها إبَّان الحملة السعودية[2]، فقد ذكر المؤرِّخون أن الخليفة العباسي المتوكّل[3] أمر في عام ٢٣٦هـ/٨٥٠م بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يُبْذَر ويُسْقى موضع قبره وأن يُمنع الناس من إتيانه، فنادى عامل صاحب الشرطة بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه، فهرب الناس وتركوا زيارته، وحُرِثَ وزُرِعَ[4].

أمَّا المرَّة الثانية فهي في سنة ٣٦٩هـ/٩٨٠م حين أغار ضبَّة بن

---

(١) عبدالله بن صالح المطوَّع «عقود الجُمان» (٦٩).

(٢) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٦٢).

(٣) انظر ترجمته عند: جلال الدين السيوطي «تاريخ الخلفاء» (٣٢٠).

(٤) انظر: عز الدين ابن الأثير «الكامل في التاريخ» (٩٨٣). وإسماعيل ابن كثير «البداية والنهاية» (٣٤٦/١٤). وعبدالحسين الكليدار آل طعمة «بغية النبلاء في تاريخ كربلاء» (١٦ ـ ١٧).

محمد الأسدي (وهو لصٌّ قاطع طريق)(١) على كربلاء واخترق المشهد ونهب ما وجد فيه(٢).

وكانت المرة الثالثة في سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م حين أغارت خفاجة(٣) على كربلاء ودخلوا المشهد الحسيني وتظاهروا فيه بالفساد والمنكر وقتلوا منهم خلقاً كثيراً في المشهد عند الضريح(٤).

أمَّا المرَّة الرابعة التي هوجمت فيها كربلاء وخُرِّبَت؛ فكانت على يد السيِّد علي بن محمد بن فلاح المشَعشَعي (ت: ٨٦٣هـ/١٤٥٩م)(٥) الذي قتل زوَّار النجف ونهب أموالهم سنة

---

(١) قال ابن الأثير في «الكامل» (ص: ١٢٧٥): «ضبَّة بن محمد الأسدي: وهو من أهل عين التمر، وهو الذي هجاه المتنبي». ثم ذكر تخويفه للناس وقطعه الطريق عليهم.

(٢) انظر: عز الدين بن الأثير «الكامل» (١٢٩١ ـ ١٢٩٢). وعبدالحسين الكليدار «بغية النبلاء» (٢٣ ـ ٢٤).

(٣) خفاجة: يرجعون إلى خفاجة بن عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وهم من قبائل العراق. انظر: ابن سعيد الأندلسي «نشوة الطرب» (٥٠٤). وشهاب الدين ابن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٤٨ ـ ١٤٩).

(٤) عز الدين بن الأثير «الكامل» (١٥٢٨). وإسماعيل ابن كثير «البداية والنهاية» ١٥٧/١٦). وعبدالحسين الكليدار «بغية النبلاء» (٢٤).

(٥) هو علي بن محمد بن فلاح بن هبة الله؛ من سلالة موسى الكاظم؛ من أمراء دولة المشَعشَعين في (الأهواز) و(الحويزة)، يلقِّبه شمس الدين السخاوي بـ«الخارجي الشعشاع»، ويدعوه غيره بـ«المولى علي». ادَّعى الألوهية، وأغار على مشاهد يقدسونها في العراق فنهبها، واعترض الحجَّاج سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م فأخذ المحمل ونهب الأموال والدَّواب والجمال، واستمرَّ في إلحاده وظلمه إلى أن أصابه سهمٌ من بعض الأتراك في (بهبهان) بالقرب من (جبل=

٨٥٨هـ/١٤٥٤م، وهاجم المشاهد الموجودة في العراق وأغار عليها ونهب ما فيها وأبدى قسوة شائنة في الروضات، كما نهب المشهدين الذين يلقيان تقديساً خاصاً عند الشيعة وقتل أهلهما قتلاً ذريعاً وأسر من بقي منهم(١).

هذا عن الأحداث التي وقعت في هذه البلاد قبل عهد الدولة السعودية الأولى، أمَّا الأحداث التي شهدتها كربلاء بعد عهد الدولة السعودية الأولى فهي أعنف وأشنع، فقد شهدت هذه البلدة أحداثاً في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد في شهر ذي الحجة ١٢٨٥هـ/مارس ١٨٦٩م، أي بعد حوالي نصف قرنٍ من الحملة السعودية على كربلاء، وذلك في فترة ولاية نجيب باشا على بغداد، «الذي أمر بالشيء السيِّئ مع أهل ذلك المشهد المقدَّس، وقد قُتِلَ في هذه المَرَّة جمعٌ كثيرٌ من العلماء والسادات وغير أولي التقصير من المجاورين والزوَّار.

وحكى من شهد الواقعة أنَّه لمَّا قفل العسكر أحصينا القتلى وسألنا الحفَّارين وتحققنا ذلك فكان ما يزيد على عشرين ألفاً من رجلٍ وامرأة وصبي، وكان يوضع في القبر الأربعة والخمسة إلى العشرة فيُهال عليهم التراب بلا غُسْل ولا كفن، وتفقدنا القتلى منهم كثيراً في الدور والآبار ووجدنا بالسرداب الذي تحت رواق العباس من القتلى أكثر من ثلاثمئة»(٢).

= كيلويه) فمات. انظر ترجمته عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (٧/٦). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٥/٩).

(١) انظر: يوسف ابن تغري بردي «حوادث الدهور» (٥٦٧ ـ ٥٦٨). وعبدالحسين الأميني النجفي «شهداء الفضيلة» (٣١١ ـ ٣١٢).

(٢) عبدالحسين الأميني «شهداء الفضيلة» (٣١٢ ـ ٣١٣).

ويقول جعفر الخياط أنَّ نجيب باشا جرَّد على كربلاء «جيشاً عرمرماً مزوَّداً بأحسن المدافع والعُدد، وحاصرها لمدة خمسة وعشرين يوماً، وضيَّق عليها الحصار حتى رُزِءَ به اليرماز العصاة والأهالي الأبرياء الذين وقعوا بين نارين.

وقد اتصل الآهلون بنجيب باشا خلال هذه المدة طالبين الاستسلام ومقدمين الطاعة والخضوع، لكنَّه لم يلتفت إليهم ولم يقبل خضوعهم، فاتفقت جميع الفئات على مقاومة الباشا والاستبسال بالذبِّ عن البلدة، فسلَّط الباشا التركي نيران مدفعيته على البلدة وسورها، وعلى الأخصِّ من جهة باب النجف حتى أحدثت ثغرة واسعة فيه، وعند ذلك تدفقت من هذه الثلمة جموع المدافعين إلى الخارج والتحمت مع الجيش التركي المهاجم بمعركة حامية الوطيس، ولم تنته المعركة إلا بعد أيام عدَّة حين تغلبت قوات الأتراك النظامية ودخلت البلدة.

فالتجأ قسم من الناس والمقاتلين إلى صحن الإمام العباس، غير أنَّ القوات التركية تَتَبَّعَتْهُم إلى هناك ولم تَتَوَرَّع عن قتل المئات من اللائذين بالمرقد بكل وحشية وقسوة، مع أنَّها أَمَّنَتْهُم، ثمَّ دخل نجيب باشا إلى مكانهم المقدس وهو يمتطي صهوة جواده إمعاناً في التشفِّي والإذلال، ثمَّ أُبِيحَت المدينة إلى الجند والقوات المهاجمة ومن كان يتبعها من العشائر الموالية للحكومة مدة يوم كامل، فنُهِبَت البيوت والمخازن وارتكبت الموبقات بكلِّ وحشية ودناءة»[1].

(١) جعفر الخياط «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة» (٣٠٦ ـ ٣٠٧).

❁ حادثة اغتيال الإمام عبدالعزيز:

كان من نتائج غزوة سعود بن عبدالعزيز على كربلاء أن ازداد الخوف والقلق من الهجمات السعودية في مناطق العراق؛ خاصة القريبة من الحدود، وهبطت سمعة سليمان باشا الذي اتضح أنه غير قادر على حماية التواجد العثماني في العراق؛ ناهيك عن إضعاف الدولة السعودية أو القضاء عليها في موطنها.

ولقد شاء الله أن يُتَوَفَّى سليمان باشا بعد حادثة كربلاء بقليل، فتولَّى باشوية بغداد كيخياه السابق عليّ باشا[(١)] الذي كان قائداً للحملة العراقية ضد الأحساء كما سبق ذِكْره.

المقصود؛ أنَّه في العشر الأواخر من شهر رجب سنة ١٢١٨هـ/نوفمبر ١٨٠٣م اغتيل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطُّرَيف المعروف في الدرعية[(٢)]، وهو ساجدٌ أثناء صلاة العصر؛ مضى عليه رجلٌ قيل إنَّه كردي من أهل العمادية بلد الأكراد[(٣)] اسمه عثمان[(٤)].

---

(١) انظر: عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٣٥). ورسول حادي الكروكلي «دوحة الوزراء» (٢١٧).

(٢) الطريف: الحيُّ الأول في العاصمة الأولى (الدرعية)، ومقرّ الحكام من آل سعود، وبه قصورهم ومساجدهم وحصونهم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١١٣/٢).

(٣) العمادية: قلعةٌ حصينة في شمالي (الموصل)، عَمرَها عماد الدين زنكي في سنة ٥٣٧هـ/ ١١٣٤م. انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣٤٨/٣). وانظر أيضاً: ما كتبه عنها عبّاس العزّاوي في كتابه «عشائر العراق» (١٩١/٢).

(٤) Records of the Hajj, vol,2. P,737. وانظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٨٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٦٤/١).

وقيل إنَّه ملّا أفغاني كان يقيم ببغداد وقُتِلَ أهله في كربلاء[١]. وقيل إنَّه كان فارسياً متطرِّفاً أرسله ملك الفرس ليقتل الإمام عبدالعزيز[٢]. وقيل إنَّه عراقيٌّ من أهل كربلاء[٣].

الحاصل؛ أنَّ هذا المجرم مهما كان أصله وعِرقه، فإنَّه قابل علي باشا حاكم العراق، وأطلعه على ما خطَّطَ للقيام به، فشجَّعَهُ ذلك الحاكم وحرَّضَهُ[٤] على قتل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود غدراً[٥].

---

(١) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٧٦).

(٢) Records of the Hajj, vol,2. P,732. P,753.. وانظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣١٠).

(٣) Records of the Hajj, vol,2. P,732.. وانظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤١). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٨).

(٤) Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique. وانظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٨٥).

(٥) الاغتيال غدراً من طبائع ولاة وقادة الترك العثمانيين وسلاطينهم، وقد فعلوها من قبل في القرن العاشر الهجري يومَ عَجِزَ السلطان العثماني سليمان القانوني عن إخضاع سلطان المغرب الأقصى السلطان أبي عبدالله محمد الشيخ المهدي، فأرسل له من ينسلّ بين رجالات بلاطه وعساكره ليقطعوا رأسه ويأتوه به، وقد فعلوا، فاحتزّوا رأسه في غفلةٍ عمَّن يحيط به وانسلّوا هاربين إلى الجزائر، ثمَّ حشوا رأس السلطان المغربي تبناً وأرسلوه إلى السلطان العثماني سليمان القانوني. حتَّى قال عن غدر أولئك الترك شاعر المغرب المعاصر لتلك الحادثة:

لا تأمَنَنْ تُرْكِيّاً فيما يقولُ ولو ... مِنَ العِبادةِ حتَّى طار في السُّحُبِ
إنْ جادَ يوماً؛ فَذاكَ الجُود مِن غَلَطٍ ... وإنْ تمرَّدَ؛ عَنْ أمٍّ لهُ وأبِ. =

وفي ذلك يقول لوريمر: كانت الشكوك فيما يتعلّق باغتيال الإمام عبدالعزيز كلها تحوم حول باشا بغداد بأنّه المحرِّض على تلك الجريمة[١].

ويقول السياسي الفرنسي جان ريمون[٢]: أنَّ هذا الباشا أقدم على تلك الفِعلَة بعدما يأس من القضاء على الدولة السعودية الأولى، وهو الأمر الذي كانت تلحّ عليه حكومة الدولة العثمانية وترسل الرسائل المتتالية لهذا الباشا ليسرع في توجيه حملة ضدَّ السعوديين.

ويخبرنا صاحب كتاب «لمع الشهاب» بأمر هذا الاغتيال ودور باشا بغداد فيه، إذ يقول: إنَّ «علي باشا لما وَلِيَ وزارة بغداد بعد سليمان باشا، كان دائم الحقد على آل سعود وعلى كل من هو متمسك بدين محمد بن عبدالوهاب[٣]، فمرَّ علي باشا يوماً على جسر بغداد فقال لبعض ندمائه: لو يحصل عندي من يبذل نفسه ويسير إلى الدرعية فيقتل عبدالعزيز غِيلةً لأعطيته الآن ألفاً ذهباً، وإذا بلغني فعله بموجب ما أريد منه قرَّرتُ لعياله وعيال عياله وظائف من الديوان لا تنقطع أصلاً.

= انظر: محمد الصغير الإفراني «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي» (٩٣ ـ ٩٤).

(١) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٠٧/٣).

(٢) في تقريره المعنون بـ«التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (١٠٣).

(٣) لم يكن ديناً جديداً كما يحاول صاحب «لمع الشهاب» أن يوحي بذلك، بل دعوة إسلاميَّة سُنيَّة على منهج السلف الصالح، وسيأتي نقض مثل تلك الشبهات في الفصل الثامن.

فلمَّا كان الغد، أتى رجلاً بيده رقعة، فوقف مقابل طارمة الباشا[١] على عادة ما يقف أهل الشكوى، فالتفت علي باشا وقال: إئتوني بما في يد الرجل، فأتوه بالرقعة، وإذا مكتوب فيها: من الفقير الحقير علي إلى جناب وليِّ نعمته الوزير المعظَّم علي باشا، أما بعد، فقد سمعتُ أنَّكَ تريد من يكفيك شرَّ عبدالعزيز النجديَّ بقتله، فهذا انا أفعل بحول الله.

فأمر علي باشا بإحضار الرجل لديه، وقال له: أنتَ علي؟ قال: نعم. فقال: أتُوفِي بما قلتَ؟ قال: نعم. فأمر له بألف ذهباً. وقال: هذه توضع بيد من تأمنه من الناس المعروفين في بغداد، فإذا بلغنا صنعك فهي لك تُعطى لعيالك ولهم أيضاً وظيفة جارية تكفيهم من جميع الوجوه مدَّة بقاء الدولة العثمانية.

فسار الرجل إلى بيته وَوَدَّعَ عياله وأخذ بعض المتاع فأحقبه على ظهره، ثمَّ سار مع القوافل برسم الحاج الفقير المضطَّر حتى وصل إلى البصرة ثمَّ منها إلى الكويت، ومن الكويت سار مع ركب أهل الدرعية»[٢].

ويقول ابن بشر: «أقبل من وطنه لهذا القصد محتسباً حتى وصل الدرعية في صورة درويش وادَّعى أنَّه مهاجر، وأظهر التنسُّك بالطاعة،

---

(١) طارمة الباشا/ الروشن: قال الجواليقي: «الطارمة: ليس بعربي». وقال المقريزي: «الطارمة: بيت من خشب، وهو دخيل». انظر: أبو منصور الجواليقي «المعرَّب من الكلام الأعجمي» (٢٧٢). وتقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٤٥٧/٢). واللفظ لا يزال إلى اليوم من الدارج على الألسنة في بعض قرى العراق. انظر: إبراهيم السامرائي «المجموع اللفيف» (١٢١).

(٢) حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٧٨ ـ ١٨٠) باختصار.

فأكرمه عبدالعزيز وأعطاه وكساه وطلب من يعلِّمه ممَّن كانوا يعلِّمُون الغريب المهاجر إليهم، وكان المجرم القاتل قَصْدَه غير ذلك، فوثب على الإمام عبدالعزيز من الصفِّ الثالث والناس سجود فطعنه في أبهُرِهِ أو في خاصرته أسفل البطن بخنجرٍ كان قد أخفاه وأعدَّه لذلك، وهو قد تأهَّب للموت، فاضطَّرَب أهل المسجد وماج بعضهم في بعض، ولم يكونوا يدرون ما الأمر، فانهالوا على المجرم فقتلوه»[١].

وكان الشيخ حسين آل الشيخ الضرير[٢] من ضمن من غسَّل الإمام عبدالعزيز بيده، وصلَّى عليه قبل كلِّ أحد، وذلك بوصية من عبدالعزيز عند احتضاره، فإنَّه أوصى بهذا[٣].

وقد فرح المؤرِّخ العراقي عثمان بن سند البصري عدو الدولة السعودية ودعوتها السلفية، وطار مبتهجاً فقال: «**لا قَطَعَ الله يَدَ من قتَلَه ولا أشَلَّها**»[٤].

يقول الريكي: «وبعد شهر كامل بلغ الخبر إلى بغداد، وسمع به علي باشا فَسُرَّ غاية السرور، فحقَّق ذلك الخبر، وقد عرف أنَّ قاتله هو الحاج علي البغدادي، فأرسل الباشا حينئذٍ خلف أولاده، وكانوا ثلاثة من الذكور وأربعة من الإناث، فأكرمهم، وأمر بدفع الألف

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٦٤/١) باختصار وتصرف يسير.

(٢) هو حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر عنه: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٢٧٥) (٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٣) انظر: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٢٧٥).

(٤) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٥٦).

الذهب التي عيَّنها أولاً لأبيهم، ثمَّ جرى لهم كلَّ شهر كذا من الدراهم»[(١)].

وفي السنة التي اغتيل فيها الإمام عبدالعزيز تولَّى الإمام سعود الحكم بعد أبيه، «وأوَّل ما فعله أنَّه أرسل في عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م قوة كبيرة من رجال المردوفة[(٢)] إلى أنحاء مشهد علي في النجف، ليُظهر لباشا بغداد أنَّه إنْ كان يَظُنّ أنَّه استطاع التخلّص بجريمته من عبدالعزيز، فإنَّ عبدالعزيز ما يزال يعيش في شخص ولده سعود»[(٣)].

* تولّي سعود بن عبدالعزيز الحكم وانتقامه لوالده:

تولَّى سعود الحكم بعد أبيه وبيعة الناس له، فتتابعت الهجمات الكثيرة والمتتالية المشدَّدَة من قِبَل **الإمام سعود** على العراق انتقاماً لغدر والي العراق التركي العثماني بوالده عبدالعزيز[(٤)]، ومن ذلك أنَّه توجَّهَ بقواتٍ كبيرة إلى العراق، فغزا البصرة[(٥)] وهدم قصر الدريهمية

---

(١) حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٨١) باختصار.

(٢) المردوفة: فريق من جيش ابن سعود مكوَّن من أربعة عشر ألف رجل تردفهم سبعة آلاف من الإبل. هكذا فسَّرها جان ريمون في تقريره لحكومته الفرنسية المسمَّى «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (ص٦٩). وقريب منه عند: ابن مانع، فَسَّرها: بالهجن التي تحمل رجلين. انظر: عبدالرحمٰن المانع في كتابه «معجم الكلمات الشعبية في نجد» (٢٧١).

(٣) جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٨٩).

(٤) انظر: علي دخيل الله الحازمي «الدولة السعودية الأولى في غرب الخليج العربي وجنوبه» (١٤٤).

(٥) انظر: عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٥٦).

مشرب أهل الزبير، وقتل من كان هناك[١] دون أن تعلم به عساكر الحكومة العثمانية في العراق.

ذلك أنَّ سعود ـ وهذا من دهائه وسياسته ـ سار من الدرعية واستلحق جميع رعاياه من البادي والحاضر وقصد ناحية الشمال حتى نزل على القرية المعروفة بالتنومة عند القصيم، فعيَّد فيها عيد النحر، ثمَّ أرخص لغزوان عربان الشمال وذكر لهم أنَّه يريد الرجوع والقفول إلى وطنه، وكان قصده بذلك أن يُخبروا أهل البصرة والزبير ومن في جهتهم إذا رجعوا إليهم أنَّه قَفَل، حتى يَبْغتهم من حيث لا يعلمون، وكانت عادته إذا أراد غزو الشمال قَصَدَ جهة الجنوب أو الشرق أو الغرب ثم رجع لما يريد وبالعكس، وإذا كان يريد جهة من تلك الجهات وَرَّى بغيرها، فلمَّا رحل عنه غزوان بوادي الشمال من التنومة، رحل منها وقَصَدَ جهة الدرعية فسار نحو يوم أو يومين، فوصل تلك البوادي أوطانهم وأخبروا من في جهتهم بقفولِهِ[٢].

وهذه حقيقة شهد بها الضابط الفرنسي جان ريمون في تقريره الذي بعثه من بغداد لحكومته الفرنسية، حيث قال: «**كانوا[٣] يهاجمون أماكن متعدِّدَة في وقتٍ واحد، وكان هجومهم المفاجئ يشلَ الأذهان**»[٤].

وهو ذات الأمر الذي شهد به بوركهارت حين قال: «**وحين**

---

(١) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٩١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧٩ ـ ٢٨١).

(٣) يقصد السعوديين.

(٤) جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٥٥).

يُخطّط سعود لغزوٍ ما، لا يُطْلِع على هدفه أحداً، ويُواعد أمراءَه عند مورد ماءٍ مُعيَّن يختاره دائماً بطريقةٍ تخدع العدو الذي يريد مهاجمته، فإذا نوى أن يكون الغزو باتجاه شمال الدرعية جَمَعَ جيشه عِنْد مَورِد يَبعُد مسافة أيام جنوبها، وحينئذٍ ينطلق فعلاً في اتجّاهٍ جنوبيّ، لكنه يعود مسرعاً وينقضّ على العدوّ الذي يُفاجأ عادةً بالهجوم، وهذه الحيلة ضرورية جداً لأنَّ الأخبار تنتشر كالبرق في جزيرة العرب، ولو بَدَت من مكان انطلاقه للهجوم أيَّة إشارة إلى هدف هجومه لكان في إمكان العدوّ أن يمتلك وقتاً يُعِدّ خلاله نفسه للمقاومة أو الهروب، فكانت غزوات سعود تُخطّط بكثيرٍ من الحيطة وبُعد النظر وتُنَفَّذ بمنتهى السرعة لدرجةٍ أنَّها نادراً ما فشلت»[١].

لذلك قال أمين الحلواني: «وكان لسلطان الوهابيين سعود بن عبدالعزيز سياسةٌ عجيبة في تسيير الجيوش وجمعها»[٢].

من هنا لا نعجب حين نرى المؤرّخ عثمان بن بشر يشهد لسياسة الإمام سعود الحربية قائلاً: «أمَّا سيرته ومغازيه فكان إذا أراد أن يغزو جهة الشمال أظهر أنَّه يريد الجنوب أو الغرب، وإذا كان يريد جهة من تلك الجهات وارَى بغيرها وأرسل إلى جميع البوادي حواويش رجال يحوشونهم[٣] من أقطار الجزيرة للغزو معه، فإذا قرب من العدو نحو ثلاثة أيام بعث عيونه أمامه، ثم عدا فلا يلبث حتى يبغتهم وينزل قريباً منهم، فلا يوقد عند جموع المسلمين تلك الليلة ناراً ولا كأنَّهم

---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٧٠ ـ ٧١).

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٥١).

(٣) يحوشونهم: يجمعونهم. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٤٤) في الحاشية.

نزلوا تلك الديار، فإذا صلَّى الصبح ركب بالمسلمين وضجّوا بالتكبير وأغاروا، فتظلم السماء والأرض من إثارة النقع وضجيجهم بالتكبير، فيغيب الذهن في تلك الساعة، ويوقن المسلمون بالنصر فيوقع الله بأسه فيمن قصدته تلك الجموع، فلا يُرفع السيف إلَّا عَمَّن لم يبلغ الحلم أو امرأة أو شيخ كبير»[(١)].

وفي شهادة للسير بريدجز توكيد لتلك الحقيقة، إذ قال: «زاد سعود كثيراً مما كان يسبِّبه لحكومة بغداد [العثمانية] من الصعوبات والذعر بواسطة هجمات مباغتة كان يوجّهها إلى جهاتٍ مختلفةٍ من مناطقها، وهي هجماتٌ لم يكن الأتراك يستطيعون توقّعها أو يتمكنون من مواجهتها؛ لأنَّ السهولة التي كان الوهابيون يتمكنون بها من جمع قواتهم والسرعة التي كانت تسير بها تلك القوات بعد اجتماعها، أذهلت وأربكت العثمانيين البطيئي الحركة»[(٢)].

المقصود، أنَّ سعود رجع عادياً إلى البصرة، فلمَّا قَرُب منها وافق كتيبة من المنتفق ورئيسهم فأغار عليهم وهزمهم، ثمَّ تحوَّل سعود إلى الزبير وهجم على الجامع المعروف قرب الزبير فهدم جميع القباب والمشاهد التي خارج سور الزبير كالقبَّة الموجودة على قبر الحسن البصري وقبة طلحة ولم يبقوا لها أثراً.

ثمَّ إنَّ سعوداً أمر جيوشه أن يحشدوا على قصر الدريهمية فحشدوا عليه وهدموه وقتلوا أهله، فلمَّا كان وقت غروب الشمس أمر سعود مناديه ينادي أن يثوِّر كل سعودي بندقيته، فثوَّروها دفعةً واحدة.

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٤/١ ـ ٣٤٧) باختصار.

(٢) السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٧٤ ـ ٧٥).

يقول ابن بشر: «**قال لي رجلٌ من أهل الزبير: لمَّا ثارت البنادق شبَّت النار في الأرض والجوّ وأظلمت السماء ورجفت الأرض بأهلها وانزعج أهل الزبير انزعاجاً عظيماً**»[١]. ثمَّ قفل سعود راجعاً بجنوده إلى نجد[٢].

وفي السنة نفسها ١٢١٩هـ/١٨٠٥م كانت السلطات الإيرانية في فارس والتركية في العراق قد ازدادت مخاوفهما من التنامي الواضح في القوة السعودية، وظهر هناك تعاون بينهما ضد الدولة السعودية[٣]، كما أبدت كلٌّ من تركيا وإيران استعدادها لمناصرة سلطان بن أحمد البوسعيدي، وقد كان السلطان العثماني يحضّ والي بغداد العثماني أن يتعاون مع سلطان مسقط ضدّ الدولة السعودية الأولى[٤]، لكنَّ استعداداتهم هذه ظلَّت رخوة تنقصها الشجاعة للإقدام على التنفيذ، فبقي حاكم عمان وحده في مواجهة التقدُّم السعودي[٥].

وفي عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٦م سار سعود بجيوشه من جميع بلدان نجد ونواحيها وبواديها وقَصَدَ جهة الشمال، ونازل بلد المشهد المعروف في العراق، وأمر جنوده أن يتسوَّروا الجدار على أهله، فلمَّا قربوا منه فإذا دونه خندق عريض عميق فلم يقدروا على الوصول إليه، وجرى بينهم مناوشة ورمي من السور والبروج، فتركها سعود وورد

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧٩ ـ ٢٨١).

(٢) انظر: المصدر نفسه.

(٣) انظر: عبدالعزيز نوَّار «داوود باشا والي بغداد» (٤٤).

(٤) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٥٧).

(٥) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٢/٦٦٦ ـ ٦٦٧).

على الهندية[١]، ثم اجتاز بحُلَلِ الخزاعل وجرى بينه وبينهم قتال وطراد خيل، ثمَّ سار إلى السماوة وحاصر أهلها ووقع بينهم رمي وقتال، ثمَّ رحل منها وقصد البصرة ونازل أهل الزبير ووقع بينهم وبين أهله مناوشة ورمي. وبعد ذلك عاد إلى الدرعية[٢].

وظلَّت القوات السعودية توالي هجماتها المباغتة في أكثر الأحيان على الأراضي العراقية مُحْرِزَة قَصَبَ السَّبْق على معارضيها؛ حتى بات سكان بغداد ذاتها يشعرون بالقلق ويستشعرون الخوف، خصوصاً مع اقتراب العمليات العسكرية السعودية من تلك المدينة[٣]، واضطرَّت كثير من القبائل العراقية الموجودة غرب الفرات أن تدفع الزكاة إلى الدولة السعودية. ولم تتوقف الهجمات السعودية إلا حينما انشغلت الدولة السعودية بالحملة العثمانية/التركية التي انطلقت من مصر للقضاء عليها. لكنَّ السعوديين لم يضمّوا أرضاً عراقية إلى دولتهم[٤].



---

(١) الهندية: تقع أسفل مدينة (المسيَّب)، شمالها (كربلاء) وشرقها (الحلَّة) وجنوبها (النجف) و(الشامية). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٩٠٥/٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٨/١ ـ ٢٨٩). وانظر أيضاً: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢٠ ـ ٣٢٢).

(٣) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٠٧/٣ ـ ١٦١٠).

(٤) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٦٣/١). وعلي دخيل الله الحازمي «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (١٥٢).



ثانياً: الدولة السعودية الأولى وبلاد الشام

* بعض قبائل بلاد الشام تؤدِّي الزكاة للدولة السعودية الأولى:

من يرصد عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود سيجد أنَّ قبائل البادية الشامية قد أقبلت على اعتناق المبادئ السلفية لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأنَّ تلك القبائل دفعت الزكاة للإمام عبدالعزيز بن محمد.

يقول ابن بشر: «**ظهر عمَّال من حلب الشام قاصدين الدرعية وهم أهل ستِّ نجائب محمَّلات ريالات زكوات بوادي أهل الشام**»(١).

ويذكر ابن بشر أن بوادي عنزة أهل الشام(٢) كانت تؤدي الزكاة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ويقول ابن بشر: «**أخبرني من أثق به قال: أناخ بيوم واحد تحت الطلحة المعروفة عند باب بلد**

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٦٩/١).

(٢) عنزة: القبيلة المعروفة. والمعنيون هنا هم عنزة بادية الشام. انظر عنهم: محمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٧٧ ـ ٣٩٤). وأحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٣٥٧ ـ ٣٧٥).

شقرا أربع عوامل من عمّال بوادي الشام، كلّ عاملة معها عشرة آلاف ريال» زكاة للإمام عبدالعزيز[(١)].

وهذا يدلُّ على أن ولاء تلك القبائل الشامية لأمير الدرعية وليس لوالي الشام من قِبَلِ السلطان العثماني[(٢)]، بل إنَّ مؤرِّخاً معاصراً لتلك الفترة ذكر عدد الناس الذين دخلوا تحت حكم آل سعود، فذكر منهم بوادي في الشام وعربها؛ مثل قبيلة عنزة وغيرها هناك[(٣)].

* تحرّش والي الشام بالدولة السعودية الأولى:

من خلال سبر مسير تاريخ الدولة والدعوة في تلك الفترة فإننا نجد أنَّ الشام كانت ضمن الأقاليم التي أرسل إليها الإمام عبدالعزيز بن محمد وابنه الإمام سعود بالرسائل التي تنصحهم وتدعوهم إلى التوحيد وترك ما يناقضه ويضاده من الشرك.

وقد اتَّبَع الإمام سعود بن عبدالعزيز في البداية طريق السلم؛ فدعا والي الشام برسالةٍ أرسلها له، وقد أورد هذه الرسالة **الأمير حيدر الشهابي في تاريخه[(٤)]، وهي ذات الرسائل التي كانت الدولة السعودية الأولى ترسلها إلى سائر الأقاليم والأنحاء، فليس فيها طمعٌ في حكم ولا رغبةٌ في مدِّ نفوذ؛ بل نصيحةٌ بلزوم التوحيد وحفظ جنابه، ولا شيء غير ذلك.**

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧٤).

(٢) انظر: عبدالله الحقيل «علاقة نجد بالشام من ١١٥٧هـ إلى ١٢٢٥هـ» مجلة الدارة، ع ٤، سنة ١٤٠٢هـ (ص٧٩ ـ ٨٠).

(٣) انظر: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٢٧٣).

(٤) في كتابه «الغرر الحسان» (٣/٥٤٥ ـ ٥٤٨).

ومع ذلك فإنَّ والي الشام (التركي) لم تُعجِبه نصيحة ابن سعود (العربي أو البدوي)، **وكان واضحاً أنَّ هذا الوالي التركي مُغْضَبٌ من ذهاب حكم الحرمين من يد الأعاجم الأتراك ليصير في ظلِّ السعوديين.**

فما كان من هذا الوالي إلَّا أنْ تجهَّزَ بجهاز الحرب والعمل على هجوم مثلَّثٍ أركانه باشوية الشام وباشوية العراق وباشوية مصر؛ قاصداً بذلك هدَّ أركان حكم الدولة السعودية الأولى، ثمَّ ربطهم بالتبعية العثمانية، فكان من الطبيعي على الإمام سعود أن يتوجَّه لنقل المعركة إلى أرض الشام قبل أن يداهمه والي الشام لحربه وهو في الحجاز[١].

هذا الأمر تجده مرصوداً في المصادر الشامية التي عاينت حوادث تلك السنين، والتي تخبرنا بأنَّ السعوديين (أو الوهابيين كما تسميهم تلك المصادر) بعد أنْ ضمّوا مكة والمدينة وينبع وشمالها تجهَّزَ عليهم والي الشام بجهاز الحرب؛ **فهذا المؤرخ ميخائيل الدمشقي الذي كان شاهد عيان على تلك الحوادث، قال في أحد تقاريره التي يرسلها لممثل الحكومة البريطانية في دمشق**[٢] ما نصّه: **«لمَّا كرهت الدولة العثمانية عبدالله باشا العظم وعدم ملاحظته وتدبير الأحكام وعملت على عزله خصوصاً بعدما فشل في استكمال إيصال محمل الحج إلى مكة، جاء مكانه يوسف كنج باشا**[٣] **الذي كان قد**

---

(١) انظر: عبدالله الحقيل، المقال السابق (ص١١٢)

(٢) انظر: مقدّمة غسان سبانو لكتاب «تاريخ ميخائيل الدمشقي».

(٣) كنج يوسف الدالي باشا. انظر ترجمته وأخباره عند: ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٣٤). وصلاح الدين المنجد «ولاة دمشق في العهد العثماني» (٩٠).

توجَّه إلى إسطنبول وسعى للتحصّل على الولاية بدمشق وأفهم المسؤولين في إسطنبول عن شطارته ومعاركته بالحروب وأنَّه يمكنه محاربة الوهابي وينتصر عليه، فأرسلوا له منصب باشا دمشق»[١].

ثمَّ يذكر ميخائيل الدمشقي في تلك التقارير قائلاً: «وفي إحدى السنوات حضر الخبر برجوع محمل الحج الشامي إلى المُزَيْريب[٢] مطروداً، وقيل إنَّ شريف مكة غالب بن مساعد [هو الذي] منعهم من الدخول وطردهم بحماقةٍ زائدة وقال لهم: ليش الباشا ما هو معكم. فرجعوا»[٣]. «وبهذه الغضون وصل جملة خيل عرب من الوهابي لقرب الشام ومعهم مكاتيب إلى الأعيان مضمون كلامهم التسليم وأنَّه قادم للشام جديع القبلان[٤] ابن قاسم وابن عم مهنا فاضل شيخ عرب عنزة[٥] بجموعٍ كثيرة»[٦].

والأمير حيدر الشهابي يخبرنا بأخبارٍ قريبة مما ذكره ميخائيل الدمشقي، حيث يقول الأمير الشهابي: إنَّه «في محرم من سنة

---

(١) ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٣٦).

(٢) المزيريب: بلدة في سورية، تقع شمال غرب مدينة (درعا). انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (١٦٨/٥ ـ ١٦٩).

(٣) ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٤٠).

(٤) جديع القبلان الملقب بـ(أخي مودي) (وربَّما: موضي): من رؤساء الحسنة من الفدعان من عنزة. انظر: أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٤٣٦).

(٥) آل فاضل من عنزة، وهم رؤساء عنزة سابقاً ويُعرفون بالحسنة من مسلم من الوهب، وموطنهم (بادية حمص) و(تدمر). انظر: محمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٨٠).

(٦) ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٤١).

١٢٢٣هـ/١٨٠٨م رجع الحاجّ إلى الشام دون الوصول إلى البيت الحرام لأنَّ الوهابيين منعوه عن الوصول[١]، ثمَّ حضر إلى الشام عبد من عبيد الشيخ مهنَّا الفاضل شيخ عنزة وصحبته كتابات إلى كنج يوسف باشا يخبره أنَّ قادم جديع القبلان باثني عشر ألف مردوف من الوهابيين، وأنَّ العبد فارقه في وادي شمَّر قاصد تدمر[٢] ويحصّن القلعة ثم ينزل على بلاد حمص[٣]، وأنَّ جديع مرسل كتابات إلى العرب الموهبَّة[٤] مثل بني صخر[٥] والفياض[٦] والفدعان[٧] وولد

---

(١) بالرغم من أنَّ ميخائيل الدمشقي أخبرنا قبيل قليل بأنَّ الشريف غالب هو الذي ردَّ المحمل الشامي!!!.

(٢) تدمر: بلدة في البادية السورية، شمال شرق (دمشق). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٢١٢).

(٣) حمص: مدينة في سورية، تقع شمال (دمشق) وجنوب (حماة). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٢٥٣).

(٤) هكذا وصفهم بالموهّبة وأحياناً يصفهم بالوهابية.

(٥) بنو صخر: يرجعون إلى طيِّء من قحطان. والمعنيون هنا هم من عربان بادية الشام وأكثرهم آنذاك في فلسطين، وكانوا يقدّمون إبلهم لحملات الحجّ في تلك الفترة. انظر عنهم: أحمد البديري الحلاق في «حوادث دمشق اليومية» (٢٢) (٣١) (٢١٢). ومحمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٨٤) (٣٨٨).

(٦) الفياض: من آل الحيار أبناء مهنا بن عيسى آل فضل، من أمرائهم. انظر أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٩٧).

(٧) الفدعان: من عُبَيْد من عنزة وهم ضنا ماجد وضنا محمد (الوِلْد). وكان الفدعان عمَّال الإمام سعود في جمع زكاة بوادي عنزة في الشام، وتبلغ زكاتهم في سنة من السنين ٤٠ ألف ريال. انظر: محمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٧٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٥٤/١). وعبدالوهاب بن=

علي[(١)] ليوافوه في جموعهم، وحضر منه كتابات إلى الضبَّاط والأغاوات[(٢)] الذي في الشام وأنَّهم يسلّموا وإلّا يندموا، ولم يبق أحد في الشام من الأغاوات وأصحاب الوجاقات[(٣)] إلا وحضر له من جديع كتابات، وخافوا الناس من قدوم الوهابيين وأيقنوا العذاب الأليم [هكذا]، ثمَّ انقطعت الأخبار ولم أتَّضِح إلى ذلك الأمر آثار»[(٤)].

وكانت الوثائق التركية (العثمانية) تذكر أنَّ «رواية أبناء السبيل الواردين من يافا[(٥)] وغَزَّة تفيد بزحف عثمان المضايفي صهر الشريف

= محمد بن حميدان بن تركي «تاريخ نجد» (١٧٤). وحمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٦١٤).

(١) وِلْد عَلِي: من ضنا مُسْلم من عنزة في سورية، وشيخهم آنذاك دوخي السمير، وهؤلاء الذين يحملون الحجاج من الشام، ولهم صرَّة من الدولة العثمانية كل سنة آنذاك. انظر: Records of the Hajj, vol,2. P,731. ومحمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٨٣). ومنهم اليوم من هم في (خيبر) و(الجهرا في الكويت) و(وادي الحمض) و(العُلا) وتلك النواحي. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٥٢ ـ ٥٥٣).

(٢) الأغاوات: مفردها «آغا». تطلق على صغار الضبَّاط وأحياناً على كبارهم. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٨).

(٣) الوجاقات: من فرق العسكر العثماني. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٥٤).

(٤) الأمير حيدر بن أحمد الشهابي «الغرر الحسان» (٥٣٤/٢)

(٥) يافا: ميناءٌ يقع شمال غربي القدس. انظر: يلماز أزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٧٩٨/٢ ـ ٧٩٩).

غالب إلى بلاد الشام بقواتٍ قدِّرت بخمسين ألفاً من العربان، وأنَّه أرسل خطابات إلى قبائل العربان في حوالي غزَّة وخليل الرحمٰن لاستجلاب قلوبهم، وأخذ يمدّ يده إلى حوالي الشام خصوصاً بعد أن استولى على قلعة المويلح[١] برّاً وبحراً»[٢].

* الأسباب التي دفعت السعوديين إلى التحرك والوصول إلى قلب الشام:

مِمَّا يفسّر قيام السعوديين بتحركاتهم في بلاد الشام ـ تلك التحركات التي ذكرها الشهابي وميخائيل الدمشقي ـ أنَّه لابدّ وأنْ **يكون السعوديون قد علموا بتحركات والي الشام وتجهيزاته لحرب الدولة السعودية، فجاءت تحركات السعوديين ردّاً على تلك التجهيزات** التي وكّدتها وثيقة تركية تخبرنا: بأنَّ والي دمشق يوسف باشا كنج أرسل بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/١٦ أبريل ١٨٠٨م إلى محمد علي باشا والي مصر يقترح عليه اقتراحات بتنسيق الحرب ضدّ آل سعود، وقال له[٣]: «**اسْتَلُّوا حُسَامكم البتَّار لتقاتلوا به طائفة الوهابيين الذين قد انحرفوا منذ وقت ليس بقصير عن سبيل الطاعة وسلكوا سبيل العصيان والطغيان واستولوا على الحرمين، وَلِتَحْسُوا بحسامكم رؤوس هؤلاء الطغاة.**

---

(١) المويلح: ميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي شمال (ضبة) على بعد ٥٠ كلم منها. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٦٩٠).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، رقم وحدة الحفظ (٨) مكرَّر، بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٢٢٣هـ/ ١٨ يونيو ١٨٠٨م (١/١٧ ـ ٧٢).

(٣) مع التنبيه على الألفاظ النابية التي ستأتي في تلك الوثيقة، والتي نضطرُّ إلى بقائها لتبيان نظرتهم لأهل الدولة السعودية.

وبما أنَّ مهمَّة مقاتلة أولئك الخوارج والعمل على إجلائهم عن الأرض المقدَّسة المذكورة لمهمة جدّ عظيمة، فإنَّ مساهمتي فيها بتوحيد الجهود فيما بيننا، وبالاتفاق على ميعاد مناسب مبكّر نضرب فيه العدو ضربتنا في آنٍ واحدٍ، كلٌّ مِنَّا من جانبه بالعتاد والقوة. وإنِّي تعهَّدتُ على نفسي أن أبذل كل ما في إمكاني من جهدٍ واستعداد في سبيل نصرة الدين والدولة العلية، وأن أفي بميثاقي ووعدي هذين وفاءً تامّاً، وألَّا أنكث بهما مطلقاً»(١).

ومن خلال تلك الوثيقة تظهر لنا الأمور جلية في تعليل تلك التحركات السعودية تجاه الشام وواليها، فلابدّ وأن تكون حركة الاتصالات بين والي الشام ووالي مصر قد بلغت بعض أخبارها إلى السعوديين، فكان التحرك السعودي الذي ذكرنا بعض مباديه كان سببه تلك الاتصالات بين والي دمشق ووالي مصر، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنَّ تلك الوثيقة تجعل من تصورنا للحوادث على هيئة منطقية تنسف ما يشيعه أعداء الدولة السعودية الأولى وبعض الباحثين في التاريخ؛ الذين يَدَّعون أنَّ السعوديين هاجموا الشام رغبةً في التوسّع وطمعاً في الغنائم، وهو الأمر الذي نسفته الوثيقة التي أوردنا عليك بعض ما جاء فيها.

هنا ستقع حادثة جِدّ مهمة في تفسير ما يقع بعدها من الحوادث، وستأتيك بالعِلَّةِ التي من أجلها تحرك الإمام سعود بن عبدالعزيز لمهاجمة بلاد الشام فيما بعد، هذا التعليل والتفسير تأتينا به

---

(١) رسالة من كنج يوسف باشا والي دمشق إلى محمد علي والي مصر، بتاريخ ٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ٤ أبريل ١٨٠٨م، دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، رقم (٨) (١/٥٧ ـ ٦٥).

وثيقة تركية، تذكر فيها أنَّ يوسف باشا الصدر الأعظم طلب من محمد علي باشا والي مصر إرسال ألف كيس مساهمةً منه في تجهيز الجيش العثماني الذي سيتحرك تحت قيادته لحرب الدولة السعودية الأولى(١).

عندها تحرَّك الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بقواته تجاه الشام، ولا شكَّ أنَّ تلك الاتصالات والتجهيزات العثمانية ضد السعودية قد بلغته، فتحرَّك ليضربها ضربةً استباقية، **وهو الأمر الذي ذكره المعاصرون لتلك الحوادث ومن عاين الحدث، كلٌّ بحسب مكانه ومكانته، سواء في مصر والشام أو في نجد أو في العراق.**

وفي إحدى الوثائق يرسل **محمد علي باشا والي مصر** برسالةٍ إلى الدولة العثمانية يخبرهم بها عن تقدّم السعوديين إلى وسط بلاد الشام، ولكنَّه أتى بأخبارٍ ليست دقيقة أخبره بها والي دمشق عن أنَّ الجيش السعودي هُزم وأنَّ بعض أفراده وقع أسيراً لدى والي الشام، فيقول محمد علي باشا: «وقد أُحِطنا علماً بالقائمة التي بعث بها هذه المرَّة والي الشام أخونا يوسف باشا [كنج] بيدِ ساعيه، وحصل العلم مِنْ مآلها: أنَّ الخارجي المستجرئ على إهانة رسول الشفاعة ﷺ(٢) قد أغار على تلك الحوالي بحشراته الملعونة(٣)، وأنَّكم واجهتموهم في صحراء المزيريب، وقد أصبح الظفر حليفكم، حتى أخذتم أسرى

---

(١) رسالة من يوسف باشا الصدر الأعظم إلى محمد علي والي مصر، بتاريخ ٢٩ ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ١٣ يونية ١٨٠٩م، دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، رقم (١٨) (١/١٠٤ ـ ١٠٧).

(٢) سيأتي تفنيد تلك الأكذوبة في الفصل الثامن.

(٣) هكذا كان العثمانيون يصفون السعوديين.

ورؤوساً كثيرة، بالغة في الكثرة»[١].

والمعلومات التي وردت في تلك الوثيقة مجانبة لواقع ما حدث في تلك الواقعة، فهذا **المؤرخ عبدالرحمٰن الجبرتي** ـ المعاصر لتلك الحادثة ـ يؤرِّخ لها قائلاً: «وفي أواخره [أواخر جمادى الثانية ١٢٢٥هـ/١ أغسطس ١٨١٠م] وصلت أخبار من ناحية الشام بأنَّ طائفةً من الوهابيين جرَّدوا جيشاً إلى تلك الجهة، فتوجَّه يوسف باشا إلى المزيريب وحصَّن قلعتها، واستعدَّ إليهم بجيشٍ وحاربوهم وطردوهم، ثمَّ اضطربت الأخبار واختلفت الأقوال»[٢].

وهذ مؤرّخ محمد علي باشا: **المؤرِّخ المصري خليل الرجبي** (ت: ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م)[٣] يذكر في تاريخه **بأنَّ مُلْك ابن سعود «بقيَ حُكْمهُ نافذاً إلى أرض إيلياء**[٤]**، وصار له ما يزيد على الأربعمئة ألف ما بين فارس وراجل، وهابته الملوك، وتملَّكَ الكثير من أرض الشام إلى أرض المزيريب»**[٥].

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٢٨ جمادى الثاني ١٢٢٥ه/ ٣١ يوليو ١٨١٠م (١/٢٠٠ ـ ٢٠١).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٩٣) وانظر: (٤/١٩٩).

(٣) خليل بن أحمد الرجبي: المصري الصوفي. مِمَّن أرَّخ لتلك الفترة وعاصرها، ودوَّن كتاباً خصَّصه لمحمد علي باشا وحروبه، وكان مناوئاً للدولة السعودية الأولى ولدعوتها السلفية. انظر ترجمته عند: إسماعيل باشا البغدادي «هدية العارفين» (١/٣٥٦). أيضاً: إسماعيل باشا البغدادي «إيضاح المكنون» (٢/٧٠٨).

(٤) إيلياء: هي (ميناء العقبة) المعروف حالياً في (المملكة الأردنية الهاشمية). انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (١/٢٣٣ ـ ٢٣٤) (٣/٣٣٦).

(٥) خليل بن أحمد الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٢٧ ـ ١٢٨).

وهذا شاهد عيان من أهل الشام، وهو **الأمير حيدر الشهابي** يذكر وصول أعدادٍ من السعوديين إلى أعماق بلاد الشام، فيقول: «وفي شهر جمادى الثاني **١٢٢٥هـ** المصاقب إلى شهر تموز [يوليو ١٨١٠م] حضر جملة من العرب الوهابيين إلى أطراف حوران[١]؛ لأجل ضيقة المعاش وعدم الماء في بلادهم بهذه السنة، وفي الحال أطلق يوسف باشا التنبيه على جميع إيالات الشام وجَمَعَ العساكر وخرج من الشام قاصداً المزاريب [المزيريب]، وقد كانت تلك العربان قصدت المزاريب فالتقاهم شملين آغا المتسلم جبل إربد[٢] وعجلون[٣] وتلك النواحي من قبل يوسف باشا وصار بينهم كاينة[٤]، فالتجأ شملين آغا وعسكره إلى قلعة المزاريب، وَلَمَّا بلغ يوسف باشا أنَّ العرب محاصرة عساكره في قلعة المزاريب قوَّصَ المدافع[٥] وأشعل المشاعيل وقام ليلاً بالعساكر لنجدة المحاصَرين، فلمَّا سمعت العرب أصوات المدافع ونظروا

---

(١) حوران: تقع جنوب (دمشق)، تضمّ (الجولان) و(جبل الدروز). انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (٥/٢٠٥).

(٢) إربد: في الأردن، شمال (عمَّان). انظر: عبدالعزيز عوض «الإدارة العثمانية في ولاية سورية» (٦٥).

(٣) عجلون: بلدة غربي الأردن جنوب مدينة (إربد). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٣٦١).

(٤) الكاينة: تعني الحرب. وتراها في مصادر التاريخ المتقدِّمَة يسمون الحرب بذلك، كما يسمّونها «كون»، فيقولون: كون الصريف وكون المليداء؛ وهم يريدون معركة الصريف ومعركة المليداء.

(٥) قوَّص المدافع: رمى المدافع، أطلق نيرانها. وكلمة «قوَّصَ» دارجة في العامية الشامية.

النيران ارتحلوا حالاً وردّوا راجعين نواحي بلادهم.

وقد كان الجميع يظنون أنَّ سعوداً الموهَّب قادم بجميع عساكره إلى تملّك هذه البلدان، وحين وصلت تلك الأخبار إلى سليمان باشا سار في الحال بمن عنده من الرجال من مدينة عكا[١] إلى مدينة طبريا[٢]، وأرسل يطلب النجدة من الأمير بشير[٣] حاكم جبل الدروز[٤] وأن يسرع إليه بالعساكر، وفي الحال أطلق الأمير التنبيه على جميع بلاده، وجَمَعَ عساكره وأجنده وسار من دير القمر[٥] إلى قرية جزّين[٦] ثم إلى مرج عيون[٧]، وكان قد تجمع عنده من العساكر نحو خمسة عشر ألفاً فسار بهم إلى مدينة طبريا، وعندما نزلها علم أن

---

(١) عكا: مدينة فلسطينية على البحر الأبيض المتوسط. انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٣٦٣).

(٢) طبريا: أو (طبرية). مدينة فلسطينية تقع على (بحيرة طبرية). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٣٤٣).

(٣) يقصد الأمير بشير بن قاسم الشهابي (ت: ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م)، وهو من الأمراء الشهابيين في (جبل لبنان). انظر أخباره عند: الأمير حيدر الشهابي «الغرر الحسان» في صفحاتٍ كثيرة من الجزء الثاني والثالث. وانظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢/٥٧).

(٤) جبل الدروز: هو نفسه (جبل حوران)، وقد مرَّ التعريف به في هذا الفصل.

(٥) دير القمر: في لبنان، غرب مدينة (بيت الدين) وجنوب شرق مدينة (بيروت). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٢٧٢).

(٦) جِزِّين: بلدة في (وادي جِزِّين) شرقي لبنان. انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (٦/٢٣)

(٧) مرج عيون: جنوب لبنان، قريبة من (بنت جبيل). انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (٥/٢٠٧).

الوهابيين رحلوا عن تلك الديار.

وكان الكبير على العربان والقايد بهم إلى هذه البلدان رجلٌ يقال له عليَّان من آل ضبيب[١]، وكان متقدما عند الأمير سعود الذي هو رأس الموهبين»[٢].

أما **ميخائيل الدمشقي** ـ وهو شاهد عيان من اهل الشام ـ فإنَّه يذكر في إحدى تقاريره للحكومة البريطانية: أنَّه «في ابتداء سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م شاع الخبر أنَّ سليمان باشا[٣] قام إلى طبريا وطلب الأمير بشير والشيخ جنبلاط[٤] وأظهر لهم المشروع، وتصدر الأمير والشيخ أنهم يُقَدِّمُوا من الجبل عسكر وافر، وابتدأ بجمع العسكر من طبريا، ويوسف باشا بوقته كان في أراضي حوران لطرد الوهابي الذي كان يسطو ويغزي في بعض قرايا[٥] ...»[٦].

---

(١) انظر عن آل ضبيب: عبّاس العزّاوي «عشائر العراق» (٣١٦/١). وحمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٤٥٧). وراجع: أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٤٠٣).

(٢) الأمير حيدر بن أحمد الشهابي «الغرر الحسان» (٥٥٦/٣).

(٣) سليمان باشا: تولى ولاية (دمشق) بعد يوسف باشا الكنج. انظر: صلاح الدين المنجد «ولاة دمشق في العهد لعثماني» (٩٠).

(٤) الشيخ جنبلاط: هو بشير (جان بولاد) بن قاسم بن علي بن رباح من (آل جان بولاد) المعروفين اليوم بـ(آل جنبلاط)، من أهل (بعذران) بلبنان. انظر أخباره وترجمته عند: ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٧٣). وميخائيل مشاقة «مشهد العيان» (٢٠٩). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٥٧/٢).

(٥) قرايا: جمع قرية. من العامية الدارجة في سوريا والعراق. انظر: إبراهيم السامرّائي «المجموع اللفيف» (١٠٢).

(٦) ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٤٣).

وقد وثَّقَت المصادر الأجنبية تلك التحركات السعودية ناحية الشام في ذلك التاريخ عينه، حيث ذكر **بوركهارت** قائلاً: «وكانت غزوات سعود [بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود] تُخطَّط بكثير من الحيْطَةِ وبُعد النظر، وتُنَفَّذ بمنتهى السرعة لدرجة أنَّها نادراً ما فشلت، ولذلك حينما غزا سهول حوران سنة [١٢٢٥هـ] ١٨١٠م لم تصل أخبار اقترابه منها إلا قبل وصوله إليها بيومين، رغم أنَّه استغرق خمسة وثلاثين يوماً حتى وصل ذلك المكان، ولم يُعلَم أيّ جزء في سوريا كان هدف هجومه، وبذلك فإنَّ جيشه نهب خمساً وثلاثين قرية من حوران قبل أن يُبدي باشا دمشق أيَّة أدلَّة للدفاع»(١).

ويقول **بوركهارت** أيضاً: «في سنة [١٢٢٥هـ] ١٨١٠م **أثار سعود الرعب في قلب سوريا بمهاجمة المناطق المجاورة لدمشق بحوالي ستة آلاف رجل، وكان وصوله إلى هناك غير متوقعاً، ولم يقدر جيش يوسف باشا على إيقاف تقدّمه، وكان في إمكانه أن يستولي على دمشق بسهولة لو علم مقدار الرعب الذي حلَّ بسكانها عند اقترابه منها، إذ بَدَؤُوا يرسلون كل ثرواتهم الثمينة إلى جبال لبنان**»(٢).

هكذا ذكرت المصادر المصرية والشامية وبعض المصادر الأجنبية تَقَدُّم السعوديين إلى بلاد الشام، أمَّا المصادر النجدية فبعضها ذكرت

---

(١) **وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجِّ:** Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,756. **وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٧١).**

(٢) **وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجِّ:** Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,756. P,757. **وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٢ ـ ١٠٣) باختصار.**

تلك الحادثة عَرَضاً مثل تاريخ الفاخري[١]، بينما ذكرها **ابن بشر** تفصيلاً حين قال: «خرج سعود في ٣ ربيع الثاني ١٢٢٥هـ [٥ مايو ١٨١٠م] وقصد نقرة الشام المعروفة، لأنه بلغه الخبر أنَّ بوادي الشام وعربانه من عنزة وبني صخر وغيرهم فيها، فلما وصل تلك الناحية لم يجد أحداً منهم، وإذا قد سبقه النذير إليهم فاجتمعوا على دوخي بن سمير رئيس ولد علي من عنزة[٢]، وهو من وراء **الجبل المعروف بطويل الثلج**[٣] **قرب نابلس**[٤]**، نازلين عين القهوة من جبال حوران، ولما بلغ ابن سمير ومن معه إقبال سعود إليهم انهزم بمن معه من البوادي ونزلوا الغور من حوران، فسار سعود في تلك الناحية، وأقبل فيها وأدبر واجتاز بالقرى التي حول المزيريب، فنهبت الجموع ما وجدوا فيها من المتاع والطعام وأشعلوا فيها النيران، وكان أهلها قد**

---

(١) انظرها في تاريخه «تاريخ الفاخري» (ص: ١٧٠).

(٢) القيادة العليا في الوِلْد علي منذ القديم في أيدي أبناء سمير، وبيت سمير من بيوتات عنزة العريقة في قدمها ومجدها، وقد كان أولهم دوخي بن سمير المتوفي في ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، وآخرهم رشيد بن عبدالله بن محمد بن دوخي بن سمير المتوفي سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م. انظر: أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(٣) الجبل المعروف بطويل الثلج: هو نفسه (جبل الشيخ)، وهو نفسه (جبل الحَرَمون الكبير) شمال شرق فلسطين، ينتهي طرفه في جنوب سلسلة جبال لبنان الشرقية، ويُطلقون عليه أحياناً اسم (جبل صهيون). انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (٥/٢٠٥). أيضاً: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٢٢٨).

(٤) نابلس: مدينة في فلسطين شمال (القدس). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٤٧٧).

هربوا عنها لما سمعوا بمسيره، ثمَّ نزل عين البَجَّة[١] قرب حصن المزيريب وروى منها المسلمون وشربت خيلهم وجيوشهم، ثمَّ أقبل على قصر المزيريب فظهر عليهم خيل فحصل طراد، فانهزمت الخيل إلى القصر واحتصروا فيه، فأراد المسلمون الحشدة على القصر، ولا أحب سعود ذلك مضنَّة بالمسلمين لأجل إحصانه، ثمَّ رحل ونزل بصرى[٢] وبات فيها ثمَّ رجع قافلاً إلى وطنه ومعه غنائم كثيرة من الخيل والمتاع والأثاث والطعام، وقتل من أهل الشام عدة قتلى، وحصل في الشام رجفة ورهب عظيم بهذه الغزوة؛ في دمشق وغيرها من بلدانه وجميع بواديه، ومن حين قفل سعود من الشام جاء العزل ليوسف باشا الشام»[٣].

---

(١) عين البَجَّة: ذكرها عَرَضاً بهذا الرسم ابن بشر وابن لعبون في تاريخيهما؛ حين أتوا على أحداث غزوة (المزيريب) في الشام، ولم يُعرِّف بها عبدالرحمٰن آل الشيخ في تعليقه على تاريخ ابن بشر. وبَحَثتُ عنها (طويلاً) ولم أَجدها في كتب الخطط والجغرافيا التي راجَعتها، ثمَّ وَجَدتها من خلال أحد الزملاء الذي أرسل لي خريطة للحكومة السورية مخصَّصَة بشأن توزيع محافظات القطر السوري، وخريطة أخرى للأماكن الأثرية السياحية في سوريا. فوجدتُ (عين البَجَّة) هذه، وهي في الخريطتين المذكورتين باسم (خِربَة البَجَّة) في (محافظة دَرْعَا)، على طريق قرية (جاسم) وقرية (نَوَى)، وهي ما بين قرية (المُزَيْريب) وقرية (الحَارَّة) في سوريا. أمَّا لفظة (خِربَة) فتعني بقايا الآثار الموجودة في مكان ما مرَّت عليه عاديات الزمن وبقيت بعض ملامحه. و(الخِربَة): تسمية دارجة في ذلك الإقليم، كتسميتهم موضع آثار (غزالة) بـ(خِربَة غزالة)، وغيرها مِنْ الخِرَب.

(٢) بصرى: من أعمال (دمشق) وهي قصبة وكورة (حوران). انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣٤٨/١).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٠٩/١ - ٣١٠).

وبحسب جان ريمون الذي يذكر بأنَّ السعوديين في تلك السنوات كانوا «يتجولون ويسيطرون على الصحراء العربية كلّها، من بغداد إلى جُدَّة ومن حلب ودمشق إلى مسقط»[(١)].

ومحصِّلَة ما سبق أنَّ السعوديين استطاعوا أن يغزوا الجوف والبتراء والتقدّم ناحية حوران، ولكنَّهم لم يتمكَّنوا من اكتساح سوريًّا، فوقفوا عند أبوابها متربصين، ولم يستطع والي الشام أن يحمي حدود بلاده[(٢)].

ومن الواضح أنَّ الدولة السعودية لم تضمّ إليها شيئاً من أراضي باشوية الشام، لكنَّها مدَّت نوعاً من النفوذ على بعض القبائل التابعة له إدارياً، وقد تمثل ذلك النفوذ في دفع هذه القبائل الزكاة إلى القادة السعوديين. ومن القبائل التي أدَّت زكاتها إلى الإمام السعودي مَنْ كانت تقطن قرب مدينة حلب[(٣)].

المقصود؛ أنَّ الدولة العثمانية أصيبت بضربةٍ معنوية غير هيِّنَة بعد أن حكم السعوديون الحجاز وأصبحوا قادرين على الوصول بجنودهم إلى بلاد الشام والاقتراب من تركيا نفسها، فحاولت الدولة مراراً عديدة أن تضرب تلك الدولة العربية السلفية الفتيَّة؛ فكانت أنْ وجَّهت لها باشاتها في العراق والشام، فلمَّا عجز باشاتها هناك عن ذلك، أرسلت إلى باشتها في مصر محمد علي باشا[(٤)] ليضربها من جهته، وهو ما يسبره الفصل التاسع.

---

(١) جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٣٦).

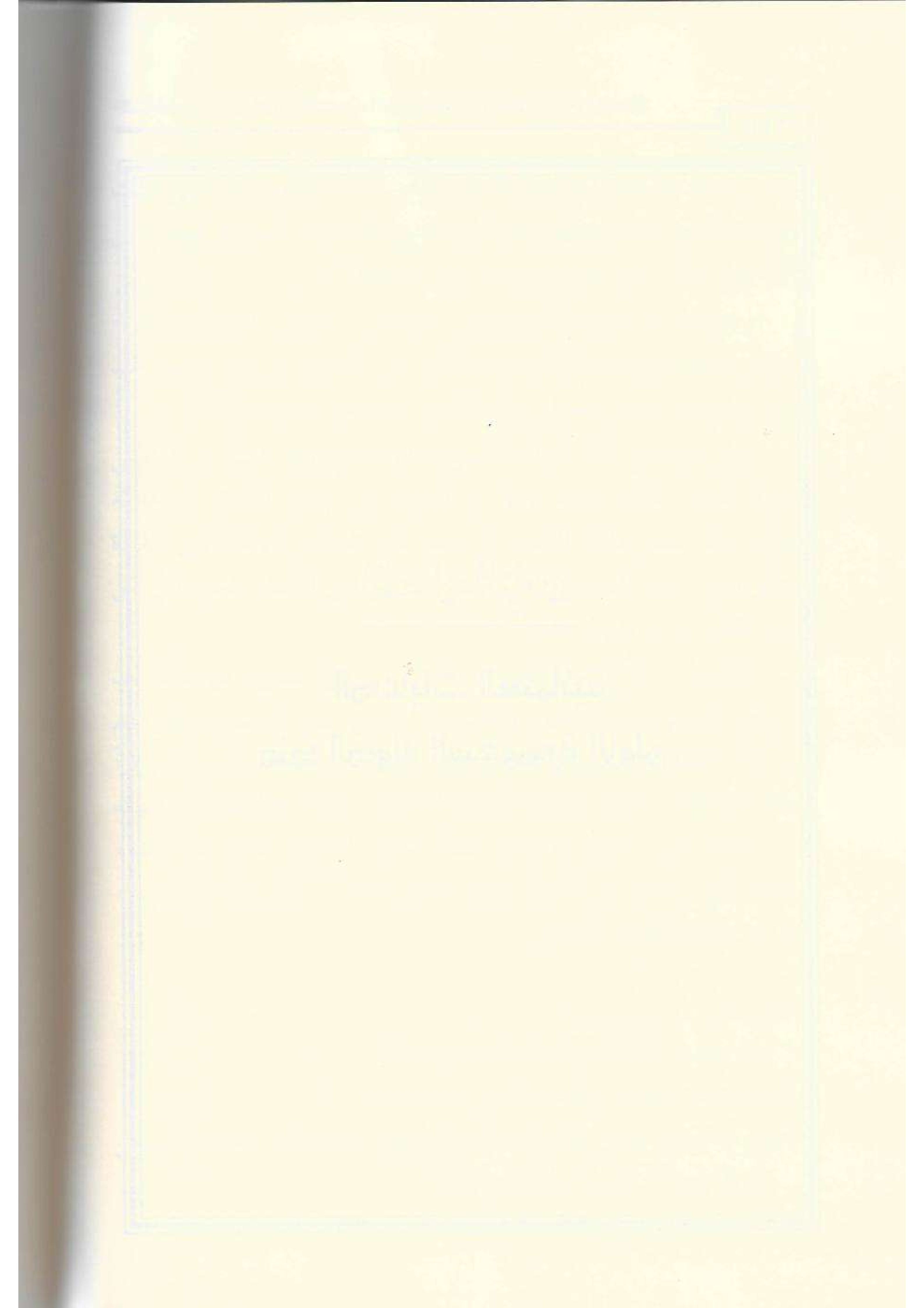
(٢) عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٥).

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦١١/٣). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٦٥/١).

(٤) عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (ص ٥).

الفصل الثامن:

الدعايات العثمانية ضدّ الدولة السعودية الأولى.





أوّلاً: أسباب قيام الحملات الدعائية العثمانية ضدّ السعوديين

انزعجت حكومة إسطنبول من توسع الدولة السعودية ومحاذاتها لحدود ولايات الدولة العثمانية في العراق والشام، وزاد انزعاجها إثر إعلان آل سعود زوال السيادة العثمانية عن الحرمين ومنع السعوديين المعازف والمناكير والعساكر التي كانت تصاحب محامل الحجِّ العثمانية، كما سبق تبيانه في الفصول السابقة.

وعند استقراء تاريخ تلك الفترة المعنية وما سبقها؛ سنعلم أنَّ **الدولة العثمانية كانت شديدة الحرص على الاحتفاظ بسيادتها على بلاد العرب**، لِمَا للمُدُن المقدّسة الموجودة فيها من أهميةٍ في العالم الإسلامي، **كما حرصت على أن تهيمن هيمنةً شبه كاملة على سواحل البحر الأحمر وبعض سواحل الخليج العربي، وعَمِلَت على أن تكون تلك البحار بِرَكاً آسنة، محرومة من الأنشطة التجارية؛ بحجَّة حماية العثمانيين للأماكن المقدَّسة من الأوروبيين**، فإذا جَدَّ اضطرَابٌ في تلك البحار؛ فإنَّ الترك العثمانيين يعالجونه بالصبر والمطاولة وفرصة الانقسام فيما بين الأوروبيين.

ولكنْ جَدَّ في البرِّ اضطرابٌ آخر من نوعٍ آخر تطلَّبَ أكثر من الصبر والمطاولة، كان ذلك هو الانفجار السعودي الذي لم تستطع

حكومة السلطنة التركية أن تُغمِضَ عينها عنه وعن حركته وآثاره كما كانت تفعل من قَبْلُ إزاءَ حركات القبائل وما جرى على نمطها، فقد **كانت الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية شيئاً جديداً بالنسبة للأتراك العثمانيين لا يمكنهم تركه يجري مجراه**[١].

من هنا قرَّر المؤرخ أمين بن حسن الحلواني (ت: ١٣١٦هـ/١٨٩٨م)، قائلاً: «**إنَّ الدولة العليَّة [العثمانية] ورجالها من عاداتهم أنَّهم لا يغضبون ولا تأخذهم الحميَّة الجنسية إلَّا إذا عَلِموا أنَّه ستُشَكَّل دولةٌ عربية، فحينئذٍ يجتهدون بإخماد شرارتها أوَّل الأمر؛ لِما يعلمونه من عاقبة أمرها**»[٢].

وبشكلٍ أوضح مِمَّا سبق جاء تقرير المؤرّخ الإنجليزي المستر جورج يانج[٣] الذي قال فيه: «إنَّ الأعراب[٤] قد صاروا خطراً يُخشى منه على الإمبراطورية العثمانية ومصر، لأنَّ العودة إلى التمسّك بمبادئ الدين الإسلامي الصحيحة واقتفاء أثر السلف الصالح مِمَّا كان يُبشِّر به محمد بن عبدالوهاب قد أدَّى إلى جمع العشائر في بلاد العرب وَوَحَّدَها تحت زعامة أسرة ابن السعود»[٥].

---

(١) انظر: محمد شفيق غربال «محمد علي الكبير» (١١٣) (١١٥).

(٢) أمين بن حسن الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٠٠).

(٣) المستر جورج يانج: مؤرّخ إنجليزي كان موجوداً في مصر بعد معاهدة الحماية البريطانية على مصر، وقد كتب كتابه المشهور عن تاريخ مصر زمن الخديوي إسماعيل باشا. انظر: مقدّمة كتابه «تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل» التي وضعها معرب الكتاب علي أحمد شكري.

(٤) يقصد السعوديين.

(٥) المستر جورج يانج «تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل» (١٠٦).

لقد كانت خطَّة الدولة العثمانية التي رسمتها لنفسها عندما تقوم حركة استقلالية أن تلقي عِبء تدميرها على كاهل الولاة في الأقطار المجاورة[1]، من خلال قاعدتها في باشوية دمشق التي تتجهَّز منها التجريدات الكبيرة أو الصغيرة التي تضطرّ السلطنة من وقتٍ لآخر إلى إرسالها للحجاز لضبطِ أحواله، وأيضاً من خلال قاعدتها في باشوية بغداد التي أوكلت إليها الدولة العثمانية مراقبة ما يجري في نجد والتعامل معه بتجريداتٍ عسكرية[2]، **ولكنَّ مخاوف الدولة العثمانية ازدادت لمَّا رأت ولاتها في العراق والشام عجزوا عن القضاء على قوة آل سعود**[3].

وبالرغم من ذاك الفشل في تدمير الدولة السعودية الأولى، فإنَّ الدولة العثمانية ما زالت حريصة على استرجاع هيمنتها على الحرمين الشريفين واسترداد هيبتها في العالم الإسلامي[4]، ولكن من جهةٍ أخرى غير الشام والعراق؛ فقد اتَّجهت أعين العثمانيين جهة مصر التي كانت وقتها معقد الأمل العثماني في تدمير الدولة السعودية الأولى.

وعليه حاول الأتراك العثمانيون مرَّاتٍ عديدة أن يُوجِّهوا من مصر عِدَّة تعزيزات عسكرية إلى الشريف غالب لعلَّه يستطيع إخراج الحكم السعودي من الحجاز، ولمَّا فشلت تلك المحاولات

---

(١) انظر: عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (ص٣).

(٢) انظر: محمد شفيق غربال «محمد علي الكبير» (١١٢ ـ ١١٣).

(٣) تناولنا ذلك في الفصلين السابقين.

(٤) انظر: حسين مؤنس «الشرق الإسلامي في العصر الحديث» (١٩٢).

السابقة[١]، انتقلت الدولة العثمانية في حربها ضد الدولة السعودية الأولى إلى أسلوبٍ اعتاد عليه الترك عبر تاريخهم؛ وهو الاغتيال الغادر لخصومهم؛ كما حدث في ١٢١٨هـ/١٨٠٣م يوم غَدَر الترك بالإمام عبدالعزيز بن محمد وأرسلوا من يغتاله وهو ساجدٌ في صلاة العصر[٢].



(١) فصَّلنا هذه الحوادث في آخر الفصل السادس.

(٢) فصَّلنا تلك الحادثة في الفصل السابع من هذا الكتاب.



ثانياً: الحملات الدعائية العثمانية ضدّ السعوديين

بالرغم من كل تلك المكائد العثمانية وهذه التدبيرات الغادرة؛ فإنَّ العثمانيين أخفقوا في إسقاط الدولة السعودية الأولى، ففكَّر العثمانيون جدياً في سبلٍ جديدة وقوية للخلاص من هذه القوة الفتيَّة الجديدة الواثبة من جزيرة العرب، والتي أصبحت تهدّد سلطان الدولة العثمانية المتداعية القوى، فعملوا أولاً على نشر الدعاية السيّئة ضدّ السعوديين في الممالك الإسلامية والعثمانية، وأخذوا يذيعون عنهم من غير تحرّجٍ ولا رعيٍ للعواقب أنَّهم وهابيون لا يحبون أهل البيت ولا يحفظون للأولياء حقّاً ولا حرمة، كما اجتهدوا في وصف دعوتهم هذه بالمذهب الخامس الوهابي استفزازاً لشعور الجمهور، وجَدّوا في هذه الدعاية كلّ الجَدِّ واستعملوا في ترويجها من يُوسَمون بالعلم والتقوى من الشيوخ الرسميين، فاختلقوا على السعوديين ما شاؤوا، ونبزوا دعوتهم بما أرادوا، وكانت وسيلتهم في ذلك التشويه أن نشروا الكتابات الكاذبة عنهم، واستغلوا المنابر للقدح فيهم ورميهم بكبيرات الأمور، فنجحوا في هذا نجاحاً بقي أثره عالقاً بالنفوس إلى يوم الناس هذا[(١)].

---

(١) انظر: عبدالله القصيمي «الثورة الوهابية» (٤١). وعباس العزّاوي «ذكرى أبي الثناء الألوسي» (٣٧).

لقد كان من دواعي ذلك: أنَّ الدولة السعودية الأولى واتباعها صاروا همَّاً مؤرِّقاً للعثمانيين، فهامَ رجالات الحكومة العثمانية وأتباعهم ومن يوالونهم من أدعياء العلم غِضاباً يحرّضون رعاياهم على محاربة السعوديين بكلِّ لسانٍ قادرٍ على الإثارة وعلى التبشيع.

وكلَّما ازدادت الدولة السعودية تمدّداً واتِّساعاً؛ كلَّما ازداد خوف الدولة العثمانية، وازداد تحريضها على بغض السعوديين والحِقدِ عليهم.

ومع البغضاء المكتومة والتحريض، زاد التصميم على إسقاط دولة السعوديين.

وكانت أساليب العثمانيين الدعائية قائمةٌ على الأمور الآتي بيانها:

- نبزهم للسعوديين بأنهم أصحاب مذهب خامس وخوارج وهابية:

كان الترك العثمانيون يعتقدون أنَّ دعوة أهل نجد مذهباً جديداً أو مِلَّةً جديدةً؛ ذلك أنَّ الترك رأوا فيها مغايرةً عن جادَّتِهم الصوفية البدعية الخرافية.

لذلك تجد أحد الدبلوماسيين الفرنسيين في بغداد ينقل لك ما يشيعه الترك في باشويتهم العثمانية في العراق من الدعايات السيِّئة ضدَّ السعوديين السلفيين وكيف أنه وصفهم - متأثراً بتلك الشائعات - بالوهابية وأنهم أصحاب مِلَّةٍ جديدة[1].

---

(١) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٢٤).

ومثله الطبيب الفرنسي والجرَّاح الخاص بمحمد علي باشا[١]، وهو كلوت بيك (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)[٢] الذي ردَّدَ ما يسمعه من شائعات راجت في مصر، فقال: «هؤلاء الوهابيون خوارج مبتدعون في الإسلام، وكانت المدينة ومكة قد سقطتا في قبضتهم فنهبوا ما فيها، وكانت القوافل التي تذهب بالحجَّاج لأداء مناسك الحج تخشى

---

(١) محمد علي باشا: ابن إبراهيم آغا بن علي، مؤسِّس آخر دولة ملكية بمصر. ألباني الأصل، مستعرب، وُلِدَ في (قولة) التابعة اليوم لليونان. احترف تجارة الدخان فأثرى، وكان أُميّاً تعلَّم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره، قَدِمَ مصر قائداً لقوةٍ من المتطوِّعة نجدةً لردِّ غزاة الفرنسيين عن مصر، وتتابعت الحوادث حتى تولَّى مصر سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، فقام بالغدر بالمماليك في حادثة مذبحة القلعة الشهيرة، وأرسل حملةً ـ أمرته بتجهيزها الدولة العثمانية ـ لإسقاط الدولة السعودية الأولى، ثمَّ توسَّع ضدَّ الدولة العثمانية في الشام حتى وصل حدود (إسطنبول)، ثم توسَّع في السودان، حتى أصبحت مصر خالصٌ حكمها بالوراثة له ولأولاده وأحفاده، أقام في مصر نهضة لا يجحدها منصف. توفي سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م. انظر ترجمته وتواريخ حوادثه عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» في صفحات طويلة جدا من المجلدة الثالثة والرابعة. وخليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا». ومحمد فريد بِك «البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية». وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي باشا».

(٢) كلوت بِك: هو الدكتور أنطوان برتولمي كلوت، كان من جملة أطباء فرنسيين استقدمهم محمد علي باشا بقصد تطبيب الجيش سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م. وكان محمد علي باشا يركن إليه ويثق برأيه ويُجيب مطالبه. وهو الذي أدخل تطعيم الجدري للأطفال والغلمان بمصر ولم يكن متداولاً قبله. غادر مصر في عهد عباس باشا الأول لوحشةٍ وقعت بينهما. انظر ترجمته عند: جورجي زيدان «تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر» (٢/٧ ـ ١٤). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الثاني (الورقة: ١٥٠ ـ ١٥٢).

من أن يسوقها الوهابيون بعصا التنكيل»[١].

ومثله أيضاً يردّد الميرلاي إسماعيل سرهنك (ت: ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)[٢] ما شاع في مصر العثمانية من أكاذيب حول دولة آل سعود ودعوتهم السلفية، فيقول: «استفحل أمر العرب الوهابية بالأقطار الحجازية، واستولوا على الحرمين الشريفين وقطعوا الطريق على الحجّاج والقوافل، وكانت دعوتهم مناقضة للسنَّة الإسلامية وبدعة مخالفة للآثار المحمَّديَّة»[٣].

وهذا كذب وبهتان؛ فإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب **«قد عُرِفَ واشتُهِرَ واستفاض من تقاريره ومراسلاته ومصنَّفاته المسموعة المقروءة عليه وما ثَبَتَ بخطِّهِ واشتُهِرَ من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء من أصحابه وتلامذته؛ أنَّه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمَّة الدين أهلُ الفقهِ والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله»**[٤].

---

(١) أ. ب. كلوت بِكْ «لمحة عامَّة إلى مصر» (٦١ ـ ٦٢). وقد فنَّدنا تلك الأكذوبة في الفصل السادس.

(٢) الميرلاي إسماعيل باشا بن سرهنك بن عبدالله الكريدي (نسبةً إلى جزيرة كريت): مؤرّخ من القادة البحريين، أصله من جزيرة (كريت)، جاءت أسرته إلى مصر في عشرينيات القرن التاسع عشر الميلادي عندما أحضر إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والد إسماعيل سرهنك إلى مصر طفلاً من جزيرة (كريت) أثناء حرب المورة، فمولد إسماعيل بمصر سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م ووفاته فيها أيضاً. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١/٣١٤).

(٣) إسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار عن دول البحار» المجلَّد الأول من الجزء الثاني (ص٤١٥) بتصرّفٍ يسير.

(٤) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنية» (١/٥١٦).

أما أَتْبَاع الدعوة؛ «فعقيدة القوم تحكيم الكتاب والسنَّة والأخذ بأقوال سلف الأمة وأئمتها؛ كالأئمة الأربعة وأمثالهم في باب وجوب إخلاص العبادة لله ومحبَّتِهِ والإنابة إليه وتعظيمه وطاعته، وفي باب معرفته بصفات كماله ونعوت جلاله، فهم على طريقة السلف، وينكرون التعبُّد بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله من كلِّ فعلٍ أو قولٍ تركه رسول الله ﷺ وتركه أصحابه مع قيام المقتضى الموجب له لو كان شرعاً.

وينهون عن وسائل الشرك وذرائعه؛ كبناء المساجد على القبور والصلاة عندها وإيقاد السُّرُج عندها والعكوف لديها واتخاذ السَّدَنة لها واتخاذها أعياداً تُزار وتُقصَد في يوم معلوم ووقتٍ مرسوم، فإنَّ هذا فيه من روائح الشرك ووسائله ما لا يَخفى»[١].

فدعوتهم السلفية ليست ملَّة جديدة ولا دين جديد أو مذهب خامس، بل هي دعوة الأنبياء إلى توحيد الله ونبذ الشرك وسائر البدع، باتباع ما أمر الله به في كتابه الكريم والاستنان بهدي نبيه ﷺ[٢].

فهم «حنابلة سنيُّون بأتمِّ معنى الكلمة، وحَسبُكَ أنَّه ليس لهم كتبٌ مذهبية للمذهب الوهَّابي مثلاً، بل كتبهم كتب الحنابلة نفسها»[٣].

---

(١) من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٥٠٢ - ٥٠٣) باختصار وتصرف يسير.

(٢) انظر: تعليقات ابن عقيل الظاهري على كتاب «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» لجان ريمون (ص٢٤) في الهامش.

(٣) محمد السعيد الزاهري «الوهابيون سنيُّون حنابلة» مقال له بمجلة «الصراط السويّ» لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بتاريخ ٢٦ جمادى الثانية ١٣٥٢هـ/١٦ أكتوبر ١٩٣٣م، العدد ٥، (ص: ٤).

لذلك قال محمود شكري الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)(١):
«وأهل نجد لم يبتدعوا مذهباً من تلقاء أنفسهم، بل الغالب منهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، والقليل على مذهب أبي حنيفة والشافعي ومالك ـ رحمهم الله ـ في الفروع والأصول، وما نُسِبَ إليهم من الترُّهات هو من تقوّلات أعدائهم أعداء الله ورسولهﷺ»(٢).

وقال السيِّد محمد رشيد رضا: «إنَّ هؤلاء النجديين المنبوزين بلقب الوهابية؛ سنيُّون مستمسكون بمذهب السلف في العقائد وبمذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع، وأنَّهم أشدّ شعوب المسلمين في هذا العصر اتِّباعاً، وأبعدهم عن الابتداع وارتكاب المعاصي»(٣).

ثمَّ إنَّ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب لم يبتدع أو يؤسس مذهباً جديداً، إنَّما مؤسسه هو خاتم النبيين محمد ﷺ(٤)، لذلك بيَّن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى حال من انتصبوا لعداوته ودعوته ورموه بأنَّه يدعو إلى مذهب خامس، فقال: «إنَّا لمَّا أنكرنا عبادة غير الله، بالَغْتُم في عداوة هذا الأمر وإنكاره وزعمتم أنَّه مذهب خامس وأنَّه باطل»(٥).

---

(١) محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، أبو المعالي. من أهل بغداد. مؤرِّخٌ عالمٌ بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٧/١٧٢ ـ ١٧٣).

(٢) محمود شكري الألوسي «فتح المنَّان» (٢٤١ ـ ٢٤٢).

(٣) محمد رشيد رضا «الوهابيون والحجاز» (٧ ـ ٨).

(٤) انظر: محمد السعيد الزاهري، المقال السابق (ص: ٥).

(٥) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب. تجدها عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٩٠).

والحق «**أنَّ الذي قام به شيخ الإسلام [محمد بن عبدالوهاب] لا يقال له مذهب، وإنَّما يقال له دينٌ ومِلَّة**؛ فإنَّ التوحيد هو دين الله ومِلَّة خليله إبراهيم ودين جميع الأنبياء والمرسلين، وهو الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة سلفاً وخَلَفاً»[(١)].

من هنا بيَّنَ الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود عقيدتهم التي يدينون بها ودعوتهم التي يدعون إليها، ردّاً على من يثير ذلك اللغط وتلك المغالطة حول الدولة والدعوة، فقال رحمه الله: «إنَّنا متَّبِعون لا مبتدعون، ونعبد الله وحده لا شريك له ونتبِّع رسوله ﷺ فيما أمر به وينهى عنه، ونُقيم الفرائض ونُجبِرُ مَنْ تحتَ يَدِنا على العمل بها، وننهى عن الشرك بالله وننهى عن البدع والمُحرَّمات، ونُقيم الحدود، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونأمر بالعدل والوفاء بالعهود والمكاييل والموازين وبرِّ الوالدين وصِلَة الأرحام، هذا صفة ما نحن عليه وما ندعوا الناس إليه»[(٢)].

وعليه؛ نفهم لماذا استغرب السيد محمد رشيد رضا حين قال: **«إنّي لا أعلم على وجه الأرض مذهباً يُسمَّى وهابيّاً، وإنَّ هؤلاء الذين تنبزونهم بالوهابيين هُم حنابلة، إنَّما الدولة العثمانية لمَّا رأت النهضة التي قام بها الداعي إلى السُنَّة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونَصَرَهُ آل سعود، خَشِيَت أن يَعظُم أمر العرب، فَدَعَت علماء السوء للطعن في الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصاره آل سعود لإحباط مساعيهم،**

---

(١) من جواب للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن على أسئلة من الساحل الشرقي، ضمن «الدرر السنية» (١/٤٤٠).

(٢) من رسالة الإمام سعود إلى أهل نجران، ضمن «الدرر السنية» (١/٢٨٥ - ٢٨٦).

فكتبوا وألَّفوا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ والعياذ بالله»[١].

ثمَّ اشتد العلماء الموالون للدولة العثمانية في تكرار نشر الشائعات بأنَّ أهل نجد خوارج يكفّرون المسلمين؛ ومن أولئك العلماء: **محمد بن فيروز** (ت: ١٢١٦هـ/١٨٠١م) الذي كان صريحاً في معاداة آل سعود الذين نصروا دعوة الشيخ، إذ كان ابن فيروز يحارب أتباع دعوتهم السلفية بما يخطّه من الرسائل والقصائد والأجوبة، **وقد بلغ من كيده أنَّهُ كاتب السلطان العثماني يَستَنجِده ويُحَرِّضه على قتالِ أهل نجد أتباع الدولة السعودية، الذين وصفهم ابن فيروز بالبغاة الخوارج**[٢].

كما بلغ من كيد ابن فيروز وعداوته لآل سعود أنْ سَفَّ إلى درجةٍ أوصلته لتقريض رسالة تلميذه عبدالله بن داوود الزبيري (ت: ١٢٢٥هـ/١٨١٠م) التي سمَّاها «**الصواعق والرعود في الردّ على ابن سعود**»[٣]. وابن داوود هذا من أشدّ الجادّين في مجابهة الدعوة السلفية التي ناصرها آل سعود[٤].

أمَّا رجالات الحكومة العثمانية فكانوا على قدر كبير من الوضوح في نبز السعوديين بأنَّهم خوارج؛ ودلالة ذلك: الرسالة التي

---

(١) نقله عنه: عبدالحميد بن باديس في مقال بعنوان «وهابي» في مجلة «الصراط السويّ»، ٤ رجب ١٣٥٢هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٩٣٣م، العدد ٥، (ص٤ ـ ٥).

(٢) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٣/٩٧٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٥٣).

(٣) انظر: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٤٤).

(٤) انظر: عبدالله بن عبدالرحمن البسام «علماء نجد» (٤/١١٤).

أرسلها والي الشام يوسف باشا كنج إلى والي مصر محمد علي باشا بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/١٦ أبريل ١٨٠٨م يَحُثّهُ فيها على إجابة أمر السلطان التركي العثماني لقتال السعوديين، حيث جاء فيها: إنَّ السلطان «**أَمَرَكُم أنْ تستلّوا حسامكم البتَّار وتقاتلوا طائفة الوهابيين الذين قد انحرفوا منذ وقتٍ ليس بقصير، فَحُسُّوا رؤوس هؤلاء الطغاة حتى تزول فتنتهم من أرض الحرمين الشريفين وتتطهَّر الأرض من فسادهم ودنسهم**[(١)]**، وابذلوا جهدكم في مقاتلة أولئك الوهابيين الخوارج ليتطهر الحرمين من شرّهم وفسادهم**»[(٢)].

ووصف هذا التركي إمامَ الدولة السعودية بألفاظٍ سيِّئةٍ ونبزه بألقاب لا تليق[(٣)]، ثمَّ وصفه بأنَّه «**رئيس الخوارج السعود**»[(٤)]، ومن بعد ذلك رماه بالكفر فقال: «**الكافر الخارجي المذهب**»[(٥)]!.

---

(١) هكذا كان رجالات الدولة العثمانية يلوكون مثل تلك الألفاظ ويستخدمون هذه الهمزات واللمزات حين يتكلمون عن السعوديين.

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ١٦ أبريل ١٨٠٨م (١/٥٧ ـ ٥٩).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ١٦ أبريل ١٨٠٨م (١/٥٧ ـ ٥٩). ومحفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٧٧)، بتاريخ ٥ ذي القعدة ١٢٢٦هـ/ ٢١ نوفمبر ١٨١١م (١/٣٣٨). ودفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٦)، بتاريخ غرَّة ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ١٦ مايو ١٨٠٩م (١/٩٧).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية سنيَّة، وحدة الحفظ (١٦)، بتاريخ ربيع الثاني ١٢٢٨هـ/ ٣ أبريل ـ ١ مايو ١٨١٣م (٢/٤٦).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٨٤).

كما كانت السلطات العثمانية في تركيا تسمّي السعوديين: «**أشقياء الطائفة الوهابية الخوارجية المكروهة**»، وكانت تصفهم بذوي الأجسام الخبيثة، وتدعو باشاتها في الشام ومصر وبغداد أن يدمّروا السعوديين ويقهروهم، وتقول لهم: إنَّه ينبغي عليكم «قمع وقطع عروق المفسدين»[١].

وتناشد الدولة العثمانية عساكرها التركية أن تعمل على «تطهير الأرض المباركة من تلويث أجسام الخوارج»[٢] و «طرد الخوارج الذين احتلوا الحرمين المحترمين فدنَّسوها بلوثهم»[٣]. هكذا!.

ثم طلبت إسطنبول من باشاتها أن «ينتزعوا البلاد المقدَّسَة مِن أياديهم المنحوسة»[٤]، داعيةً إلى «تطهير الأراضي المباركة من تلويث أجسام الخوارج»[٥]، هكذا، قاصدةً بذلك السعوديين.

كما كان رجالات الحكومة العثمانية يصفون السعوديين بوصف

---

(١) نفس وثيقة يوسف باشا السابقة (مكررة) بألفاظ أخرى (١/٦٧).

(٢) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٣)، بتاريخ ١ صفر ١٢٢٥هـ/ ١٧ مارس ١٨١٠م. ضمن (١/١٤٦) (١/٢٩٦).

(٣) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٦)، بتاريخ ١٣ صفر ١٢٢٥هـ/ ٢١ مارس ١٨١٠م (١/١٦٥).

(٤) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (١٥)، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ/ ٨ فبراير ١٨٠٩م (١/٨٩).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٣)، بتاريخ ١ صفر ١٢٢٥هـ/ ١٧ مارس ١٨١٠م (١/١٤٦).

«الخوارج الخونة» و«المناحيس»[١] و«شرذمة الخوارج المنحوسين»[٢] و«الخوارج المنطوين على الخبث»[٣] و«الروافض»[٤] و«الحشرات الوهابية»[٥] و«الحشرات الملعونة»[٦].

على تلك الهيئة كانت الدولة العثمانية ومن يواليها يلوكون تلك الألفاظ الساقطة ضدّ السعوديين، **وعلى هذه الصورة يستبين لك أنَّ الترك العثمانيين كانوا بلا مواربة يرون السعوديين خوارج؛ ودليل ذلك أنَّ السلطات العثمانية كانت تتراسل مع محمد علي باشا وتخبره بأنَّ نيَّتها تتَّجِه إلى «إبادة الخوارج[٧] المحرومين من الإيمان»**، هكذا. وتسمّيهم بالخوارج اللامذهبية[٨]، و«أصحاب

---

(١) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (١٥)، بتاريخ ٢٢ ذي الحجَّة ١٢٢٣هـ/ ٨ فبراير ١٨٠٩م (١/٨٩).

(٢) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢١)، بتاريخ ١٩ ذي الحجَّة ١٢٢٤هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٠م (١/١٢٣).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (١٠)، بتاريخ ٧ صفر ١٢٢٨هـ/ ٩ فبراير ١٨١٣م (٢/٣٧).

(٤) دار الوثائق القومية، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (٢٨)، بتاريخ ١١ ربيع أوَّل ١٢٢٥هـ/ ١٦ أبريل ١٨١٠م (١/١٧٩).

(٥) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٧٣)، بتاريخ غرَّة رمضان ١٢٢٦هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨١١م (١/٣٢١).

(٦) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٢٨ جمادى الثاني ١٢٢٥هـ/ ٣١ يونيو ١٨١٠م (١/٢٠٠).

(٧) تقصد السعوديين.

(٨) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (٩٧)، بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٢٢٨هـ/ ١٨ مارس ١٨١٣م (٢/٤٣).

الآراء الملعونة»[١].

أقول: **أمَّا أَنْ يكون السعوديون خوارجاً وبغاةً، فهذا من الجناية والكذب والبهتان**، فهذا إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبدالوهاب يقول: **«ونبرأ إلى الله مِمَّا أتت به الخوارج وقالته في أهل الذنوب من المسلمين»**[٢]. وقال رحمه الله أيضاً: **«ولا نحكم على أحدٍ من أهل القبلة الذين باينوا لعبَّاد الأوثان والأصنام والقبور بمجرّد ذنبٍ ارتكبوه وعظيم جرمٍ اجترحوه»**[٣].

وهذا الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ يقول عن أهل الدعوة: **«ولم يكفِّروا أحداً من أهل القبلة بذنبٍ يرتكبه، كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر»**[٤]، **«ويرون الصلاة على كلِّ من مات من أهل القبلة: مؤمنهم وفاجرهم»**[٥].

وكان الإمام سعود عبدالعزيز قد أرسل إلى الوالي العثماني في العراق سليمان باشا ردّاً على تلك الفرية التي شاعت عن السعوديين في العراق، فقال سعود: **«ونحن بحمد الله بريؤون من هذين المذهبين: مذهب الخوارج والمعتزلة، ونحن بحمد الله لا نكفِّر أحداً**

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٩)، بتاريخ غرَّة صفر ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (٢/٢٨).

(٢) قولٌ للشيخ محمد بن عبدالوهاب، نقله عنه الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٥٢٢).

(٣) المصدر السابق (١/٥٢٢).

(٤) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٥٣٢).

(٥) المصدر السابق (١/٥٣٥).

من أهل القبلة بذنب، وإنَّما نُكفِّر لهم بما نصَّ الله ورسوله ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة المحمدية الذين هم لسان صدق في الأمة أنَّه كفر؛ كالشرك في عبادة غير الله من دعاءٍ ونذرٍ وذبحٍ وكبغض الدين وأهله والاستهزاء به، أمَّا الذنوب كالزنا والسرقة وقتل النفس وشرب الخمر والظلم ونحو ذلك فلا نكفِّر من فعله إذا كان مؤمناً بالله ورسوله، إلَّا إنْ فعله مستحلّاً له»[(١)].

لذلك قال الإمام محمد بن علي الشوكاني: «وبعض الناس يزعم أنَّه[(٢)] يعتقد اعتقاد الخوارج، وما أظنّ ذلك صحيحاً»[(٣)].

أمَّا نبز الترك العثمانيين لأهل الدولة السعودية الأولى بنبز «الوهابية»؛ فهذا النبز أُطلِقَ على دعوة السلف الصالح في جزيرة العرب بغير تسميتهم ولا رغبتهم؛ إنَّما ظهر هذا النبز من أجل التضليل وأنَّ دعوتهم بدعة[(٤)].

فهذا المؤرّخ أمين الحلواني بالرغم من أنَّه لا يميل ناحية الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية، بل إنَّه ظاهر الميل لدولة الأتراك العثمانية، إلَّا أنَّه قال: «ويُسمَّون بالوهابيين؛ نسبةً إلى محمد بن عبدالوهاب النجدي، وإلَّا ففي الحقيقة فأفعالهم وآثارهم هي أفعال

---

(١) من رسالة الإمام سعود إلى الوالي العثماني في العراق، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٠٧/١ - ٣٠٨) بتصرّف يسير.

(٢) يقصد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

(٣) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٧/١).

(٤) انظر: تعليقات الشيخ ابن عقيل الظاهري على كتاب «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» لجان ريمون (ص٢٤).

الحنابلة الأقدمين، وهي أفعال أهل الحديث في القرون الوسطى»[(١)].

ومن يتأنَّى في قراءة تاريخ هذه الحوادث في تلك الفترات سيظهر له يقيناً أنَّ «**اسم الوهابية أو الوهابيين أطلقه خصومهم ومن ساهم في الدفاع عن بقاء البدع في المجتمع الإسلامي، أمَّا أهل نجد الذين تَبِعوا الشيخ محمد بن عبدالوهاب فحنابلةٌ في عباداتهم وفِقهِهِم، وعلى مذهب السلف في عقائدهم وإيمانهم»**[(٢)].

ومن خلال التأنّي الذي نوّهتُ عليكَ به؛ سَتَعلَم أنَّ «**الأتراك العثمانيين هم الذين أثاروا هذا النكير وهم الذين نشروا هذه الدعاية الكاذبة ضدّ ابن سعود الذي كان افتكَّ منهم الحرمين الشريفين. نعم؛ الأتراك هم الذين سمّوا حنابلة نجد باسم الوهابية، وهم الذين نشروا عنهم التُّهَم والأكاذيب في العالم الإسلامي واستأجروا الفقهاء في جميع الأقطار ليؤلِّفوا ويكتبوا ويكذبوا على حنابلة نجد»**[(٣)].

«وكان أشهر هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد زيني دحلان المتوفَّي سنة ١٣٠٤هـ [١٨٨٦م] ألَّفَ رسالةً في ذلك تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين: قطب الكذب والافتراء على الشيخ، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيبٌ فيه»[(٤)].

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٥١).

(٢) من تعليقات محبّ الدين الخطيب على كتاب «مختصر مطالع السعود» (١٥١) لأمين الحلواني.

(٣) محمد السعيد الزاهري «الوهابيون سنيُّون حنابلة» مقال سبق ذكره (ص٤ ـ ٥).

(٤) من مقدِّمة محمد رشيد رضا لكتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (١٢) لمحمد بشير السهسواني.

ودحلان هذا إلى جانب حقده العقدي؛ هو رجلٌ موتور، فإنَّه يزعُم أنَّ السعوديين السلفيين قتلوا جدَّه[١]؛ لذلك تراه لا يصف عقيدة السعوديين ودينهم إلا بوصف «الطين»، وأنَّ ابن سعود «أدخل القبائل في طينه»، ويصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه أتى «بالعقيدة الزائغة»[٢].

من هنا نفهم لماذا تملَّك العجب السيد محمد رشيد رضا حين قال: «**كُنَّا نسمع في صِغَرِنا أخبار الوهابية المستمَّدَة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله، فنصدِّقها بالتَّبَع لمشايخنا وآبائنا ونُصَدِّق أنَّ الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم وخَضَدَت شوكتهم، وَأَنَا لم أَعلَم بحقيقة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة إلى مصر والاطلاع على تاريخ الجبرتي**[٣] وتاريخ الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى[٤]، فعلمتُ منها أنَّهم هم[٥] الذين كانوا على هداية الإسلام دون مقاتليهم[٦]، وأنَّ الدولة العثمانية ما حاربتهم إلا خوفاً من تجديد مُلْكِ العرب وإعادة الخلافة الإسلامية سيرتها الأولى»[٧].

---

(١) انظر: عبدالقادر بن بدران «النفخة على النفحة والمنحة» (٧٧).

(٢) كما سبق بيانه في الفصل السادس. وانظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٩٩) (٣٥٥ ـ ٣٥٦) (٣٦٣).

(٣) اسمه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» في أربعة مجلَّدات.

(٤) هو كتاب للشيخ المؤرِّخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلَّاوي المغربي.

(٥) يقصد السعوديين السلفيين.

(٦) يقصد الأتراك العثمانيين.

(٧) من مقدِّمة محمد رشيد رضا لكتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (١٢ ـ ١٣) لمحمد بشير السهسواني.

- ادِّعاء العثمانيين بأنَّ السعوديين منعوا المسلمين من الحجّ:

كان المناوئون للدولة السعودية في بقاعٍ كثيرة - بل في أقطارٍ بأكملها - قد امتنعوا عن القدوم للحجِّ[١] متخذين ذريعة منعهم من قِبل السعوديين، فكان لتلك الفَرية أصداء واسعة في أرجاء العالم الإسلامي؛ فقد روَّج المؤرِّخ المصري الميرلاي إسماعيل سرهنك ما كان يشيعه أعداء الدولة السعودية وقتها، فقال «**استفحل أمر العرب الوهابية بالأقطار الحجازية، واستولوا على الحرمين الشريفين وقطعوا الطريق على الحجَّاج والقوافل**»[٢].

حتى أنَّ المؤرِّخ العراقي إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري (ت: ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)[٣]، على ما فيه من الإنصاف الكثير تجاه السعوديين، إلَّا إنَّه صدَّقَ تلك الأكاذيب التي أطلقها العثمانيون الأتراك ضدهم، فانساق معهم في اتهام السعوديين بأنَّهم خوارج يكفِّرون المسلمين ويمنعونهم من الحجّ[٤].

والحق أنَّ أصحاب تلك الشائعات كاذبون مفترون، فإنَّ السعوديين لم يمنعوا من ابتغى الحجّ على وجهه الشرعي، **وهو الواقع**

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement), vol,2. P,733.

(٢) إسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار عن دول البحار» المجلَّد الأول من الجزء الثاني (ص٤١٥).

(٣) مؤرِّخ من أهل العراق، له ترجمة عند: السيّد سعيد الراوي «تاريخ الأسر العلمية في بغداد» (١٢٢ - ١٢٥).

(٤) انظر: إبراهيم فصيح الحيدري «عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد» (٢١٧).

الذي شهد به الحجاج المغاربة حين أدلوا بشهادتهم للمؤرِّخ الجبرتي في سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م على أنَّ ما يُرَوَّجُ ضدَّ السعوديين إنَّما هو من قبيل الافتراء الظالم، بل أخبر أولئك المغاربة بأنَّهم حجّوا وقضوا مناسكهم على خير وجه، وأنَّ الناس حجُّوا تلك السنة بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار[١].

وفي رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى السلطان العثماني في **١٠** محرم **١٢١٨**هـ/**٣** مايو **١٨٠٣**م تبيانٌ ينقض فرية منع السعوديين للحجاج من أداء فريضة الحجّ، **وإنَّما المنع جارٍ على ما يصاحب محامل الحجّ التركية من طبول ومزامير**[٢].

وهو عين الأمر الذي شهد به الجبرتي بما ينقض هذا الافتراء على السعوديين من أنَّهم منعوا المسلمين من الحجّ، **فقد أخبرنا الجبرتي** أنَّه في آخر محرم ١٢٢٢هـ/أبريل **١٨٠٩**م **مَنَعَ ابن سعود ما يصحب محامل الحجّ من الطبل والزمر والأسلحة وكل ما كان مخالفاً للشرع، وأنَّ المصاحبين للمحمل رجعوا من غير حجّ ولم يتركوا مناكيرهم**[٣].

وأحد مؤرّخي العراق حزينٌ من منع ابن سعود الطبول والمزامير في موسم الحج، فقال هذا المؤرّخ: أنَّ «الوهابيّ تعاقد مع الحاج عبدالله باشا [العظم] على ألّا يُشْرَب التتن ولا النرجيلة وأن لا يكون

---

(١) انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٨٤/٤).

(٢) انظر نصّ الرسالة عند: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٨ ـ ٣٩).

(٣) انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٨٣/٤).

معهم محمل ولا طبول ولا زُرنا[١]، وأمثال ذلك من خرافتهم»[٢]. **هكذا يرى ذلك المؤرخ الموالي للترك العثمانيين أنَّ هذا المنع المحافظ على قدسية الحجّ؛ خرافة!.**

الشاهد؛ **أنَّك ستجد في الوثائق التركية ما يؤكّد أنَّ آل سعود لم يمنعوا الحجاج من الحجّ، إنما محامل الحجّ هي التي امتنعت من تلقاء نفسها**، فقد ذكرت تلك الوثائق: «أنَّه حينما وصل حجاج الشام إلى المحلّ المعهود [محلة هدية] لم يستجرئوا على أنْ يتقدّموا بخطوة، وعملوا بمضمون: العودُ أحمد»[٣]. فتلك الوثيقة تؤكّد ما نوّهنا عليه هنا.

بل إنَّ **المؤرّخ المصري الجبرتي** جاء بنقضٍ لتلك الفرية في موضعٍ آخر من تاريخه حين تطرَّق لحوادث سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م[٤]. ومثلهٌ نقضها شاهد عيان وهو **المستشرق بوركهارت** الذي **أكّد بأنَّه التقى برجل من أهل حلب حجَّ طيلة وقت حكم آل سعود لمكّة آنذاك بدون أيّة مضايقات**[٥].

والحقُّ أنَّ الحجاج آنذاك يحجّون في ظلّ حكم آل سعود بيسرٍ

---

(١) زُرْنا: كلمة تركية الأصل، تكتب «زُورْنا»، وتعني: مزمار. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٢٨٣).

(٢) ياسين خير الله العُمري «غرائب الأثر» (١٠٧).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ برقم (٣)، بتاريخ ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م (من دون تحديد يوم أو شهر)، (٣٨/١).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٤١/٤).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٩).

وأمنٍ وأمان[١]، يؤكِّد ذلك المؤرّخ حسن بن جمال الريكي، وهو مؤرّخ غير موالٍ لآل سعود، بل إنَّه في بعض الأحايين يناوئهم، ومع ذلك شهد لهم بالحقِّ فقال: «كانت البداة[٢] الأقوياء يأخذون على الحواج[٣] مالاً كبيرا، وكانت هذه الحالة في أرض بني خالد إلى بابي مكة والمدينة، **فلمَّا استقرَّ الحكم لآل سعود منعوا جميع العرب[٤] التي تحت سلطتهم من أعراب نجد وغيرهم كعرب الحجاز عن التعرّض للحاج، وقالوا لكبار هؤلاء الطوائف تأليفاً لقلوبهم: هذا نحن نجري لكم من بيت المال بعض الذخائر، فلا تقربوا الحجاج بشيء، وأخذوا عليهم عهداً.**

فعلى هذا كان الحاجّ المُعَاهَد يمرُّ بجميع جزيرة العرب فلا يعترضه أحد. وكان لهم حكمٌ قاهرٌ لم يجرؤ أحدٌ من البدو أو الحضر أن يسرق شيئاً ولو عقال بعير.

وقد أجروا هذه السياسة على جميع من في مملكتهم؛ بحيث تحمل الأنثى حُليِّها وتمضي وحدها مسافة مرحلة أو أكثر أينما شاءت ليلاً أو نهاراً، ولم يتعرّضها أحدٌ قطّ»[٥].

---

(١) ومن فضل الله لا يزال الحجَّاج إلى يوم الناس هذا يحجُّون بأمنٍ وأمانٍ ومزيد ارتياح إلى بيت الله الحرام في ظلّ حكم أسرة آل سعود، إذ لم يُخدم الحرمان الشريفان بمثل ما خُدِمَ في عهد دولتهم المباركة.

(٢) البدو.

(٣) الحجاج.

(٤) يقصد البدو.

(٥) حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٠٤ ـ ١٠٥) باختصار وتصرف يسير.

وذات الأمر أَكَّدَه أمين الحلواني؛ وهو مؤرِّخٌ غير موالٍ لآل سعود، حيث قال: «ومن محاسن الوهابيين؛ أنَّهم أمَّنوا البلاد التي مَلكوها، وصار كل ما تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده على حمارٍ بلاخَفَرٍ، خصوصاً بين الحرمين الشريفين، فَعُدِمَ الشرُّ في زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحّش إلى الإنسانية»[١].

وتجد ذات التأكيد عند المؤرّخ النجدي عثمان بن بشر (ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) حين قال عن آل سعود: «استبشرت بهم الحرمان الشريفان لمَّا أزالوا عنها الطغيان والبناء على القبور والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونادوا في فجاجها: إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان، وسارت الظعينة إليها من العراق والشام واليمن والبحرين والبصرة وما حولهم وما دونهم لا تخشى أحداً إلا الله الواحد المنَّان. وبَطَلَ في زمانهم جوايز الأعراب على الدروب، فلا يتجاسر أحد من سرَّاقهم وفَسَقَتِهِم فضلاً عن رؤسائهم أن يأخذ عِقالاً فما فوقه من الأثمان، فسمّوها الأعراب سنين الكمام؛ لأنَّهم كُمَّ عليهم عن جميع المظالم الصغار والجسام، فلا يلقى بعضهم بعضاً في المفازات المخوفات إلَّا بالسلام عليكم. والرجل يأكل مع قاتل أبيه وأخيه كالإخوان، وزالت سُنن الجاهلية وزال البغي والعدوان»[٢].

فيتضّح لَنا مِمَّا سَبَق؛ أنَّ أهل الدولة السعودية الأولى ممثلة بإمامها الإمام سعود الكبير لم يمنعوا أحداً من الحج كما يزعم أعداؤهم، بل إنَّ آل سعود أمَّنوا الحاج في جميع أراضيهم حتى يؤدي

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٤٧ ـ ١٤٨) باختصار.

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧ ـ ٢٨).

نسكه ويقضي تفثه ويخرج من أراضيهم بأمنٍ وأمان، إنّما الذي منعه الإمام سعود هو ما يأتي مع المحمل من مناكير ومفاسد لا تتفق وشرعية الحج وقدسية المكان(١)؛ وعليه فإنَّه بإمكان أيّ مسلم أن يحجّ مادام تاركاً لتلك المناكير والمفاسد.

وبالرغم من كلّ تلك الحقائق؛ فإنَّ أعداء الدولة السعودية الأولى من أهل البدع والمُحْدَثات في الدولة العثمانية لم يكتفوا بمقاطعة الحج وادِّعائهم بأنَّ أهل الدعوة السلفية قد منعوهم من ذلك، بل لجؤوا إلى وسائل كانت أنكى في النيل والتشهير بالسعوديين؛ **ومن ذلك قطع جميع المساعدات والهبات والصدقات عن مكة والمدينة**(٢)، ويأتي في مقدمة ذلك: الأموال المخصصة للحرمين من قِبَلِ الدولة العثمانية؛ والتي كانت تَجعل للحرمين مخصصات مالية وأخرى عينية من الغلال، وتبعث بها سنوياً إليه، فتوزَّع على أهلها خصوصاً العلماء وطلبة العلم والفقراء والمجاورين وكثير من الأهالي(٣).

فتسببت تلك المقاطعة الشديدة والحصار الاقتصادي في هياج الرأي العام عند المسلمين وتحويله ضد أهل الدولة السعودية الأولى،

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,741.

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برًا، رقم وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ١٦ أبريل ١٨٠٨م، (٦١/١). وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٤).

(٣) انظر: محمد علي بيومي «مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبّان العصر العثماني» (١١١ ـ ١١٩) (٣٥٢ ـ ٣٧٥)، رسالة ماجستير (غير منشورة) من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٩م. وعلي بخيت الزهراني «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» (٢١٢/١).

وعن ذلك قال بوركهارت: «بعد أن خضعت مكة والمدينة للوهابيين، كان أبرز إجراء عثماني طبيعي يمكن أن يُتَّخذ: قطع كافة الإمدادات لتلك البلاد؛ وذلك بإغلاق ميناء القصير والسويس[١] أمام شحن أي شيء إليها»[٢].

ونتيجة لذلك ضجّ كثير من أهل الحرمين الذين كانوا لا يتعيَّشون إلا من طريق تلك الموارد، وشهد **الجبرتي** على ذلك قائلاً: «**لمَّا امتنعت قوافل الحجّ المصري والشاميّ وانقطع عن أهل المدينة ومكَّة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف[٣] والصُّرَر[٤] التي كانوا يتعيشون منها؛ فخرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك، وأتوا مصر والشام ومنهم من ذهب إلى إسلامبول[٥] يتشكَّون من الوهابي، ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها** من إجراء الأرزاق واتصال

---

(١) السويس: مدينة غرب خليج السويس بالبحر الأحمر. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢/١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٥).

(٣) العلائف: مفردها علوفة. يعني: المواد الغذائية اللازمة للحيوان، ثمَّ صارت للإنسان والحيوان، ثمَّ صارت للراتب، وفي الإدارة العثمانية: رواتب العسكريين والمدنيين. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١١٤).

(٤) الصرر: جمع صرَّة؛ وهي أموال كان السلطان العثماني يرسلها إلى العلماء والفقراء والمتصوفة في الحرمين المكي والمدني. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٥) إسطنبول.

الصلات والنيابات والخدم في الوظائف التي بأسماء رجال الدولة كالفَرَّاشة[١] والكَنَّاسة ونحو ذلك»[٢].

وتأتينا الوثائق ناطقةً بأنَّه «وَرَدَ إلى مصر المأمورون لتلك الحوالي [مكة والمدينة] من مستخدمي الدولة العلية [العثمانية] وقضاة الإسلام وشيخ الحرم النبوي وسائر من كان يقيم هناك منفيّاً، وجلا كلّ واحدٍ من المجاورين بالمدينة ومكة» بعد أن قامت الدولة العثمانية بموجب فتوى علمائها بمنع إرسال الصرَّة والجرايات «**ما دام الخارجيّ المرقوم في تلك الحوالي**»[٣].

ولنا أن نتصوَّر ما أحدثه هؤلاء المهاجرون من أصداء واسعة المدى في أوساط المسلمين بسبب رحيلهم وتشكِّيهم من أهل الدولة السعودية الأولى، فَقَد انتشرت مظاهر السخط والنقمة التي سادت بعض بلدان المسلمين لأجل ما أصاب أهل الحرمين الذين لهم مكانة خاصة عندهم، **وإننا لنكاد نلمس آثار هذه المقاطعة الشديدة في تحويل الرأي العام عند المسلمين خصوصاً عند أهل الحرمين ضد أهل الدولة السعودية الأولى؛ حيث ألقوا باللائمة عليهم فيما حلَّ بهم من نكبة ومصيبة، ولجؤوا إلى البلدان الأخرى يقصُّون ما أصابهم وما وقع لهم من نقص المعيشة وتَقَلُّب الزمان، وأخذوا ينالون من**

---

(١) الفرَّاشة/ الفرَّاشون: هم القيِّمون على نظافة المسجد النبوي الشريف، وبسط السجاد ومدّه. انظر: جوهان بوركهارت «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية» (٢٨٧).

(٢) عبد الرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٤١/٤).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٨م (بلا يوم وشهر)، (٣٨/١ ـ ٣٩).

السعوديين ويدعون إلى الخلاص منهم، ليس انتصاراً للدين بقدر ما هو انتصار للنفوس وحظوظها من المعايش والمتاع الزائل.

لقد رأينا حين حكم السعوديون الحرمين الشريفين وقاموا بإزالة مظاهر الشرك والبدع والمنكرات وإبطال المظالم ونشر التوحيد والسنَّة وإحياء العدل؛ أنه قد انتشر الرخاء وساد الأمن وانحلَّت الأسعار وفاضت الأقوات، فكيف لو استمر الحال على ذلك من توطيد الأمن وإقامة العدل ونشر العقيدة الصحيحة وهم في أقدس بقعة يؤمُّها عشرات الآلاف سنوياً، فيرون عدل هؤلاء الفاتحين؟.

حتماً سيكون لذلك أبلغ الأثر في نفوسهم، **ولكنَّ الحال كبُرَ على أهل البدع وأرَّقهم ما آل إليه أمر هذه الدولة ودعوتها السلفية من نصر وتمكين، وخافوا أن تتسع دائرتها وتُحْدِث بين الناس تغييراً، فيهبُّوا ضد سلطانهم التركي الغارق في البدع والمنكرات والظلم، عند ذلك امتنعوا عن الحج تظاهراً بمنع السعوديين لهم، ولجؤوا إلى قطع جميع المساعدات والمخصصات عن بلاد الحرمين، مما تسبَّبَ في نشوء أزمة اقتصادية خانقة دفع أهل الحرمين ثمنها، وأُلْقِيَ بتَبِعَتِها على السعوديين**[1].

ـ إشاعة العثمانيين أنَّ السعوديين يبغضون النبي ﷺ ويهينون مسجده وحُجرَته:

استمرَّ الأتراك العثمانيون ومن تَبِعَهُم في تهييج الرأي العام بِبَثِّ دعاياتهم وتلفيقاتهم ضدَّ السعوديين للنيلِ منهم ومن دعوتهم السلفية؛ كتلك الدعاية التي تقول أنَّهم يبغضون النبي ﷺ ويتنقَّصون جنابه

(١) انظر: علي بخيت الزهراني «الانحرافات العقدية والعلمية» (١/٢١٢ ـ ٢١٤).

الكريم، فقد أشاعت حكومة الدولة العثمانية كِذبة سخيفة تقول فيها: إنَّ سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود «يدّعي بالتدريج وعلى مُضيّ الزمن دعوى النبوّة»، **وأنَّ السعوديين يقولون: «لا إله إلا الله سعود خليفة الله، بدلاً من لا إله إلا الله محمد رسول الله»**. وافترت على السعوديين أنَّهم نَقَشوا تلك العبارة ـ المكذوبة عليهم ـ على كسوة الكعبة[(١)].

وعاونهم في ذلك من يوالون الترك العثمانيين ويتقرّبون إلى حكومتهم؛ فهذا أحد المؤرخين العراقيين الموالين للترك يشيع كذباً بأنَّ الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود «عَزَمَ على هدم البيت العتيق ونَهْب مكة وهَدْم الحرم النبوي»[(٢)]. وقال عن الإمام سعود بن عبدالعزيز: بأنَّه ترك علماءه في المدينة النبوية «يرشدون الناس إلى الضلالة»[(٣)]. هكذا!.

وقد بيّنَ لنا المؤرّخ المصري المنصف الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي أنَّ من يشيعون تلك الأكاذيب على الوهابيين لهم أغراضٌ من تلك الشائعات الكاذبة[(٤)].

ومن تلك الأكاذيب التي أشاعوها: أنَّ الإمام سعود بن

---

(١) دار الوثائق القومية، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٦)، تاريخ ١ ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ١٦ مايو ١٨٠٩م (١/٩٨).

(٢) ياسين خير الله العُمري «غرائب الأثر» (٥٣).

(٣) المصدر السابق (١٠٧).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٩٩ ـ ١٠٠).

عبدالعزيز بن محمد سرق الحجرة النبوية الشريفة(١).

والحقُّ أَنَّ الإمام سعود رأى أخذ تلك الأموال وعدم إبقائها حبيسة الحجرة دونما فائدة تعود على المسلمين، فصرفها بحسب المصلحة، ووزَّعها على الكثير من أهل المدينة النبوية(٢)، وهو الأمر الذي شهد به حسن قلعي(٣) في التحقيق الذي أجرته معه سلطات الحكومة العثمانية، وقد أكَّد قلعي أن الإمام سعود لم يأخذ كلّ مقتنيات الحجرة النبوية(٤).

وشهد بذلك أيضاً العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي (ت: ١٢٥٧هـ/١٨٤١م)(٥) الذي قال: «**لم ينهب [سعود] مكَّة، وأمَّا المدينة فأخذ مال الحجرة اسماً له، وحقيقته لغيره... ما**

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement), vol,2. P,733.

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية» (٢٧٩).

(٣) كان حاكم المدينة النبوية زمن الأتراك العثمانيين. انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٤). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٧٤/٤).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٥٣/٣).

(٥) هو أحمد بن حسن بن رشيد بن عفالق القحطاني الأحسائي المدني القاهري الشهير بالحنبلي. وُلِدَ في (الأحساء) سنة ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م. كان قاضي الإمام سعود في (المدينة)، ثمَّ لمَّا وقعت بيد طوسون باشا هرب منها إلى (الدرعية)، ثمَّ لمَّا سقطت (الدرعية) رحَّله إبراهيم باشا إلى (القاهرة) فأكرمه محمد علي باشا وأغدق عليه. انظر: ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١٢٦/١ - ١٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٨٦/٣ - ١٦٨٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٥٧/١ - ٤٦٦).

أخذ سعود من الحجرة لم يذهب منه إلى الدرعية إلَّا بستَّة سحاحير... وأمَّا جوهر مجرَّد من الذهب فكيس فيه زمرّد أخضر ألف واحدة قدر بيض الحمام... وأرسل الكيس للشريف غالب، وقال له: بِعْهُ على خواجات مكَّة وجُدَّة وخُذ بثمنِهِ رُزّاً وقمحاً وسَمْناً لعسكرِهِ الذي في المدينة، فأخذه الشريف غالب بثمنٍ بَخْس، وأرسل بعض الثمن ـ ما ذكر ـ للعسكر الذي في المدينة»[١].

ولدينا شهادة من شاهد عيان ومؤرِّخٍ ليس من أتباع آل سعود ولا موالٍ لهم ولا متعاطفٍ معهم؛ وهو: الفرنسي فيلكس مانجان مؤرِّخ محمد علي باشا، الذي قال: إنَّ الإمام عبدالله بن سعود لمّا تصالح مع إبراهيم باشا وسيَّرَهُ إلى مصر حيث والده محمد علي باشا، فلمَّا التقاه الإمام عبدالله «كان بين يديه خلال اللقاء صندوق صغير من العاج[٢]، له شكل العلبة التي تُحفظ بها الجواهر، فسأله محمد علي عمَّا يكون في داخلها، فقال عبدالله: إنَّ فيه ما أخذه والده سعود من القبر النبوي. ثمَّ فتح الصندوق، فإذا به ثلاث مخطوطات رائعة من القرآن الكريم رُصِّعَت أغلفتها من الخارج بالياقوت الأحمر[٣]،

---

(١) مقال «رحلة إلى الدرعية في الربع الأول من القرن الثالث عشر» منشور في «مجلة العرب»، ج٣ ـ ٤، السنة ١٩، رمضان ـ شوال ١٤٠٤هـ/ يونيو ـ يوليو ١٩٨٤م (ص: ١٦٣)، وَرَدَت فيه نصوصٌ من شهادة ابن رشيد الحنبلي (يوم كان الحنبلي مُرحَّلاً إلى القاهرة بعد سقوط الدرعية)، ينتقد في شهادته تلك بعض روايات أتى بها فتح الله الصايغ في رحلته المشهورة بـ«رحلة فتح الله الصايغ».

(٢) وعند الجبرتي: «وكان بصحبة الوهابي صندوق صغير من صفيح». انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣)

(٣) وعند الجبرتي: «وفتحه فوجد به ثلاث مصاحف قرآناً مكلَّلة». انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣)

وثلاثمئة لؤلؤة من أكبر اللآلئ وأنقاها ماءً، وزُمرّدة معلَّقة بسلسلةٍ من الذهب[(١)]. فقال محمد علي: هذا حسن، ولكنَّني أعرف أنَّ هناك أشياء أخرى كثيرة غير هذه سُلِبَت من القبر النبوي. فأجاب عبدالله: ذلك صحيح، ولكن لم يحصل والدي [الإمام سعود] إلّا على قسم منها، أمَّا الباقي فبيعَ بعضه بالمزاد العلني واقتسم بعضه الآخر أشرافُ مكة المكرمة والأغوات وشيوخ البدو[(٢)]. فردَّ الباشا: هذا صحيح، الحقّ يقال أنَّنا وجدنا كثيراً من هذه النفائس عند الشريف غالب[(٣)]...»[(٤)].

بل أَكَّدَ بوركهارت ـ وهو شاهد عيان ـ: أنَّ حسن قلعي قبل أن يُسلِّم المدينة للإمام سعود بن عبدالعزيز كان (القَلعي) قد استولى على كلّ الكنوز الموضوعة عند ضريح النبي ﷺ وقسَّم جُزءاً منها على أتباعه، ثمَّ قرَّر التسليم[(٥)].

وهذا أيضاً أَكَّده الفرنسي فيلكس مانجان مؤرِّخ محمد علي

---

(١) وعند الجبرتي: «ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبَّة زمرّد كبيرة وبها شريط ذهب». انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣)

(٢) وعند الجبرتي: أنَّ عبدالله قال: «هذا الذي وجدته عند أبي، فإنَّه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه، بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة». انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣)

(٣) وجدها محمد علي باشا في (مكّة) يوم قبض على الشريف غالب وكَبَسَ ماله وأملاكه. وسيأتي تبيان ذلك في الفصل التاسع.

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٣).

(٥) وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجّ: Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,751.

باشا، حيث قال: أنَّ حسن قلعي «خان الأمانة واستولى على ما بقي من الأشياء الموجودة في المقام، وخَشِيَ الخَصِيّ عنبر الذي أوكل إليه أمر حراسة المسجد النبوي وقبر النبي ﷺ أن يُتَّهم بانتهاك حرمة المسجد، فهرب إلى بلاد الشام، وحاول حسن قلعي أن يلقي على كاهل ذلك الحارس المسكين كلّ تبعات تصرفه المشين»(١).

وهو عين ما قرَّره السير هارفرد جونز بريدجز في تقاريره التي يرسلها من المقيمية البريطانية ببغداد إلى حكومته في لندن ليطلعها على أحوال الدولة السعودية الأولى، إذ قال فيها: «توَّجَ سعود مكاسبه في هذا الجزء من الجزيرة العربية خلال عام [١٢١٩هـ] ١٨٠٤م بالاستيلاء على المدينة [النبوية]، التي كان أحد رؤسائها حسن القلعجي Elkalajy قد اغتصب السلطة العليا ومارس حكماً استبدادياً فيها، وقبل استسلام المدينة [لابن سعود] استولى حسن [القلعجي] على الذخائر التابعة لضريح النبي ﷺ وقسَّمها بين أتباعه»(٢).

المُراد؛ أنَّ هذه المقتنيات الغالية والقيِّمة الموجودة في الحجرة النبوية لم تكن قبيل الحكم السعودي تسلم من سرقة حكام المدينة الذين عيَّنتهم حكومة الدولة العثمانية، ولم تَسلَم أيضا من أيدي حرَّاس القبر المُعَيَّنين من قِبَلِ الأتراك؛ أولئك الحرَّاس الذين كانوا يسحبون بين أونةٍ وأخرى شيئاً من تلك الكنوز(٣).

واقرأ ما شهد به مؤرّخ مصريّ منصف كان معاصراً لوقت

---

(١) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣١٩).

(٢) السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٠٧).

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية» (٢٧٩).

الحادثة؛ وهو الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي الذي بيَّنَ خطأ من هاجموا ابن سعود لأنَّه أخذ ما في الحجرة النبوية وصرفها على وجهها الشرعيّ، ثمَّ تأمَّل تأكيدات الجبرتي التي تخبرك أنَّ الحُرَّاس والأغوات الذين في المدينة النبوية كانوا يستلبون ويسطون على ما في الحجرة النبوية حتَّى من قبل أن يأتيها ابن سعود.

يقول الجبرتي: **«ويذكرون أنَّ الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها وأخذها، فيرون أنَّ أَخْذه لها مِن الكبائر العظام، وهذه الأشياء أرسلها وَوَضَعَها سُخَّاف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم؛ إمَّا حرصاً على الدنيا - وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم - أو لنوائب الزمان، فتكون مدَّخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها فَيُستَعَان بها على الجهاد ودَفْعِ الأعداء، فَلَمَّا تقادَمَت عليها الأزمنة وتَوالَت عليها السنون والأعوام الكثيرة وهي في الزيادة، ارتَصَدَت معنىً لا حقيقة، فارتسَمَ في الأذهان حُرمَة تناولها وأنَّها صارت مالاً للنبيّ ﷺ فلا يجوز لأحد أخذها ولا إنفاقها، والنبيّ منزَّه عن ذلك، ولم يدَّخر شيئاً من عَرَض الدنيا في حياته، وقد أعطاه الله الشرف الأعلى وهو الدعوة إلى الله تعالى والنبوَّة والكتاب واختار أن يكون نبياً عبداً ولم يَخْتَر أن يكون نبياً ملكا.**

ثمَّ إنْ كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقةً على الرسول ﷺ ومحبَّةً فيه فهو فاسد؛ لقول النبي ﷺ: «إنَّ الصدقة لا تنبغي لآل محمَّد»[1]. والمال أوجده المولى سبحانه وتعالى من أمور الدنيا لا من أمور الآخرة، ومحبَّة الرسول ﷺ بتصديقه واتبّاع شريعته وسنَّته لا

(١) رواه مسلم (١٠٧٢).

بمخالفة أوامره وكنز المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين.

وربَّما كان عند الأمراء أو عند **خونداتهم** [١] جوهرٌ نفيسٌ من بقايا المدَّخرات فيرسلونه هديةً إلى الحجرة ولا ينتفعون به في مهماتهم فضلاً عن إعطائه لمستحقِّهِ من المحتاجين، وإذا صار في ذلك المكان لا ينتفع به أحد إلا ما يختلسه العبيد المخصيُّون الذين يقال لهم أغوات الحرم[٢]، والفقراء من أولاد الرسول ﷺ[٣] وأهل العلم المحتاجون وأبناء السبيل يموتون جوعاً، وهذه الذخائر محجورٌ عليها، وممنوعون منها إلى أن حضر الوهابي واستولى على المدينة

---

(١) الخوندات: من اشتقاقات اللفظ «خداوند» الفارسي. من ألقاب التشريف، خاصةً لزوجات السلاطين وبناتهم. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٢٣٥). ومصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١٧٠).

وفي (نجد) تُستخدم تلك المفردة بمعنى المرأة المنعَّمة المترفة الجميلة، وفي ذلك يقول الشاعر محسن الهزَّاني في الغزل:

يا خُوَنْدةٍ مِنْ مِهْمَلات الذوايب نحضر لها نَقْدٍ ونشري بغايب
مِنْ حِبَّها راحت علينا غلايب والواش في عقْدٍ من الله مذلول.

انظر: محمد ناصر العبودي «معجم غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول الدخيلة» (٢٢٤).

(٢) أغوات الحرم: هم المخصيون من الرجال العاملين في الأقسام الخاصة بالنساء من القصور السلطانية، ثمَّ إذا كبروا صاروا خَدَماً في الحرم النبوي. انظر: سهيل صابان «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» (١٧).

(٣) يقصد الأشراف من سلالة النبي ﷺ.

وأخذ تلك الذخائر»[١].

ويأتينا الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ بتفنيد علميّ رصين لتلك الأكذوبة، حيث قال: «**أمَّا التجاسر على حجرة النبي ﷺ، فكأنَّه[٢] يشير به إلى المال الذي استخرجه الأمير سعود من الحجرة النبوية وصَرَفَهُ في حاجة أهل المدينة ومصالح الحرم، وهو - رحمه الله - لم يفعل هذا إلا بعدَ أن أفتاه علماء المدينة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، فاتَّفقت فتواهم على أنَّه يتعيَّن ويجب على وليِّ الأمر إخراج المال الذي في الحجرة وصرفه في حاجة أهل المدينة وجيران الحرم؛ لأنَّ المعلوم السلطاني قد مُنِعَ في تلك السنة**[٣]، واشتدَّت الحاجة والضرورة إلى استخراج هذا المال وإنفاقه، ولا حاجة لرسول الله ﷺ إلى إبقائه في حجرته وكنزه لديه.

وقد حرَّمَ الله كَنْزَ الذهب والفضّة وأمر بالإنفاق في سبيل الله، لا سيَّما إذا كان المكنوز مستحقاً لفقراء المسلمين وذوي الحاجة منهم، كالذي بأيدي الملوك والسلاطين، فلا شكّ أنَّ استخراجها على هذا الوجه وصرفها في مصارفها الشرعية أحبُّ إلى الله ورسوله من إبقائها واكتنازها، وأيّ فائدة في إبقائها عند رسول الله ﷺ وأهل المدينة في أشدّ الحاجة والضرورة إليها»[٤].

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٤١ - ١٤٣) باختصار.

(٢) الكلام موجّه للصحاف الذي أثار مثل تلك الافتراءات.

(٣) سبق (في هذا الفصل) بيان منع الدولة العثمانية ما كانت ترسله من صرر إلى المجاورين في الحرمين، وكان المنع نكايةً منهم بأهل الدولة السعودية الأولى.

(٤) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «الاتحاف في الردّ على الصحّاف» ضمن «الدرر السنية» (١٢/٢٨٠).

ـ تكفير الدولة العثمانية للدولة السعودية الأولى:

جَنَحَ العثمانيون في تعاملهم مع الدولة السعودية الأولى إلى أمرٍ خطير جداً؛ وهو تكفيرهم للسعوديين، وكان أهل مكة ـ قبل أن تُضمّ إلى الدولة السعودية الأولى ـ قد كفّروا إمام الدولة السعودية عبدالعزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود ومن قبلهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأطلقوا عليه اسم الكافر(١).

ومن بعدها عَدَّ الأتراك العثمانيون دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوةً إلى دينٍ جديد، فاعتبر الترك أنَّ المقاتلة ضدَّ السعوديين جهاداً في سبيل الله، ومَنْ يُقْتَل في قتاله معهم فهو شهيد(٢)! فقد دفعت الدولة العثمانية الأموال والدعم لأدعياء العلم في مكّة ليهاجموا الدولة السعودية وأئمتها ويكفروهم؛ فانبرى أحمد زيني دحلان لذلك وأدّى دورَه الذي طُلِبَ مِنْه.

بل بلغت الدولة العثمانية مَدًى بعيداً في تشويه سمعة الدولة السعودية وإشاعة تكفيرها؛ حتى صار السفهاء والعوام في الدولة العثمانية يكفّرون ـ بالتبعية ـ أئمّة الدولة السعودية وأتباعهم؛ فهذه الستُّ الخازندارة ـ إحدى نساء القصر السلطاني العثماني ـ تقول عن إمام الدولة السعودية الأولى عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بأنه «الخارجيُّ الكافر»(٣).

---

(١) أوردنا في الفصل السادس تكفير دحلان لأئمة وعلماء وأتباع الدولة السعودية الأولى.

(٢) انظر: علي بخيت الزهراني «الانحرافات العقدية والعلمية» (١/٢١٥).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٧)، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٢٨هـ/ ٢٦ يوليو ١٨١٣م (٧١/٢).

وهذا المؤرّخ عبدالرحمٰن الجبرتي؛ يخبرنا أَنَّ الدولة العثمانية نشرت في جوامع مصر القاهرة بيانات سلطان الدولة العثمانية لتُعلِن على الملأ مقاتلة الوهابية، حيث يقول الجبرتي: «**أنَّ المفتي أفتاهم بأنهم كفَّار، ويجعلونهم مشركين، وأنَّ من قاتلهم يكون مغازياً ومجاهداً وشهيداً إذا قُتِلَ**»[١].

ومن المفارقات أنَّ الترك الذين يكفّرون الدولة السعودية ويحاربون أهلها بحجة أنَّهم كفَّار؛ كانوا يستبيحون شرائع الإسلام عياناً بياناً، ومن ذلك ما قاله الجبرتي عن العساكر التركية التي تجمَّعت في القاهرة في رمضان ١٢٣٣هـ/يوليو ١٨١٨م وقَصْدُها الخروج إلى محاربة أهل الدرعية، فاستباحت تلك العساكر التركية «الفطر في رمضان بحجَّة السفر، **فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ويمرّون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم، وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفَّار المخالفين لدين الإسلام**»[٢].

وهذه الوثائق التركية؛ تخبرنا أنَّ قادة الترك العثمانيين كانوا يكفّرون أهل الدولة السعودية الأولى أثناء محاربتهم لهم، فيقولون عن السعوديين: «وظاهرٌ بالتواتر خروج أكثر قبائل العربان بطريق الحجِّ منذ عشرين سنة من طريق أهل السنَّة المستقيم وتبعيتهم لابن سعود المردود، وكونهم أشدّ كفراً من الكافر الخارجي المذهب»[٣].

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٢) باختصار.

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٤٩).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٨٤).

هذا في الوقت الذي كان فيه الشريف غالب يتراسل مع الدولة العثمانية ويشيع عندها تكفير الوهابيين، وهو الأمر الذي شهد به المستشرق جوهان لودفيغ بوركهارت حين قال: «**ولم يترك غالب، الذي كان على صلةٍ دائمةٍ بالباب العالي والذي كان يستقبل قافلة الحجاج سنوياً، أيةَ وسيلةٍ لتحريض الحكومة التركية ضدَّ أعدائه إلا واتخذها، فقد أظهرهم كفَّاراً**»(١)، والباب العالي التركي كان مستعداً لتقبّل آراء الشريف غالب(٢).

❀ ❀ ❀ ❀

هكذا كانت الشائعات السيئة والدعايات المشينة تنتشر في العالم العربي والإسلامي انتشار النار في الهشيم، وكان لها أثرها السيِّئ في تشويه صورة السعوديين وتنفير الناس من دعوتهم السلفية.

ولكن لمَّا ظهر للعثمانيين أنَّ هذه الشائعات وتلك الدعايات لم تُجدِ نفعاً في القضاء على الدولة السعودية، انتقل العثمانيون إلى الخطوة الكبرى؛ وهي إعلان تركيا العثمانية الحملة العسكرية المنطلقة من مصر ـ **التي كانت تحت الهيمنة العثمانية** ـ لحرب السعوديين وإسقاط دولتهم وتدمير أرضهم، تلك الحرب التي ارتُكِبَت فيها أخسّ الجرائم البشرية.



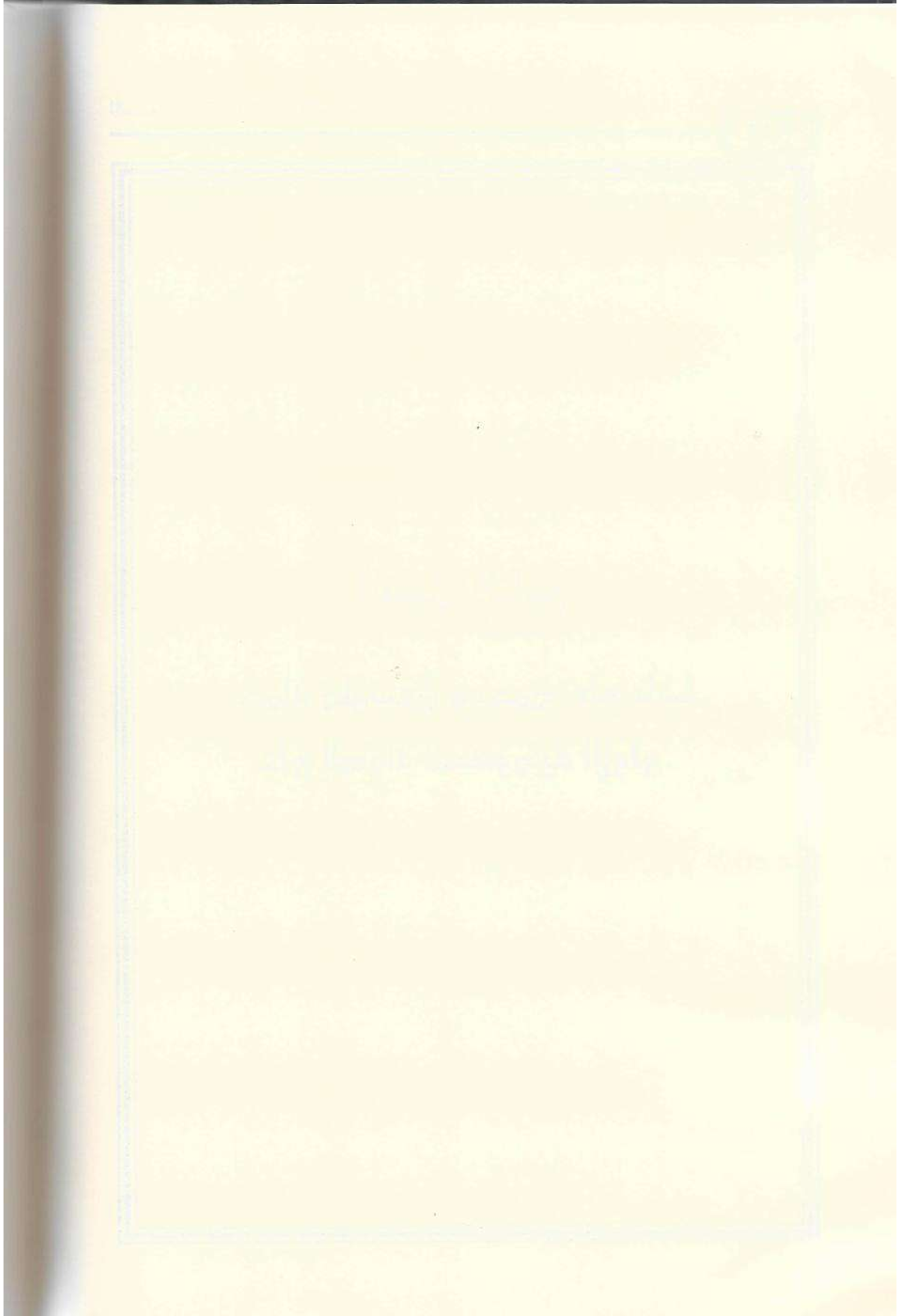
---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨١).

(٢) انظر: المصدر نفسه.

الفصل التاسع:

حملة طوسون ومحمد علي باشا على الدولة السعودية الأولى.



* الدولة العثمانية تطالب محمد علي بشنٍّ حملةٍ على السعوديين:

كان محمد علي باشا قد أصبح والياً على مصر من قِبَل الدولة العثمانية في سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، وأضحى بمكانةٍ أكبر شيئاً ما من المماليك المصريين الألفية[1]، خصوصاً بعد أن استطاع محمد علي باشا صدّ حملة الإنجليز عن ثغر الإسكندرية[2].

فرَضيَ الباب العالي عن محمد علي باشا، ومنحه السلطان الهدايا والإنعامات وأمر بإرجاع ابنه إبراهيم[3] إليه - وقد كان معتقلاً

---

(١) المماليك الألفية: أتباع وجلبان الأمير المملوكي محمد بيك الألفي المرادي. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٩/٤) (٤٦ - ٥٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٧٥/٤ - ٨٢) (٨٥) (٨٨ - ٩٢) (١٠٩ - ١١٠)

(٣) إبراهيم باشا: ابن محمد علي باشا (الألباني)، وقيل إنَّه ليس ابناً لمحمد علي باشا بل إنَّ الأخير تبنَّاه. انظر ترجمته وأخباره عند: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (١٥/١ - ٢٩). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٧٠/١). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الأول (الورقة: ١٣٣ - ١٣٥).

في القسطنطينية[١] - وصار لهذه الإنعامات السلطانية أثرٌ عظيم في توطيد سلطة محمد علي باشا، وفي المقابل لمَّا وَثقَ الباب العالي بمحمد علي باشا أراد أن يستخدمه في إسقاط الدولة السعودية الأولى[٢].

لم يكن محمد علي باشا بشراذم جنوده الأرنؤوطية[٣] والدلاتية[٤] وغيرهم قد قضى بَعْدُ على المماليك المصريين الذين كان ينازعهم حكم مصر، وبالرغم من انشغاله بحربهم فإنَّ حكومة السلطان العثماني أوكلت إليه مهمة القضاء على الدولة السعودية الأولى وتدميرها، تلك المهمة التي فشل فيها والي السلطان في بغداد وواليه في دمشق من قبل[٥].

من هنا قال بوركهارت: «جميع الأطراف قد علِمَت أنَّه لا

---

(١) انظر: جورج. ف. سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٣).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,733.. وانظر: عمر الإسكندري وزميله «تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قُبيل الوقت الحاضر» (١٢٤).

(٣) الأرناؤوط: تعني ذوو الأصل الألباني. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٤).

(٤) الدلاتية/ الدلاة: كلمة تركية؛ تعني: طائفةٌ من الخيَّالة الخفيفة. انظر: عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (٥٠). ومحمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٧٦).

(٥) Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique.

يمكن أن تُستَعاد الحجاز إلَّا عن طريق مصر»[١].

ومصادر التاريخ تشير إلى أنَّ أول تكليف ورد إلى محمد علي باشا من السلطان العثماني مصطفى الرابع (ت: ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م)[٢] للقيام بهذه المهمة كان في ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م؛ قبل أن يمضي عامان على ولاية محمد علي باشا، وهو ما ذكره الجبرتي حين قال: أنَّه في ٢٣ شوَّال ١٢٢٢هـ/٢٤ ديسمبر ١٨٠٧م «**وصل قابجي**[٣] **ومعه مرسومان يتضمن أحدها: التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر، وآخر بالتأكيد في التشهيل**[٤] **والسفر لمحاربة الخوارج**[٥] **بالحجاز واستخلاص الحرمين والوصية بالرعيَّة والتجَّار»**[٦].

ثمَّ حصل في أوَّل سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م أنْ تَسلطَنَ على كرسي

---

(١) وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجِّ: Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,757. وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٤).

(٢) هو السلطان مصطفى الرابع ابن عبدالحميد الأول ابن أحمد الثالث ابن محمد الرابع. تولَّى السلطنة سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وبعد سنة توفِّي. انظر ترجمته عند: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (١٥١٧/٣ - ١٥١٩).

(٣) القابجي: هو الرسول المخصوص الذي يحمل الرسائل فوق العادية إلى الولايات. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٢٠).

(٤) التشهيل: مِنْ شَهَّلَ، ويُشَهِّل. أي: أسرَعَ في إنجازه. انظر: أحمد مختار عمر «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١٢٤٤).

(٥) ستجد في هذا الفصل والفصل الذي يليه كثير من تلك الهمزات واللمزات التي يطلقها الأتراك العثمانيون على السعوديين.

(٦) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٢٣/٤) باختصار.

السلطنة العثمانية السلطان محمود الثاني (ت: ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) [(١)]، فوجّه التوجيهات الشديدة لمحمد علي باشا بحرب السعوديين واستئصال دولتهم [(٢)].

ولَكِنَّ محمد علي باشا اعتذر للحكومة العثمانية عن ذلك لعدم مقدرته، وهو ما أخبرنا به الجبرتي حين قال: أنَّه في أول محرّم ١٢٢٣هـ/٢٨ فبراير ١٨٠٨م **«كان القابجي حضر بالأوامر بخروج العساكر للبلاد الحجازية وخلاص البلاد من أيدي الوهابية، وفي مراسيمه التي حضر بها التأكيد والحثّ على ذلك، فلم يزل الباشا يخادعه ويَعِدَهُ بإنفاذ الأمر، ويُعَرِّفَهُ أنَّ هذا الأمر لا يتمّ بالعجلة ويحتاج إلى استعدادٍ كبير وإنشاء مراكب في القلزم [(٣)] وغير ذلك من الاستعدادات»** [(٤)].

لم تيأس حكومة السلطان العثماني، ففي أواخر محرم ١٢٢٤هـ/مارس ١٨٠٩م «وصل مرسومان من الدولة [العثمانية]، في الثاني منها: **الأمر بالسفر والخروج إلى فتح الحرمين وطرد الوهابية عنهما**، وأنَّ يوسف باشا الصدر السابق المعروف

---

(١) هو السلطان محمود خان الثاني ابن عبدالحميد الأول ابن أحمد الثالث ابن محمد ارابع. تولّى الحكم في الفترة (١٢٢٣ - ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨ - ١٨٣٩م). انظر ترجمته عند: محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٢/١٥٩ - ١٦٠). وعبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٣/١٥١٧ - ١٥١٩).

(٢) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٥).

(٣) القلزم: هو الاسم القديم للبحر الأحمر. انظر: تقيّ الدين المقريزي «المواعظ والاعتبار» (١/٤٠).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٢٩).

بالمعدن[١] تعيَّن بالسفر للحرمين على طريق الشام، وكذلك سليمان باشا والي العراق متعيِّن أيضاً بالسفر من ناحيته على الدرعية»[٢]، **وكلّهم يتعاونون في حصار الدولة السعودية بهجوم مثلَّث**[٣].

وهذا الأمر أكَّدَهُ بوركهارت حين قال: «**لقد اتَّحَدَت كُلّ أقوام الإمبراطورية التركية لإجهاد الوهابيين وطالبت بتنفيذ حملة مشابهة لحملاتنا الصليبية القديمة ضدَّهم**»[٤].

إلَّا أنَّ محمد علي باشا كان يتعلَّل في كلّ مرَّة بتدهور الحال الاقتصادي بمصر ويعتذر باشتغالِهِ بمحاربةِ المماليك، فلمَّا انتصرت تجريدته على المماليك في **الوجْهِ القِبْليّ**[٥] وعادَ إلى القاهرةِ في

---

(١) يوسف باشا: الصدر الأعظم المعروف بيوسف باشا الصدر فشق. أوردنا أخباره في الفصل السابع.

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٤٦ ـ ١٤٧).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر رقم (١) بحر برًّا، رقم وحدة الحفظ (١٨)، بتاريخ ٢٩ ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ١٣ يونيو ١٨٠٩م (١/١٠٦).

(٤) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٧).

(٥) الوجه القبلي: في مصر؛ إذ تُقَسَّم مصر إلى (وجه قبلي) و(وجه بحري). فـ (الوجه القبلي) يشتمل على المديريات التالية: (أطفيح) و(الفيُّوم) و(بني سويف) ومعها (بِبَا) و(بني مزار) و(المِنيَا) و(أسيوط) ومعها (جِرجا) و(قِنا) ومعها (إسْنا). أمَّا (الوجه البحري) في مصر؛ فإنَّه يشتمل على المديريات التالية: (القليوبية) و(الشرقية) و(الدقهلية) و(الغربية) و(المنوفية) و(البِحِيرة) و(الجيزة). انظر: مقدِّمَة أحمد رامي وأحمد لطفي السيِّد لكتاب «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» الجزء الأول من القسم الثاني (ص٩ ـ ١٠) (ص: ١٢) لمحمد رمزي.

منتصف سنة ١٢٢٥هـ/النصف الثاني من سنة ١٨١٠م، ألفى رسولاً من إسطنبول يحمل إليه رسالةً جديدة تقضي بتكليفِهِ للإسراع في التجريدة ضدّ السعوديين[١].

* محمَّد علي باشا يُجَهِّز للحملة:

لما رأى محمد علي باشا أنَّ كلّ محاولاته لم تُجدِ نفعاً للاعتذار أمام الدولة العثمانية عن القيام بتلك الحملة، وكان يعلم أنَّ عدم إطاعته للأوامر سيكون عقابه إبعاده عن الحكم[٢]، **أخذ من حينها يتراسل مع الشريف غالب سرّاً عن طريق يوسف باشا كنج والي دمشق، وأرسل جواسيس يقفون له على أحوال دولة آل سعود ويتتبعوا أخبار أهلها مما يسهّل له أمور مهاجمتهم ومفاجأتهم**[٣].

ومن جانبٍ آخر أخذ الشريف غالب يكاتب «الباشا ويراسله ويُظهر له النصح والصداقة وخلوص النيَّة، والباشا أيضاً يراسله ويكاتبه، ويرسل له مع السيد سلامة النجاري[٤] والسيد أحمد منلا[٥]

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٩٤ ـ ١٩٥). وأمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٢٣).

(٢) انظر: عمر الإسكندري وزميله «تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قُبيل الوقت الحاضر» (١٢٩).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر رقم (١) بحر برًا، رقم وحدة الحفظ (٢١)، بتاريخ ١٩ ذي الحجَّة ١٢٢٤هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٠م (١/١٢٠ ـ ١٢١).

(٤) سلامة النجاري: تاجرٌ مصريٌ مقرَّب من محمد علي باشا. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٨٨).

(٥) عرَّف به الجبرتي ذاكراً أنَّه ترجمان السيد المحروقي (المحروقي: شهبندر تجَّار=

بمراسلات وجوابات مراراً عديدة، فكانا هما السفيرين بينهما، والشريف في كلِّ كتابة مع كلِّ مرسول يعاهد الباشا ويعاقده ويواعده بنصرِ عساكرِهِ متى ما وصلت، ويداهن الطرفين الذي هو العثماني والوهابي؛ أمَّا الوهابيّ فلخوفه منه وعدم قدرته عليه؛ فيُظهِر له الموافقة والامتثال وأنَّه معه على العهود التي عاهده عليها، ويميل باطناً إلى العثمانيين لكونِهِ على طريقتهم ومذهبهم»[١].

الحاصل؛ أنَّه منذ اللحظة الأولى التي قرَّر فيها محمد علي باشا القيام بحملةٍ على الدولة السعودية الأولى وهو منهمك في إعداد مهمَّاتها برّاً وبحراً، معتمداً على ألفٍ من العمَّال الترك واليونانيين وأوروبيّين آخرين[٢].

ولمَّا كان الباشا على يقين من أنَّ السفر بطريق البرِّ تهلك فيه نفوس كثيرة كما ستهلك فيه بهائم النقل، صمَّمَ على أن يتخذ طريق البحر الأحمر لنقل جنوده إلى ينبع أو جُدَّة[٣]، من هنا رأى الباشا أنَّ في مقدِّمَة الأمور الضرورية أن يكون تحت إمرته عدد كافٍ من السفن لنقل الجنود والمؤن[٤].

= مصر المعروف ذاك الوقت). انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢١٩/٤).

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢١٩/٤) باختصار.

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٧). وعبدالرحمٰن زكي «التاريخ الحربي لعصر محمد علي باشا» (٤٥).

(٣) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢١٢/١٢).

(٤) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. =

ولمَّا لم يكن له في ذلك الوقت عِمارةٌ بحرية بالبحر الأحمر وليس به سفنٌ يمكن استئجارها غير سفائن صغيرة؛ فقد «أنشأ مراكب في بحر القلزم وطلب الأخشاب الصالحة لذلك، فأرسل المُعيَّنين لقطع أشجار التوت والنَّبَق من القطر المصري [في الوجه] القبلي و[الوجه] البحري، وغيرها من الأخشاب المجلوبة من الروم، وجعل على ساحل بولاق[1] ترسخانه[2] وورشات، وجمعوا الصنَّاع والنجَّارين والنشَّارين فيهيِّؤونها، وتُحمل الأخشاب على الجمال، ويُرَكِّبها الصُنَّاع بالسويس سفينةً ثمَّ يقلفطونها[3] ويبيِّضونها[4] ويُلْقونها في البحر، فعملوا أربع سفائن كبار وداوات[5] لحمل السفن

= P,759. وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٩ ـ ١١٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٤ ـ ٤٤٥).

(١) بولاق/ بولاق أبو العلا: تقع على الجانب الشرقي من النيل غربي (القاهرة). انظر: عبدالحميد بِك نافع «ذيل خطط المقريزي» (٣٢ ـ ٣٣).

(٢) ترسخانه: دار الصناعة. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٤٤).

(٣) يقلفطونها: في اللهجة المصرية الدارجة: قلفط فلان العَمَل؛ أي: أتَمَّه في غير إتقان. انظر: عبدالمنعم سيد عبدالعال «معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية» (٤٥٣).

(٤) يبيِّضونها: من اللهجة المصرية الدارجة، يقولون: بيَّضَ فلان الدار؛ أي: طلاها بطلاء الجير، وبيَّضَ فلان النحاس؛ أي: طلاه بالقصدير. انظر: عبدالمنعم سيد عبدالعال «معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية» (١٥١).

(٥) داوات: مفردها «داو»، وهي نوعٌ من المراكب البحرية العربية التي كانت مستعملة في المحيط الهندي وبحار شبه الجزيرة العربية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١٧٥).

والبضائع»[١].

وشيَّدَ أيضاً مباني ضخمة لصناعة السفن بالسويس[٢]؛ أنشأ بها خمس عشرة سفينة يستخدمها الجنود لعبور البحر والنزول بميناء ينبع البحر. كما أنشأ سفينةً بطول خمسة وثلاثين ذراعاً صنعها من الأخشاب التي استقدمها من دمياط[٣] ثمَّ أرسلها إلى السويس، وصنع سفينة قريبة من ذلك الطول أنشأها في الإسكندرية، واشترى سفينة من مالطة[٤].

كما عمل ميدان رمَّاحة في الجيزة[٥] لتدريب عساكره[٦]، ثمَّ رتَّب تجهيز أَحَدَ عشر ألف قنبلة من الطوبخانة[٧] العامة. ثمَّ صنعت له

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٦٨/٤).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,761.

(٣) دمياط: على الشاطئ الشرقي لفرع النيل الشرقي المعروف باسم (فرع دمياط). وهي اليوم محافظة من محافظات مصر. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢٨/١١ ـ ١٣٢). ومحمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني (٨/١).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سَنِيَّة، وحدة الحفظ (بلا)، بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٢٤هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٠م (١١٢/١). ودفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٥٧)، بتاريخ غرَّة محرَّم ١٢٢٦هـ/ ٢٦ يناير ١٨١١م (٢٧٢/١). ودفتر (١) معية تركي، رقم وحدة الحفظ (٦٦)، بتاريخ ٢٥ ربيع الآخر ١٢٢٦هـ/ ١٩ مايو ١٨١١م (٢٩٤/١).

(٥) الجيزة: على الشاطئ الغربي للنيل تجاه (مصر القديمة). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢٩/١٠).

(٦) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٨٧/٤).

(٧) الطوبخانة: لفظٌ مركَّبٌ من التركية والفارسية، معناه: دار المدفعية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٣١٠).

تركيا ثمانية عشر ألف قنبلة من معمل براوشته[١]، والقذائف المسمَّاة خُمْبَرَة[٢] وكميات هائلة من دروع جَرخَة[٣] وغيرها من الأسلحة التي أنجزتها مصانع تركيا ومصر[٤].

كما طلب محمد علي باشا من الإنجليز أن يُمِدّوه بسفينة من عندهم ليستخدمها في الحملة ضدَّ السعوديين[٥]، وكانت الحكومة العثمانية تسعى جاهدة في الوساطة بينه وبين الإنجليز في هذا الشأن[٦]. ولم يكن للإنجليز ثمَّة اعتراض على طلب محمد

---

(١) براوشته: مصنع أرسلت منه الدولة العثمانية مدافع تعزيزاً لجيش محمد علي. عن: دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة رقم (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٦)، بتاريخ ١٣ صفر ١٢٢٥هـ/ ٢١ مارس ١٨١٠م (١/١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) خمبرة: هي الكرات التي يجري صبّها من الحديد أو النحاس الأصفر، وتكون فارغة من الداخل لملئها بالمادة المتفجّرة، وإلقائها على الخصم، إمّا باستخدام المدافع أو بالأيدي. انظر: صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني» (٢/٥٥١).

(٣) جرخة: وتسمى جرخ فلك؛ وهو نوع من الدروع المتحركة. انظر: صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني» (٢/٤٦٨).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة رقم (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٣)، بتاريخ ١٠ صفر ١٢٢٥هـ/ ١٧ مارس ١٨١٠م (١/١٤٦).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٣١).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٣)، بتاريخ ١ صفر ١٢٢٥هـ/ ١٧ مارس ١٨١٠م (١/١٤٥ ـ ١٤٨). ومحفظة (١) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٢٤)، بتاريخ ١٣ صفر ١٢٢٥هـ/ ٢١ مارس ١٨١٠م (١/١٥٣ ـ ١٥٥). ودفتر (١) معية تركي، رقم وحدة الحفظ (٢٨)، بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٢٢٥هـ/ ١٦ أبريل ١٨١٠م (١/١٧٨). وانظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٩). وأمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٢٨).

علي باشا إلَّا في بعض الأمور التفاوضية على تسعير قيمة أجرة السفينة، أما إمداده والوقوف معه في حملته على السعوديين فلم يكن ثَمَّةَ اعتراض، إذ من المعلوم أنَّ محمد علي باشا كانت علاقته ممتازة بالحكومة الإنجليزية وكان صديقاً لساستهم مقرّباً منهم أكثر من أيَّة دولة أوروبية أخرى، وهذا ما شهد به الكابتن سادليير George Forester Sadlier(١) مندوب حكومة الهند البريطانية(٢).

ثم اشترى ألف وأربعمئة جمل من عدة أقاليم مصرية جرى كيّها ووسمها(٣)، واشترى مثلها عشرة آلاف من جمال العرب والفلاحين لحمل الأحمال الثقيلة(٤)، كما اشترى من قبرص البغال لأجل الحمولات(٥).

ثم دفع من القاهرة إلى الجيش الكائن في السويس بحمولات

---

(١) الكابتن جورج فورستر سادليير George Forester Sadlier: أرسلته حكومة الهند البريطانية إلى إبراهيم باشا لتقديم التهاني بانتصاره على الدولة السعودية الأولى، ثمَّ لتطلب من الباشا أن يساندها في حربها ضدَّ القواسم حلفاء آل سعود. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٤٢٥ - ١٤٢٧).

(٢) انظر: جورج ف. سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٢).

(٣) انظر: إلياس الأيوبي «محمد علي سيرته وأعماله وآثاره» (١٢٢).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٥).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٦٥)، بتاريخ غرَّة ربيع الأول ١٢٢٦هـ/ مارس ١٨١١م (١/٢٩١).

السمن والعسل والأرز والزيت والزيتون ونحوها من سائر المؤن والأزواد، كما أرسل إليهم كسوة من الفراء والجُبَب الخفيفة وكساوي أخرى[١]، ثمَّ وصلته من إسطنبول الأخشاب والحبال التي تحتاجها سفنه، كما كان هناك عشرة آلاف كيس مخصَّصة لتعبئة الشعير والفول المخصَّص لإطعام حيوانات الحملة الضخمة[٢].

* محمد علي باشا يرجع فجأةً من السويس إلى القاهرة:

اضطُرَّ محمد علي باشا إلى الرجوع فوراً من السويس إلى القاهرة؛ لأنَّه عَلِمَ بحركاتٍ من المماليك الألفية وغيرهم ترمي إلى عزله وسعيهم للهيمنة على القاهرة[٣]، فرجع الباشا ليلاً لوحده ولم يصحبه إلا رجلٌ بدوي على هجين ليدلَّه الطريق، وبعد أن وصل القاهرة أَمَرَ عساكره الأرنؤوطية والدلاتية وبعض من تبقى من الانكشارية[٤] بمذبحة المماليك الشهيرة بالقلعة[٥].

ولا بدَّ لنا ـ قبل بيان شناعات عساكر الترك العثمانية

---

(١) الوثيقة السابقة.

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣١ ـ ٣٣).

(٣) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢١٢/١٢ ـ ٢١٣). وإسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار» (٤١٧/١). ومحمد فريد بِك «البهجة التوفيقية» (٥٢).

(٤) الانكشارية: لفظٌ تركيّ يعني: العسكر الجديد، وهم في الأصل فرقةٌ من فرق الجيش العثماني كان أفرادها يُختَارون من الشبَّان النصارى الذين ترسلهم المدن النصرانية الخاضعة للأتراك، وأغلبهم أبناء أسرى الحروب. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٢٥).

(٥) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢١٣/١٢).

بالمماليك ـ أن نتعرَّف على طبيعة أولئك العساكر الأرنؤوطية والدلاتية والانكشارية وجرائمهم بالقاهرة، **لأنهم هم نفسهم العساكر الذين ستسوقهم الدولة العثمانية بقيادة محمد علي باشا لحرب السعوديين، وهناك سيرتكبون المجازر الشنيعة والجرائم الفظيعة في حقِّ أهل الدولة السعودية الأولى.**

* بيان حال العساكر العثمانية في مصر.

لمَّا قام الإنجليز بترحيل الفرنسيين الذين كانوا في مصر[1]، اتفق الإنجليز مع الدولة العثمانية أَنْ ترجع الأخيرة للهيمنة على مصر، بالرغم من ضعف السلطنة العثمانية وقتها، ولكن هذا ما كانت ترمي إليه بريطانيا وهو أن تُبقي على الدولة العثمانية ببنيانها المتهالك[2].

وحصل أَنْ أرسلت حكومة السلطان العثماني عساكر تملأ بها الفراغ الناجم عن انسحاب الفرنسيين من مصر، **فكانت تلك العساكر خليطاً عجيباً من القوات العثمانية يتكوَّن من الانكشارية**

(١) حول تأكيد مسألة أنَّ الإنجليز ـ وليس تركيا العثمانية ـ هم من أخرجوا الفرنسيين من مصر، انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٠٣/٤). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٢٨). أ. ج. جرانت وهارولد تمبرلي «أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين» (١/١٥٥ ـ ١٥٧).

(٢) وتأكيد ذلك الاتفاق تجده عند: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهَّابي» (١٢٣). والمستر جورج يانج «تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل» (٤٣ ـ ٤٤) (٥٤ ـ ٥٧). وإسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار» (١/٣٩٨ ـ ٣٩٩). ومحمد فريد بِك «البهجة التوفيقية» (٣٣). وجون كيلي «بريطانيا والخليج» (١/٩٦ ـ ٩٨) (١٢٦) (١٣١ ـ ١٣٢) (٤٤٣).

والدلاتية والتركمان والأرناؤوط (الألبان) والسكبان/السجمان[١] والبُشْناق[٢].

ولم يكن يجمع هذا المزيج ضبطٌ أو نظامٌ وإنَّما فقط تناول المرتَّبات من الباشا وانتظار الغنائم والأسلاب أثناء المعارك وبعدها، إذ لم تكن ثمَّة مُثُل وطنية أو قومية عليا تربط بين أشتاتها، فعاثت هذه الأخلاط في مصر فساداً وتعرض المصريون لأبشع صور العَنَت والقهر والإرهاق منهم بحجَّة أنَّهم خلَّصوا المصريين من الكفرة الفرنسيين وعليهم أن يدفعوا الثمن[٣].

وهذا ليس افتراء أو تجنّي على تلك العساكر، بل هذا ما شهد به شهود عيان من مصر؛ منهم المؤرخ الجبرتي الذي وثّق حالهم في مصر وما ارتكبوه في حقّ أهلها، قبل أن يتحركوا إلى البلاد السعودية، وإليك ما حصل منهم في مصر:

---

(١) السكبان/ السجمان: أصل اللفظ فارسي. وهم عسكرٌ غير منتظم من المرتزقة الموصوفين بالبطالة ولا يتقاضون المرتبات إلَّا في وقت الحرب فقط، أمَّا في أوقات السلم فإنَّهم يهيمون في (الأناضول) يبيعون خدماتهم لمن يطلبها. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات في منتخبات اللغات» (٢٩٧ ـ ٢٩٨). ومحمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٨٩).

(٢) البُشْناق: هم أهل البوسنة اليوم. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٧٩ ـ ٨٠).

(٣) انظر: السيد أحمد مرسي عباس «حقائق جديدة عن حرب الدرعية وهل اشترك فيها الجنود المصريون حقاً؟» (ص٨١) بحثٌ منشور في «مجلَّة الدراة» العدد٣، بتاريخ ١٣٩٧هـ.

١ ـ العساكر العثمانية تلاقش النساء في القاهرة:

شهد عليهم شاهد عيان وهو الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي المصري قائلاً: «**وغالبهم لم يَصُم رمضان، ولم يُعرف لهم دينٌ يتديَّنون به ولا طريقة يمشون عليها، [فَهُم] إباحيةٌ أسهل ما عليهم قتل النفس وأخذ مال الغير وعدم الطاعة لكبرائهم وأمرائهم، وهم أخبث منهم، فقطع الله دابرهم**»[(١)].

وشهد الجبرتي **أنَّ** عساكر الترك كانوا «**يلاقشون النساء**[(٢)] **في مجامع الأسواق** [في القاهرة] **من غير احتشام ولا حياء**»[(٣)]، وأنَّهم أكثروا من خطفهن في شوارع القاهرة[(٤)].

٢ ـ تفشِّي اللواط بين العساكر العثمانية، واصطحابهم (الخَوَلات):

شهد الجبرتي على عساكر الترك بخطفهم الصبيان[(٥)] «**والأولاد، بل ويلوطون في الرجال الاختيارية**[(٦)] ...»[(٧)].

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٤٢٥).

(٢) يلاقشون النساء: أيْ يعاكسون النساء ويغازلوهُنَّ.

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣١٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (٣/٤٨٥).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٣/٤٨٥).

(٦) اختيارية: من اِخْتِيارْ أو خِتْيَارْ. وهي تعني الرجل الطاعن في السِنِّ، وجمعه اِخْتيارية. انظر: جلال الحنفي البغدادي «معجم اللغة العاميَّة البغدادية» (١/٨٧). والكلمة شائعةٌ في مصر وسوريا والعراق.

(٧) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٥١٨). ومثل ذلك الذي ذكره الجبرتي =

وكان أكثر عساكر الترك يطاردون أولاد البلد[١] في شوارع القاهرة لأجل أن يفعلوا معهم تلك الفعلة الشنيعة حتَّى في نهار رمضان، ومن ذلك أَنَّ «**أحد عساكر الترك رأى غلاماً مصرياً من أولاد البلد، فعَلقَ به، وصار يتبعه في الطرقات كلَّ ليلة، إلى أنْ صادفه ليلةً بالقرب من جامع ألماس[٢]، فقبض عليه وأراد الفعل به في الطريق، فخدعه الغلام وأدخله في دربٍ لا يراهم فيه أحد، فحلَّ العسكري التركي سراويله، فهجم عليه الغلام وقطَعَ ذَكَرَهُ بِالْمُوس، فسقط العسكري مغشياً عليه ولم يَمُت**»[٣].

ويقول الجبرتي أيضاً: «تمادت قبائح العسكر بما لا تُحيط به

= كان يحدث من عساكر العثمانيين في ليبيا؛ فهذا المؤرّخ ابن غلبون يذكر: أنَّ أحد قادة الترك في (ساحل الأحامد) في ليبيا قام بجمع سكان ذاك الساحل للعمل ببستانه، «فرأى غلاماً أمرد جميل الصورة، فقبض عليه بمرأى من الناس، وفعل به على أعين الأشهاد الفاحشة العظمى، وكان أبو الغلام من أعيان البلد، فجعل يستغيث ويصيح، فأمر القائد التركي غلمانه فقبضوا على الأب وصرعوه وضربوه بالسياط حتى مات». انظر: أحمد بن غلبون الطرابلسي «التذكار» (ص: ٢٠٠).

(١) أولاد البلد: المصريون من أعيان عرب باديتها الذين استوطنوا بلداتها وقراها ومدنها. انظر على سبيل المثال: إدوارد وليم لين «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» (٤٠).

(٢) جامع ألماس: أنشأه الأمير سيف الدين ألماس الحاجب الناصري، وكَمُلَ سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م. وهو كائنٌ في (القاهرة)، في (شارع السُّيُوفِيَّة) بـ(الحِلْمِيَّة الجديدة) من جهة (شارع القلعة/ شارع محمد علي سابقاً). انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٢١٦/٤). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢٥/٤).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٩١/٤) باختصار.

الأوراق والدفاتر، بحيث أنَّه لا يخلو من زعجاتٍ ورجفات في غالب الجهات، إمَّا لأجل امرأة أو أمرد»[١].

وفيما بعد؛ ذكر الطبيب والجراح الخاص بمحمد علي باشا ـ وهو الفرنسي كلوت بيك ـ: أنَّ اللواط اتسع في وقت محمد علي باشا[٢] والي مصر من قِبَلِ الدولة العثمانية.

وشهد المؤرّخ الجبرتي المصري: أنَّ طائفة عساكر تركية من الدلاتية وصلت من ناحية الشام ودخلوا مصر، وبصُحْبَتِهِم المخنَّثون المعروفون بـ«**الخَوَلات**» الذين يتكلَّمون بالكلام المؤنَّث ومعهم دفوف وطنابير[٣].

يقول إدوارد وليم لين (ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)[٤] وكلوت بيك ـ وهما شهود عيان على تلك الفترات وكانوا متواجدين في مصر آنذاك ـ: **أنَّ الخَوَلات يتزيّون عادة بزيِّ النساء ويحترفون الرقص وَيُسَمُّونَهُم «الراقصون المخنَّثون»**[٥].

---

(١) المصدر السابق (٣/٤٦٩).

(٢) انظر: أ. ب. كلوت بِكْ «لمحة على مصر» (٣٢٧).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٦٦).

(٤) إدوارد وليم لين: مستشرقٌ إنجليزي، يقال إنَّه أسلم وتسمَّى باسم السيِّد منصور زاده. سَكَنَ (القاهرة) مُدَّةً، وكَتَبَ عنها عِدَّة كتب، من أشهرها: كتاب «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» وكتاب «القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر». انظر ترجمته عند: حسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الثالث (الورقة: ١٦). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (١/٢٨٤).

(٥) انظر: إدوارد لين «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» (٣٩١). و: أ. ب. كلوت بِكْ «لمحة على مصر» (٤٠٢ ـ ٤٠٣).

وقال عنهم أحمد أمين (ت: ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)[١]: «**الخَوَلات طائفةٌ من الرجال فقدوا رجولتهم وتأنَّثوا في كلامهم وحركاتهم**»[٢].

٣ ـ تعدّي عساكر العثمانيين على بيوت المصريين وأرزاقهم:

يقول الجبرتي: «**تسلَّطوا على الناس بالأذيَّة بأدنى سبب وتعرَّضوا للسكان في منازلهم؛ فتأتي الطائفة ويدخلون الدار ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكنوها، فإن لاطفهم الساكن وأعطاهم دراهم ذهبوا عنه وتركوه، وإنْ عانَدَ سبُّوهُ وضَرَبوه ولو [كان] عظيماً، وإنْ شكا إلى كبيرهم قوبِلَ بالتَّبكيت، ويقال له: ألا تُفسِحونَ لإخوانكم المجاهدين[٣] الذين حاربوا عنكم وأنقذوكم من الكفّار[٤] الذين يسومونكم سوء العذاب ويأخذون أموالكم ويفجرون بنسائكم**[٥]

(١) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطبَّاخ. من أهل مصر، مولده ووفاته في (القاهرة). من كبار الكتَّاب، عالمٌ بالأدب غزير الاطلاع على التاريخ. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١٠١/١).

(٢) أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (١٧٩).

(٣) لم يكونوا مجاهدين، بل سوادهم الأعظم مرتزقة يتكسَّبون بالمقاتلة في الحروب، وهم أخلاط من الأرناؤوط والبوشناق والترك والسكبان والدلاتية والانكشارية، وفيهم من ليس على دين الإسلام، كما مرَّ معك قبيل صفحات، وكما سيأتي بيانه حين هجومهم على أهل الدولة السعودية إبَّان معركة الصفراء.

(٤) مرَّ معنا أنَّ الذي أخرج الفرنسيين من مصر هم الإنجليز، ولم يكن للعثمانيين أيّ دور يُذكَر.

(٥) هذا غير صحيح، والفرنسيون ـ على نصرانيتهم وإلحادهم ـ كانوا أذكى وأعقل من هؤلاء الترك، فإنَّ الفرنسيين حرصوا على عدم تجاوز المحظورات الحسَّاسة مع الشعب المصري بأمرائِهِ المماليك وتجّارِهِ وصنَّاعِهِ العرب ومزارعيه الفلاحين، بل إنَّ نابليون نفسه لبس عمامة متصوِّفتهم وتزيَّا بزيِّهم =

وينهبون بيوتكم، وهم ضيوفكم أيَّاماً قليلة. فما يَسَع المسكين إلَّا أن يُكَلِّفهُم[١] بما قَدر عليه، وإنْ أسعَفَت العناية وانصرفوا عنه بأيِّ وجه فيأتي إليه خلافهم»[٢].

وفي أحد الأيام «**حضرت عساكر كثيرة من الأتراك والأرناؤوط، فأحضروا مشايخ الحارات وأمروهم بإخلاء البيوت لسكناهم، فأزعجوا الكثير من الناس وأخرجوهم من دورهم بالقهر، فحصل للناس غاية الضرر وضاق بهم الحال، وكلّما سكنت منهم طائفة بدار أخربوها وأحرقوا أخشابها وطيقانها وأبوابها وانتقلوا إلى غيرها فيفعلون بها كذلك، ومن تكلَّم أو دافع عن داره وُبِّخَ بالكلام**، وقيل له: عجباً؛ كنتم تُسكِنون الفرنسيس وتُخْلُونَ لهم الدار. وأمثال ذلك من الكلام القبيح الذي لا أصل له»[٣].

مِن بعد ذلك «حضر سكان مصر القديمة[٤] نساءً ورجالاً إلى جهة الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من أفعال الدلاتية، ويخبرون

= وسار سيرتهم في إحياء الموالد في الشوارع وتقرَّب إلى كبرائهم وسوقتهم. انظر ما ذَكَرَهُ عبدالرحمٰن الجبرتي في «عجائب الآثار» (١٥/٣ وما بعدها).

(١) أي: يعطيهم الكُلَف؛ والتي هي أعطيات الجند ومصروفاتهم. انظر: تقي الدين المقريزي «المواعظ والاعتبار» (٢٦١/١).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٠٧/٣).

(٣) المصدر السابق (٣٦٠/٣).

(٤) مصر القديمة: هي المعروفة سابقاً بـ(الفسطاط)، وتعرف أيضاً بـ(مصر العتيقة)، وهي على الجانب الشرقيِّ من النيل. وهي اليوم أحد أقسام محافظة القاهرة. انظر: محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني (٤/١).

أنَّهم أخرجوهم من مساكنهم قهراً عنهم، ولم يتركوهم يأخذوا ثيابهم ومتاعهم، بل ومنعوا النساء أيضاً عندهم، وما خَلُصَ منهم إلَّا من تسلَّق ونطَّ الحيطان»[(١)].

وفي يوم من أيام جمادى الأولى ١٢١٦هـ/سبتمبر ١٨٠١م «**وقع من طوائف العسكر [العثماني] عربدة بأسواق [القاهرة] وتخطَّفوا أمتعة الناس ومن باعة المآكل كالشواء والفطير والبطيخ والبلح، فانزعجت الناس والباعة ورفعوا متاعهم من الحوانيت وأخلوا منها وأغلقوها، وتبيَّن أنَّ السبب في ذلك تأخير علائفهم، وذلك من عاداتهم القبيحة؛ أنَّه إذا تأخرت عنهم علائفهم فعلوا مثل ذلك بالرعيَّة وأثاروا الشرور**»[(٢)].

وكانت عساكر الأرناؤوط أكثر عساكر الترك عربدة، فقد كانوا «**يخطفون عمائم الناس وخصوصاً بالليل، حتى كان الإنسان إذا مشى يربط عمامته خوفاً عليها، وإذا تمكَّنوا من أحد شلَّحوا ثيابه وأخذوا ما معه من الدراهم، ويترصَّدون لمن يذهب إلى الأسواق فيأخذون ما معهم من الدراهم، ثمَّ يذهبون إلى السوق وينهبون ما يجلبه الفلاحون من ذلك للبيع**، فامتنع الفلاحون عن ذلك إلا في النادر خُفيَة»[(٣)].

ثمَّ إنَّهم «انتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كلَّ قبيح؛ فتذهب الجماعة منهم إلى القرية وبيدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية، ويوهمونهم أنَّهم حضروا إليهم بأوامر: إمَّا برفع الظلم عنهم أو ما

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٥١٨).

(٢) المصدر السابق (٣/٣١٤).

(٣) المصدر نفسه (٣/٤٢٥).

يبتدعونه من الكلام المزوَّر، ويطلبون حقَّ طريقهم[١] مبلغاً عظيماً، ويقبضون على مشايخ القرية ويُلزِمونهم بالكُلَف الفاحشة، ويخطفون الأغنام ويهجمون على النساء، وغير ذلك ممَّا لا يحيط به العلم، فطَفِشَت الفلَّاحون وحضر أكثرهم إلى المدينة حتى امتلأت الطرق والأزقَّة منهم»[٢].

وأحياناً «**يركب العسكريّ** [العثماني] **حمار المكاري**[٣] **قهراً ويخرج به إلى جهة الخلاء فيقتل المكاري ويذهب بالحمار فيبيعه بساحة الحمير، وإذا انفردوا بشخص أو بشخصين خارج المدينة أخذوا دراهمهم أو شلَّحوهم ثيابهم أو قتلوهم بعد ذلك**، وتسلَّطوا على الناس بالسلب والشتم ويجعلونهم كفرة وفرنسيس وغير ذلك، وتمنَّى الناس ـ خصوصاً الفلاحين ـ أيام الفرنساوية»[٤].

وفي أثناء تجريدة عسكرية على المماليك المصرية طلبت عساكر الترك من المصريين «الحمَّارة المكارية وأمروهم بإحضار ستمئة حمار وشدَّدوا عليهم في ذلك، فقيل إنَّهم لمَّا جمعوها أعطوهم أثمانها؛ في كلّ حمار خمسة ريال بُعَدَّتِهِ ولِجامِهِ، مع أنَّ فيها ما قيمته خمسون ريالاً خلاف عُدَّته، ثمَّ ما كفاهم ذلك، **بل صاروا يخطفون حمير**

---

(١) حقّ الطريق: ضريبةٌ يجمعها الجاويش من كلّ قرية يمرّ بها، ويسميها: أتاوة حقّ الطريق، أي: مؤونة الطريق. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٦٣).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣١٧).

(٣) المكاري: الذي يَكري دواب الجرِّ أو الحمل، وجمعه «مكارية». انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٤٠٥).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣١٧ ـ ٣١٨).

الناس من أولاد البلد بالقهر، وكذلك حمير السَقَّائين التي تنقل الماء من الخليج[١] **حتى امتنعت السقَّاؤون بالكليَّة في حارتهم.**

فخبَّأ جميع الناس حميرهم داخل الدور، فكان يأتي الجماعة من العسكر وينصتون بآذانهم على باب الدار ويتبعون نهيق الحمير، وبعض شياطينهم يقف على الدار ويقول: زِر. ويكررها، فينهق الحمار فيعلمون به ويطلبونه من البيت، فإمَّا أخذوه أو افتداه صاحبه بما أرادوه»[٢].

وحدث أنَّ عساكر الترك العثمانيين وقفوا بأبواب القاهرة في شعبان ١٢١٦هـ/ديسمبر ١٨٠١م «فصاروا يأخذون دراهم من كلّ من وجدوا معه شيئاً، سواء كان داخلاً أو خارجاً بحسب اجتهادهم، وكذلك ما يُجلب من الأرياف»[٣]، حتى أنَّ الناس لما اقترب شهر رمضان لم يخرجوا لالتماس رؤية هلاله[٤] خوفاً من «**تسلُّط العسكر على خطف الناس وسلبهم وقتلهم، حتى امتنعت الناس من المرور في جهات سكنهم إلا أن يكونوا في عزوة ومَنَعَة وقوَّة، ولا تكاد ترى شخصاً يمرّ في الأسواق من بعد المغرب وقبيل العشاء، وإذا اضطرّ الإنسان إلى المرور تلك الأوقات، فلا يمرُّ إلا كالمجازف على نفسه**

(١) المقصود هنا (الخليج الناصري) وهو الذي رُدِمَ كلّه في عهد الخديوي إسماعيل، وأصبح اسمه اليوم (شارع بور سعيد). انظر: فتحي الحديدي «التطوّر العمراني لشوارع مدينة القاهرة من البدايات حتى القرن الحادي والعشرين» (٨٣ ـ ١٢٦).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٦٠).

(٣) المصدر السابق (٣/٣٢٥).

(٤) انظر: المصدر نفسه (٣/٣٢٩).

وكأنَّما على رأسه الطير»[١].

أمَّا أهل الإسكندرية فقد نالهم من تعدِّيات العساكر التركية الشيء الكبير، فبعد أن رحل الإنجليز عن ثغر الإسكندرية في إثر مصالحتهم مع محمد علي باشا في شعبان **١٢٢٢**هـ/أكتوبر **١٨٠٧**م، قامت عساكر الترك التابعة للباشا «فأفحشوا في التعدِّي على الناس [بالإسكندرية] وغَصبِ البيوت من أصحابها، **فتأتي طائفة منهم إلى الدار المسكونة ويدخلونها في غير احتشام ولا إذن، ويهجمون على سكن الحريم بحجَّة أنَّهم يتفرَّجون على أعالي الدار، فتصرخ النساء ويجتمع أهل الخُطَّة ويكلِّمونهم فلا يلتفتون إليهم، فيعالجونهم مرَّة بالملاطفة وأخرى بكثرة الجمع ـ إن كان بهم قوة ـ أو بمعونة ذي المقدرة، وإذا انفصلوا فلا يخرجون من الدار إلَّا بمصلحة أو هدية لها قدر**، ويشترطون في ذلك الشيلان الكشميري، فإذا أحضروا مطلوبهم فلا يُعجب كبيرهم ويَطلب خلافه أحمر أو أصفر، وذلك خلاف ما يأخذونه من الدراهم، **فإذا انصرفوا وظنَّ صاحب الدار أنَّهم انحلّوا عنه، فيأتيه بعد يومين أو ثلاثة خلافهم، ويقع في ورطة أخرى مثل الأولى أو أخفّ أو أعظم منها.**

وبعضهم يدخل الدار ويسكنها بالتحيّل والملاطفة مع صاحب الدار، فإن قال ليس عندنا محلّ أو قصَّر في مطلوبٍ؛ ابتدؤوه بالقسوة، فعند ذلك يعلم صاحب الدار أنهم لا انفكاك لهم عن المكان، **فيتكاثرون مع رفاقهم العساكر في الدار فتظهر قبائحهم ويقذرون المكان ويحرقون البُسُط والحُصُر بما يتساقط عليها من الجمر من شربهم النارجيلات والتنباك والدخان، ويشربون الشراب ويعربدون**

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٧).

ويصرخون ويُصَفِّقُون ويُغَنُّون بلغاتهم المختلفة، فَتَفْقَع رائحة العَرَقِيّ[(١)] في المنزل، فيضيق صدر الرجل وصدر أهل بيته[(٢)]، ويُطيِّب خاطرهم على الخروج والنقلة، فيطلبون لأنفسهم مسكناً ولو مشتركاً عند أقاربهم أو معارفهم، وتخرج النساء في غفلة بثيابهم وما يمكنهم حمله ثمَّ يشرعون في إخراج المتاع والأواني والنحاس والفُرُش، فيحجزونه عنهم ويقولون: إذا أخذتم ذلك فعلى أيّ شيءٍ نجلس وفي أيِّ شيء نطبخ وليس معنا فُرُش ولا نحاس، والذي معنا استُهلِكَ منَّا في السفر والجهاد ودفع الكفَّار عنكم وأنتم مستريحون في بيوتكم وعند حريمكم، فيقع النزاع، وينفصل الأمر بينهم وبين صاحب الدار إمَّا بترك الدار بما فيها أو بالمقاسمة والمصالحة بالترجِّي والوسائط ونحو ذلك»[(٣)].

وفي ١٨ رمضان ١٢٢٢هـ/١٩ نوفمبر ١٨٠٧م حصلت محاربة بين العساكر التركية وصارت مطاردة بينهم خلال بيوت الناس في باب الخرق[(٤)] بالقاهرة، «فعبثوا بالدور وأزعجوا أهلها بقبيح أفعالهم، فإنَّهم عندما يدخلون في أول بيت يصعدون إلى الحريم بصورة منكرة

(١) العَرَقي: نوع من الخمر المصنوع من البلح يسمّونه «العَرَق». انظر: أ. ب. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤١).

(٢) قال كلوت بيك عن المصرين العرب وعن الترك، وهو شاهد عيان على تلك الفترة، ما نصّه: «ومن النادر جداً أن تجد بين العرب من يتعاطى المسكرات، بخلاف العثمانيين». انظر: أ. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤١)

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١١١/٤ ـ ١١٢) باختصار وتصرّف يسير.

(٤) باب الخرق: من أبواب سور مدينة (القاهرة)، وهو في شارع باسمه. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٠٦/٣).

من غير دستور[١] ولا استئذان، ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج، ويَصِرْنَ يَصْرُخْنَ ويَصِحْنَ بأطفالهنَّ ويَهْرُبْنَ إلى الحارات الأخرى بغاية الخوف والرعب والمشقَّة، وطفقت عساكر [الترك] **تنهب الأمتعة والثياب والفُرُش ويكسرون الصناديق ويأخذون ما فيها، ويأكلون ما في القُدُور من الأطعمة في نهار رمضان من غير احتشام»**[٢].

* حرب الترك العثمانيين للسعوديين تبدأ بمذبحة المماليك المصريين في القلعة:

وجد محمد علي باشا حيلة يحتال بها للفتك بالمماليك المصرية حتَّى يتفرَّغ لحرب السعوديين، وهي أن يتخلص من المماليك المصريين جملةً واحدة خلال حفلٍ يقيمه لتحرّك جيشه العثماني تجاه الحجاز بقيادة ابنه طوسون باشا (ت: ١٢٣١هـ/١٨١٦م)[٣]. ولقد كانت الحكومة العثمانية تؤيّد محمد علي باشا في تخطيطه للفتك

---

(١) دستور: كلمة يستعملها المصريون في عاداتهم من أيام المماليك حتى الآن والساعة، فإذا طلع الرجل السُّلَّم على الحريم قال: دستور، أو: يا ساتر، فتسمع المرأة فتحتجب. ويُستعمل أيضاً عند زيارتهم الأضرحة والمشايخ، فيقولون: دستور يا أسيادنا. وكذلك إذا أرادت المرأة أن تَكُبَّ ماءً تقول: دستور؛ تحذيراً للمارة أو احتراساً من أن يُسكب على الجنّ فَيَتَأَذَّوْنَ ويُضِرُّونَ الفاعل. انظر: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (١٧١).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١١٩).

(٣) هو أحمد طوسون، الشهير بطوسون باشا ابن محمد علي باشا. توفّيَ سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.له ترجمة عند الجبرتي في «عجائب الآثار» (٤/٤١٠ ـ ٤١٢)، وأخباره كثيرة وطويلة في تاريخ الجبرتي في المجلدة الرابعة.

بالمماليك المصرية[١].

ففي ٣ صفر ١٢٢٦هـ/٢٧ فبراير ١٨١١م قلَّد محمد علي باشا ابنه طوسون قائداً عامّاً للركب الموجَّه لحرب السعوديين[٢]، فأخرج الباشا جيشه ناحية باب العَزَب[٣] ونصبوا له معسكراً وخياما، وطلب الباشا من المنجّمين أن يختاروا له وقتاً صالحاً لإلباس ابنه خُلعة السفر، فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة ٦ صفر ١٢٢٢هـ/٢ مارس ١٨١١م.

فلمّا كان يوم الخميس ـ قبله بيوم ـ أَمَرَ الباشا مناديه ينادي على كلّ أمراء المماليك المصرية في القاهرة أن يأتوا إلى القلعة يوم الجمعة بِأُبَّهَتِهِم وزينتهم ومعهم أتباعهم وأجنادهم وأولادهم ومماليكهم وحرسهم وخواصّهم ليحضروا موكب تسيير الجيش الذاهب لحرب السعوديين.

فلمّا أصبح يوم الجمعة ٦ صفر/٢ مارس ركب جميع أمراء المماليك المصرية الموجودين في القاهرة وطلعوا إلى القلعة عند الباشا وجلسوا معه وشربوا القهوة وتضاحك معهم، ثمَّ انجرَّ الموكب

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) معيَّة سنيَّة، وحدة الحفظ (٥٢)، بتاريخ ١٩ رمضان ١٢٢٥هـ/ ١٨ أكتوبر ١٨١٠م (٢٢٨/١).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٢٨)، بتاريخ ١١ ربيع أول ١٢٢٥هـ/ ١٦ أبريل ١٨١٠م (١٧٨/١). وانظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢٢٨/٢).

(٣) باب العَزَب: هو البوابة الرئيسية لقلعة المقطَّم. انظر: إدوارد وليم لين «القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر» (٨٦).

على الوضع الذي رتَّبوه، وكان الباشا قد بَيَّتَ الغدر بهم.

فلمَّا انجرَّ الموكب وانفصل عند باب العَزَب، أمر الباشا بغلق الباب على المماليك الذين هم في داخل القلعة، وعرَّفَ طائفته الدلاتية بالمراد فالتفتوا ضاربين الرصاص على المماليك الذين انحصروا بأجمعهم في المضيق المنحدر ذي الحجر المقطوع في أعلى باب العَزَب إلى الباب الأسفل، وقد أعدَّ الباشا عدة عساكر أوقفهم على علاوي حيطان مضيق النقر[١].

فلمَّا حصل الضرب من التحتانيين أراد أمراء المماليك الرجوع القهقرى فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول في مضيق النقر، وأَخَذَهُم ضرب البنادق والقرابين[٢] من خلفهم، وعَلِمَ العسكر الواقفون بالأعالي المراد فضربوا أيضاً، فلمَّا رأى المماليك ما حلَّ بهم سقط في أيديهم ووقع منهم أشخاص كثيرة، فنزلوا من الخيول راجعين إلى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية، فسقط أكثرهم، وأصيب شاهين بيك[٣] وسقط إلى الأرض فقطعوا رأسه وأسرعوا بها إلى

(١) مضيق النُّقَر: دهليز ضَيِّقٌ فيه نُقَر (حُجَرٌ صغيرة ضيقة جداً)، وفيه حجرات رمي السهام ذات عمق كافٍ لشخص واحد فقط. انظر: ك. أ. كريزويل «وصف قلعة الجبل» (٢١) (٤٧ ـ ٤٨).

(٢) القرابين: مفردها «قرابينة»، وهي بندقية من العصر العثماني واسعةُ الفوَّهة يحملها المشاة والفرسان. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٢٢).

(٣) شاهين بيك: هو كبير الأمراء المماليك الألفية من بعد وفاة الأمير محمد بيك الألفي، والألفي هو الذي أوصى له بالإمارة من بعده وأعطاه ختم الإمارة الألفية. وكانت تحت يد شاهين بيك أرياف مصر وباديتها وقبائلها، لم يستطع محمد علي باشا أن يأخذها منه. كانت رسوم الإمارة والهيلمان بادية عليه طيلة =

الباشا ليأخذوا عليها البقشيش[1]. أمَّا سليمان بيك البواب[2] فهرب من حلاوة الروح وصعد حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط واحتزُّوا رأسه.

وأسرف العسكر التركي في قتل المماليك المصريين وقطع رؤوسهم وسلب ما عليهم من الثياب ولم يرحموا أحداً، وأظهروا كامن حقدهم وضَبَعوا فيهم وفيمن رافقهم متجمِّلاً من أولاد الناس[3] وأهالي البلد الذين تزيُّوا بزيِّهم لزينة الموكب، وتتبَّعوا المتشتتين والهربانين من المماليك في نواحي القلعة وزواياها، والذين فرّوا منهم

= حياته. انظر أخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٨/٤ ـ ٣٩) (٦٤) (١٠٠) (١٢٠ ـ ١٢٣) (٢١٢).

(١) البقشيش: لفظٌ فارسي «بخشيش»، وتعني العطية أو الهدية للعامل أو الخادم أو النادل فوق أجره. انظر: محمد أحمد دهمان «الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٣٦).

(٢) سليمان بيك البواب: من كبار الأمراء المماليك الألفية. كان ذا ظلم وعسفٍ لمَّا تولَّى (المنوفية). وكان تحت يده أرياف مصر في الوجه القبلي كلّه. تحارب مع محمد علي باشا مُدَّة ثمَّ صفى ما بينهما فأقرّه الباشا على الوجه القبلي كلّه. وسليمان بيك هذا هو الذي سعى بالصلح بين أمراء المماليك الألفية ومحمد علي باشا. انظر أخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٦٨/٤) (٧٣) (١٢٤) (١٦٣) (١٩٩) (٢٠٠) (٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٣) أولاد الناس: هم أبناء السلاطين وأبناء أمراء المماليك الذين وُلِدوا أحراراً مسلمين ونشؤوا داخل حدود السلطنة المملوكية ويحملون أسماء عربية. ولهم تربية وأدب. عُرِفَ منهم ابن تغري بردي المؤرخ المملوكي المعروف، وكثير غيره. انظر: تعليقات أيمن فؤاد سيِّد على كتاب «المواعظ والاعتبار» لتقيِّ الدين المقريزي (٢٨٦/٤). ومحمد أحمد دهمان «الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٢٦).

دخلوا البيوت والأماكن، وقبضوا على من أُمسِكَ حيّاً منهم ولم يمت بالرصاص أو متخلفاً عن الموكب، فسلبوا ثيابهم وجمعوهم إلى السجن[١]، ثم أحضروا المشاعلي[٢] لرمي أعناقهم في حوش القلعة واحداً بعد واحد، من ضحوة النهار إلى أن مضى حصَّة من الليل، حتى امتلأ الحوش من القتلى.

وهكذا دخل القلعة في صبيحة ذلك اليوم أربعمئة وسبعون من المماليك وأتباعهم، قُتِلوا جميعاً، ولم ينجُ منهم إلَّا واحداً هو الأمير المملوكي أمين بيك فإنَّه كان في مؤخِّرة الصفوف، فلمَّا رأى الرصاص ينهال على زملائه طَلَبَ النجاة فامتطى جواده وتوجَّه إلى المكان المشرف على الطريق من سور القلعة، ورأى الموت محيطاً به، فلم يجد منجى إلَّا أن يرمي بنفسه من أعلى السور إلى خارج القلعة، وكان الخطر المُحقَّق في تلك المحاولة؛ إذ يعلو السور عن الأرض ستين قدماً، ولكنَّه خاطر بنفسه مُؤْثِراً الموت على القتل، فلَكَزَ جوادَه فقَفَزَ به مُتَرَدِّياً، ولمَّا صار على مَقرُبَةٍ من الأرض قفز هو مُتَرَجِّلاً وترك الجواد يتلقى الصدمة، فتهشَّم الجواد لفورِهِ فَنَفَقَ مباشرةً ونجا أمين بيك من الموت ومضى يعدو في طريق الصحراء، وما زال يطوي الفدافد متنكِّراً حتى بَلَغ جنوب سورية.

---

(١) هو سجن القلعة، الذي كان يعرف بـ (الجُبِّ). وهذا السجن شهير جداً وسُجِنَ فيه مشاهير، مثل: شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: تقي الدين المقريزي «المواعظ والاعتبار» (٣/٦٥٢).

(٢) المشاعلي: جمعها «مشاعلية»، ويسمّون أيضاً «الضويَّة»، وهم الذين يُطلب منهم صلب أحد المطلوبين أو تسميره من باب النداء عليه. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم اللفاظ التاريخية في العصر الملوكي» (١٣٩).

أمَّا أسفل القاهرة، فإنَّ العساكر الترك في الأسفل عندما تحقَّقوا حصول الواقعة وقَتل أمراء المماليك؛ انبثُّوا كالجراد المُنتشر إلى بيوت الأمراء المماليك المصرية ومن جاورهم طالبين النَّهب والغنيمة، فولجوها بَغتةً ونهبوها نهباً ذريعاً، وهتكوا حرائر حريمهم وسحبوا نساءهم وبناتهم وجواريهم وسلبوا ما عليهن من الحلي والجواهر والثياب، وأظهروا الكامن في نفوسهم.

وأصبح يوم السبت ٧ صفر/٣ مارس والنهب والقتل عَمَّالٌ والقبض شَغَّالٌ على المتوارين والمتخفِّين، فيقبضون على من يقبضون عليه، ويسحبون الواحد والاثنين أو أكثر بينهم، ويأخذون عمائمهم وثيابهم وما في جيوبهم في أثناء الطريق.

وبعض المماليك غيَّر زيَّه خوفاً من عساكر الترك، ومن المماليك من لبس ملابس نساء الفلاحين وخرج ضمنهن، وفرَّ من نجا منهم إلى الشام وبعضهم إلى السودان وليبيا وتونس والحجاز وغيرها.

وأرسل كتخدا بيك أوراقاً إلى كشَّاف النواحي والأقاليم بقتل من وجدوه منهم بالقرى والبلدات، فوردت الرؤوس في ثاني يوم من النواحي، فصار يصل كل يوم العدد من الرؤوس من قبلي وبحري ويضعونها على باب القلعة، ولم يقبلوا شفاعة في أحد أبداً، ويعطون الأمان للبعض، فإذا حضروا قبضوا عليهم وشلَّحوهم ثيابهم وقتلوهم، وصارت رِمَمهم تُحمل على الأخشاب ويرمونهم عند المَغْسَلِ بالرميلة[1]، ثم يرفعونهم ويلقونهم في حفرٍ من الأرض فوق بعضهم

---

(١) الرميلة: يُعرف اليوم باسم (ميدان صلاح الدين). انظر: إدوارد وليم لين «القاهرة منتصف القرن التاسع عشر» (٨٦).

البعض لا يتميَّز الأمير عن غيره، وسلخوا عِدَّة رؤوس من رؤوس العظماء وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم في تلك الحفر.

ثمَّ أُرسلت عدة من رؤوس المماليك المقطوعة إلى إسطنبول لتراها حكومة السلطان العثماني. فكانت تلك الحادثة من أشنع الحوادث[(١)].

وبعد ذلك الفتك وتلك المذبحة أرسل محمد علي باشا إلى الحكومة العثمانية بإسطنبول قائلاً: «بهذا الوجه حصل الخلاص والتخلُّصِ ولله الحمد من غوائلهم ومصروفاتهم»[(٢)]، وبذلك قضى على العقبات الداخلية التي كان يخشى منها على ولايته، وأخبر السلطان بأنه وجَّه جيشه إلى السويس لمحاربة السعوديين[(٣)].

لقد نقلتُ تلك الحادثة على طولها ليُعرف مدى انحطاط وبشاعة هذا الجيش العثماني؛ الذي أمر سلطان تركيا على محمد علي باشا أن يجمعه ويستخدمه في حربه للسعوديين.

---

(١) انظر تفاصيل مجزرة المماليك في القلعة عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٠٦ ـ ٢١٤). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ برقم (٦٠) بتاريخ ٩ صفر ١٢٢٦هـ/ ٥ مارس ١٨١١م (١/٢٨١ ـ ٢٨٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤١٨ ـ ٤٢٥). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٠٨ ـ ١١٥).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وحدة الحفظ: دفتر (١) معيَّة تركي، برقم (٦٠) بتاريخ ٩ صفر ١٢٢٦هـ/ ٥ مارس ١٨١١م (١/٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٣) انظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٣٠).

* الحملة العثمانية تتحرَّك لحرب السعوديين/ووصف ضخامة جيش الحملة:

بعد أن فرغ محمد علي باشا من الفتك بالمماليك المصرية، حرَّك الموكب الجسيم الذاهب إلى محاربة السعوديين، فسار بضخامته في يوم الأحد السادس من ربيع الأول ١٢٢٦هـ/٣١ مارس ١٨١١م تتقدَّمه طائفة عساكر تصاحبهم مدافع كبار[١] على عربات تجرُّها، وعددٌ مَهول من الخيول[٢]، وأكثر من أَحَد عشر ألف جمل[٣] وقريب من ألف بغل لحمل الجنود غير الفرسان[٤]،

وسار في هذا الموكب الكثيف الرهيب: طوائف مشاة الأرناؤوط والأتراك والسكبان ورجال المدفعية والرماة[٥] وأصحاب الهجن والجنود ذوي الرتب الصغيرة والقوات غير النظامية التي هي أقرب للمشاة[٦] وأغوات الانكشارية ورماة المدفعية

---

(١) انظر: محمد البسَّام النجدي «الدرر المفاخر في أخبار العرب الأوائل والأواخر» (٥٩).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سنيَّة، وحدة الحفظ (بلا)، بتاريخ غرَّة جمادى الثانية ١٢٢٤هـ/ ١٤ يوليو ١٨٠٩م (١/١١٠).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٥).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣هـ/ ٩ مارس ١٨٠٨م (١/٥٦).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سَنيَّة، وحدة الحفظ (بلا)، بتاريخ غرَّة جمادى الثانية ١٢٢٤هـ/ ١٤ يولية ١٨٠٩م (١/١٠٩).

(٦) انظر: الأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (١٦٧).

والبلطجية[١].

ولحق بهم جمٌّ غفير من البدو من **عرب الهوَّارة**[٢] **من مصر**[٣] **وعرب الجوازي**[٤] **من بدو ليبيا** الذين جاؤوا من صحرائها وكلّهم خيَّالة[٥]، وانْضَمَّ إليهم **بدو مغاربة**[٦] وأعداد من **نصارى اليونان**

---

(١) البلطجية: معناها حامل البلطة، وهم فرقة من حرس القصور مهمَّتهم في الأصل مرافقة مواكب نساء القصر وحمايتهن، كانوا يمسكون أَزِمَّةِ دواب العربات ويصحبونها في الطرقات. وفي آخر العصر العثماني انصرف هذا اللقب على الرجال الذين لا عمل لهم، ويعيشون عالةً على حساب النساء. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٨٥).

(٢) عرب الهوارة: من بادية مصر وإحدى قبائلها، وقد سيطروا على (الصعيد) فترة العثمانيين. انظر: أ. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٤١٧). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥). وعبدالحميد صالح حمدان «تاريخ القبائل العربية في مصر» (٦٩) (٧١). وعبدالسلام الفرجاني «قبائل العرب في مصر» (٩).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٠)، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٣٠هـ/ ٢٧ أغسطس ١٨١٥م (٢٣٦/٢).

(٤) عرب الجوازي: إحدى قبائل ليبيا من (برقة) و(بنغازي) التي هاجرت لمصر بعد المذبحة التي ارتُكِبَت في حقّهم من قِبَل الوالي التركي القرمانلي، انظر: رودولفو ميكاكلي «طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي» (١٨٠ ـ ١٨١). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٨). وعبدالحميد صالح حمدان «تاريخ القبائل العربية في مصر» (٧١). وعبدالسلام الفرجاني «قبائل العرب في مصر» (٩ ـ ١٠).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٣). إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٧٦). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٥). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٣٠).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٠).

الكاثوليك[١].

ثم تَبِعَهُم عددٌ مهولٌ من أرباب الصنائع والحِرَف ومثلهم من الخبَّازين والفرَّانين والطبَّاخين[٢] يصحبهم جهاز مطابخ كاملة وقناديل ومفروشات وسائر اللوازم، وأكثر من ثلاثة آلاف خيمة وقبة خضراء، وأكثر من عشرين ألفاً من قِرَب مياه الشرب[٣].

يقول الجبرتي: أنَّهم اصطحبوا في الحملة آلاف الأكياس من المآكل المرفَّهة «كالحلاوات والمِلبِّسات[٤] والكعك المصنوع بالعجمية[٥] والسكر المكرَّر والغُرَيِّبات[٦]

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٢٦).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٤٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٦). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٢٦).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣هـ/ ٩ مارس ١٨٠٨م (١/٥٥).

(٤) المِلَبِّسات: مفردها «المُلَبَّس» والعامة في مصر تنطقها «مِلَبِّس»، وهي من مأكولاتهم، وتعني: لوزةٌ أو نحوها تُغشى بطبقةٍ يابسةٍ من الحلوى. إبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٨١٣). أيضاً: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٨١).

(٥) العَجَمِيَّة: حلوى تركية مشهورة في صعيد مصر منذ زمن، وتُسمَّى في مصر «سدِّ الحَنَك»، عبارة عن سمن ودقيق ولبن وسكر. انظر: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٧١).

(٦) الغُرَيِّبات: مفردها «غُرَيِّبَة»، من مآكل أهل مصر، وتعني: الكعك المصنوع من الدقيق والسمن السكَّر والكثير من الزبدة. انظر: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٤٢) (٢٨١).

والخشكنانكات[١] والمُرَبَّيَات والشَرِبات[٢]...» وصناديق المسكرات والخمور[٣] وآلات الطرب[٤].

وفي ١٢ رمضان ١٢٢٦هـ/٣٠ سبتمبر ١٨١١م خرج السيد محمد المحروقي (ت: ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م)[٥] ليسافر صحبة الركب، وخرج في موكبٍ جليل لأنَّه هو المشار إليه في رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته وأمور العربان ومشايخها[٦]، وأوصى محمد علي باشا ابنه طوسون باشا أمير العسكر بأنْ لا يفعل شيئاً من الأشياء إلا بمشورة المحروقي واطّلاعه[٧].

---

(١) الخشكنانكات: مفردها الخشكنان/ الخشكار. وتعني: الخبز الجاف، وتُطلق على نوعٍ من المخبوزات يُصنع من الدقيق والسكر واللوز والفستق. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٦٩).

(٢) الشربات: هو الشراب المشهور الذي يقدمه المصريون في المناسبات المفرحة، وهم يصنعونه من الماء مذاباً في السكر مع ماء الورد أو ماء زهر البرتقال. انظر: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٠٦).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢١٩) (٢٢٢) (٢٢٦).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢١٤ ـ ٢١٥). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٦).

(٥) السيد محمد ابن السيد المحروقي: شاهبندر تجار القاهرة وابن شاهبندر تجار القاهرة. انظر أخباره عند: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٢) (١٢٠). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/١٨٨). وحسن قاسم في «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الأول (الورقة: ٢٩).

(٦) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٧).

(٧) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢١٩).

* طوسون باشا يحتلّ ينبع ومحيطها.

في ١٨ رمضان ١٢٢٦هـ/٦ أكتوبر ١٨١١م ارتحل طوسون باشا من فوره بطريق البرِّ يقود حملة الفرسان، بينما وصلت عساكره التي سافرت عن طريق البحر إلى مرفأ ينبع البحر، ولمَّا ألقت مراسيها في المرفأ ونزلت إلى داخل مدينة الميناء بدأت رصاصات البنادق تنطلق من القلعة التي يتحصَّن بها الجنود السعوديون، فردَّت عساكر محمد علي باشا بضرب القلعة بالمدفعية الثقيلة والقنابل، ثمَّ ركَّبوا على سورها سلالم وصعدوا عليها فملكوا القلعة[١] وقتلوا من كان بها، وبعض الجنود السعوديين هربوا على خيولهم، **فطفقت عساكر محمد علي باشا تنهب ما في ينبع البحر من الودائع والأموال والأقمشة والبُنّ**[٢].

ثمَّ هجمت عساكر الترك على بيوت الناس بعد أن هرب أهلها قبيل وصول الحملة فنهبتها عساكر الترك[٣]**، كما هيمنت تلك العساكر على الوجه**[٤] **والمويلح**[٥][٦].

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٧٣)، رمضان ١٢٢٦هـ/ سبتمبر ١٨١١م (٣٢١/١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٢).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢١٩/٤ ـ ٢٢٠).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٧).

(٤) الوجه: تقع شمال (ينبع) وشمال مصب (وادي إضم). انظر عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٧٩٨).

(٥) المويلح: ميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي شمال (ضبة) على بعد ٥٠ كلم منها، يصبّ عليها (وادي صُرّ) من الشرق من (جبل الجَم) و(جبل شار). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٦٩٠).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٧٤)، =

وبحسب فيلكس مانجان ـ وهو من خوّاص محمد علي باشا ـ وبحسب الوثائق البريطانية أيضاً؛ **أنَّ الشريف غالب قد تعهَّد للإمام سعود بالدفاع عن ينبع البحر، لذلك اكتفى السعوديون بوضع حامية صغيرة فيها لا يتجاوز عدد أفرادها ثلاثمئة رجل، ولكنَّ غالباً نكث بوعده وتحوَّل لمناصرة الأتراك ومكَّنهم من الاستيلاء على ينبع**[(١)].

وفي ٧ شوَّال ١٢٢٦هـ/٢٥ أكتوبر ١٨١١م وصل طوسون باشا بعساكره البرية إلى بندر[(٢)] المويلح، بعد أن خسر كثيراً من الخيل في تلك الرحلة البرية الشاقة[(٣)]، **ولكنَّه لم يتعرَّض لأية عوائق من طرف البدو في الطريق، لأنَّه** ـ بحسب تقرير السير هارفرد بريدجز ـ **كان قد سبق توزيع هدايا أو رشاوى على شيوخهم**[(٤)].

الحاصل أنَّ طوسون باشا اجتمع بعسكره البرّي مع العسكر البحري واحتلّوا بعضاً مِن ينبع البر التي تسمى ينبع النخل[(٥)]، بعد أن

= رمضان ١٢٢٦هـ سبتمبر ١٨١١م (١/٣٢٣). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٧).

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,761. وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٨).

(٢) بندر: لفظٌ فارسيٌّ بمعنى: ميناء أو مدينة ساحلية، دخل العربية عن طريق اللغة التركية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٨٧).

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٣) (١٢٠).

(٤) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٢٨).

(٥) ينبع البر: وتسمَّى (ينبع النخل)، وادٍ فحل كثير القرى والعيون والسكَّان، يقع غرب (المدينة النبوية). من سكانها قبائل جهينة في الشق الشمالي وقبيلة حرب في الشق الجنوبي. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٨٦٧).

قاومهما القائدان السعوديان **الشريف الشيخ جابر بن جبارة** من أشراف ينبع **والشيخ مسعود بن مضيان** من شيوخ قبيلة حرب، وبعد مطاولة في الحرب اضطرّ الشيخ ابن جبارة والشيخ ابن مضيان للتراجع والخروج من قرية السويق[(١)] وقرية السويقة[(٢)] اللتان احتُلّتا من قِبَل قوات طوسون باشا[(٣)].

وتورد الوثائق اعتراف العساكر العثمانية الآتية من مصر بارتكابها **جرائم على طريقة المغول، فتذكر أنها جمعت ستمئة رأس مقطوع من جثث السعوديين الذين قتلتهم عساكر الترك لترسلها إلى الباشا في مصر، ولكنَّ الرؤوس تفسَّخت وأنتَنَت ولم تصلح للصلب والترحيل فرموها في العراء[(٤)]، فيما أرسلوا مئتين من رؤوس السعوديين المقطوعة في الحرب التي وقعت معهم في بلدة السويق لتُشهَر في ميدان الرميلة بمصر[(٥)].**

---

(١) السويق: تعتبر قاعدة (ينبع النخل)، وتبعد عن (ينبع البحر) ٥١ كلم، وأهلها قبائل جهينة. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٨٥٣).

(٢) السويقة: قرية في (ينبع النخل) لقبائل من بني سالم من حرب. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٧٥١/٢). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٨٥٧).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٠/٤ ـ ٢٢١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢١/١ ـ ٣٢٢).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سنيَّة، رقم وحدة الحفظ (٧٧)، ٥ ذي القعدة ١٢٢٦هـ ـ٢١ نوفمبر ١٨١١م (٣٤٣/١).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٧٩)، ١٩ ذي الحجة ١٢٢٦هـ ـ ٤ يناير ١٨١١م (٣٥٦/١).

* طوسون باشا يحتلّ بلدة بدر.

توجَّهَ طوسون باشا بجنوده من ينبع البحر إلى **بلدة بدر**[١]، **ويذكر فيلكس مانجان أنَّ الشريف غالب هو من نصح طوسون باشا أن يتوجَّه للسيطرة على بدر من بعد ينبع البحر لأنَّه من بعد الهيمنة على بدر سيسهل على الترك طريق السيطرة على المدينة النبوية**[٢].

فجمع طوسون باشا قواته لتضرب بلدة بدر[٣]، فخاضت عساكره معركة استمرت ثلاث ساعات مع أهالي بدر، ومع قوة قصف المدفعية الثقيلة وتساقط نيران القنابل على البلدة تقهقر السعوديون تاركين وراءهم ستين قتيلاً، ولم يلبث طوسون باشا بعد هذا النصر في بدر أن تقدَّم ناحية الجُدَيِّدَة[٤] في وادي الصفراء المعروف[٥]، حيث ستقع الملحمة العظيمة هناك.

---

(١) بَدر: من قرى الحجاز بأسفل (وادي الصفراء)، على بعد ١٥٥ كلم جنوب غربي (المدينة النبوية). وهي اليوم ضمن إمارة (المدينة النبوية)، وسكان (بدر) بنو سالم من حرب. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١/٢٦٤). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٧٧).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٣).

(٣) انظر: آندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٩).

(٤) الجُدَيِّدَة: هي عين من عيون (الواسطة) الثلاث في (وادي الصفراء)، كما أنها تعتبر من قرى (بدر)، فيها اليوم إمارة الناحية، وهي تبع لإمارة (المدينة النبوية). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١/٣٥٧). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٣٤٩).

(٥) الصفراء: وادٍ كبير من أكبر أودية الحجاز الغربية، وقد تسميه العامَّة (وادي بدر) لاشتهار بلدة (بدر). وسكَّان الوادي بنو سالم، ومن أكبر فروعهم: الحوازم والأحامدة وصبح والظواهر، ومن قراه (الخيف) و(المسيجيد)=

* معركة الصفراء.

لـمَّا سَمِعَ الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ما حصل لينبع البحر وينبع البر ومحيط تلك البقاع، جيَّش سعود رجالاته ثمَّ أمَرَ على نواحي السعوديين من الحاضرة والبادية من أهل نجد والجنوب والحجاز وتهامة وغيرهم، فسيَّرهم مع ابنه عبدالله(١) الذي نزل بهم الخَيف المعروف من وادي الصفراء(٢)، فاجتمع في الجيش السعودي نحو ثمانية عشر ألف مقاتل وثمانمئة فارس(٣)، وقيل عشرين ألفاً(٤).

= و(الحمراء) و(الواسطة) و(بدر). وأصبحت للوادي اليوم إمارة غَدَت محافظة تجمع كلّ قراه وسكّانه، مقرّها (بدر). و(الصفراء) القرية التي سُمِّيَ بها الوادي تُعرف اليوم باسم (الواسطة). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٨٤٧/٢). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٩٩٢ ـ ٩٩٥).

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٨٠)، بتاريخ ٢٧ ذي الحجَّة ١٢٢٦هـ/ ٤ يناير ١٨١٢م (٣٦١/١). وانظر: محمد البسَّام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٠).

(٢) الخَيف: قرية في (وادي الصفراء) عند المضيق من الغرب. تبعد ١٠٥ كلم عن (المدينة النبوية) في طريق بدر، وعن (المسيجيد) ٢٥ كلم بينه وبين (بدر). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٨٨ ـ ٥٨٩).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٢/١ ـ ٣٢٣). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٠).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٦). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٨).

وفي ١٣ ذي القعدة ١٢٢٦هـ/ ١٠ يناير ١٨١٢م استعدّ السعوديون لملاقاة عساكر طوسون باشا في الصفراء، وكانت جنود الجيش السعودي ساترة مهاوي جهتي الدرب إلى وادي الصفراء، كما كانت تسيطر على المضائق المؤدية إليه، ويتمركزون في رؤوس الجبال حتَّى أصبحت مواقعهم حصينة تستعصي على المهاجمين الأتراك[(١)].

فالتقى الجمعان وجهاً لوجه في الممرِّ الضيِّق بين جبلين عظيمين من وادي الصفراء، وفوجئ جيش الترك بهجوم موحَّدٍ منظَّم من قوَّةٍ تشكِّلها قبائل حرب[(٢)]، **فصبَّ الترك عليهم نيرانَ مدافعهم**[(٣)] **فتراجعت قبيلة حرب وبقية الجيش السعودي استدراجاً للجيش العثماني**[(٤)].

ولكنَّ المناوشات بين الفريقين عادت من جديد وتكرَّر الطراد بين السعوديين والأتراك في ذات اليوم وفي ذات الموضع، فرَجَحَت كِفَّة النصر للسعوديين بعد أن جعل عبدالله بن سعود على الخيل أخاه **فيصل بن سعود**[(٥)] وحباب بن قحيصان

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٣). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٩).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٦). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٣).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٨٠)، بتاريخ ٢٧ ذي الحجَّة ١٢٢٦هـ/ ٤ يناير ١٨١٢م (٣٦١/١).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٢/٤). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦١). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٥٦).

(٥) هو فيصل بن الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، كان له قدم صدق في معارك الدولة السعودية الأولى مع الأتراك العثمانيين. وستأتي أخباره في هذا الفصل والفصل الذي يليه.

المطيري[١].

من بعد ذلك وصل مَدَدٌ من أهل الوشم، ثمَّ جاء **الشيخ عثمان المضايفي** ومعه قبائل كثيرة، ثم جاء **الشيخ مسعود بن مضيَّان** بجنوده[٢]؛ فلمَّا رأى الأتراك ابن مضيّان وعاينوا ضخامة جسمه وهيبته التي عُرِفَ بها قالوا: «**هذا هو الوهابيّ الكبير**». ظنّوه الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٣].

وفي ذلك اليوم؛ كانت بقية عساكر طوسون قد وصلت ونصبت خيامها بالقرب من الجبال وتمكَّنت من أخذ بعض المواقع بدايةً، في الوقت الذي كانت فيه قوات المشاة التركية تتقدَّم في طريقٍ ضيِّقة وتتعرض لوابل من الرصاص السعودي[٤].

وفي اللحظات التي حَمَى فيها وطيس الحرب في الصفراء، **قامت قبيلة حرب بتكتيك حربي أثناء المعركة؛ فأوهمت رجالات**

---

(١) حباب بن قحيصان المطيري: رئيس البرزان من مطير، وواحدٌ من أبطال الحروب في الدولة السعودية الأولى، وجليس الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. قُتِلَ في مناخ (الرضيمة) سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٧/٢). وعبدالله البسَّام «تحفة المشتاق» (٢٨٨).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٣/١ ـ ٣٢٤). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٢). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٥).

(٣) انظر: محمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٥٦).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٣).

حرب التركَ بأنَّهم فرّوا من وجوههم؛ ليغروهم بملاحقتهم وجَرِّهِم إلى حيث يريد مقاتلي القبيلة، فلاحقهم الترك منخدعين حتى بلغوا حوافّ قلل الجبال، فنجحت رجالات حرب في تكتيكها الذي تريد، فلمَّا صعدت عساكر طوسون إلى قُلَلِ الجبال هالهم كثرة الجيش السعودي هناك فأدركوا الكمين الذي أوقعهم فيه مقاتلوا قبيلة حرب[١].

ظلَّ القتال في الأعلى قائمٌ يوماً وليلة إلى بعد الظهيرة من يوم ١٣ ذي القعدة ١٢٢٦هـ/١٠ يناير ١٨١٢م، فلم يشعر الأتراك السفلانيون إلا وعساكرهم الذين في أعالي الجبال هابطون منهزمون مُوَلُّون الأدبار، عندها هربت عساكر الترك التي في الأسفل؛ لقد هربت جميعها خيَّالة ومشاة عند سماعهم أوَّل صوت وقع من عدوِّهم؛ والسبب: أنَّ هجوماً شنَّته بعض فرق الجيش السعودي في الأعلى على عساكر طوسون باشا، فحمى وطيس الحرب بينهما، فثبت الجيش السعودي بأكمله حتى تحقق النصر له وفتك بعددٍ مهولٍ من الأتراك، فانهزمت عساكر طوسون باشا وجدَّت في الفرار[٢].

سرعان ما تبع السعوديون فلول الفرسان التركية المنهزمة[٣]،

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٦). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٣).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٤). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٢٢). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٣). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٢). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١١٦).

(٣) هذا لا يخالف ما أوردناه في الفصل السابع من أنَّ الجيش السعودي لا يلحق بالمدبر من الجيش المنهزم ولا يفتك به، فالحال في (معركة الصفراء) في ذلك التوقيت أنَّ المعركة لا زالت رحاها دائرة ووطيسها حامٍ، وسيترك=

فقاموا بذكاءٍ يضغطون على مؤخّرة جيش الترك المنهزم، ثمَّ بسرعةٍ تجاوز السعوديون إلى الأمام عند مقدمة جيش الترك على طول جانب الجبل وأمطروا الأتراك بوابلٍ من الرصاص(١).

ثمَّ قاطع السعوديون على مؤخّرة الجنود الأتراك من الخلف بسرعة الجري الخفيف، وكبسوهم في طول الدرب وأوقعوا بهم، وامتلأ الجوّ وضجَّ المكان بأزيز بنادق السعوديين، وأمْطَرَت رصاصاتهم على رؤوس الترك، فدبَّ الفشل وفَشَت الفوضى وشاع الارتباك في عساكرهم، حتى خُيِّلَ لطوسون باشا أنَّ نوعاً من الخَبَلِ والاختلاط قد استولى على جنوده، فهرعوا هاربين تاركين كلّ جمالهم وجميع مهمَّاتهم وسائر مدافعهم، بل تركوا كل ما كان معهم من ورائهم، وعظُمَت نكبة الترك بعد أن مزَّقهم السعوديون شرَّ مُمَزِّق(٢).

يقول بوركهارت: «أكَّدَ لي أناس حضروا تلك الموقعة أنَّ طوسون صاح بالأتراك المنهزمين والدموع تنهمر من عينيه قائلاً: ألا يقف أحد منكم معي؟»(٣).

= السعوديون الترك المنهزمين ولا يلحقون بهم بعد أن تُحسم المعركة، كما سيأتيك بعيد قليل من التفاصيل.

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٦ ـ ١١٧). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٩). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٢٧).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,733.. وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٨ ـ ٤٤٩). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١١٦).

(٣) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧).

* مشاهد الرعب في البريكة.

هربت عساكر الترك العثمانيين لا يلوي أحدٌ منهم على أحد من شديد ما دبَّ بهم من الفوضى ومن شدة ما فشا فيهم من الارتباك ومن عظيم ما تملَّكهم من الفزع، فطلبوا جميعاً الفرار من كل ناحية، وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم في الصفراء، وطفق الترك ينهبون ما تساقط من أمتعة رؤسائهم، فكان القوي منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ويأخذ دابّته ويركبها، وربما قتله وأخذ دابّته، وقد ضلَّ أكثرهم الطريق وسط الظلام، وبعضهم ساروا طالبين الوصول إلى السفائن بساحل البريكة[١]، لأنهم أعدّوا هناك عدة مراكب من باب الاحتياط[٢].

وفي البريكة هيمن الخوف على قلوب عساكر طوسون باشا؛ إذ كانوا يعتقدون أنَّ السعوديين في إِثْرِهِم، والحال أنَّه لم يتبعهم أحد؛ لأنَّ السعوديين لا يذهبون خلف المدبر، ولو تبعوهم ما بَقِيَ منهم شخصٌ واحد، فكانوا من عظيم فزعهم يتصايحون على القوارب الصغيرة فتأتي إليهم وهي لا تتسع إلا للقليل، فيتكاثرون ولهم صياح وعويل، ودبَّ التزاحم والتدافع بينهم متصارعين على النزول في تلك

(١) البريكة: ميناء (الجار) سابقاً، تبعٌ لإمارة (مكة) اليوم، وتبعد ١١٢ كلم شمال (رابغ) و٦٧ كلم شمال غرب (مستورة)، وهي ميناء صالحٌ جداً لرسوّ السفن الشراعية في البحر الأحمر. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧ ـ ١١٨). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٢/٤). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٦/١). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٣ ـ ٦٤).

القوارب، ومن فرط ما استولى عليهم من الرعب أنَّ كلّ جماعة منهم تصعد القارب تمنع البواقي من إخوانهم من الصعود للقارب، فإن لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص، حتى كانوا من شدَّة هلعهم والفزع الذي تملَّكهم يخوضون في البحر إلى رقابهم، وكأنما العفاريت في إثرهم تريد خطفهم، وكثير من العسكر والخدم لمَّا شاهدوا الازدحام والتدافع على قوارب ميناء البريكة ذهبوا مشاة إلى ينبع البحر، فوقع التشتُّت والتِّيه في الدواب والأحمال والخلائق من الخدم وغيرهم[(١)].

أمَّا طوسون باشا فإنَّه تقهقر إلى بدر وأشعل النار في معسكره هناك بالكامل؛ لأنَّه لم يجد من وسائل النقل ما يحمل عليه عتاد المعسكر، ثم توجَّه مباشرةً إلى ميناء البريكة، وهناك أبحر مع عددٍ قليل من أتباعه واتَّجه إلى ينبع البحر بعد أن تغيَّب يوماً عن معسكره حتى ظنُّوا فقده، ثمَّ وصل كيخيا طوسون باشا، ومن بعده وصل السيد المحروقي الذي فرَّ أيضاً من السعوديين ولم يوقفه من الهرب إلا ساحل البريكة ثمَّ ميناء ينبع. كما كان من ضمن قادة الترك الهاربين صالح قوج[(٢)] الذي كان من ضمن مرتكبي مجزرة القلعة من

---

(١) انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٢/٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٩). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٥). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٩).

(٢) صالح قوج الأرناؤوطي: قائد ألباني من قادة جيش محمد علي باشا ومن قادة حملة طوسون باشا على السعودية. انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٥) (٤٨ ـ ٤٩) (٥٢). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الأول (الورقة ٤٨).

قبل[(١)].

الحاصل؛ غنم السعوديون كلّ ما خلّفه الترك المنهزمين المرعوبين، وأخذوا كلّ معدَّات وذخائر الترك في الصفراء ونواحيها، وغنموا أربعة مدافع ميدان وكلّ إبلهم تقريباً وكثيرٌ من الغنائم الأخرى التي وجدوها في أحزمة الأرناؤوط الذين أغنوا أنفسهم بما سلبوه من المماليك بعد مذبحة القلعة بمصر[(٢)].

* شهادة الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ على الصفراء.

عندنا شهادة جِدّ مهمة من شاهد عيان، وهو الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ الذي حضر معركة الصفراء، حيث قال عنها: «أمر سعود على ابنه عبدالله أن يسير لقتالهم[(٣)]، وأمره أن ينزل دون المدينة، فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبدالرحمٰن المضايفي وأهل بيشة وقحطان وجميع العربان فنزلوا بالجُدَيِّدَة، فاختار عبدالله بن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم، وذلك أنَّ العسكر المصري[(٤)] [قد احتلَّ] ينبع، فاجتمع المسلمون في بلد [قبائل] حرب،

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧ ـ ١١٨). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٥) (٤٤) (٤٨). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٢٢). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٥).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٤ ـ ١٣٥).

(٣) لقتال الأتراك/ جيش طوسون باشا.

(٤) سيأتي التنبيه على خطأ الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في قوله: أنَّ هذا الجيش جيشٌ مصريٌ.

وحفروا في مضيق الوادي خندقاً، وعبَّؤوا الجميع، فصار في الخندق من أهل نجد، وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز فوق الخندق، فحين نزل العسكر أرزت خيولهم وعلموا أنَّه لا طريق لها إلا إلى المسلمين، **فأخذوا يضربون بالقبوس**[١]، **فدفع الله شرَّ تلك القبوس الهائلة عن المسلمين؛ إنْ رفعوها مرَّت ولا ضرَّت وإن خفضوها اندفنت في التراب، فهذه عِبرَة؛ وذلك أنَّ أعظم ما معهم من الكيد أبطله الله في الحال.**

ثمَّ ساروا على عثمان [المضايفي] ومن معه في الجبل [الذي في وادي الصفراء]، فتركهم [عثمان] حتى قَربوا منه، فرموهم بما احتسبوهم به وما عدُّوه لهم حين أقبلوا عليهم، **فما أخطأت لهم بندق**[٢]، **فقتلوا من العسكر [التركي] قتلاً ذريعاً.**

وهذه أيضاً من العِبَر؛ لأنَّ العسكر [التركي] الذين جاءهم أكثر

---

(١) **القبوس**: هي بنادق «القَبَس» و«القَبْسُون»: بنادق قديمة، واسمها مأخوذ من قبس النار التي ينبعث شررها من زنادها حين يضرب على غطاء الذَّخير فيثور البارود مكوّناً لهباً يتصل بالذخيرة عن طريق ثقب العين التي يكون فيها الذّخير فتثور البندق، وهو تعبير فصيح. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) **البندق**: هي البندقية، وتجمع على بنادق. قال إبراهيم بن عبيد بن هويدي:

يا بِنْدِقي ياللّي بها طمْغَة الرّيشْ   مَسْلُوبِة العرقوبْ والبَطِنْ كالدّاب.

والبندق تُطلق على البندق الحربية المعروفة، من أيّ الأنواع كانت، مثل: بندق اليد والبندقية ذات العجلة وذات الشطف وذات الكبسولة وبندقية رميني الفرنسية وذات الأنبوبة المشخشنة. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٤٦ ـ ٤٧).

منهم بأضعاف ومع كلّ واحد الفرود[1] والمزنّدات[2]، **فما أصابوا رجلاً من المسلمين، وصار القتل فيهم، وهذه أيضاً عِبرة عظيمة. هذا كله وأنا أشاهده.**

ثمَّ مالوا إلى الجانب الأيمن من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال، وأمَّا الخيل فليس لها فيه مجال، فانهزم كل من كان على الجبل من أهل بيشة وقحطان وسائر العربان، فاشتدَّ على المسلمين لمَّا صاروا في أعلى الجبل، فصاروا يرمون المسلمين من فوقهم، فحمى الوطيس آخر ذلك اليوم، ثم من الغد، فاستنصر أهل الإسلام ربهم الناصر لمن ينصره.

فلمَّا قرُبَ الزوال من اليوم الثاني نظرتُ فإذا برجلين قد أتيا فصعدا ذلك الجبل، فما سمعنا لهم بندقاً ثارت، إلَّا أنَّ الله كسر ذلك البيرق ونحن ننظر، **فتتابعت الهزيمة على جميع العسكر [التركي] فولّوا مدبرين، وجنّبوا الخيل والمطرح وقصدوا طريقهم الذي جاؤوا معه، فتبعهم المسلمون يقتلون ويسلبون، هذا ونحن ننظر إلى تلك الخيول قد حارت وخارت.** وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب

(١) الفرود: مفردها «فرد»، سلاحٌ ناريٌّ، كان القديم منه ذا حجم مُصَغَّر من البنادق النارية الموجودة آنذاك، مصنوعاً على هيئتها، فكلّ بندق لهَا فرد يسمَّى باسمها، واستمر على ذلك حتَّى ظهرت الفرود الحديثة اليوم «المسدَّسات»، وقد انتهى استعمال الفرود القديمة مع انتهاء استعمال البنادق القديمة. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (١٧٢ ـ ١٧٣).

(٢) المزنّدات: من الزِنْد والزناد، جمعه زنود؛ وهو قضيب صغير من الحديد معكوف الطرفين إلى وسطه حتَّى يكون على هيئة مثلَّث، ومسقى بالنار. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (١١٧ ـ ١١٨) (١٧٨ ـ ١٧٩).

الخندق ومعهم بعض الرجال، فولَّت تلك الجنود [التركية] مدبرة، فتبعتهم خيول المسلمين في أثرهم، وليس معهم زاد ولا مزاد.

فانظر إلى هذا النصر العظيم من الإله الحق رب العباد؛ لأنَّ الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين. فهذه ثلاث عبر، لكن أين من يعتبر؟»[١].

* إشكالٍ تاريخي وقع فيه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ أثناء شهادته.

ذكر الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن مفردة «العسكر المصري»، وهذا بلا ريب إشكالٌ تاريخيٌّ وقع فيه الكثيرون؛ **إذ لم يكن في جيش طوسون مصرياً محارباً، بل كانوا أخلاطاً من الأرناؤوط والبوشناق والدلاتية والإنكشارية ومن الروم إيلّي[٢] والأتراك الخُلَّص والبربر المغاربة المرتزقة، وأيضاً من العربان المرتزقة التي لا تستقرّ في الأراضي المصرية.**

حتَّى شاهبندر تجّار القاهرة السيِّد محمد المحروقي الذي رافق الحملة لم يكن محارباً أصلاً، بل كان أحد مُمَوِّلي الحملة وأحد

---

(١) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/٢٦ - ٢٨).

(٢) الروم إيلِّي Rumelieh: لفظٌ تركي معناه: بلاد الروم، أُطلِقَ في العهد العثماني كلغةٍ إدارية للدلالة على الأقاليم العثمانية الواقعة في أوروبا والمشتملة على تراقيا ومقدونيا وبلغاريا والصرب وألبانيا. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢١٤).

أركان المفاوضات السريَّة مع الشريف غالب والعربان، كما سبق تبيانه.

ثمَّ إنَّ الحملة أُرْسِلَتْ بِأَمْرٍ من حكومة الدولة العثمانية التركية بقيادة واليها على مصر محمد علي باشا (الألباني). ولكن جرى في مصادر كثيرة تسميتها بالحملة المصرية (هكذا) باعتبار مجيئها من مصر، وهذا بلا شكّ خطأ ووهم.

فجيش الحملة عثمانيٌّ لحماً وشحماً، وتحريكه وتجهيزه جاء بناءً على أوامر تركية عثمانية خالصة، ولا اعتبار في تسميتها بالمصرية لأجل انطلاقها من أرض مصر، فلم يشارك فيها المصريون سوى عربان رُحَّل مرتزقة مستأجرين أتوا من جهات المغرب، كما بُيِّنَ من قبل.

ثمَّ إنَّنا نعرف أنَّ حملة نابليون بونابرت على بلاد الشام انطلقت عساكرها الفرنسية من مصر، لكنَّ أحداً من المؤرخين لم ينسب تلك الحملة الفرنسية إلى مصر، ولم يُسَمِّ مؤرِّخاً واحداً تلك الحملة باسم المصرية.

ثمَّ إنَّك تجد في كتاب «**عجائب الآثار**» للمؤرِّخ الجبرتي، وكتاب «**عنوان المجد**» للمؤرِّخ ابن بشر تسميتهم لجيش طوسون باشا وجيش أخيه إبراهيم باشا باسم جيش الأروام وجيش الروم والترك والأعاجم وغيرها من التسميات، وتراهم يتجنَّبون وصفها بالمصرية[1].

---

(١) انظر: السيد أحمد مرسي عباس «حقائق جديدة عن حرب الدرعية وهل اشترك فيها الجنود المصريون حقاً؟» (ص٦٨ ـ ٧٥)، بحثٌ منشورٌ في «مجلَّة الدراة» العدد٣، بتاريخ ١٣٩٧هـ.

* شاهد عيان من الترك يصف الجيش السعودي والجيش العثماني.

هاهنا لفتة من شاهد عيان؛ وهو أحد أكابر هذا الجيش التركي ممَّن يدَّعون الصلاح لمَّا رجع لمصر بعد هزيمتهم في الصفراء، شهد على حال الجيش التركي وحال الجيش السعودي وقتها، فقال: «**أين لنا بالنصرِ، وأكثر عساكرنا على غير الملَّة، وفيهم من لا يتديَّن بدين ولا ينتحل مذهباً، وصُحبتنا صناديق المسكرات[(١)]، ولا يُسمع في عَرَضِيِّنا[(٢)] أذان ولا تُقام فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين.**

والقوم[(٣)] إذا دخل الوقت أذَّنَ المؤذِّنون، فينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائم؛ أذَّنَ المؤذِّن وصلَّوا صلاة الخوف، فتتقدَّمَ طائفةٌ للحرب وتتأخَّر الأخرى للصلاة.

وعسكرنا[(٤)] يتعجَّبون من ذلك؛ لأنَّهم لم يسمعوا به فضلاً عن

---

(١) المسكرات والخمور من لوازم الترك عموماً وعساكرهم على وجه التخصيص، فهذا كلوت بيك، وهو شاهد عيان على تلك الفترة، قال عن الترك وعن العرب ما نصّه: «ومن النادر جداً أن تجد بين العرب المصريين من يتعاطى المسكرات بخلاف العثمانيين». انظر: أ. ب. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤١).

(٢) العَرَضي: كلمة تركية تعنى المعسكر. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١١٣).

(٣) يقصد السعوديين.

(٤) عساكر طوسون باشا.

رؤيته[١]، [وفي معسكرنا من] المستبيحين للزنا واللواط[٢] والشاربين للخمور والتاركين للصلاة الآكلين للربا القاتلين الأنفس المستحلّين المحرَّمات.

ولمَّا كشفوا عن كثير من قتلى العسكر[٣] وجدوهم غُلْفاً غير مختونين[٤]...»[٥].

والعجيب؛ أنَّ هؤلاء الفسقة المعربدين يقولون: جئنا لمحاربة الوهابيين الكفار الخوارج!!![٦].

* نتيجة معركة الصفراء.

قيل أنَّ من قُتِلَ في موقعة الصفراء من عساكر طوسون باشا حوالي ثمانية آلاف عسكري، بعضهم ضلّ الطريق في ظلام الليل وهلك نصفهم من التعب والجوع والعطش[٧]، وقيل إنَّ عدد قتلى

---

(١) لم يسمعوا به لأنَّ السُنَّة عندهم غائبة والبدعة قائمٌ سوقها في بلدانهم ومجتمعاتهم.

(٢) انتبه: يقول يستبيحون الزنا واللواط: (يعني استباحة لا ممارسة فقط).

(٣) عساكر طوسون باشا.

(٤) يعني على غير الإسلام، أرسلتهم الدولة العثمانية ليحاربوا السعوديين المسلمين.

(٥) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٦/٤).

(٦) المصدر السابق (٢٢٦/٤).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٤).

الترك خمسة آلاف[١]، وقيل أربعة آلاف[٢]، وقيل نحو ثلاثة آلاف[٣]، وقيل حوالي ألف ومئتي رجل[٤]، وقيل ستمئة عسكري تركي[٥].

أما السعوديون فإنَّ محمد علي باشا في رسالته للحكومة العثمانية يبالغ في أعداد قتلى السعوديين، فيقول أنَّ عدد قتلاهم بلغ عشرة آلاف قتيل[٦]، في حين أنَّ المصادر النجدية تذكر أن قتلى السعوديين بلغ نحو ستمئة رجل[٧]، وقيل ثمانمئة[٨]، من أشهرهم (الذين ذكرهم ابن بشر في عنوانه ومحمد البسَّام النجدي في دُرَرِهِ): مقرن بن حسن بن مشاري بن سعود، وبرغش بن بدر بن راشد آل شبيب من شيوخ المنتفق، وسعد بن إبراهيم بن دغيثر، ورئيس قحطان هادي بن قرملة، ومانع بن كِدَم شيخ عبيدة من قحطان، وراشد بن شبعان أخو محمد بن سالم شيخ بني هاجر، ومانع بن وحير العجمي الفارس المشهور[٩]. (وزاد الفاخري في تاريخه وابن بسَّام في تحفته):

---

(١) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٦٦).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٦/١).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٢).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧).

(٥) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٩).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٨٠)، بتاريخ ٢٧ ذي الحجَّة ١٢٢٦هـ/ ٤ يناير ١٨١٢م (٣٦١/١).

(٧) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٦/١).

(٨) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٢).

(٩) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٦/١). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٤).

تويم بن بصيِّص شيخ الصعران من بريه وابن أخيه غصَّاب، وعبدالرحمٰن بن محمد الحصيِّن الناصري التميمي من رؤساء بلد القراين، ومفرّج بن شرعان، وغيرهم[(١)].

* طوسون باشا يسير إلى المدينة النبوية.

كَتَبَ طوسون باشا إلى أبيه رسالة يصف فيها موقعة الصفراء، وما تعرضت له تجريدته العسكرية من أضرار وتلف وفقدان الخيول والمقاتلين وندرة الطعام مِمَّا اضطرّهم إلى بيع كثير من الخيول المتبقية لديهم[(٢)]، وما إن عَلِمَ محمد علي باشا بالأمر حتى بدأ بتجهيز حملة ثانية مدداً لطوسون، فاستدعى قادة الجيش الذين مع ابنه طوسون واستبدل بهم غيرهم[(٣)]، في حين أرسل محمد علي باشا مبالغ كبيرة من النقود لتوزيعها على مشايخ البدو[(٤)]، وحمل مع الجيوش المتوجّهة إلى ميناء ينبع خمسمئة قطعة من الشال الكشميري ومعه خمسمئة من ألوان الجوخ[(٥)] مقصَّبة مطرَّزة يميناً وشمالاً **لجلب**

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٢ ـ ١٧٣). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٦٦).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٠).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٨/٤).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٠). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٠).

(٥) الجوخ: جملة من ثياب الأكابر، كانت في السابق تُلبس في اليوم الممطر، وكانت تَرِدُ إلى مِصر من بلاد المغرب. وكان يلبسها في مصر الأمير والقاضي. ويقال إنَّ أصل الكلمة من التركية: جوقة؛ التي تشير إلى الجوخ. انظر: رنهارت دوزي «المعجم المفصَّل بأسماء الملابس عند العرب» (١١٤ ـ ١١٦).

عربان البدو واستمالتهم[١].

أمَّا طوسون باشا الذي كان بانتظار المَدَد فقد قام بتحصين ينبع، ثمَّ أخضع البلدات والقرى المحيطة بها، **واستمال بعض البدو ورؤساءهم بالذهب الذي أغدقه عليهم وبما أهداهم من العباءات المبطَّنة بالفراء والأموال والثياب**، فتابع طوسون طريقه بعد تلك السياسة وضبط احتلال **الصفراء والجُدَيِّدَة** بلا قتال[٢].

وعلَّق المؤرّخ الجبرتي على ذلك قائلاً: «**استولى على عقبة الصفراء والجُدَيِّدَة من غير حرب، بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب**[٣] **وتدبير شريف مكة، ولم يجدوا بها أحداً من الوهابيين**»[٤].

وهذا المؤرِّخ السعودي أحمد السباعي يقول: «**أخذت قيادة الجيش المصري** [العثماني التركي] **تصبّ أموالها وهداياها للعربان صبّاً**»[٥].

من بعد ذلك؛ بدأت الإمدادات تَتَدَفَّقُ على طوسون باشا قادمة

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣هـ/ ٩ مارس ١٨٠٨م (١/٥٥).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٥) (٤٩ ـ ٥٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٩).والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٧).

(٣) يقصد بالعرب: البادية، وهكذا يجري الجبرتي هذا المجرى في تاريخه، حين يطلق كلمة العرب فإنَّه يعني البادية.

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٢٨).

(٥) أحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٥٧٤) باختصار.

من مصر إلى مرفأ ينبع البحر؛ وكانت امدادات هائلة العُدَدِ والعَدَدِ من الأتراك والمغاربة مرتزقة الحروب[١].

ويذكر الجبرتي: أنه كان على رأس تلك الامدادات سلحدار[٢] الباشا محمد علي[٣] **والقائد الأعجمي أحمد بونابرته[٤]، الذي كان من مَهمَّاته توزيع الكساوي والفراوي السمور والشالات الكشميري والمال والذهب بالصناديق التي أحضرها معه من قِبَلِ محمد علي باشا ليتألَّفوا بها من يريدون؛ حتى أنَّ أحمد بونابرته كان يوزّع على من**

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٣٠).

(٢) السلحدار: لفظٌ فارسيٌّ معناه «صانع الأسلحة»، وهو في العصر العثماني بمرتبة قريبة من مرتبة الوزير. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢٥٦).

(٣) سلحداره هو صالح آغا (الذي سيصبح فيما بعد: صالح آغا الكاشف)؛ وهو الذي جعله محمد علي باشا صاري عسكر التجريدة المتجهة لمساندة قواته في الحجاز. وكان طوسون قد بعث صالح آغا هذا ومعه ثلاثمئة خيَّال ليستكشفوا حال الجنود السعوديين في الطرقات المؤدية إلى (المدينة النبوية) قبيل الزحف لاحتلالها. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٢٨). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٧).

(٤) هو أحمد آغا الملقَّب بـ«بونابرته»، يقال إنَّه لشجاعته لقِّبَ بذلك، ويذكر بوركهارت عنه: «أنَّه صاحب سُكْرٍ وشهواتٍ قذرة حَرَمَت عقله من كلّ نشاط وتميّز». وأحمد آغا بونابرته هذا من أعاظم دولة محمد علي باشا، وهو شهير الذكر فيها. جعله محمد علي باشا خازنداراً، وكلَّفه بشنِّ حروب وهجمات على أمراء المماليك الألفية. انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٢). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٢٤ ـ ١٢٥) (١٦٣) (٢٢٦) (٤١٠). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٧).

يتألَّفهم غرارة البقسماط[(١)] **وغرارة عَدس**[(٢)].

يقول أحمد زيني دحلان: «**وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب، فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرّاً، وكانوا يعملون بتدبير ما يعتمد عليه، فكان ذلك سبب إقبال مشايخ العربان عليهم**»[(٣)].

الحاصل؛ أتمّ بونابرته وطوسون ضبط الهيمنة على ينبع البر، ثمَّ أتمّوا الهيمنة على وادي الصفراء[(٤)] وبلدانه وقراه، **ثمَّ ساروا إلى المدينة النبوية**[(٥)]، **لأنَّه بلغهما من الشريف غالب** ـ بحسب تقارير السير هارفرد بريدجز ـ **أنَّه يعدهم بفتح بوابات جُدَّة ومكة أمام طوسون بمجرد استيلاء القوات التركية على المدينة النبوية**[(٦)].

وبحسب تقارير السير هارفرد بريدجز أيضاً؛ أنَّ قوات طوسون باشا وبونابرته سارت من هذه المواقع إلى المدينة دون أن يتعرَّض لهم أحد أو تحتكّ بهم أيّ قوة في الطريق[(٧)] فعبرت قواته الطريق

---

(١) البقسماط: ضربٌ من الخُبز اليابس، وهو دخيلٌ تركي، وكأنَّ «بقصم» المعروف لدى العراقيين شيءٌ منه. انظر: إبراهيم السامرَّائي «المجموع اللفيف» (٨٠).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٧٣ ـ ٢٧٤).

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٢).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٠).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٣).

(٦) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٧).

(٧) انظر: المصدر السابق (١٣٨).

بأمان[١].

ويذكر أمين الحلواني قائلاً: إنَّ بونابرته «**وصل إلى ذي الحليفة**[٢] **المسمَّاة الآن بأبيار علي**[٣] **وهو متعجّبٌ مِن كوْنِهِ لم يُلاقِ أحداً من الأعداء**»[٤].

وفي منتصف شوَّال **١٢٢٧هـ**/أكتوبر **١٨١٢م** وصل طوسون باشا إلى أسوار المدينة، فوجد فيها حامية سعودية نحو سبعة آلاف رجل للدفاع عنها بقيادة **إبراهيم بن عفيصان**، وأكثر الحامية السعودية وقتها **من أهل عسير وبيشة والحجاز وأهل الجنوب وأهل نجد**[٥]، **كانت تلك الحامية قوية ومزوَّدة بشكلٍ جيِّدٍ بكلّ الأشياء الضرورية لمواجهة حالات الحصار الطويل**[٦].

أحاط طوسون وبونابرته بالمدينة النبوية وشَدَّدَا حصارها[٧]، وفي

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢١).

(٢) ذو الحليفة: قرية بظاهر (المدينة) على طريق مكَّة، بينها وبين (المدينة) ٩ كلم، تقع في (وادي العقيق) عند سفح (جبل عبر) الغربي. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٤٩٥).

(٣) أبيار علي: هي (ذو الحليفة) نفسها، تُعرف اليوم بـ(بيار علي) وهو غير علي بن أبي طالب؛ إنَّما هو ملك (دارفور) بالسودان. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٤٩٥).

(٤) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٧) باختصار.

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٢٨ ـ ٣٢٩).

(٦) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٨).

(٧) انظر: عبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٢٦٦).

ذات الوقت قطع طوسون باشا الطريق ما بين المدينة النبوية وبين الحناكية[١]، لأنَّ الحناكية كانت ضمن مواقع تمركز الجنود السعوديين، فوجَّه طوسون بعض قوات المدفعية والفرسان لمحاربة السعوديين في الحناكية لمنعهم من التقدّم نحو المدينة النبوية، **وفي ذات الوقت كان يَتَمَيَّل البدو إلى صفِّهِ**[٢].

* طوسون باشا يحتلّ المدينة النبوية.

وصل طوسون باشا وبونابرته إلى المدينة النبوية، فنصبوا مدافعهم الكبيرة وبدؤوا بقصفها، فاشتدَّ تبادل النيران بين **ابن عفيصان** وحاميته وبين جيش طوسون وبونابرته. ثمّ انتقل جيش طوسون إلى تركيز القصف ناحية قلعة البلد فهدموا جزءاً منها، **ثم انتقلوا إلى حفر السراديب وثوَّروا فيها البارود، فكادوا للحامية السعودية بكلّ كيد وسدّوا عنهم المياه الداخلة في وسط المدينة وحفروا سرداباً تحت سور قلعة المدينة وملؤوه بالبارود وأشعلوا فيه النار فانهدم السور، فقاتلهم من في داخل السور مِن المرابطين السعوديين قتالاً شديداً**[٣].

---

(١) الحناكية: كالمنسوبة إلى الحناك أو الحنَك. وهي بلدة حجازية عامرة متقدمة نسبياً، تقع على طريق (القصيم) من (المدينة النبوية) على ١٠٠كلم، كانت بئراً لسقي المواشي فقط ثمَّ تحوَّلت إلى بلدة فيها جميع مرافق الدولة. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٠٧ ـ ٥٠٨).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,733. وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٠ ـ ٥١).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٢٩).

ثمَّ حصل في التاسع من ذي القعدة/١١ نوفمبر أنَّ بعضاً من أهل المدينة قد راسلهم طوسون باشا، وقيل إنَّهم هم من راسلوه وطلبوا منه أن يَقدم عليهم ليلاً، ودلّوه على عورات الجنود السعوديين، ثمَّ اتفق معهم على أمور يُمَيِّزهم بها عن جيش حامية السعوديين حال اقتحامه للمدينة[١]، فحدث أنَّ بعضاً من أهل المدينة فتحوا للترك باب البلد، فلم يَدرِ المرابطون السعوديون الذين كانوا حينها يؤدّون صلاة الظهر إلا والرمي عليهم من عساكر طوسون داخل البلد، فتدفَّقت أعداد كبيرة من فرق الأرناؤوط إلى المدينة يقودهم إبراهيم آغا وهو في الأصل قائد أسكتلندي نصراني اسمه توماس كيث[٢]، وقد قُتِل من حامية السعوديين أكثر من ألفٍ منهم في

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٠). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٨).

(٢) إبراهيم آغا/ هو نفسه توماس كيث: نصرانيٌّ أسكتلندي من (أدنبرا)، أُخِذَ أسيراً في الحملة الإنجليزية على مصر عند (الإسكندرية) أول حكم محمد علي باشا، وكان ضمن أسرى فرقة الهايلندرز التي كان يعمل فيها مصلحاً للبنادق، ثمَّ (قيل) أنَّه أسلم واشتراه أحمد بونابرته، ثمَّ ضمَّه طوسون باشا إلى خدمه، ثمَّ جعله ضمن جنوده المماليك. وهذا النصراني نَصَّبَهُ الترك حاكماً على (المدينة النبوية). أخباره موجودة في: Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,761. P,762. وعند: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٨ ـ ١١٩). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٢ ـ ٦٣).

وكثير من قادة الترك مثل توماس كيث، هم نصارى أصلاً ثم يُظهرون أنَّهم أسلموا (والله أعلم بالخفايا)، ومن تتبّع تاريخ احتلال الترك للبلاد العربية يجدهم يحرصون على تولية أولئك النصارى قيادة جيوشهم وعساكرهم التي تحتلّ بلاد العرب، مثل: خير الدين بارباروسا وأخوه عرّوج القراصنة الترك المشهورين الذين مهّدوا للاحتلال التركي في تونس والجزائر، فبارباروسا =

الشوارع ولجأ الباقون إلى القلعة، وبدأت عملية نهب الأتراك للمدينة النبوية فوراً(١).

يقول فيلكس مانجان: أنَّ بعضاً من أهالي المدينة لما فتحوا الأبواب لقوات طوسون باشا، «بدا أنَّهم مسرورون من التغيير الذي حصل، واستقبلوا الجنود استقبال المُخلِّصين»(٢).

وأحد المؤرّخين من أهل المدينة؛ وهو أمين الحلواني يقول:

= وأخوه عرّوج كانا ولدي خزَّاف مسيحي، وقيل يهودي، ويذكر المؤرّخ عبدالحميد بن أبي زيَّان بن شنهو في كتابه «دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر» (ص: ٣٧ ـ ٣٨): أنّ أسماء أسرتهم كلّها أسماء اليهود؛ فيعقوب أبوهم ويوسف جدّهم وإسحاق أخوهم وإلياس أخوهم، وحتّى باربا روسا كان اسمه الخضر؛ على الخضر الذي التقى بنبي الله موسى، وأمّهما كانت ابنة راهب نصراني، وأختهما تربَّت في كنف أمها على الدين النصراني. ويقول ابن أبي زيَّان أيضاً (ص: ٤٠): إنَّ أكثر جنود باربا روسا وعرّوج كانوا من نصارى البلغار ورومانيا واليونان. والمؤرّخ حمدان خوجة في كتابه «المرآة» (ص: ١١١) يقول: إنَّ من بين عساكر باربا روسا يهود ويونانيون نصارى.

ولو ذهبت بنظرك إلى ليبيا، لوجدتَ محمد باشا الساقسلي الذي كان قائداً تركياً استولى على البلاد الليبية؛ وكان على دين النصارى، ويقال أنَّه أسلم (رغم أفاعيله التي ارتكبها بمسلمي ليبيا مِمَّا يتنافى مع دين الإسلام)، ويوم جاء بأخوته ليولّيهم المناصب في ليبيا رفضوا الختان على كِبَرِهم بالرغم من أنَّهم يظهرون للناس إسلامهم، وكان لا يولّي من حاشيته متأصّلاً في الإسلام منصباً، وإنَّما يولّي أحداث العهد بالإسلام. انظر: محمد بن غلبون الطرابلسي «التذكار» (١٨١) (١٩٧).

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٢). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٩ ـ ١٤٠).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥١).

«ولمَّا دخل الكاشف[١] إلى المدينة، تلقَّاه أهلها بالترحيب والإكرام وانضمّوا مع عسكره»[٢].

بل إنَّ الحلواني نفسه ـ وهو من أهل المدينة ـ يأتي بخبرٍ أشدّ من الخبر السابق يبين لنا سبب هزيمة السعوديين هناك، حيث قال: «**إنَّ أهل المدينة اتفق رأيهم مع الكاشف** [صالح آغا] على أن يحفروا لُغماً من تحت الأرض، فحفروه من جهة مسجد سيدنا علي، وشرعوا في حفر لغم آخر من جهة أول درب الجنائز، **وقصدهم أن يُشغلوا أفكار الوهابيين ليُضَيِّعوا فَرَاسَتَهم**، ثمَّ حفروا لغماً ثالثاً من حوش النخاولة يتصل إلى السور المجاور للحمَّام واهتموا به في مدَّة قريبة، والوهابيون مستعدون من جهة اللغم الذي في أول درب الجنائز، فما يشعرون في يوم الجُمُعَة إلا واللغم الذي عند باب الحمام قد طار وصار له صوتٌ هائل، وانقلب السور من هناك، وكان جمعٌ من أهل المدينة وعسكر الكاشف مستترين في حوش النخاولة من الليل.

فلمَّا انهدم السور من هناك كبَّرَ أهل المدينة مع عسكر الكاشف وهجموا على داخل البلدة واسْتَحَرَّ القتل بين الطرفين، ولِفَطانة أهل المدينة ما صاروا يهجمون على الوهابية من الشوارع والأزقَّة، بل صاروا يتسلقون عليهم من أعلى البيوت وينقِّبون عليهم السقوف والحيطان، وأوَّل المعركة صارت في ذَرْوان[٣] ثمَّ في البيوت التي

(١) هو صالح آغا الكاشف، وهو نفسه (صالح آغا السلحدار) سلحدار محمد علي باشا الذي مرَّ ذكره قبل صفحات.

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٩).

(٣) ذَرْوان: بئرٌ لبني زريق بالمدينة يقال لها (ذَرْوان)، وفي الحديث «سُحِرَ النبي ﷺ بمشاطة رأسه وعدة أسنان من مشطه ثمَّ دُسَّ في بئرٍ لبني زريق يقال لها ذَروان». انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٦٤٠).

حول الحرم، ولا زالوا ينقزون عليهم ويهزمونهم إلى أن حصروهم في القلعة، وقد أنزل الله الخوف والجُبْنَ على الوهابيين في ذلك اليوم[(١)]، مع شهرتهم بالشجاعة والإقدام»[(٢)].

* مذبحة الترك بالحامية السعودية.

انحاز المرابطون السعوديون إلى القلعة فاحتصروا فيها، وكانت ضيِّقة عليهم من كثرتهم، وصار فيها خلقٌ كثير يرتكِمُ بعضهم على بعض، وأهل المدينة قطعوا عنهم الأقوات، ثمَّ نَصَبَت عساكر طوسون على السعوديين الذين في القلعة القنابر والمدافع، فكانت القُنْبرة إذا وقعت وسط القلعة أهلكت عدداً من الرجال، فكثُر المرضى والجرحى، فطلبوا المصالحة بعد أيام فأنزلهم طوسون منها وأخرجهم من المدينة بأمانٍ منه بعد صمود استمرَّ ثلاثة أسابيع[(٣)].

ولكن ماذا حدث حين خرجت الحامية السعودية من المدينة بالأمان الذي أعطاهم إياه طوسون باشا؟. يقول بوركهارت: «حين

---

(١) المعلوم أنَّ السعوديين صمدوا في تلك الحادثة صمود الأبطال وصبروا صبر الشجعان ونزلوا تلك الحرب بإقدام، لولا تحرّك مَكَنَة الخيانة في بعض النفوس. ولن يضرّ السعوديين نبز الحلواني لهم بذلك، فإنّه سيناقض نفسه باعترافه بعد تلك الكلمة مباشرة.

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٠ - ١٧١) باختصارٍ يسير.

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٢ - ١٢٣). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥١). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٥٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٩/١). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦١). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧١).

خرج رجال الحامية من القلعة لم يجدوا إلا خمسين بعيراً بدلاً من الثلاثمئة بعير التي وُعِدُوا بها لترحيلهم، ولذلك اضطرُّوا إلى أن يَترُكوا جزءاً كبيراً من أمتعتهم وأن يحملوا على ظهورهم أغلى شيء لديهم، لكن ما إنْ غادروا أطراف المدينة حتى لَحِقَ بهم الجنود الأتراك وجرّدوهم مِمَّا معهم وقَتَلوا كل من استطاعوا أن يصلوا إليه، ولم يتمكَّن من الهروب إلَّا عدد قليل منهم، إضافةً إلى الذين كانوا على ظهور الإبل، وكان أغلبهم من أهل عسير»[١].

ويذكر السير هارفرد بريدجز في تقريره عن تلك الغدرة وهذه الخيانة من قبل الترك في حقِّ الحامية السعودية، فيقول: ما كادت الحامية السعودية تغادر «حدود المدينة حتى سمح أحمد آغا [بونابرته] كأيِّ تركيٍّ حقيقي[٢] لجنوده بتعقّبهم لنهب كل ما استطاعوا اللحاق به منهم وذبحه، ولذلك لم يستطع الهرب والنجاة سوى أولئك الذين يركبون الجمال.

كان أغلب أولئك الهاربين ينتمون إلى عربان عسير الذين أظهروا بعد ذلك وخلال مجريات هذه الحروب مقاومة عظيمة وعنيدة ضدّ محمد علي باشا»[٣].

ومثله أندرو كرايتون الذي قال: «**بعد أن وعدهم أحمد بونابرت بالأمان وبإمدادهم بإبلٍ تحمل أمتعتهم إلى ما يريدون ليعودوا إلى نجد، لكنَّ ذلك الوعد - ياللْخِزي - نُكِثَ به، فلم**

---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٣) بتصرّفٍ يسير.

(٢) تأمَّل تلك الكلمة، فإنَّها مفتاح لفهم كثير ممَّا سيقع من الحوادث التالية.

(٣) السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤١).

يوفِّر لهم إلا خمسون بعيراً بدلاً من ثلاثمئة، وهو ما اضطر المغادرين إلى ترك الجزء الأكبر من حاجاتهم خلفهم، وما إن تجاوزوا تخوم المدينة حتى لحق بهم الجنود الأتراك وأوقفوهم وقتلوا منهم من استطاعوا قتله»(١).

وبعد أن تمَّت المذبحة التي استأصل فيها الأتراك أغلب حامية القلعة، جمع أحمد بونابرته جماجم السعوديين الذين قُتلوا في المدينة النبوية فكوَّن منها برجاً في الطريق المؤدِّيَة من المدينة لينبع، ووضع حرساً قربه(٢).

ويعلِّق أندرو كرايتون قائلاً: «**على طريقة التتار البربرية جمع أحمد [بونابرته] جماجم الوهابيين الذين قُتلوا في المدينة وكدَّسهم على هيئة برج في الطريق العام إلى ينبع**»(٣).

وعلَّق المؤرِّخ المصري محمود فهمي المهندس على تلك الجريمة البشعة فقال: «**كانت هذه الفعلة من أفعال التتار الهمج المتوحشين، فقد جمع أحمد آغا بونابرته جميع رؤوس القتلى**

---

(١) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦١ ـ ٦٢).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٤). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥١).

(٣) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٢). وأثناء تلك الفترة التي حصلت فيها تلك المجزرة على السعوديين في المدينة، كانت جيوش والي بغداد قد فعلت ذات الفعل بالأكراد في العراق، حيث قتلوا من الأكراد الجم الغفير ثمَّ احتزُّوا رؤوسهم وعملوا منها أبراجاً كبيرة. انظر: عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٩٤).

الوهابيين الذين قتلوا في المدينة وضواحيها وبنى بها برجاً على قارعة الطريق السلطاني الموصل إلى ينبع»[(١)].

كذا علَّق بوركهارت بعد تلك الحادثة الشنيعة كشاهدٍ على أخلاقيات السعوديين وأخلاقيات جيش طوسون باشا العثماني، فقال: **«كان تصرّف الأتراك الغادر في المدينة إجراء غير حكيم، ذلك أنَّهم كانوا يتحاربون مع عدوٍّ مشهور بتمسّكه الشديد بالنيَّة الطيّبة في تنفيذ وعده بالأمان متى ما وعد به. وقد أثار ذلك التصرّف اشمئزاز كل البدو، كما وَصَمَ ـ مع التصرفات الأخرى المشابهة له ـ اسم الأتراك بالعار في كلّ الحجاز»**[(٢)].

لقد مات في هذه الواقعة من السعوديين ـ بين القتل والوباء والهلاك في البرِّ بعدما أُخرِجوا من المدينة وقبل أن ينزل عليهم طوسون ـ نحو أربعة آلاف رجل من عسير وأهل بيشة والحجاز وأهل الجنوب وأهل نجد[(٣)].

وفي جمادى الأولى ١٢٣٠هـ/أبريل ١٨١٥م عيَّن طوسون باشا أحد قادة عساكره حاكماً على المدينة النبوية، وهو **توماس كيث الأسكتلندي**[(٤)] **النصراني الذي يقال أنَّه أسلم، جعله طوسون باشا يتولى أمر أهل مدينة رسول الله ﷺ.**

---

(١) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١١٨) بتصرف يسير.

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٢٩).

(٤) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٣).

* ابتهاج إسطنبول بأخبار القبض على الشيخ ابن مضيَّان.

في أثناء حوادث المدينة؛ قَبَضَ جنود طوسون على **الشيخ مسعود بن مضيَّان** من أمراء قبيلة حرب، بالرغم من أنَّ ابن مضيَّان استسلم لهم، إلّا أنهم أخذوه أسيراً، **فنهب الأتراك بيته وذبحوا أبناءه ورجاله ثمَّ قيَّدوه بالسلاسل وأرسلوه إلى ينبع**[1] **ثم رحَّلوه إلى مصر، ومِن مصر أرسلوه إلى إسطنبول.**

وبعث محمد علي باشا رسالة إلى الباب العالي يخطرهم فيها بإرسال ابن مضيان أسيراً من عنده إلى طرفهم، ويقول في تلك الرسالة مُتَشَفِّياً وفَرِحاً بالقبض عليه[2]: «إنَّ ابن مضيَّان المحروم من الإيمان كبير مشايخ قبيلة حرب وَقَع باليَدِ وأُلْقِيَ القبض عليه وأُوقِفَ عند طوسون أحمد باشا الذي بعثه إلى طرفنا، فبعثتُ به إلى الآستانة العَلِيَّة. وبناءً على أنَّ الشيخ المزبور فضلاً عن خروجه مِن الطاعة مع قبيلته الكثيرة النفوس قد أضلَّ قبائل تلك الأطراف أيضاً، وتَبعَ رئيس الخوارج سعود مظهر الجحود. لقد قُبِضَ على الشيخ المزبور مِن تلابيبه في وقعة المدينة، حينما كانت تتساقط على تراب المذلَّة الرؤوس المنحوسة لهؤلاء الأعداء الذين كانوا ينظرون إلى آستانة الدولة العلية نظر شزر. وقد حرَّرت أنَّه من المناسب إعدام المزبور، حيث أنَّه عند طوسون أحمد باشا في المحبس مسلسلاً بسلسلة حديد ومكبَّلاً بها، وسأبعث به إلى الآستانة العَلِيَّة، وربّي يوفقني لإلقاء

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٣). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٢).

(٢) مع التنبيه على ألفاظٍ غير لائقة ترد في الرسالة، ولكنَّنا نذكرها من باب أمانة النقل.

القبض على أمثال هؤلاء وعلى رئيسهم الضال سعود أيضاً لإرسالهم إلى الآستانة»[(١)].

يخبرنا الجبرتي: أنَّ الشيخ ابن مضيَّان لمَّا وصل إلى إسطنبول أسيراً مع مرسول محمد علي باشا عمَّت في السلطنة مظاهر الابتهاج والفرح «واحتفل أهل الدولة [العثمانية] بشأنه احتفالاً زائداً، ونزلوا لملاقاته في المركب في مسافةٍ بعيدة، ودخلوا به إلى إسطنبول في موكبٍ جليل وأبَّهةٍ عظيمة إلى الغاية، وسَعَت أعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاةً وركبانا، وكان يوم دخوله يوماً مشهودا، **وقتلوا ابن مضيَّان في ذلك اليوم [١٩ ذي الحجة ١٢٢٨هـ/١٣ ديسمبر ١٨١٣م]، وعلَّقوه على باب السراية، وعملوا شَنانِك[(٢)] ومدافع وأفراحاً وولائم**»[(٣)].

ويذكر ناظر المدارس الحربية الأميرلاي إسماعيل سرهنك أنَّ **محمد علي باشا بعث بابن مضيَّان إلى القسطنطينية/إسطنبول، فطافوا به في شوارعها ليراه الناس، ثمَّ قتلوه وعلّقوا رأسه أياماً**[(٤)].

* الابتهاجات في مصر وإسطنبول بسقوط المدينة النبوية.

أرسل طوسون لوالده يبشِّرَهُ بالنصر وأرفق مع حامل بريد البشائر

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيّة سنيّة، رقم وحدة الحفظ (١٦)، بتاريخ ربيع الثاني ١٢٢٨هـ/ أبريل - مايو ١٨١٣م (٢/٤٦ - ٤٧).

(٢) شنانك: جمع «شنك»، وهي كلمة تركية بمعنى بهيج، وتُطلَق على الاحتفال الذي تُضرب فيه المدافع والنيران الملوَّنة علامةً على البهجة والفرح. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٩٩).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٧).

(٤) انظر: إسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار» (١/٤١٨).

مفاتيح قلعة المدينة النبوية[١]، ومعه مفاتيح الحرم النبوي الشريف **مصحوباً بثلاثة آلاف من آذان القتلى السعوديين.** هذا وقد كان لاحتلال الترك للمدينة النبوية رنَّة فرح في كلِّ أرجاء الدولة العثمانية[٢]، إذ وصلت أخبار سقوط المدينة إلى محمد علي باشا في القاهرة في العاشر من ذي الحجة ١٢٢٧هـ/ ١٥ ديسمبر ١٨١٢م، فخامر الباشا سرورٌ عظيم، وضربوا في القاهرة مَدَافِعَ وَشِنْكاً بعد مدافع العيد، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان هناك لأخذ البقاشيش، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج قبَّة العزب، وضُرِبَت البنادق من جميع الجهات حتى من أسطح البيوت.

وفي صبح ثالث عيد الأضحى نادى المنادون على الناس بتزيين الأسواق وما فيها من الحوانيت والدور وتعليق القناديل، ويسهرون ثلاث أيام بلياليها، وأخرجوا خِياماً إلى خارج باب النصر[٣] وباب الفتوح[٤]، ثمَّ خرج الباشا من القلعة إلى العادلية[٥] فاصطفَّ الناس

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٦). وعثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٧٧).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٩١)، بتاريخ ١٥ ذي الحجّة ١٢٢٧هـ/ ٢١ ديسمبر ١٨١٢م (٤٤٩/١ - ٤٥١).

(٣) باب النصر: هو أحد أبواب سور مدينة (القاهرة). وهو اليوم في (شارع الجمالية) الذي يُعرف أيضاً باسم (شارع باب النصر). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٩٥/٢).

(٤) باب الفتوح: أحد أبواب سور مدينة (القاهرة). وهو اليوم في (شارع باب الفتوح). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٧٦/٢).

(٥) العادلية: هي القبَّة التي بناها الملك العادل طومان باي فوق تربته التي عُرِفَت بـ(العادلية)، وهي لا تزال باقية إلى يوم الناس هذا داخل مبنى (المنطقة=

على مساطب الدكاكين والسقائف للفرجة، وعملوا شنكاً ودوَّت المدافع من كل ناحية، ثمَّ كُتِبَت البشائر إلى دار السلطنة بإسطنبول وبلاد الشام وبلاد اليونان وغيرها(١).

من بعد ذلك أمر محمد علي باشا بتعمير كلّ القباب التي هُدِمَت في المدينة النبوية زمن حكم الدولة السعودية الأولى، ورمَّم الباشا بعض القباب التي لا زال لبعضها أثر باقٍ، وصرف في سبيل ذلك مئة ألف قرش، وخصَّص للأفندي المشرف على التعمير والترميم راتب شهري مقداره ألف قرش(٢).

* طوسون باشا يستولي على مكَّة.

بعد أن وقعت المدينة النبوية تحت الاحتلال التركي؛ أصبحت قوات طوسون باشا تسيطر سيطرةً تامَّةً على المنطقة الشمالية من الحجاز على خطٍ يمتدّ من ينبع إلى المدينة النبوية، حينها أصبح كلّ اهتمام القوات السعودية مُنصَبّاً على ألّا تسقط مكة ومحيطها بيد الترك(٣).

= المركزية العسكرية) تجاه (مستشفى الأمراض النفسية والعصبية) في (العباسية) على يسار الذاهب إلى مدينة (نصر) و(مصر الجديدة). انظر: محمد حمزة الحدَّاد «قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي» (٢٢٠).

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٤٢ ـ ٢٤٣). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٦).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٥٠)، بتاريخ ٣ جمادى الثاني ١٢٣١هـ/ ١ مايو ١٨١٦م (٢/٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٣) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٣١٨).

في ذات الوقت أرسل محمد علي باشا مَدَداً مكوَّناً من ألف فارس خيَّال وخمسمئة من المشاة للحملة على جُدَّة ومكَّة تحت قيادة صهره مصطفى بِكْ[(١)].

وكان الشريف غالب لمَّا رأى سقوط المدينة النبوية في يدِ طوسون باشا جَدَّدَ خضوعه واحترامه للأتراك، وأرسل نوَّاباً من طرفِهِ يدعون طوسون باشا للدخول في جُدَّة ومكَّة تحت كفالة الشريف[(٢)].

يقول مؤرّخ مكَّة أحمد زيني دحلان: أنَّ الإمام «سعود جاء إلى الحج هذا العام ولم يطَّلِع على مكاتبات الشريف غالب للعساكر المصرية [التركية]، فلمَّا أتمَّ الحجَّ رجع إلى بلاده بسرعة، فكاتب الشريف غالب العساكر الذين في ينبع [يستحثّهم على القدوم] فسار بعض العساكر من ينبع إلى جُدَّة من طريق البحر»[(٣)].

وهو الأمر الذي أكَّدَه طوسون باشا في رسالةٍ أرسلها إلى والده في محرم ١٢٢٨هـ/يناير ١٨١٣م يخبره فيها أنَّ الشريف غالب أرسل

---

(١) مصطفى بِكْ: خال طوسون باشا، هو قائد فرسان الكشافة/ سرجشمة دليلان في جيش طوسون، وهو الذي قاد فرسان عساكر الدلاة التي توجَّهت لاحتلال (مكة) ثمَّ (الطائف). نقلاً عن: دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣)، تاريخ ١٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ١٨ يناير ١٨١٣م (١٣/٢). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣)، وحدة الحفظ (٥)، تاريخ ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (١٦/٢). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٣).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,762.

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٣).

أمينه الخاص أحمد تركي إلى رابغ[١] المُحتَلَّة، حيث كان طوسون باشا فيها، وأنَّ أحمد تركي أخبره بدعوة الشريف له ليأتي إلى جُدَّة[٢].

ثمَّ أرسل طوسون باشا رسالة أخرى إلى أبيه محمد علي باشا يخبره بأنَّه سيتحرّك من رابغ إلى جُدَّة، وأنَّه أرسل يطلب من الشريف غالب أن يسهِّل لعساكره التركية النزول في مرفأ جُدَّة، بحيث يستقبل ثلاثمئة نفر أو مئتين وخمسين نفراً في جُدَّة، فأرسل الشريف لطوسون قائلاً: «مرحباً بك، وَلِيَ اتِّحادٌ واتِّفاقٌ على كُلِّ حال مع أخي والي مصر الباشا [محمد علي]، فلا بأس ولا مانع من دخول خمسمئة نفر فيها فضلاً عن دخول مئتين وخمسين نفراً، ومن المعلوم عند الجميع محاربتي مع الوهابية عدَّة سنين ومصالحتي الظاهرية الضرورية. سيدخل ولدي صاري عسكر[٣] [طوسون] باشا في مكَّة المكرَّمة بعون الله تعالى ويُطهّر حوالي الطائف من لوث الخوارج بأسهل طريقة»[٤].

---

(١) رابغ: بلدةٌ حجازية ساحلية بين (جُدَّة) و(ينبع)، على بُعد ١٥٥ كلم من (جُدَّة) شمالاً، و١٩٥ كلم من (ينبع) جنوباً، وهي اليوم قاعدةُ محافظةٍ باسمها تابعة لـ(مكة)، سكَّانها زُبَيد من حرب، وشيوخها آل مبيريك. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٦٥٣ ـ ٦٥٦).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٢٥ محرَّم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (٢/١٦). وانظر: ك. هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة» (١/٢٧٢).

(٣) صاري عسكر: الرئيس العام للجيش وقائد القواد. انظر: الأمير عمر طوسون «الجيش المصري البرِّي والبحري» (٤١).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٢)، بتاريخ ١٢ محرَّم ١٢٢٨هـ/ ١٥ يناير ١٨١٣م (٢/١٠).

ويقول المؤرّخ عبدالله بن محمد البسام: إنَّ عساكر طوسون باشا «**لمَّا وصلوا جُدَّة أدخلوهم أهلها وقابلوهم بالإكرام**»[١]. وقيل إنَّ طوسون باشا استُقبِلَ في جُدَّة استقبال الظافر، وأنَّ الشريف احتفل بمقدمه[٢].

وهذا ما وكَّده طوسون باشا نفسه في الرسالة السابقة حين قال: «يوم ورودنا ونزولنا مرحلة جُدَّة، دخل عبدكم عابدين بِكْ[٣] ومعه مقدار من العساكر من جهة البر، وعند نزولهم في الدار التي أعَدُّوها أُظْهِرَت مِنْ الطرفين أنواع الفرح والسرور بإطلاق المدافع والبنادق من القلعة وأُقيمَت معالم الاغتباط العظيم، وانتهت غائلة جُدَّة بلا حرب ولا جِدال على أسهل حال»[٤].

---

(١) عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٦٧).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥١).

(٣) عابدين بِكْ: هو من المتعاونين مع أخيه حسن آغا في الفتك بأمراء المماليك المصرية في مذبحة القلعة. وعابدين بِكْ أيضاً كان من قادة المَدَد الذي أرسله محمد علي باشا إلى ابنه طوسون. انظر أخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٧٣/٤). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٦٣). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٢)، بتاريخ ١٢ محرم ١٢٢٨هـ/ ١٥ يناير ١٨١٣م (١١/٢). ومحفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٦١)، بتاريخ ١٧ صفر ١٢٢٩هـ/ ٧ فبراير ١٨١٤م (١٤١/٢). ومحفظة (١) ذوات، وحدة الحفظ (٥٧)، بتاريخ ٧ شوال ١٢٢٩هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٨١٤م (١٩٥/٢).

(٤) الوثيقة السابقة (١١/٢ ـ ١٢). ومحفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (١٦/٢). ودفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٨ صفر ١٢٢٨هـ/ ١٠ فبراير ١٨١٣م (٣٨/٢).

ويعلّق المستشرق هورخرونيه على ذلك قائلاً: **هكذا احتُلَّت جُدَّة بسرعةٍ كبيرةٍ دون نزاع**[١].

وبعد ثلاثة أيام في ١٥ محرّم ١٢٢٨هـ/١٨ يناير ١٨١٣م سار طوسون بعساكره التركية المُخلَّطة إلى مكة ودخلها بغير قتال، ونزل قصر القرارة[٢]، يقول ابن بشر: «وكان الشريف [غالب] هو الذي دعاهم لدخولها ومالأهم»[٣].

ويقول فيلكس مانجان: «كان الشريف غالب يبذل كلّ ما في وِسعه لمساعدة الأتراك وكان أحد العوامل المؤثرة في الاستيلاء على مكة المكرمة، فقد تحوّل جنوده الذين كانوا يأتمرون بأمر الوهابيين خلال وجودهم في منطقة نفوذه إلى أعداء لهم بمجرّد أن شعروا أنَّ باستطاعتهم الاعتماد على القوات العثمانية»[٤].

وصفة الحال كالآتي: اتجهت قوات طوسون باشا عقب دخولها جُدَّة إلى مكة، تسبقها فرقة استكشافية بقيادة مصطفى بِك سرجشمة دليلان[٥]، وتمكَّنت هذه القوات من الوصول إلى البلد الحرام

---

(١) انظر: ك. سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» (١/٢٧١).

(٢) قصر القَرَارَة: (القرارَة) حيٌّ من أحياء (مكة) في (قرارة) شمال الحرم في (جبل قعيقعان) تفصل (جبل شيبة) شرقاً، كانت تُعرَف بـ(قرارة جبل شيبة). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٣٦٢).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٢).

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٧).

(٥) سرجشمة دليلان: قائد فرسان الكشافة، وهو الضابط الذي يقود وحدة «الدلي سواري» الدلاتية، ويعاونه ضابط «دلي باش». انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١٨٤ ـ ١٨٥).

بمساعدة الشريف غالب وبعض البدو المؤيدين لها[١]، فدخلت مكة دون حدوث أيِّ قتال مع قوات عبدالله بن سعود التي انسحبت إلى قرية العبيلا قرب الطائف التي اتخذتها معسكراً عامّاً لها، وبعد ثلاثة أيام دخل طوسون باشا[٢].

ولم تكن فرحة الاستيلاء على مكة في مصر والأستانة بأقلَّ من فرحة الاستيلاء على المدينة النبوية، إذ يذكر الجبرتي أنَّ القاهرة زُيِّنَت على إثر وصول نبأ احتلال الترك لمكة بالزينات مدَّة خمسة أيام متتاليات؛ كانت تُضرب فيها المدافع والبنادق والشنانك ضرباً مهولاً متواصلاً من غير فاصل كأنها الرعود من طلوع الشمس إلى قريب الظهر، ثمَّ كتب محمد علي باشا بالبشائر إلى دار السلطنة العثمانية وجميع النواحي[٣].

ثمَّ أرسل محمد علي إلى حكومة السلطان العثماني بمفاتيح البيت الحرام ومفاتيح مدينة جُدَّة[٤]، وكانت مفاتيح مكة وجُدَّة قد

---

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٩٥).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ١٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ١٨ يناير ١٨١٣م (٢/١٣). ومحفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (٢/١٣). ودفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٨ صفر ١٢٢٨هـ/ ١٠ فبراير ١٨١٣م (٢/٣٨ ـ ٣٩).

(٣) الأرشيف العثماني، H.H, 803/37119-M إعلامٌ باستخلاص الحجاز من الوهابيين مِن قِبَل طوسون باشا، وثائق الأرشيف العثماني بدارة الملك عبدالعزيز. وانظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٧٥).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٧)، بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٢٢٨هـ/ ١٨ مارس ١٨١٣م (٢/٤٢). وأمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٤٢).

وصلت إلى إسطنبول موضوعة بأطباقٍ ذهبية تسير بها مواكب احتفالية كبيرة عبر شوارع عاصمة الأتراك[١].

* جرائم الترك في الطائف.

حدث في الطائف في ١٢٢٧هـ/١٨١٢م أنِ استوحش عثمان المضايفي وخاف على نفسه وحرمه فخرج منها بعياله ونسائه وبعض خيله ومتاعه ولحق بعبدالله ابن الإمام سعود ونزل رنية[٢].

كانت الأمور قد استتبَّت لطوسون في مكة وأعلن أشرافها انضمامهم إلى جانبه، فسيَّرَ قوةً من جيشه تحت قيادة مصطفى بِكْ ومعه الشريف راجح[٣] وابن الشريف غالب إلى قرية العبيلا حيث تعسكر القوات السعودية بقيادة عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وعلى إثر معارك متفرِّقة أخْلَت القوات السعودية العبيلا وانسحبت صوب نجد، فسيطرت قوات مصطفى بِكْ على القرية في ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ/٢٨ يناير ١٨١٣م، فتوجَّهت قوات مصطفى

---

(١) انظر: ك. سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة» (١/٢٧٣).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٢٥ محرَّم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (٢/١٧ ـ ١٨). وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٥). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٧٦). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣١).

(٣) الشريف راجح: هو قريب لغالب غير لصيق القرابة، أعطاه محمد علي باشا إمرة بعض مئات من البدو وحمَّله مسؤولية انضمام آخرين معه في الخدمة. انظر: جيرالد دو غوري «حكَّام مكَّة» (٢٥١) (٢٧٤ ـ ٢٧٥).

بِكْ إلى الطائف واحتلَّتها، فأسرع طوسون باشا يصحبه الشريف غالب إلى الطائف بعد ورود أنباء سيطرة قواتهم عليها[(١)].

وبعد اجتياح قوات طوسون للطائف أخذت عساكره تقطع رؤوس جثث القتلى السعوديين، فتجمَّع منها قرابة سبعين رأساً مقطوعة[(٢)].

ويعلّق المستشرق الهولندي هورخرونيه على تلك الحوادث قائلاً: «**إنَّ الذهب والتصرفات الخيانيَّة كانت الأسلحة الرئيسية التي استعملها الباشا ضدّ الحركة الوهابية وأتباعها**، لقد استسلمت مكة لجيش محمَّد علي دون قتالٍ تقريباً، **أمَّا الطائف فقد تمَّ فتحها بمساعدة من الشريف غالب**»[(٣)].

لمَّا وصلت أنباء سقوط الطائف إلى محمد علي باشا غمرته فرحة كبيرة، فأمر بضرب المدافع من القلعة وغيرها ثلاثة أيام في كل وقت أذان[(٤)]، ثمَّ أرسل محمد علي باشا إلى الباب العالي في إسطنبول يبشرهم بأخذه الطائف قائلاً: «وقد فُتِحَت الطائف وسُخِّرَت وتبدَّدت الطائفة الكريهة: طائفة الخوارج وتشتَّت شملهم»[(٥)].

---

(١) الوثيقة السابقة (١٨/٢ ـ ١٩). ومحفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٩)، بتاريخ غرَّة صفر ١٢٢٨هـ/ ٢ فبراير ١٨١٣م (٢٩/٢ ـ ٣١). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٣). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٣١٩ ـ ٣٢٠).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٧)، بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٢٢٨هـ/ ١٨ مارس ١٨١٣م (٤٤/٢).

(٣) ك. هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» (٢٧٣/١).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٧٦/٤).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٨ صفر ١٢٢٨هـ/ ١٠ فبراير ١٨١٣م (٣٩/٢).

ومع أنَّ مدن الحجاز الخمس (مكّة والمدينة وجُدَّة والطائف وينبع) أصبحت حينذاك في أيدي الأتراك، فإنَّ قوة السعوديين لم تُحطَّم، **إذ ماتزال تربة وبيشة ورنية وجازان وعسير وما اقترب منها من القرى والبلدات صامدة أمام الزحف التركي تَصُدَّه وتمنعه من التقدّم إليها**(١).

* السعوديون يحرّرون الحناكية ومحيط المدينة النبوية.

في آخر ربيع الآخر ١٢٢٨هـ/أبريل ١٨١٣م سار الإمام سعود بجيشه من جميع النواحي وآفاق نجد الحاضرة والبادية وقصد الحناكية قرب المدينة النبوية، وكان في قصرها عساكر الترك مع عثمان كاشف وفيها بعض الأعراب، فهرب الأعراب ونازل سعود العساكر التي في القصر بالحناكية وهم نحو ثلاثمئة فارس ومقاتل وحاصرهم، وَهَمَّ الجيش السعودي أن يتسوَّر الجدار على عساكر الترك، على أنَّ الترك طلبوا العفو من سعود، وبطبيعة الحال أعطاهم سعود الأمان على دمائهم وأموالهم، **كعادة آل سعود في حروبهم حين يعطون الأمان لمن يطلبه ولا يخفرونه**، وَشَرَطَ عليهم سعود أن يسيروا ناحية العراق العثماني فساروا إليها، وأمَرَ الإمام سعود على محمد بن علي صاحب جبل شمَّر وبعض فرق الجيش السعودي أن يسيروا معهم لتأمينهم حتى يبلغوا مقصدهم(٢)، **وهذه سلوكيات غاية في الشهامة والأخلاق الحربية الرائعة التي تميَّز بها آل سعود وجيشهم وأتباع دولتهم.**

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٢ - ٣٣٣).

ثمَّ سار الإمام سعود من الحناكية إلى المدينة النبوية، وفي طريقه ضبط الأعراب الذين بين الحناكية والمدينة، فلمَّا اقترب من جبل أُحُد وإذا خيل الترك وبعض الأعراب معهم قد أقبلت، فتلقَّاهم سعود وجيشه لقاء البواسل، فقُتِلَ من عساكر الترك ومن معهم ثلاثون فارساً، ثمَّ تابع سعود مسيره في ردع الترك وافتكاك ما استولوا عليه من البلدات والقرى؛ فأخذ بلدة الحسا[1]، ومن بعدها استرجع وادي الصفراء وضبطها، ثم ضبط بلد السوارقية[2]، وحصل للإمام سعود من الغنائم الكثيرة التي قام بتقسيمها على جيشه[3].

* تربة تحت القصف العثماني.

في شعبان ١٢٢٨هـ/١٨١٣م اجتمعت عساكر الترك من مكة والطائف يقودهم مصطفى بيك ومعهم راجح الشريف ومعه بعض البوادي من الذين تابعوا الترك، فسارت تلك العساكر والجموع وفي معيتها المدافع والقنابر وقصدهم ضرب بلدة تربة واحتلالها[4].

---

(١) الحَسَا: جزء من (وادي النقيع) بين (بئار الماشي) إلى قرية (الوسطة). ويمرُّ (الحسا) بين (جبل عير) شمالاً و(حمراء الأسد) جنوباً، وبه سُمِّي النعنع الحساوي بالمدينة. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٤٦٥).

(٢) السوارقية: ومن أهل بادية الحجاز من ينطقها (السويرقية). تقع جنوب غربي (مهد الذهب) على ٤٠ كلم. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٨٤٧).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٣).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٧). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٥٣)، بتاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٨١٣م (٢/١٣٤).

وكان في تربة، بالإضافة إلى أهلها البقوم، مرابطة من أهل نجد وغيرهم، فحاصرتهم عساكر الترك ثلاثة أيام، **وكاد الترك لأهل تربة بالكيد والضرب المتوالي، ولكنَّ الله أرسل لهم النجدة بمددٍ من أهل بيشة جاؤوا لمعاونة إخوانهم من أهل تربة، فلما اقترب الترك من تربة كَمَنَ لهم أهل بيشة وأهل تربة ومن معهم من أهل نجد، فناوشوا الترك، فخرج كمين السعوديين على المحطة والخيام فانهزمت عساكر الترك وجموعهم، فاستولى أهل تربة وبيشة ومن معهم من أهل نجد على محطتهم وخيلهم وقتلوا منهم قتلى كثيرة، فتقهقر الترك مكسورين**، وقد قُتِل منهم في تلك الموقعة ما بين أربعمئة إلى خمسمئة جندي(١).

* حادثة أسر عثمان المضايفي.

في أثناء حوادث تربة السابقة، كان عثمان المضايفي مع فرسانه يتجوَّل في المنطقة من كلِّ جهة، وقضى على الأتراك المنسحبين، وغالباً ما قَطَعَ خطوط المواصلات مع مكَّة، وكان خلال صيف ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م يضايق حامية الترك في الطائف، **وقد عَرَضَ الشريف غالب جائزةً تُقَدَّر بخمسة آلاف ريال فرنسي لمن يتمكَّن من القبض** على الشيخ عثمان المضايفي(٢).

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٣ ـ ١٤٤). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٦٢ ـ ٦٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٣٣٤). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/ ٨٤).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٧ ـ ١٢٨). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٣).

كان ذلك أثناء رجوع المضايفي إلى الطائف ومعه مجموعات من قبيلة عدوان[١] وبعض أهل الحجاز الذين ساندوا عثمان في الاستيلاء على ثلاثة قصور في الطائف[٢]، ثم نزل قصر بسل[٣]، فحين علم الشريف غالب بعودة صهره المضايفي للطائف، سار إليه بعساكر كثيرة من الترك وغيرهم، وحصَرَ المضايفي في قصره أياماً وأشعل فيه النيران، فهرب المضايفي من الطائف حتى وصل الحزم[٤]، وأصيبت فرسه ولم تقدر على حمله بعيداً، فسار حينئذٍ على قدميه واختلط بالعسكر فلم يعرفوه، فخرج من بينهم ومشى وتباعد عنهم نحو أربع ساعات وسلك الطريق المؤدية إلى تربة، فوقع فجأةً في يدِ أناس كانوا هناك فأمسكوه[٥] وسلَّموه أسيراً إلى الشريف

(١) قبيلة عدوان: واحدهم عدواني، ومنهم: (الجماهرة)، ومنهم: (الحزاما). وأراضي عدوان أسافل أودية (الطائف) وهي (ليَّة) و(العَرج) و(شِرب) في (العقرب) و(العبيلاء) و(المجنب) و(الباردة) و(الفريدة) و(صُلَّبا). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥١٤ ـ ٥١٥).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٤).

(٣) بِسْل: وادٍ ذو قرى ومزارع، سكَّانه العُصَمَة وغيرهم من عُتَيبَة، في إمارة (الطائف). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١/٢٧٨). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٢٠٦).

(٤) الحزم: من قرى العبدة من (هذيل) بمنطقة (الهَدَة) في إمارة (الطائف). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١/٤٣٦).

(٥) الذين أمسكوا بالشيخ عثمان المضايفي وسلّموه للشريف غالب قوم من العُصمة من قبيلة عُتَيبَة. وقيل إنَّ سبب قبضهم عليه؛ ثأراً من المضايفي لأنَّه قتل جماعة من قومهم في (الطائف). انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٥).

غالب، ثمَّ كبَّل غالب أسيره المضايفي بأغلالٍ من حديد وقام بتسليمه إلى الأتراك[١].

وقد قُتِلَ في تلك الحادثة من قرابة عثمان المضايفي[٢] وأتباعه نحوٌ من خمسين رجل بحسب ابن بشر[٣]، وعند الفاخري والبسَّام أنَّهم سبعون قتيلا[٤]. ثمَّ أُرسِلَت إلى محمد علي باشا البشائر بأسر عثمان المضايفي[٥].

وفي ذلك يقول محمد علي باشا في رسالةٍ منه للدولة العثمانية: **«إنَّ عثمان المضايفي حمو حضرة أمير مكة المكرمة، قَبَضَت عليه في الحال عساكر السلطان من تلابيبه واستصحبوه مكبَّلاً بالحديد ومعه آذان بقية المقتولين، وسيرسل المرقوم والآذان المقطوعة»**[٦].

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٥). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٧ ـ ٥٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٣).

(٢) قرابة عثمان المضايفي: هم (العَثامِين) ذوي عثمان (المضايفية) من ذوي عبدالرحمٰن من الجماهرة من قبيلة عدوان. قال حمد الجاسر: وهم أهل قرية (العقرب). وقال: هم في قرية (المَجْنَبِ الأسفل) في (أسفل شِرْب). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥١٠ ـ ٥١١) (٥١٥) (٧٧٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٤ ـ ٣٣٦).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٤). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٢٦٧).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٥).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (١٢٤)، بتاريخ ١٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٩٩ ـ ١٠١).

ثمَّ أحضر الترك المضايفي إلى جُدَّة واستمرَّ عند الشريف موضوعاً فيما يسمونه التَّرسيم[(١)]، بعدها أرسلوه إلى القاهرة، وقد وصلها في الخامس عشر من ذي القعدة ١٢٢٨هـ/التاسع من نوفمبر ١٨١٣م[(٢)] عند موضع الريدانية آخر الليل.

ويصف الجبرتي حال وصول الشيخ المضايفي قائلاً: «انتشر خبر وصوله في القاهرة كلّها، فلمَّا طلعت الشمس **احتفل الأتراك هناك بوصول الأمير المضايفي أسيراً؛ فضُرِبَت المدافع من القلعة إعلاماً وسروراً بوصوله**، وركب السلحدار[(٣)] في عُدَّةٍ كبيرة، وخرج الترك بالقاهرة لملاقاة الأمير المضايفي، فلمَّا رآه السلحدار نَزَعَ من عُنُقِهِ الحديد وأركبه هجيناً[(٤)] ودخل به إلى المدينة وأمامه الجاويشية[(٥)]

---

(١) الترسيم: يعني الحَجْر أو التوقيف أو ما يقابل في عصرنا الإقامة الجبرية، أو المراقبة. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٤٤).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٤٦)، بتاريخ ٩ ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ٣ نوفمبر ١٨١٣م (٢/١٢٠ ـ ١٢١). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٣).

(٣) هو صالح بيك السلحدار والذي صار فيما بعد صالح آغا الكاشف، وقد تمّ التنويه عنه سابقاً في هذا الفصل.

(٤) هذا تعامل ينبئ عن حسن تصرف يدلّ على معرفة السلحدار بمقام ومكانة المضايفي، فقد التقى السلحدار بالمضايفي من قبل في عدّة وقعات ومعارك متعددة في أرض الحجاز، فهو عارف بمكانة وشجاعة المضايفي بلا مِريَة، ولذلك أكرم نزله في حدود صلاحياته وقدرته يوم درات الأيام على المضايفي.

(٥) الجاويشية: لفظٌ تركيٌّ معناه: جندي ذو رتبة صغيرة. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١١٩).

والقوَّاسة الأتراك وبأيديهم العصي المفضَّضة، ثمَّ سار خلفه السلحدار وطوائفه وطلعوا به إلى القلعة وأدخلوه مجلسها، **فاجتمع عنده وجهاء القاهرة وأعيانها، فلمَّا جلسوا عنده حادثوه ساعة، والأمير عثمان المضايفي يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب وأفصح جواب، وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وظاهر عليه آثار الإمارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام، حتى قال الجماعة لبعضهم البعض: يا أسفاً على مثل هذا، إذا ذهب إلى إسلامبول يقتلونه.**

ولم يزل الأمير المضايفي يتحدَّث معهم حصة، ثمَّ أحضروا الطعام فواكلهم، ثم أخذه الكتخدا إلى منزله، فأقام عنده ثلاثة أيام مكرَّماً، وبعدها أركبوه سفينة انحدروا بها طالبين الديار الرومية [التركية] يوم ٢١ ذي القعدة ١٢٢٨هـ [١٥ نوفمبر ١٨١٣م]»[١].

وكان الإمام سعود بن عبدالعزيز - قبل أن يعلم بتسفير المضايفي إلى مصر - قد أرسل قصَّاداً من عنده إلى طوسون باشا والشريف غالب حين كانا في جُدَّة يسائلهم الإفراج عن الشيخ عثمان المضايفي وأنَّه يفتديه بمئةِ ألف فرانسة، فأخبروه بأن المضايفي قد سافر فعلاً إلى مصر ولم يعد الأمر بأيديهم[٢].

ولما وصل عثمان المضايفي إلى إسطنبول طافوا به في المدينة ثمَّ صدر الأمر في الحال بقطع رأس هذا الأمير النبيل فقُتِلَ هناك[٣].

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٦) بتصرّف.

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٦ - ٢٨٧).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٤). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٢٠ - ١٢١). وإسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار» (١/٤١٨).

وكان لحادثة أسر المضايفي رنَّة فرح وابتهاج عند الترك وسلطانهم العثماني في إسطنبول، فقد أرسل كتخدا الباب العالي بإسطنبول لمحمد علي باشا بخبر تلك الابتهاجات والأفراح التي عمَّت عاصمة السلطنة، وكان الكتخدا فرحاً بخبر إرسال آذان القتلى من السعوديين، وابتهج أكثر بأسر عثمان المضايفي الذي وصفه الكتخدا بـ«**الملعون**» وأنَّه «**من أعظم رؤساء الخوارج**»، وطالب بالتعجّل بأسر بقية قادة الدولة السعودية الذين وصفهم الكتخدا بـ«**الأنفار الخبيثة**»(١).

ويعلّق المستشرق الهولندي هورخرونيه على حادثة أسر عثمان المضايفي وقتله في إسطنبول، حيث يقول: «لقد كان الانطباع مأساوياً حين اقتيد زعماء الحركة الإصلاحية [السلفية] أسرى إلى مصر بعد أن أُوهِمُوا أنَّه لن ينالهم سوء هناك. وقد كان ظهورهم في أسواق القاهرة مثار استغراب الطبقة المثقَّفة التي كانت تنظر باحترام إلى الأصل النبيل الذي ينحدر منه هؤلاء. وقد أُرسِلَ هؤلاء إلى إسطنبول التي أمَرَت بوضع نهايةٍ حزينةٍ لمعاناتهم»(٢).

* وصول محمد علي باشا إلى الحجاز.

في أواخر ١٢٢٨هـ/١٨١٣م قدم محمد علي باشا إلى الحجاز بعساكر عظيمة، بعد أن عَلِمَ أنَّ جنود جيش ابنه طوسون باشا قد أنهكتها حرارة جوّ الحجاز الشديدة وكثر في صفوفهم المرضى والمتعبون، فكانت الخسائر تنوف عن ثمانية آلاف رجل وخمسة

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٤٦)، بتاريخ ١٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/١٠٤ ـ ١٠٥).

(٢) ك. سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» (١/٢٧٣).

وعشرين ألف دابَّة[١].

وكان محمد علي باشا أرسل لحكومة الدولة العثمانية ذاكراً لهم تصميمه على الذهاب إلى الحجاز قائلاً لهم: «فَكَّرتُ وصَمَّمْتُ هذه السنة المباركة على أخذِ الانتقام من أعداءِ الدِّين وتصفية الدرعية بِصَرفِ مبالغ طائلة جداً»[٢].

وقد لحق بمحمد علي باشا سبعةُ آلاف عسكري وسبعة آلاف كيس من الأموال، فكوَّنوا جيشاً من أخلاط الناس، وجمعوا لذلك الجيش أرباب الصنائع مثل الخبازين والفرَّانين والنجَّارين والحدَّادين والبياطرة وغيرهم[٣].

وبعد أن تحرَّك محمد علي باشا إلى الحجاز، وصل إلى القاهرة مددٌ عظيمٌ من عساكر الترك والمغاربة ينوون اللحاق بالباشا إلى الحجاز، يقودهم دبّوس أوغلي[٤] وحسن آغا سرجشمة[٥].

---

(١) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٦). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٦٤).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٨٩ ـ ٩٠).

(٣) انظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٤٧).

(٤) دبّوس أوغلي: هو كتخدا بيك، كان من قادة العساكر الدلاتية في مصر، كان من ضمن من استخدمهم محمد علي باشا لمحاربة المماليك المصرية. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٧) (١١) (١٩٢).

(٥) حسن آغا سرجشمة: من عساكر الأرناؤوط في القاهرة، تقلد إمارة (دمياط) وقت محمد علي باشا. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٢٣).=

وإليك وصف المؤرخ الجبرتي لحال تلك العساكر قبل أن تلحق بمحمد علي باشا، حيث قال عنهم: «**نصبوا خيامهم واستمرّوا يخرجون من المدينة ويدخلون غدوّاً وعِشيّاً وهم يأكلون ويشربون جهاراً في نهار رمضان، ويقولون: نحن مسافرون ومجاهدون، ويمرّون بالأسواق ويجلسون على المساطب وبأيديهم الأقصاب والشبكات[1] التي يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء، ويجوزون بحارات الحسينية[2] على القهاوي في الضحوة.**

وأشنع من ذلك أنَّه اجتمع بناحية عرضيِّهم وخيامهم الجمّ الغفير من النساء والخواطي والبغايا ونصبوا لهم خياماً وأخصاصا، وانضمَّ إليهم بيَّاع البوظة[3] والعَرَقيّ والحشَّاشون[4]

= جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٦٣).

(١) **الشبكات**: مفردها الشبك. وهي شبك الشيشة يوضع فيها الدخان، وقد كان منتشراً في مصر، وكان يحترف كثير من الفقراء حرفة تسليك الشبك، وقد أُطلِق على مُصلِح الشبك اسم «شبكشي». انظر: أ. ب. كلوت «لمحة على مصر» (٥٩٠). وأحمد أمين في كتابه «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٠٤ ـ ٢٠٥) (٢١٣).

(٢) **الحسينية**: كانت حَيّاً من أحياء (القاهرة القديمة). وتقع في المسافة الممتدة بين (باب الفتوح) و(باب الحسينية) الذي هُدِمَ عند تنظيم (شارع العباسية) أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. انظر: عبدالله ابن عبدالظاهر «الروضة البهيَّة الظاهرة في خطط المعزيَّة القاهرة» (١٢٢ ـ ١٢٣). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/٦١ ـ ٦٧).

(٣) **البوظة**: هي نوع من البيرة/ الجعَّة، تصنع من تخمير الشعير. انظر: كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤١).

(٤) هم الذين يتعاطون الحشيش. انظر: كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤٣ ـ ٣٤٤).

والغوازي[(١)] والرقَّاصون وأمثال ذلك، وانحشر معهم الكثير من الفسَّاق وأهل الأهواء والعيَّاق من أولاد البلد، فكانوا جمعاً عظيماً يأكلون الحشيش ويشربون المسكرات ويزنون ويلوطون ويشربون الجوزة ويلعبون القمار جهاراً في نهار رمضان ولياليه»[(٢)].

المقصود؛ أنَّه بنزول محمد علي باشا إلى ميدان القتال يبدأ دورٌ جديد في تاريخ حروب محمد علي مع الدولة السعودية الأولى، إذ حدثت تغييرات جذرية في خطط القتال، فما كاد محمد علي يصل إلى جُدَّة في ٣٠ شعبان ١٢٢٨هـ/٢٨ أغسطس ١٨١٣م ويقف على حقيقة حال قوات ابنه طوسون والظروف التي أحاطت بها، حتى أخذ يركّز كلّ جهوده على التخطيط الحربي الذي تقتضيه هذه المرحلة من الحرب مع آل سعود[(٣)]، تلك الخطط التي وصفها محمد علي قائلاً: إنَّها «لاستكمال أسباب استحصال التدابير المؤدية إلى انقطاع عروق

(١) الغوازي: هنَّ أنفسهن «الراقصات». ويسمّي كلوت بيك وأحمد أمين الغوازي: بالراقصات العموميات، وهنَّ اللاتي يرقصن في الطرقات والميادين والصالات على ملأٍ من الجمهور. وقال كلوت بيك: من النادر أن يدعو المسلمون المصريون الغوازي أو العوالم إلى منازلهم. وقال أيضاً: وطبيعة رقصهنّ من مخالفة الآداب والأخلاق بما يمنعني عن التصدّي لإيراد تفاصيله. وفصَّل أحمد أمين تفصيلاً طويلاً عنهنّ وعن ملابسهن الخليعة وإثارتهنّ لشهوات من يتفرّج على رقصهنّ من الرجال. انظر: إدوارد وليم لين «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» (٣٨٧). أ. ب. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٩٦) (٣٩٩ ـ ٤٠١). وأحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٣) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٣٢٣).

الخوارج من تلك الحوالي بالمرَّة»[١].

* غدر محمد علي باشا بالشريف غالب.

لـمَّا دخل محمد علي باشا مكة واستقرَّ حاله فيها سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م سار إليه الشريف غالب ليهنِّئَه، فأكرمه محمد علي باشا وأَعظَمَه وأعطاه عطاءً جزيلاً وفعل معه بالظاهر فعلاً جميلاً، وكان قصده غير ذلك، فلمَّا ضبط محمد علي باشا مكة بالعساكر وزاره الشريف غالب على عادته أمسكه محمد علي وقيَّدَه وحبسه في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٢٢٨هـ/١٤ نوفمبر ١٨١٣م، وأحاط بجميع ما يملك من الأموال والأثاث والمتاع والخيل والسلاح والمماليك، وأخذ جميع ما في خزائنه من الذهب والفضَّة وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر[٢].

وأخرج عياله من قصر جياد واستولى عليه، وأمسك كبار بنيه وقيَّدهم وحبسهم معه، واستعمل يحيى بن سرور[٣] ابن أخي غالب

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سنيَّة، وحدة الحفظ (٤٩)، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٨٢).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٣١٠) (٣١٤) (٣١٨). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٣). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٨).

(٣) يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد. شريف حسني من أمراء مكة، ولَّاه محمد علي باشا بعد اعتقال عمّه غالب بن مساعد سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، فطالت مدَّته إلى سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م، وفُصِلَ عنها لقتله الشريف شنبر النعمي، فتوجَّه إلى مصر سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٨م فتوفِّيَ فيها. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٨/١٤٧). وإسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني» (٢٠١ ـ ٢٠٢).

شريفاً على مكة[١]، ونادى بالأمان لأهل البلد وادَّعى أنَّ هذا أمر من السلطان العثماني، والوثائق تثبت أنَّ حكومة السلطان العثماني قد فوَّضَت محمد علي باشا أن يتصرف بما يراه مناسباً مع الشريف غالب[٢].

ثمَّ أرسل محمد علي باشا الشريف غالب وبنيه عبدالله وحسن إلى جُدَّة وأنزلهم في مركبٍ من مراكبه ذاهبة إلى مصر، فوصلها الشريف في ١٧ محرم ١٢٢٩هـ/٩ يناير ١٨١٤م، وضربوا لقدومه عدة طلقات من مدافع القلعة إعلاماً بوصوله وإكراماً له[٣]. ومن مصر أُرسِلَ غالب إلى تركيا بناءً على أمر السلطنة العثمانية، وأن يكون الشريف مقيماً في سلانيك[٤] وأعطي هناك ما ينوبه من المصاريف ورُدَّ عليه شيئاً من أمواله، فأقام في سلانيك حتى مات فيها بالطاعون سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م[٥].

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣١٠/٤) (٣١٤). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٦٢).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٤) بتاريخ ٢٨ جمادى الأول ١٢٢٨هـ/ ٢٩ مايو ١٨١٣م، (٦١/٢ ـ ٦٢).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣١٠/٤ ـ ٣١٣).

(٤) سلانيك: مدينة في تركيا الأوروبية، في (مقدونيا) باليونان، كانت تتبع الدولة العثمانية. انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٣٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٤). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٨/١) (٣٨٢).

ويعلّق الجبرتي على حادثة القبض على الشريف غالب قائلاً: **«قل اللهم مالك الملك؛ هذا الشريف غالب انتُزِعَ مِن مِملَكَتِهِ وخَرَجَ من دولتِهِ وسيادتِهِ وأموالِهِ وذخائره، وانسلَّ من ذلك كلّه كالشعرة من العجين، حتى أنّه لمَّا ركب وخرج من العسكر وهم متوجّهون إلى جُدَّة أخذوا ما في جيوبه، فليَعتبِر من يَعتَبِر»**[١].

وبعد حادثة القبض على الشريف غالب ثمَّ تسفيره لمصر، خرج الشريف يحيى بن سرور من مكَّة بحيلة احتال بها ليهرب من محمد علي باشا، فلمَّا قرُبَ من الخِبَة[٢] هرب إلى ناحية تهامة وعسير خوفاً على نفسه[٣].

ثم حاول محمد علي باشا أن يُنصِّبَ راجح الشريف في مكَّة ليكون باباً للعرب[٤]، فلم يأمنه راجح وهرب منه في بعض من رجالاته وخيله، ونزل على الجيش السعودي عند بلد تربة، كما هرب **من مكة عدداً من زعماء البدو بسبب توجّسهم من محمد علي باشا بعد أن غَدَرَ بالشريف غالب**[٥]**، فبدأت كثير من القبائل في مضايقة**

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣١٨/٤).

(٢) الخِبَة: من قرى (أولاد سعدي) في (تهامة زهران) بمنطقة إمارة (الباحة). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٥١٢/١). ويحيى بن صالح السلوك «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ غامد وزهران» (٨٨).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٨/١ ـ ٣٣٩).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٥٣)، بتاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٨١٣م (١٣٤/٢).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٣٨).

العساكر التركية في الطائف[١].

*** الانتصار السعودي في تربة.**

في آخر ١٢٢٨هـ/١٨١٣م سيَّر محمد علي باشا ابنه طوسون باشا بالعساكر العظيمة والجموع الكثيرة إلى جهة الحجاز واليمن، وكان أدنى ما يليهم تربة التي كانت نقطة تجمّع كافَّة الجنود السعودية في الجهة الجنوبية، وكان الإمام سعود قد حصَّنها بالبناء واستنفر أهل الحجاز من أتباعه ليرابطوا فيها بعدما أعدَّ ما يلزمها لو حوصرت من قبل الترك. وقبل أن يصل طوسون باشا إلى تربة اعترضته مجموعات من قبيلة عتيبة فحصل بينه وبينهم طراد ومناوشات في جبال تلك الجهات[٢].

فلمَّا أقبل طوسون على تربة نازل أهلها بعساكر عددها أَلْفَا نفس[٣]، وحاصر السعوديين في تربة مدَّة أربعة أيام، ونصب عليهم المدافع والقنابر فرماهم رمياً هائلاً فلم يؤثِّر فيهم شيئاً، فأنزل الله الرعب بطوسون وعساكره ورحل عن تربة بعدما قُتِلَ قتلى كثيرة من عساكره والبوادي التي تبعته[٤].

وما إن بدأ طوسون بالانسحاب حتى خرج عليه السعوديون من تربة وضغطوا على جنوده واستولوا على الممرات التي في طريقهم،

---

(١) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٥).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٢). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٨).

(٣) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٢٣).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٩ - ٣٤٠).

وهاجموا الترك بعنف لدرجة أن الأتراك بدؤوا في نهاية الأمر يهربون تاركين أمتعتهم وخيامهم ومؤنهم ومدافعهم، وخسروا أثناء هذا التراجع أكثر من سبعمئة رجل كما هلك عددٌ آخر منهم بسبب الجوع والعطش، ووصل البقية الباقية منهم إلى الطائف بعد جهدٍ جهيد[١].

* الانتصار السعودي في القنفذة.

ثم دخلت السنة **١٢٢٩**هـ/ ١٨١٤م ومحمد علي صاحب مصر في مكة على الحال المذكورة، ورجع إليه عساكره الذين حاصروا تربة، فدخل بعضهم مكة وبعضهم جعله عند الطائف، ولم يزل محمد علي في مكة وجدة وابنه طوسون في الطائف.

هذا وراجح الشريف ومن تبعه وغصاب العتيبي[٢] ومن معه من أهل الحجاز والجنوب نازلون فيما بينهم وبين تربة يصابرون تلك العساكر التركية ويديرون الرأي فيها، ثمَّ أقبلت عساكر تركية كثيفة من مصر عبر البحر، وبندروا عند القنفذة[٣] وكانت القنفذة إذ ذاك تابعة

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٢). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٨).

(٢) هو غصَّاب بن شرعان العتيبي، من قادة الدولة السعودية زمن الإمام سعود، كان موكَّلٌ به حفظ تخوم الدولة من جهة العراق سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، ثمَّ أصبح مرسلاً من عند الإمام سعود للنواحي الحجازية واليمنية تحت إمرة عبدالوهاب المتحمي. وكانت لغصَّاب قدم صدق في مواقع (تربة) و(القنفذة) و(بسل) وغيرها. وأثناء حصار إبراهيم باشا لـ(الدرعية) سلَّم نفسه للباشا. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٨٧) (٣٠٢) (٣٠٤) (٣٤٠) (٣٦٨) (٤١٣).

(٣) القنفذة: بلدة ذات قرى كثيرة، وهي اليوم تبع إمارة (مكة المشرفة). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١١٨٨/٣).

لإمارة عسير[١]، واستولوا عليها وعلى من فيها.

فتجهَّز لهم طامي بن شعيب المتحمي (ت: ١٢٣٠هـ/١٨١٥م)[٢] بجنودٍ من عسير وغيرهم وساروا إليهم في القنفذة.

فالتقى الفريقان ـ فريق طامي بن شعيب ومن معه من جنود عسير وغيرهم وفريق الترك ـ وحصل قتال شديد، **فنصر الله السعوديين وانهزمت عساكر الترك وقُتِلَ منهم مقتلة عظيمة، وأخذ السعوديون من الترك سلاحاً كثيراً واستولوا على مدافعهم وأمتعتهم، وانهزم شريد الترك ومن كان منهم في السفن وهربوا إلى مكة وجُدَّة**[٣].

* وفاة الإمام سعود الكبير.

في خضمّ تلك الحوادث وتلك الوقائع توفّي زعيم الدولة السعودية وقائدها الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود،

---

(١) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٦٠). وهاشم النعمي «تاريخ عسير» (١٧١).

(٢) طامي بن شعيب المتحمي: أمير من سادات عسير وشجعانها، ومن قادات الدولة السعودية الأولى، له قدم صدق في مقاومة المحتلّ التركي الذي حاربه إلى آخر رمق، فأُسِرَ بحيلةٍ وسُلِّم للترك وقتل في مصر. انظر أخباره وترجمته: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٢٢٣ ـ ٢٢٦) (٢٦٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٠٤) (٣١٢ ـ ٣١٣) (٣٤٠) (٣٦٢) (٣٦٦ ـ ٣٦٨) (٣٧٠ ـ ٣٧١) (٣٧٣ ـ ٣٧٥). والحسن بن أحمد عاكش «تكملة نفح العود» (٢٩٠ ـ ٢٩٥).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٤٠ ـ ٣٤١). وهاشم النعمي «تاريخ عسير» (١٧١).

وبويع لابنه عبدالله إماماً للسعوديين من بعده[١].

وعن وفاة الإمام سعود يقول بوركهارت: «**فَقَدَ الوهابيون قائداً لا يكلّ ولا يَنِي، لديه كلّ المواهب الضرورية للمنصب العظيم الذي احتلّه**»[٢].

وقال عنه كرايتون: «**لم يفارق النصر قطّ رايته وهو على رأس قواته**»[٣].

وقال عنه فيلكس مانجان: «**لقد كان سعود شجاعاً في المواقف كلها وذا همَّة لا تعرف الكلل، كان بارعاً في بثّ الحماسة في نفوس جنوده، يبتهجون لرؤيته يقودهم من نصر إلى نصر، كان يعشق المجد ويعرف كيف يُجري الأعمال العظيمة**»[٤].

وقال عنه مؤرّخ نجد عثمان بن بشر: «**كان متيقِّظاً بعيد الهمَّة، يسَّر الله له من الهيبة عند الأعداء والحشمة في قلوب الرعايا ما لم يَرَهُ أحد في وقته، وقام في الجهاد وبذل الاجتهاد وفَتَحَ أكثر البلاد**

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.
وانظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٢٥/٤). ومحمد علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٦٨/١). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٢/١) (٣٦٤ ـ ٣٦٥). ومطلق بن صالح، مخطوطة: «شذا الندّ» الورقة (٥).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٥٣).

(٣) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧١ ـ ٧٢).

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٨٢).

في أيام أبيه وبعد موته، وأُعطِيَ السعادة في مغازيه، ولا أعلم أنَّهُ هُزِمَ له راية، بل نُصِرَ بالرعب الذي ليس له نهاية، وكلّ أيَّامه مواسم ومغازيه مغانم، وقذف الله الرعب في قلوب أعدائه، فإذا سمعوا بمغزاه ومعداه هَرَبَ كلّ منهم وترك أباه وأخاه وماله وما حواه»[١].

ويذكر أحد المؤرخين بأنَّه قد وَجَدَ في كتابٍ أرسله والي بغداد علي باشا[٢] إلى السلطان العثماني هذه الكلماتِ التي تظهر شدَّة خوف الولاة العثمانيين من شجاعة سعود وفتكه، قال: **«إنَّه كالصقر سريع الاختطاف طويل اليد شديد البأس»**[٣].

* مجزرة الترك في القنفذة.

في جمادى الأول ١٢٢٩هـ/مايو ١٨١٤م بعث محمد علي باشا من جُدَّة عسكراً كثيفاً من البحر بأربعين سفينة محمَّلة بالمؤن ووجهته بندر القنفذة، وَتَبْرا لَهُم مِن البَرِّ العساكر التركية البرية عمادها ألف وخمسمئة جندي من المشاة وجعل قيادتها لحسين آغا وزعيم أوغلو[٤]،

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٤٣ ـ ٣٤٤).

(٢) هو علي الكيخيا، وقد مرَّ الحديث عنه في الفصل السابع.

(٣) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٣/٢١).

(٤) زعيم أوغلو: هو الذي عيَّنه محمد علي باشا حاكماً على (جُدَّة) رغم أنَّه كان متسبِّباً في هزيمة جيش الترك في معركة (القنفذة)، وكان مشهوراً عنه أنَّه يغسل يديه بماء عذب بانتظام رغم أنَّ أتباعه من عساكر الترك لا يجدون ما يكفيهم من مياه الشرب. انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٦ ـ ١٤٧). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٥٣)، بتاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٨١٣م (٢/١٣٤).

وتقدَّمت الحملة إلى القنفذة[1].

كان في القنفذة عسكر سعوديّ من أهل عسير نحو خمسمئة مقاتل، فحصرهم الأتراك ورموهم بالمدافع والقنابر، فلم يزالوا محاصرين لهم حتى أخرجوهم بالأمان واستولوا على القنفذة[2].

على أنَّ أندرو كرايتون يأتينا بوصفٍ دقيقٍ لجريمة الترك بالسعوديين المحاصرين في القنفذة، فيقول: «**لم يكن فيها إلّا حامية صغيرة للدفاع عنها، على أنَّها لم تؤخذ إلَّا بعد دفاعٍ باسل وتضحيةٍ كبيرة، ولأنَّ الأسوار والحصون مبنية من الطين واللبن فإنَّها لانت أمام قذائف المدافع، ومن صغر المكان والتحام الطرفين المتقاتلين أصبح منظر الأشلاء مرعباً غاية الرعب، ولم تُستخدم السيوف والسكاكين وحدها في القتال، بل استخدمت أيضاً الأسنان والأظافر.**

وقُتِلَ أعداد من المحاصرين، أو بالأحرى مُزِّقوا إرباً في تلك المواجهة الرهيبة، ولم يُترَك حيّاً أيّ إنسان شارك فيها، ولغضب الوحشيّ زعيم أوغلو من صلابة أعدائه [السعوديين] أعلن عن جائزة مقدارها مئتا قرش لكل من يُحضر إليه من جنوده رأس عربيّ أو أُذُنَيه، وانطلق الجنود الأرناؤوط الجشعون بطبيعتهم في كلّ اتجاه لجمع محصولهم الدمويّ، يسحبون ضحاياهم البائسة من مخابئهم»[3].

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٨٠ ـ ٨١).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٤٦/٤).

(٣) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٨ ـ ٦٩) باختصار.

* الانتقام السعودي لمجزرة القنفذة.

وقع حدث خلخل الأحوال التي كانت في صالح الأتراك في القنفذة ابتداءً، إذ تحرَّك **الشيخ طامي بن شعيب المتحمي** بجيوشه لنجدة أهل القنفذة ومعه ثمانية آلاف مقاتل وقيل عشرة آلاف مقاتل، فبثَّ ظهور طامي وجماعته رعباً عامّاً بين عساكر الأرناؤوط، فالتقى الجيشان ووقع بينهما قتال عنيف[١].

ابتدأ الهجوم السعودي بتسليط ضرباته على الجنود الأرناؤوط الذين حول آبار الماء القريبة من القنفذة، فهرب الأرناؤوط إلى بلدة القنفذة في الليل ونشروا الرعب في عمومها، وما إن سَمِعَ القائد التركي زعيم أوغلو بخبر وصول السعوديين حتى تملَّكه الذعر فهرع يريد البحر هو ومعظم جنوده، مهرولين إلى السفن الراسية في الميناء دون أية محاولة للمقاومة داخل أسوار القنفذة.

ثمَّ دخل السعوديون البلدة ففتكوا بأعدادٍ من جنود الجيش التركي، وظلَّ في القنفذة جموع من عساكر الترك لم تستطع اللحاق بقوارب البحر ولم يقدروا على السباحة، بل إنَّ كثيراً منهم قُتلوا في البحر قرب السفن بأيدي السعوديين الذين سبحوا وراء الترك فأخذوا يسحبونهم من الماء سحباً فيذبحونهم، ومن لم يَمُتْ من الترك بصوارم السعوديين البتَّارة مات غرقاً في القوارب التي أدركها السعوديين قبل أن تبحر، فما زالوا بالترك حتى أفنوهم عن آخرهم وصبغوا ماء البحر بدمائهم[٢].

---

(١) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦٦/١).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٦٩).

والقائد التركي نفسه ما إن نجا بالصعود إلى إحدى السفن حتى أمر بالإبحار سريعاً، وترك خلفه كلّ أولئك الذين لم يستطيعوا الهروب بالبحر لموتٍ محقَّق حلّ بهم على أيدي السعوديين، أمَّا الذين نجوا في السفن فقد مات أكثرهم جوعاً وعطشاً أثناء الطريق[(١)].

فنصر الله السعوديين، وهزموا الأتراك وقتلوا منهم رجالاً كثيرة وأخذوا المحطَّة ومن فيها، واستولوا على المئات من خيول الترك وركابهم ومتاعهم وأسلحتهم وأزوادهم وما لا يبلغ العدّ، حتى قيل إنَّ الخيام التي أخذها السعوديون تزيد على الألف خيمة، ذلك أنَّ الترك لما انهزموا انطلقوا مهرولين هاربين لا يلوي أحد منهم على أحد، فتركوا المحطة وجنَّبوها وتوجَّهوا إلى السفن وركبوها ونزلوا عن الخيل وتركوها فغنمها السعوديون مع رحايل الترك وخيامهم[(٢)].

ولم يحمل الترك معهم إلا الملابس التي كانوا يرتدونها، فكلّ الأمتعة والمخازن الكبيرة وكلّ المدافع أصبحت ملكاً للسعوديين. وقد مات كثير من الجنود والبحَّارة الأتراك في الطريق إلى جُدَّة[(٣)].

* القتال في أودية زهران.

في شوال ١٢٢٩هـ/سبتمبر ١٨١٤م سار طامي بن شعيب ومعه محاربو عسير ورجال ألمع وغيرهم نحو عشرة آلاف مقاتل تعزيزاً

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٦). وفيلكس مانجان «الدولة السعودية الأولى» (٨١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٦).

للسعوديين عند حصن الشيخ بخروش[(١)]، وكان الترك قد ساروا من مكة والطائف بعساكر كثيرة نحو عشرين ألفاً من الأتراك والمغاربة، فحاصروا الشيخ بخروش بن علّاس[(٢)] في أودية زهران، واجتمع عليه طوائف شعلان[(٣)] ومن معه من قبائله، والشيخ محمد بن دهمان[(٤)]

---

(١) يقع حصن للشيخ بخروش في (الحَسَن) وهي قرية كبيرة من قرى قبيلة قريش في (سراة زهران) وتسمَّى (قريش الحسن)، تقع شمال (الأطاولة) على مسافة ٤ كلم. انظر: علي صالح السلوك «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (٧٥).

(٢) الشيخ بخروش بن علّاس بن مسعود الزهراني: من أمراء قبيلة زهران، وهو بطل من أبطال الدولة السعودية الأولى وأحد قادة جيوشها، حكم في المنطقة الغربية في مواضع غامد وزهران، جنَّن قادة الأتراك وأنهك حملتهم العسكرية بضرباته الموجعة. انظر: علي صالح السلوك «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (٧٥).

(٣) هم الفزع من خثعم. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٦٢٠).

(٤) الشيخ محمد بن دهمان بن خطَّاف الشهري من آل الصعدي في (تنومة) في (بلاد بني شهر)، تولَّى مشيخة القبيلة في حياة والده عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م، كان حازماً حكيماً محنَّكاً، قَدِمَ على (الدرعية) حوالي ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م وطلب العلم على علمائها، واستطاع أن يعمل على نشر الدعوة السلفية في منطقة نفوذه. والشيخ ابن دهمان هذا بطلٌ من أبطال الدولة السعودية الأولى الذين قاوموا جيش الاحتلال التركي، وله من الوقائع المشهورة معهم هو وصديقه بخروش بن علَّاس، وله قصائد بينه وبين الشيخ بخروش تبيّن حوادث معاركهم مع الترك. انظر: علي بن شايخ البكري الشهري «محمد بن دهمان الشهري ودوره في بسط نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى بلاد بني شهر» (١٥) (٨٠ ـ ٨٢). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٨).

ومن معه من قومه، وابن حابش[(١)] وغيرهم، وحصلت المواجهة بين الترك وبين تلك الجنود الحجازية والتهامية قرب حصن بخروش فاقتتلوا قتالاً شديدا، فانهزم الترك هزيمة شنيعة، وأصاب الجنود الأرناؤوط شيء من الخَبَل والاختلاط من شدة الفزع فتركوا ذخائرهم وخيامهم ومدافعهم، فغنم السعوديون خيام الترك ومحطَّتهم وزهبتهم وأزوادهم وبغالهم، وقُتِلَ من الترك مقتلةً عظيمة أكثر من ألف رجل، ولم يَسلَم منهم إلا من هرب على الخيل[(٢)].

* وقعة بسل.

في أول سنة ١٢٣٠هـ/آخر سنة ١٨١٤م جرت الوقعة المشهورة بين فيصل بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبين الترك في بسل القصر المعروف قرب الطائف، وذلك أنَّ فيصلاً لما سار من نجد إلى الحجاز ونزل تربة واستنفر أهل الحجاز، فقدم عليه طامي بن شعيب المتحمي ومعه رجالات عسير ورجال ألمع وزهران[(٣)] ورؤساؤهم وأهل غامد[(٤)] وغيرهم نحو عشرين ألفاً، فلمَّا أقبلوا على

---

(١) من قادة الدولة السعودية الأولى.

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٧٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٦٨ ـ ٣٦٩).

(٣) زهران: منهم: بنو يُوس وبنو سُليم وبنو عمر ودوس وبنو عُمَر الأشاعيب. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣١٧).

(٤) غامد: بلاد واسعة، يَحُدّها من الشرق بلاد سبيع وأكلب (بيشة) ومن الغرب بلاد (زهران) ومن الجنوب بلاد (خثعم) ومن الشمال بلاد (زهران) وبلاد (بالحارث)، ويسكنها ١٨ قبيلة في ٢٤٠ بلدة وقرية، عدا تسع قبائل تنزل في شبه (السراة). انظر: علي صالح السلوك «المعجم الجغرافي للبلاد العربية/ بلاد غامد وزهران» (١٨٣).

تربة انقسموا كتائب واجتمعوا في غزايل[١]، ثم رحلوا إلى بسل حيث العساكر التركية هناك، فنازلهم السعوديون ووقع بينهم في ذلك اليوم قتال وطراد، وقُتِلَ من الترك عدد كبير.

فلمَّا كان اليوم التالي أقبل محمد علي باشا بعساكر كثيرة مددٌ للعساكر التي في بسل، ووقع القتال بين الفئتين، فَثَبَتَ فيصل ومن معه، وحصل انكسار لكمين وقع ضدَّ جهة غامد وزهران واتصل الانكسار على جهة قوم طامي بن شعيب ومن معه من أهل عسير ورجال ألمع، ثم تواصل الانكسار على جموع الجيش السعودي، ولكنَّ الله قدَّر أن يكفيهم شر القتل وكَفَّ أذى الترك عنهم وعن ساقتهم، ولم يُقتل إلا أقلّ القليل نحو المئة، وتفرَّقت جموع السعوديين، فتوجَّه الأمراء فيصل وطامي بن شعيب وفهاد بن سالم بن شكبان ومصلط بن قطنان وغيرهم إلى تربة، وهم يظنون أنَّ جموعهم المنكسرة ستجتمع هناك ولكن لم يحدث ذلك[٢].

لم ييأس السعوديون من هزيمتهم في بسل، فشددت رجالات القبائل السعودية غاراتها صوب الطائف ضدّ الترك ومن ناصرهم، وقطع السعوديون طرق الاتصال بين جُدَّة ومكة، ثمّ حدث أن تسلّطَ هجومٌ سعوديٌّ على مخيّم الترك في بحرة[٣]، فضجَّ الترك فزعاً

---

(١) غزايل: وادٍ في (بلاد بلحارث). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٠٥٣/٢).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٠/١ - ٣٧١).

(٣) بحرة: بلدة عامرة بين (مكة) و(جُدَّة) في منتصف المسافة بينهما. وسكَّان (بحرة) بنو جابر والمعانية من حرب. انظر: عاتق البلاد «معجم معالم الحجاز» (١٧١ - ١٧٢).

وهربوا، فأخذ السعوديون ما في المخيَّم من الأمتعة[١].

كان عابدين بِكْ ومعه الأرناؤوط قد احتلَّ عِدَّة مواضع من تهامة ودمَّرَ بطريقة همجية كثير من بلداتها ليمنع غارات السعوديين التي تنطلق منها، ولكنَّه مع كلّ تلك الاحتياطات الوحشية تفاجأ **بالشيخ بخروش بن علّاس الزهراني** على رأس قومه ترافقهم كتيبة قويّة يقودها **الشيخ طامي بن شعيب المتحمي** يتسلّلون قريب الفجر إلى مخيَّم الترك الذي يحتلّ حصن بخروش، **فهجم بخروش وطامي وأصحابهم على الجنود الأتراك بشكلٍ مفاجئ، فدبَّ الفزع في المخيّم، وقُتِل من الترك ثمانمئة، وتعقَّب جنود بخروش وجنود طامي فلول الترك على مدار يومين كاملين حتى اضطرُّوهم إلى وادي ليَّة[٢] فتحصَّنوا فيه[٣].**

* ميزان القوة يرجح لصالح محمد علي باشا.

يقول أندرو كرايتون: «لقد بدأت بوادر نجاح الأتراك تَتَّخذ مظهراً أكثر إشراقاً، فقد أُمِدَّ جيشهم بإمداداتٍ مُتعَدِّدة، فأصبح تحت قيادة محمد علي عشرون ألف رجل وُزّعوا في مناطق مختلفة من البلاد؛ ففي مكة ٣٥٠ تحت قيادة إبراهيم آغا ـ توماس كيث الأسكتلندي ـ والشريف يحيى، وما بين ٣٠٠ و٤٠٠ في المدينة بقيادة

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٥٩ ـ ١٦٠).

(٢) وادي لِيَّة: من أودية (الطائف). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٤٩٨/٣).

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٢ ـ ١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٧٥). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٤ ـ ٧٥).

ديوان أفندي و٣٠٠ كانوا في قلعة جُدَّة، ومثلهم في ينبع، أمَّا الباقون فكانوا إمَّا مع محمد علي نفسه أو مع حسن باشا وأخيه عابدين بِكْ بمثابة طليعة متقدّمة للجيش في جنوب الطائف، وقد وُضِعَ ٤٠٠ جندي من البدو تحت قيادة الشريف راجح، أحد أقارب غالب، الذي كان أحد قادة الوهابيين المشهورين في الحجاز فتمكَّن محمد علي من إقناعه بالانضمام إليه»[١].

كما تعزَّزت قوة الأتراك بثمانمئة فارس من جنود مرتزقة من بدو ليبيا[٢]، وقد قدموا القاهرة وتحرّكوا منها إلى الحجاز، وكانت مهمتهم الاستطلاع والهجوم في جهات متعددة، وكانوا ذوي بسالة وعلم بأساليب الحرب[٣].

* مذبحة تربة.

كان الذي يقود الهجوم على تربة هو محمد علي باشا بنفسه، مصطحباً معه مدفعية حسنة التجهيز مكوَّنة من اثني عشر مدفع ميدان وخمسمئة فأس لقطع نخيل تربة، واصطحب معه أيضاً جموعاً من البنَّائين والنجارين ليعملوا حفراً يعبِّئونها بالألغام المتفجِّرَة[٤].

---

(١) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٢ ـ ٧٣).

(٢) من عرب الجوازي، الذين مرَّ ذكرهم في هذا الفصل حين البحث في بدء تحرّك جيش طوسون باشا من مصر.

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٧٦).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٥ ـ ١٦٦). وأندرو كرايتون، المصدر السابق (٧٥ ـ ٧٦).

أمَّا السعوديون فلم يهتمّوا بتلك الاستعراضات التركية المغرورة، فقد كتب الشيخ بخروش بن علَّاس الزهراني رسالةً ساخرة إلى محمد علي باشا ينصحه بالعودة إلى مصر ليجهّز جيشاً خيراً من جيشه الذي أحضره إلى الحجاز إذا أراد محاربة أهل تلك البقاع، وقد غضب محمد علي باشا من رسالة بخروش وتملّكه الغيظ منه[(١)].

المقصود؛ وصل محمد علي باشا إلى كُلاخ[(٢)] في صفر ١٢٣٠هـ/يناير ١٨١٥م[(٣)] حيث كان في انتظاره حسن باشا وأحمد بونابرته ودبوس أوغلو والشريف راجح وزعماء آخرون.

في تلك الأثناء كان السعوديون قد أعادوا سيطرتهم على بسل، ولكن كان عدد الفرسان قليلاً ولم يكن معهم مدفعية إطلاقاً، بخلاف جيش الترك المدجَّج بالبنادق والمدفعية والفرسان[(٤)].

كان السعوديون يسيطرون على سفوح الجبال المحيطة بالموقع، فَدَبَّ الرعب في الأتراك من رماح السعوديين المصوَّبة ناحيتهم، وقد أدرك محمد علي باشا أنَّه لن ينتصر مادام السعوديون يسيطرون على

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٧٧)، بتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٢٢٩هـ/ ٤ مايو ١٨١٤م (٢/١٧١). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٦). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٢).

(٢) كُلاخ: قرية وسط (وادي كلاخ) أعطت اسمها للوادى فَسُمِّيَ بها. و(كلاخ) هو أسفل (وادي بسل)، على بعد ٤٦ كلم، قاعدته بلدة (السدير) للنفعة من بني سعد. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٤٤٧).

(٣) انظر: الحسن بن أحمد عاكش «الديباج الخسرواني» (١٣٧).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٨ ـ ١٦٩).

سفوح الجبال، فقرَّر أن يخدعهم بجرِّهم إلى السهل، وقد نجح، ولم يستمرّ الاشتباك سوى مدَّة خمس ساعات تمكَّن محمد علي من تحقيق النصر عليهم، فأمر الباشا أنْ يُعلَن عن جائزة مالية لكل جندي يأتي برأس سعودي، وفي ساعات قليلة كُدِّسَت أمام الباشا خمسة آلاف من تلك الرؤوس، كانت المذبحة هائلة، فإذا الميدان كلّه مفروشاً بجثث السعوديين المقطَّعة رؤوسهم(١).

وعن تلك المجزرة يقول المعتمد البريطاني في البصرة السير بريدجز: «بدأت المذبحة في صفوف الوهابيين، ولأنَّه كان قد أُعلِنَ أنَّ سِتَّة ريالات فرانسية ستدفع ثمناً لرأس كلّ وهابي، فيمكننا أن نتصور بسهولة كيف كان الأتراك يقومون بتنفيذ مثل تلك العمليات بكلّ نشاط وحيوية. لقد قيل: إنَّه خلال ساعات قليلة تمّ طرح خمسة آلاف رأس عند أقدام الباشا بهذا الثمن»(٢).

* صورٌ من بسالة الأبطال السعوديين في تلك المعركة.

كان الشيخ بخروش بن علَّاس الزهراني في تلك المعركة الباسلة قد قتل اثنين من ضبَّاط الباشا بيده، وعندما قُتِلَ حصانه تحته، قاتل على قدميه بين الفرسان الأتراك، حتى وَجَدَ فرصة في جذب فارس تركي من حصانه ثم امتطاه بسرعة، ونجا من بنادق الترك ومدافعهم.

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734. وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٢). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٧ - ٧٩). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٣٢). وجيرالد دو غوري «حكَّام مكَّة» (٢٧٤ - ٢٧٥)

(٢) السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٧٩).

أمَّا ابن شكبان زعيم بيشة فإنّه قاتل ببسالة، ثمَّ لما رأى الترك طوَّقوه، شقَّ مع أصحابه أهل بيشة صفوف المشاة من عساكر الترك.

أمَّا رجالات عسير فقد أقسموا بالطلاق بعدم الفرار وأن يعودوا منتصرين إلى أُسَرِهِم، فحاربوا بِبَسَالَةٍ من يريد الشهادة، وبعد المعركة وُجِدوا فوق التلال مربوطة أرجلُ بعضهم إلى أرجلِ الآخرين منهم بحبال، وقد ظلّوا يحاربون حتى نفدت ذخائرهم، مُفَضِّلين أن يموتوا إلى آخر رجل منهم، ثمَّ مُزِّقوا إرباً بعد ذلك(١).

يقول أندرو كرايتون عن بسالة السعوديين في تلك المعركة: **«كانت الشجاعة وحدها هي ما لدى الوهابيين لمواجهة المهارة الحربية والخبرة [التركية]، ولم تَخنهم تلك الصفة النبيلة إلى النهاية؛ فحتَّى في أعظم لحظةٍ حرجة بقوا محاربين مدة معتبرة»**(٢).

* العثمانيون يعذبون السعوديين بالخازوق.

كان محمد علي باشا قد أسر ثلاثمئة سعودي، وقد أعطاهم الأمان باسترحام من بعض العرب الذين خدموا الباشا، **ولمَّا وضعت الحرب أوزارها قام محمد علي باشا بقتل الأسرى السعوديين الثلاثمئة كلّهم، فقد خَوْزَقَ الجنود الأتراك كثير من السعوديين الأسرى وهم أحياء أمام بوابات مكَّة، وخُوزِقَ بعض السعوديين الأسرى في المحطات التي في الطريق إلى جُدَّة، أما البقية فقد تُرِكَت جثثهم عند**

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٤ ـ ١٧٥). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٠ ـ ٨١).

(٢) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٨ ـ ٧٩).

أسوار البلدة تفترسها الكلاب والنسور(١).

بعد تلك الحوادث خرج فيصل بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود من تربة وتوجَّه إلى رنية وتفرَّق الأمراء في نواحيهم، ثمَّ رحل فيصل من رنية إلى نجد، ونازل الترك بلد تربة واحتلّوها(٢). وقد أُرسِلَت أخبار انتصار الترك في تربة فوراً إلى القاهرة وإسطنبول(٣).

* سقوط بِيشة ورَنْيَة وتبالة.

رَحَلَ محمد علي باشا وعساكره التركية من تربة في الحال وساروا إلى بيشة ونازلوا أكلب(٤) الذين صمدوا مُدَّة، ولكنَّهم لم يستطيعوا صدّ جموع الترك ومدافعهم فاستسلموا بعد المقاومة(٥).

ثم سار محمد علي باشا قاصداً رنية، وكان ابن قطنان شيخهم

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٦). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٩) (٨١). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٣٣). وجيرالد دو غوري «حكّام مكّة» (٢٧٦).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٧٢).

(٣) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨١).

(٤) أكلب: واحدهم أكلبي. وبلادهم أسفل (وادي بيشة) و(وادي تبالة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٢٧).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٣٤٥). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٧). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٢). وجيرالد دو غوري «حكّام مكّة» (٢٧٧).

قد أقام حصناً صغيراً فانفتحت أبوابه أمام ضرب الأتراك[١].

بعدها تحرّك الباشا إلى تبالة فنازلهم شعلان أمير الفزع وشمران[٢] في قصره ثالث عشر صفر ١٢٣٠هـ/٢٥ يناير ١٨١٥م، ورموه بالمدافع والقنابر فثلموه، وقُتِلَ شعلان وغالب من كان معه نحو مئة رجل[٣]، وذلك أنَّ شعلان لمَّا هجم الترك على بلدته أُعطيّ الأمان إن سلَّمَ ورحل عن البلدة، وفعل (بحسب بوركهارت) وذهب إلى خيمة حسن باشا، **فتطاول هذا التركي على شعلان، فأخذت شعلان أنفَة العرب فردَّ عليه بشجاعة، فغضب التركي عليه وغَدَرَ بشعلان حين خرج الأخير مع قومه من الخيمة، فأرسل حسن باشا جنوده في إِثْرِهِم، فانقضّوا على شعلان وصحبه بغتةً ومزَّقوهم ببنادقهم ومثّلوا بجثثهم**[٤].

ثمَّ سار الباشا إلى بقية قرى بيشة، فقاومه فهَّاد ابن شكبان ولكنه انهزم بعد صموده أمام مدافع الترك، فلم يبق للترك منازع في بيشة[٥]، بعد أن قام الترك بقصف البلدات قصفاً متتالياً بقذائف نارية

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٨٨ ـ ٤٨٩).

(٢) شمران: من خثعم، منهم: شمران الشام وشمران تهامة. وبلادهم تقع غرب (بيشة) على طريق (الطائف) في (السراة) منحدرة غرباً إلى (تهامة) جنوب (بلاد غامد) وغرب (شهران) وشمال (خثعم) و(بلقرن). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٧٣).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٨).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٧٣).

أشعلت البيوت والأسواق المسقَّفة بالخشب والجريد، فتحوَّلت بيشة فوراً إلى كتل من اللهب التي لم يستطع تحمّلها حتى المهاجمين الأتراك[١].

* الأتراك يصلون إلى وادي شْهَرَان (وادي ابن هَشْبَل) والطلحة وغيرها.

بعدها سار محمد علي باشا إلى وادي شهران[٢] فاستطاع بمدافعه وقنابره أن يقضي على كلّ مقاومة صادفته في ذاك الوادي، فسقطت في أيديهم جموع رزحان[٣] ورعاياهم وسقطت بلاد محمد بن

---

(١) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٢).

(٢) وادي شهران: في إمارة بلاد (عسير). وفي وادي شهران قرى كثيرة منها: قرية (الشعب) و(القبولة) و(الصيحلني) و(الجر الأسفل) و(الجر الأعلى) و(القلت) و(البهيمة) و(الدحض) و(الرهوة) وغيرها. انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير» (٤١). وعلي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٩٢٩/٢). وأخبرني الشيخ عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط محافظ (خميس مشيط) سابقاً وعميد أسرة آل مشيط الشيوخ المعروفين: بأنَّ (وادي شْهَرَان) هو اسمه قديماً، ثمَّ عُرِفَ باسم (وادي ابن هَشْبَل) على آل ابن هَشْبَل الشيوخ المعروفين من أهل الوادي.

(٣) هكذا سمَّاه ابن بشر ولم يُعَرِّف به، ولم يوضِّح محقِّق الكتاب آل الشيخ من هو. فَبَحَثْتُ عن «رزحان»؛ فلم أجده فيما توفَّر لدي من مصادر ومراجع. ثمَّ اتصلتُ على نائب القضاة شريف قحطان الشيخ المؤرِّخ سعيد ابن الشيخ محمد القاضي، فأوصلني بالشيخ عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط محافظ (خميس مشيط) سابقاً وعميد أسرة آل مشيط الشيوخ المعروفين، قال لي: «رزحان هذا: شهراني من بني بجاد أهل وادي ابن هَشْبَل الذي كان يسمَّى قديماً وادي شْهَرَان».

واكد من شهران وبلاد مشيط صاحب الخميس[(١)].

ثمَّ سار الباشا محمد علي إلى بلدان طامي بن شعيب المتحمي، ومدافع الباشا تضرب وقنابره تتساقط على تلك البلدان[(٢)]، وبالرغم من ذلك ثبت لقتال الترك جموع طامي وعسير وألمع وبني الأحمر[(٣)] وبني الأسمر[(٤)]، وكلّ هؤلاء رتَّبوا جموعهم وفرقهم وكتائبهم لمقاومة الأتراك في الطلحة[(٥)] وفي

---

(١) هو مشيط بن سالم جدّ الأسرة التي تعاقبت منصب مشيخة قبيلة شهران من حقبة قديمة حتى الآن، ويطلق (خميس مشيط) على عدَّة قرى قائمة على عدوتي ملتقى كلّ من (وادي عتوَد) و(وادي بيشة أراشة). انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (٢٨).

(٢) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٢ ـ ٨٣).

(٣) بنو الأحمر: من قبيلة الحَجْرِ، وأحدهم أحمَريّ، وأقسامهم باعتبار منازلهم: بنو الأحمر في (السراة) وبنو الأحمر في (تهامة) وبنو الأحمر البادية. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١٩ ـ ٢٠).

(٤) بنو الأسمر: وينطق الاسم أحياناً بتشديد اللام (بَلَّسْمَر)، وهي إحدى قبائل الحَجْر والنسبة إليها أسْمَريّ. وتقسم القبيلة بحسب منازلها إلى ثلاثة أقسام: بنو الأسمر في (السراة)، وبنو الأسمر في البادية، وبنو الأسمر في (تهامة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٢٢ ـ ٢٣).

(٥) الطَلْحة: قسم من أقسام آل عبيد من آل مشيب في قرية على اسمهم تقع في أعالي (وادي تبالة) بجانب (الرجمة) جنوب مدينة (سبت العلايا) بمسافة ٤ كم. وهناك أيضاً (الطلحة) من قرى بني واهب اسم قريتين أحدهما تقع على جانب (وادي المسيرق) والأخرى على جانب (وادي هرجاب). وهناك (الطلحة) قرية يسكنها من بني مالك عسير وبعض ربيعة ورفيدة تقع ما بين قرية (آل حامد) وقرية (آل الرعيني) في وادي على اسمها يرفد (وادي طبب) وبجانبها قرية صغيرة تسمَّى (سر الطلحة) جنوبيها، وتقع قرية (الطلحة) شرق=

الحصون[١] وفيها حوان[٢] وفي بني مغيد[٣] وفيها طامي[٤].

ثمَّ زحف محمد علي باشا بجموعه التركية على الطلحة، فقاتله حوان العسيري ومن معه وصار على الترك هزيمة، وتبعهم حوان وأهل الطلحة وطاردوا ساقة الترك إلى معسكرهم. ثم رجع الترك واستطاعوا هزيمة حوان عن طريق الخيانة والدسيسة، فانهزم حوان وأهل الطلحة وتزبَّنوا رؤوس الجبال[٥].

ثمَّ سارت جموع الباشا محمد علي إلى قصر طامي بن شعيب ونازلوا مَنْ فيه، وتسلَّطت قذائف مدافعهم على من بالقصر تضربهم ضرباً

= مركز إمارة (طبب). أيضاً: (الطلحة) اسم وادي ينحدر من (ظيران القاعة) و(جبل الظهر) ويسيل (وادي الغول) أحد روافد (وادي يعري). وهناك (الطلحة) من قرى بني مالك من شهران بمنطقة (تمنية) جنوب شرق مركز (الشعف) بمسافة ١٤ كلم، وتشمل (ركبة البر) تقع بجانب (بلقرن). انظر: علي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (١٠٢٧/٢).

(١) الحصون: قرية في (وادي ترج/ تري) من أودية بني شهر في عسير. انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (٤٩ ـ ٥٠).

(٢) حوان العسيري كان ضمن قادة الجيش السعودي مع طامي بن شعيب المتحمي. انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (١٧٥).

(٣) بنو مغيد: من عسير، وأحدهم مُغَيْدي. و(بلاد مُغيد) حول حاضرتهم مدينة (أبها)، يحدّها شرقاً (شهران)، وشمالاً (عَلكم) و(بنو مالك)، وغرباً (ألمع) وجنوباً (قحطان) و(شهران) و(بنو شعبة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٧٩٠ ـ ٧٩١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٣/١ ـ ٣٧٤).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٧٤/١).

شديداً حتى أثَّروا بمن تحصَّن فيه، فخرج محمد بن أحمد[1] واستأمن على نفسه وعلى أهل الحصون، وأن يتركوا لهم ما في الحصون من سلاح ومال ومتاع، لكن محمد علي باشا خان ذلك العهد والأمان لما استولى على الحصون، فقام بضربها بمدافعه وهدمها، ثمَّ أرغم محمد بن أحمد على الطاعة، هذا في الوقت الذي كان فيه طامي بن شعيب لازال متمسكاً بالمقاومة في قمَّة تهلَّل[2] الجبل المعروف[3].

* صفة أسر الشيخ بخروش بن علّاس وقتله.

في ظلّ تلك الحوادث؛ كان الشيخ بخروش قد هُزِمَ في بلاده زهران، ولوقوعه بين نارين وقع أسيراً في يد الترك[4]، وأُرسِلَ معتقلاً إلى الباشا، ولم يغتفر الباشا محمد علي قطّ لبخروش رسالته التي أرسلها من تربة وسخر فيها من الباشا.

---

(١) محمد بن أحمد الرفيدي: تولّى إمارة عسير خلفاً لطامي بن شعيب عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م، حارب الترك مُدَّة، ثمَّ قبضوا عليه وأرسلوه إلى مصر حيث توفِّيَ فيها. انظر أخباره عند: الحسن بن أحمد عاكش «الديباج الخسرواني» (١٢٣) (١٤٥) (١٥٩ ـ ١٦٣). مع التنبيه أنَّ صاحب «الديباج الخسرواني» اتَّهم محمد بن أحمد بعض الاتِّهامات التي لا تنبغي لمؤرِّخ.

(٢) جبل تهلّل: أرفع قمَّة في بلاد (عسير) بل في جزيرة العرب. تقع قرية (السودة) في قمَّته الجنوبية. وينحدر من (النامَة) وهي قمَّة (جبل تهلّل) وادٍ يسمّى (وادي تهلّل). انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (١١٩). وعلي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٣٢٢/١).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٤/١).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩١).

وقد حاول بخروش الهرب من معتقله إذ استغلّ غفلة حرّاسه فقتلهم، ولكنه وقع في قبضة مطارديه الذين قاومهم بخنجره، ثم اقتادوه وقتلوه بوحشية مدروسة ترضي الباشا محمد علي، فقد وُضِعَ الأسير بخروش ويداه مصفّدتان خلف ظهره في الوسط، وأُمِرَ الجنود أن يقطّعوه بسيوفهم ببطء حتى يموت قطعة قطعة. كان تعذيبه قاسياً ومطوّلاً، لكنّه قضى آخر الأمر بدون أن ينطق بشكوى واحدة[(١)].

وأُرسِلَت جثة الشيخ بخروش إلى القاهرة مقطوع الرأس، ثم أُرسِلَ الرأس إلى إسطنبول، فطافوا برأسه الموضوعة في كيس أسواق المدينة[(٢)].

* صفة أسر الشيخ طامي بن شعيب المتحمي وقتله.

انصرف محمد علي باشا وعساكره التركية من طريق عقبة تَيَّه[(٣)] على تهامة قافلاً، وأرسل طلباً في ساقة طامي بن شعيب، فأدركته

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٨٣ ـ ١٨٤). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٤).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٨٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٢). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٥). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٣٥ ـ ١٣٦).

(٣) تَيَّه: اسم علم لوادي تنحدر مياهه من (عقبة شعار) و(وادي طبب) المنحدر من (جبل تهلل) ويتجه للغرب حتى يلتقي بـ (وادي حلي) غرب مدينة (محايل) بجانب قرية تحمل اسم (تيه الصناع). انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (٥٧). وعلي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٣٢٧/١).

عساكر الترك وهو متوجِّهاً إلى حصن في تهامة اسمه مسلِّيَة[١]، ثمَّ توجَّه بعدها إلى الحقو[٢]، وواصل السير حتى وصل إلى يحيى بن محسن النعمي (ت: ١٢٦١هـ/١٨٤٥م)[٣] في قرية الدهنا[٤] وشكى عليه ما لاقاه، فأشار عليه النعمي ألَّا يذهب إلى الشريف حمود (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٧م)[٥]، بل عليه أن يتوجَّه إلى الجبال الشرقية ليختفي خبره بالكليَّة.

---

(١) مُسْلِيَة: قرية معروفة في (وادي بيش)، وهي اليوم منطقة ذات قرى فيها إمارة من إمارات منطقة (جازان). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٣٣٥/٣). ومحمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٣٨٨).

(٢) الحقو: بلدة معروفة شرقي قرية (بيش) في ميل إلى الجنوب. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٥٢).

(٣) يحيى بن محسن النّعمي: من علماء (المخلاف السليماني). انظر: تعليق إسماعيل البشري على كتاب «الديباج الخسرواني» (١٣٩) في الحاشية، من تأليف: الحسن بن أحمد عاكش.

(٤) الدهنا: قرية من قرى (وادي بيش) غرب قرية (العالية). انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٨٤).

(٥) الشريف حمود بن محمد بن أحمد الخيراتي: كان أعطى الولاء للدولة السعودية الأولى، ثمَّ تحوَّل إلى حالٍ معاكسٍ لها مع مجيء حملات محمد علي باشا. انظر أخباره وترجمته عند: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» الذي خصَّصه البهكلي لفترة حكمه. ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٦٣ ـ ١٦٤) (١٨٣). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٩١).

إلَّا أنَّ طامي قصد الشريف حمود، ولمَّا اقترب من دياره أرسل إليه حسن بن خالد (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م)[١] يستقدمه إلى صبيا، **فلما قدمها طامي أمسكه حسن بن خالد وأوثقه بالحديد، ولم يلتفت إلى قول أهل العذل والتفنيد**[٢]، **ثمَّ بعث به إلى محمد علي باشا**[٣] **فسيَّره الباشا إلى مصر وصلب فيها**[٤]، **ثمَّ أُرسِلَت جثته إلى إسطنبول وقُطِعت رأسه عن جسده هناك**[٥].

ويَذكر مؤرّخ مكة أحمد زيني دحلان أنَّ **القبض على الشيخ طامي بن شعيب كان بتدبيرٍ من الشريف راجح؛ لأنَّ الشريف راجح قد ترك الوقوف مع دولة آل سعود وذهب إلى محمد علي باشا بعد أن وصل الأخير إلى الحجاز، وقد أنعم عليه محمد علي باشا بمالٍ كبير، فلم يزل راجح ينصب الحبائل لطامي حتى قبض عليه**[٦].

وأثناء دخول الشيخ طامي بن شعيب إلى مصر رافقته مظاهر

---

(١) حسن بن خالد الحازمي: كان قائداً ووزيراً للشريف حمود. توفّيَ سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م. انظر أخباره عند: الحسن بن أحمد عاكش «الديباج الخسرواني» (٦٣) (٧٨) (٨٥) (٩٩) (١٠٢) (١٠٨) وغيرها صفحاتٌ طِوال.

(٢) انظر: الحسن بن أحمد عاكش «الديباج الخسرواني» (١٣٧ ـ ١٣٩).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٤٦/٤). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٨٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩١). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٣).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٤/١ ـ ٣٧٥).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٩١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٢).

(٦) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٨ ـ ٣٨٩).

احتفال الترك هناك وابتهاجهم بالقبض عليه وأسره، حيث سيَّرَه الباشا محمد علي من جُدَّة إلى السويس، ثمَّ لمَّا دخل القاهرة سارت أمامه جموع العساكر، وبعدها أدخلوا طامي للقاهرة، وفي ذلك يقول الجبرتي: «**دخلوا بطامي المذكور وهو راكب على هجين وفي رقبته الحديد والجنزير مربوط في عنق الهجين، وصورته رجلٌ شهمٌ عظيم اللحية، وهو لابس عباءة عبداني، ويقرأ [القرآن حفظاً] وهو راكب، وعملوا في ذلك اليوم شنكاً ومدافع**»[(١)].

* احتلال الخبرا والرس.

عاد محمد علي باشا إلى مصر في ٩ ربيع الأول ١٢٣٠هـ/ ٢١ مارس ١٨١٥م، في الوقت الذي كان فيه طوسون باشا في المدينة النبوية يجهِّز العساكر إلى نجد[(٢)]، **فاستطاع بعساكره التي كانت قد هيمنت مرة أخرى على الحناكية أن تسير ومعها العربان الكثيفة التي تعاونت معهم، فاحتلَّ طوسون الخبرا[(٣)]، ثم احتلَّ بلدة الرس[(٤)] بعد المقاومة، واستولت أيضاً على ما حول الرس من القصيرات والمزارع**

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٣٤٦).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.

(٣) الخبرا: بلدة من البلدان الرئيسية في غرب (القصيم) غربي (الجواء) وإلى الشرق الشمالي من (الرس). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٣/٨٦٣) (٨٦٦ ـ ٨٦٧) (٨٧٢).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٩١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٣).

مثل ضرية[١] ومسكة[٢] والبصيري[٣] ونَجْخُ[٤] وغيرها[٥].

فلمَّا بلغ الإمام عبدالله احتلال طوسون للخبرا والرس ومحيطهما، استنفر عبدالله أهل جبل شمَّر وأهل القصيم وأهل وادي الدواسر وأهل الأحساء وأهل إمارات الساحل الشمالي في إقليم عمان وما بين تلك النواحي، وخرج عبدالله من الدرعية في جمادى الأولى ١٢٣٠هـ/أبريل ١٨١٥م، واجتمع عليه أتباعه ونزل المِذنب[٦]، ثمَّ رحل منها إلى الرويضة[٧] قريباً من الرس[٨]، فخرجت عساكر الترك

---

(١) ضَرِيَّة: إحدى قرى إقليم (القصيم)، وهي بعد (طخفة) قبل (عريق الدسم). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٤١٢/٤) (١٤٢٠).

(٢) مِسْكَه: قرية صغيرة في إقليم (القصيم) تقع إلى الشرق من (ضرية). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢٢٦٢/٦).

(٣) البصيري: من قرى (بريدة) بمنطقة (القصيم) من هِجَر بني عمرو من حرب. وتقع (البصيري) في مجرى وادٍ صغير يسمَّى (وادي البصيري). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٥٨٩/٢). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٢٨٠/١).

(٤) نَجْخ: مورد ماء يقع في إقليم (القصيم) إلى الشرق من (عريق الدسم) وإلى الشمال من (جبال شعبى). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢٤٠١/٦).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٦/١).

(٦) المِذنب: بلدة ذات قرى، إمارتها إحدى إمارات منطقة (القصيم). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٢٩٦/٣).

(٧) الرويضة: نخيل ومزارع تابعة لـ (الرسّ) تقع إلى الشمال من مدينة (الرسّ). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد الصيم» (١٠٧٩/٣ ـ ١٠٨٠).

(٨) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣١/١٢).

من الرس وحصل منهم رمي بالمدافع على جيوش عبدالله ولم يتقارب الطرفان في القتال.

أثناء ذلك علم عبدالله أن طوسون تحرَّك من المدينة النبوية إلى ماء يقال له الداث[١] قرب الرس، فتوجَّه عبدالله بجيوشه وأراد أن يبغت طوسون وجيشه ويناجزهم عند الداث، ولكنَّ طوسون كان أسرع في التحوّل من الداث إلى بلدة الرس مباشرة ولم يدركه عبدالله[٢].

كانت الغارات السعودية تَبْغَت عساكر الترك التي تحتل الرس، واستهدفت هجماتها الشبيبية[٣] التي احتلها الترك وعسكروا فيها، لقد كانت غارات شديدة يقوم بها فرسان سعوديون ينطلقون من عنيزة ويغيرون على الترك في الشبيبية والرس ويعودون دون أن تدركهم مدافع طوسون باشا[٤].

---

(١) الداث: وادٍ في (القصيم) يبتدأ سيله من قُرب منطقة (مسكة) جهة (جبل طخفة) وشرقي (شعبى). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٣/٩٤١ ـ ٩٤٣).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٧٦ ـ ٣٧٨).

(٣) الشبيبية: كائنة بين (عنيزة) و(الخبرا) وقت حرب طوسون باشا، واليوم تفصل بينها وبين (الخبرا) قرى (البدايع). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٣/١١٩٥ ـ ١١٩٦).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٣١). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٩٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٥). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٧ ـ ١٧٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٧٧).

* حرب الشوارع في الرسّ.

دبَّت المقاومة الشعبية في كثير من أهالي الرس، فأخذوا يحاربون الترك في بعض الشوارع والحارات، ولمَّا اشتدّ الطراد والنزال؛ اتخذ أهل الرس من قلعة الشنانة[١] فوق الرس مكاناً يتحصنون به من الترك، فسار إليهم الترك وحاصروهم حصاراً شديداً متعباً، يصحبه رمي المدافع وتساقط القنابل عليهم وتفخيخ أسوار القلعة، ولكن أهل الرس المحتصرين بالقلعة ثبتوا وقاتلوا الترك قتال من يطلب الموت، فقُتِلَ من الترك قتلى كثيرة، فاضطرّت عساكر الترك لفكّ الحصار عن القلعة، بل إنَّ معسكر الترك في الشبيبية اضطرّ لرفع خيامه والرحيل عنها بسبب غارات السعوديين عليه، ورجع الترك لثكناتهم التي كانت في الرسّ المحتلة[٢].

وإدوارد جوان يؤكّد أنَّ طوسون باشا اضطرَّ إلى نقل مخيَّم جيشه إلى مكانٍ آخر في الرسّ أيضا، وأنَّه أرسل بعض فصائل جنده الترك إلى البكيرية[٣] ليحصل منهم على تموين لعساكره، **فاستقبل أهل البكيرية الأتراك الذين أتوهم لابتياع الأقوات استقبالاً يليق بهم، فقد أطلق أهل البكيرية على الأتراك وابلاً من الرصاص ليمنعوهم من دخول البكيرية ولِيُعلِموهم ألّا تموين للترك عند أهل البكيرية، فأرسل إليهم طوسون باشا مدافعه فدكّت أسوار البكيرية دكّاً عنيفا، وحاصرها**

---

(١) الشنانة: تقع على الضفَّة الجنوبية لـ (وادي الرُّمَة) على بعد حوالي ٦ كلم منه. انظر: محمد ناصر العبودي «معج بلاد القصيم» (١٢٨٩/٣).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٧/١ ـ ٣٧٨).

(٣) البكيرية: من مدن (القصيم). تبعد عن (بريدة) ٥٢ كلم. انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٦٢٠/٢ ـ ٦٢١).

أربعة أيام وقتل ٢٠٠ من المحصورين، ثمَّ هدم منازل أهل البلدة لَمَّا عَلِمَ أَنَّهم تعاونوا مع أهل الرسّ على الفتك بالأتراك[(١)].

* حرب استنزاف عند الحجناوي، وانعقاد الصلح بين عبدالله وطوسون.

رابط عبدالله بجيوشه حول الرس والخبرا مريداً حصار الترك، فاتخذ ماء الحجناوي[(٢)] موقعاً تنطلق منه غاراته تجاه الخبرا والرس[(٣)]، وظلَّ السعوديون في الحجناوي يصابرون الترك مدة شهرين تقع خلالها مقاتلات ومجاولات بينهم من بعيد كحربٍ استنزافية للترك.

فأرسل طوسون بعض رجالٍ من الأعراب التي تبعته إلى الإمام عبدالله يطلب منه المصالحة، فوقع الصلح وانعقد الاتفاق بين طوسون وعبدالله على وضع الحرب بين الفئتين، وأنَّ الترك يرفعون أيديهم عن نجد وأعمالها، ويكون الحجاز ومحيطه وجنوبه الذي هيمنوا عليه لهم[(٤)]، وأنَّ السابلة تمشي آمنة بين الفريقين من بلاد الترك والشام

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٥).

(٢) الحجناوي: قريةٌ ومزارعٌ تابعةٌ لمدينة (الرسِّ) تقع إلى الشرق من (الرسِّ) على بُعد ٨ كلم تقريباً. وهي في (وادي العاقلي) إلى الغرب من (البدايع). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٧٨٥/٢).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣١/١٢ ـ ٣٢).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٥)، بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠هـ/ ١١ سبتمبر ١٨١٥م (٢٣٩/٢).

ومصر وجميع ممالكهم إلى نجد والشرق وجميع ممالك عبدالله، وكلٌّ منهما يحجّ آمناً، وكتبوا بذلك سجلاً، فرحل الترك من الرس في أوّل شعبان/يوليو ١٨١٥م متوجهين للمدينة، وبعث عبدالله معهم بكتاب الصلح يحمله عبدالله بن محمد بن بَنْيَان[١] صاحب الدرعية والقاضي عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم[٢] ليعرضوه على محمد علي باشا في مصر[٣].

ويخبرنا المؤرّخ المصري الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي عن تلك السفارة السعودية لمصر قائلاً: «حضرت من جماعة الوهابية نحو العشرين نفراً من الأنفار إلى طوسون باشا، ووصل منهم اثنان إلى

(١) عبدالله بن محمد بن بَنْيَان: من قبيلة سبيع. وهو من علماء (الدرعية) في القرن الثالث عشر. انظر ترجمته وأخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٦١/٤). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٣٩٢/٤ ـ ٣٩٤).

(٢) عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم بن مشرف: من الوهبة، حفيد الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ابن ابنته. وُلِدَ سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٩م. قال عنه ابن حميد: «باقعة الزمان ولسان ذلك الأوان، عجباً في الحفظ والاستحضار، داهية في مُحاولاتِ الملوك والأمراءِ» وذكر ابن حميد والبسَّام عنه أنَّه قد تولَّى القضاء في الدرعية زمن الإمام سعود وابنه الإمام عبدالله، ولمكانته اختاره الإمام سعود في سفارة إلى إمام صنعاء، فكفى في مهمته. وبعد أن استولى إبراهيم باشا على (الدرعية) ارتحل المترجَم له إلى (عنيزة)، وتوفي سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م. انظر أخباره وترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٦١/٤). وعبدالله بن حميد «السحب الوابلة» (٦٨٨ ـ ٦٩٤). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٩/٣ ـ ١٦٧٠). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٣١٩/٣ ـ ٣٢٣).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٧ ـ ١٧٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٦/١ ـ ٣٧٩).

مصر، فكأنَّ الباشا لم يُعجبه هذا الصلح ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك، ولم يُحسن نُزل الواصلين، ولمَّا اجتمعا به وخاطبهما، عاتبهما على المخالفة، وانقضى المجلس وانصرفا إلى المحلّ الذي أمرا بالنزول فيه، ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع أتباعهما في الركوب والذهاب والإياب.

فإنَّ الباشا أطلق لهما الإذن إلى أيِّ مَحلٍّ أراداه، فكانا يركبان ويمُرَّان بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجّان على البلدة وأهلها، ودخلا الجامع الأزهر في وقتٍ لم يكن به أحد من المتصدّرين للإقراء والتدريس، وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وعن الكتب الفقهية المصنَّفة في مذهبه، فقيل: انقرضوا من أرض مصر بالكليَّة. واشتريا نسخاً من كتب التفسير والحديث مثل: الخازن[١] والكشَّاف[٢] والبغوي[٣] والكتب الستة المجمع على صحتها[٤] وغير ذلك.

وقد اجتمعت بهما مرتين، فوجدت فيهما أُنساً وطلاقة لسان واطّلاعاً وتَضَلُّعاً ومعرفة بالأخبار والنوادر، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب في الخطاب والتفقّه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف،

---

(١) هو كتاب «تفسير الخازن» لعلاء الدين الخازن.

(٢) هو كتاب «تفسير الكشاف» للزمخشري.

(٣) هو كتاب «تفسير معالم التنزيل» للبغوي.

(٤) هي كتب الصحاح الستة: «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و«سنن النسائي» و«سنن أبي داوود» و«سنن الترمذي» و«سنن ابن ماجة».

واسم أحدهما عبدالله والآخر عبدالعزيز وهو الأكبر حسّاً ومعنى»[١].

* محمد علي باشا ينقض الصلح ـ ونقد كلام الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن وابن بشر.

لم يوافق محمد علي على ما تمَّ بين ابنه طوسون والإمام عبدالله بن سعود، وأصرَّ على أن يَقْدِم عليه الإمام عبدالله فيرسله إلى السلطان العثماني، وأن يُحضر معه ما سبق أن أخذه أبوه سعود من نفائس كانت موجودة في الحجرة النبوية الشريفة. ومن الواضح أن الإمام عبدالله أدرك ما يترتب على ذهابه إلى مصر، فرفض ذلك، وأخذ الطرفان يستعدان للحرب من جديد[٢].

ويرى **الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن** أنَّ الصلح انتقض لسبب: أنَّ تقسيم مواقع النفوذ قائم على أنَّ للإمام عبدالله نجد ومحيطها وشرقها وجنوبها، ولمحمد علي باشا الحجاز ومحيطها وجنوبها، فيذكر الشيخ عبدالرحمٰن **أنَّ الإمام عبدالله جرى منه ما أوجب نقض ذلك الصلح؛** وهو أنَّه بعث برجلٍ من عنده إلى بعض القبائل التي كانت تحت هيمنة محمد علي باشا، وأَصحَبَ هذا الرجل بخطوط مضمونها: أن تكون تلك القبائل في طرفِهِ وأمرِهِ، وأخبرنا الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن أنَّ الذين أرسل لهم الإمام عبدالله الخطوط بعثوا إلى محمد علي باشا

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب اثار» (٣٦١/٤) باختصار.

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٩٦). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٧) (٥٠١). وخليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٥٣). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٢٠٠/١).

يخبروه بها، فَعَلِمَ محمد علي باشا فلم يَرْضَ بذلك، وقال: إنَّهم من جملة من وقع عليهم الصلح ليكونوا تحت نفوذ الباشا. فهذا سبب النقض[(١)].

وكلام الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ مردودٌ عليه؛ فمحمد علي باشا لم يَكُن مُخلِصاً لهذه الاتفاقية؛ فهذا المؤرِّخ الإنجليزي أندرو كرايتون ـ المعاصر لتلك الحوادث ـ يشهد على عدم إخلاص محمد علي لهذا الاتفاق وأنَّه تعمَّد نقض الصلح بلا مبرِّر، حيث يقول كرايتون: «**لم يكن محمد علي مخلصاً في عرضه للسلم، وقد وجد بسهولةٍ ذرائع لتجديد الحرب، فرسائله إلى** [الإمام] **عبدالله بالقبول كانت مُبهَمة جداً؛ لقد طلب إعادة الكنوز التي أخذها والده** [الإمام سعود الكبير] من قبر النبي [ﷺ]، **كما طلب أن تخضع الدرعيَّة لسلطة حاكم المدينة، ورفض أن يؤكِّد الاتفاقية ما لم يَتَخَلَّ الوهابيون له عن منطقة الأحساء.**

وكان الخداع إحدى أعظم صفات محمد علي والملامح الممقوتة في شخصيته، مع أنَّ ابنه [طوسون باشا] **قد أَبرَمَ اتفاقية سلام تُعَدُّ مُلزمة لجانبه كلّه، فإنَّه أظهرها بوجهٍ مختلف في إسطنبول. وأصبح واضحاً جليّاً لعبدالله الآن: إمَّا أنَّ الأمير الشاب طوسون كان قد خَدَعَهُ، أو أنَّ الأب بطلباته المسرفة قد أعطى برهاناً جديداً على احتقاره لجميع الاتفاقيات التي أبرمها**»[(٢)].

وحتَّى المؤرِّخ الشيخ خليل الرجبي ـ مؤرِّخ محمد علي

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٣٣).

(٢) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٩٠ ـ ٩١) باختصار.

باشا - يأتي بشهادة تنقض ما ذهب إلى الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ؛ حيث يشهد الرجبي قائلاً: «**حضرة أفندينا محمد علي، في باطن الأمر وحقيقته ما رضيَ بالذي كان**[١] **ولم يركن إليه بفكرته، ومضت شهور وأيام وحضرته ينوي نقض ذلك الإبرام**»[٢].

وهذا المؤرِّخ المصري محمود فهمي المهندس ينقض ما ذهب إليه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن؛ حيث يقول المهندس: «**من المعلوم أنَّ محمد علي باشا ما كان مِصْدَاقاً على ما أجراه ابنه طوسون من عَقْدِ مثل هذا الصلح، ومن ثَمَّ وَجَدَ عِلَّة وحُجَّة في تجديد الحروب ووقوع الكروب في البلاد العربية والعشائر الوهابية، وكَتَبَ إلى عبدالله بن سعود بمكاتيب كانت غايةً من الإشكال والاختلاف في الأحوال والأعمال**»[٣].

أمَّا مؤرِّخ نجد عثمان بن بشر فقد أخبرنا عن **غزوةً تسمَّى محيط ومحرّش جعلها ابن بشر السبب في حدوث نقض الصلح مِن قِبَلِ محمد علي باشا**؛ إذ ذكر ابن بشر بأنَّه رَكِبَ إلى مصر رجالٌ من أهل بعض البلدان النجدية والبوادي وزخرفوا القول لمحمد علي باشا، وتلقَّى الباشا قولهم بالقبول فشمَّر في تجهيز العساكر إلى نجد مع ابنه إبراهيم باشا، وذلك بتقدير العزيز العليم[٤].

---

(١) يقصد الصلح.

(٢) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٥٣).

(٣) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٢/١).

وما قلتُهُ عن كلام الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ ينسحب على ما قاله ابن بشر؛ فمحمد علي باشا لم يَكُن لِيَأتَمِرَ إلَّا بأمرِ حكومة الدولة العثمانية، وإليك دليل ذلك:

فهذه وثيقة تركية عثمانية تخبرنا: أنَّ الدولة العثمانية رفضت أن يكون ثمَّة صلح بين محمد علي باشا والإمام عبدالله بن سعود، وأرسلت الدولة العثمانية لمحمد علي باشا تدعوه قائلةً: «إنَّ الطائفة المذكورة[1] باعتبارها ولكونها مِن أجلاف العرب التي لم تثبت في كلامها، وتميل أمزجتها إلى الانتقام في أوقات الفرص، فإنَّهم معروفون بعدم الثبات في أقوالهم والتلوّن في أمزجتهم وباجترائهم على الثأر والانتقام عندما تحين الفرص. وعليه فإنَّه لا يمكن صرف النظر عن قهر وتنكيل الطائفة الخارجية، إذا لم تَذُق أدمغة العصاة من طَمَعِهِ. وقد يكون مثل ذلكم العفو والصلح مانعاً وحاجزاً لأخذ الدرعية المنتظر حصولها بهمم فخامتكم»[2].

وحتَّى محمد بن حميد ـ المعروف بعدائه للدولة السعودية، والمعروف أيضاً بميله الواضح للعثمانيين ـ شهد بأنَّ محمد علي باشا هو الذي لم يُتِمّ عَمَل الصلح بينَهُ وبينَ الإمام عبدالله، وتشدَّد معه في عدم إتمامِهِ وقت رجوع ابنه طوسون؛ بسبب تأكيد السلطان العثماني محمود على محمد علي في قتال السعوديين[3].

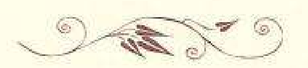
---

(١) تقصد السعوديين.

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٥)، بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠هـ/ ١١ سبتمبر ١٨١٥م (٢/٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٣) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٦٩٢).

الحاصل؛ أنَّ محمد علي باشا ـ بعد نَقْضِهِ للصلح ـ أخذ يعمل على تجهيز حملة جديدة ـ بأمر الدولة العثمانية ـ ضد الدولة السعودية، أسند قيادتها إلى ابنه إبراهيم باشا، توجَّهت تلك الحملة من مصر، فوصلت الحجاز في ذي القعدة ١٢٣١هـ/أكتوبر ١٨١٦م.





الفصل العاشر:

حملة إبراهيم باشا على نجد.

* حملة إبراهيم باشا على نجد؛ حملة عثمانية:

حقَّقت الدولة العثمانية هدفها باستعادة سيطرتها على الحرمين الشريفين وانتزاعهما من أيدي السعوديين كما مرَّ معنا سابقاً، ولكنَّ السلطان العثماني محمود الثاني كان يرمي إلى تحقيق هدف آخر أبعد مِمَّا سبق؛ يتمثَّل في القضاء على الدولة السعودية الأولى في جزيرة العرب بشكلٍ نهائي(١)، وفي ذلك يقول أمين الحلواني: «**إنَّ السلطان محمود أمر محمد علي باشا أنْ يستأصل مُلْكَ الوهابيين عن آخره، وأن يُبيدهم ويمحوَ ذكرهم ورَسمهم من الدنيا**»(٢).

ومثله قرَّر البارون الألماني إدوارد نولده Von Baron Eduard Nolde (ت: ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م)(٣): أن محمد علي باشا والي مصر القوي تلقَّى الأمر من الدولة العثمانية بإخضاع الوهابيين

---

(١) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٣٢/٤).

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥)، وكرَّر ذلك الأمر وقرَّره في (ص٢٠٥).

(٣) إدوارد نولده؛ البارون الألماني، أصله من (لتوانيا) ثم انتقل إلى (برلين). رحَّالة يكتب المقالات في الصحف. أنهى حياته منتحراً سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م. انظر ترجمته في: مقدِّمَة دار النشر الألمانية لكتاب البارون إدوارد نولده «رحلة إلى وسط الجزيرة العربية».

وتحطيمهم وكسر شوكتهم[١].

ومن أهل التراجم[٢] من يرى أنَّ محمد علي باشا لم يتمّ عمل الصلح بينه وبين الإمام عبدالله وتشدَّد معه في عدم إتمامه وقت رجوع ابنه طوسون؛ بسبب تأكيد السلطان العثماني محمود على محمد علي في قتال السعوديين. ومن أهل التراجم أيضاً[٣] من يرى أنَّ السلطان العثماني محمود قد أصدر أمراً صريحاً لمحمد علي باشا بمقاتلة السعوديين وأن محمد علي باشا أرسل ولده إبراهيم إلى نجد تنفيذاً لأمر السلطان.

ويذكر الكابتن سادلير George Forester Sadlier أنَّ إبراهيم باشا أخبره حين التقاه في المدينة النبوية قائلاً: «**إنَّ الحملة الموجَّهة ضدَّ الدرعية كانت نتيجةً لأوامر الباب العالي الموجَّهة لوالده** [محمد علي باشا]، **وأنَّه شخصياً لا يُدرِك أبعادها ولا الأهداف الحقيقية من ورائها، وكانت هذه الأوامر تُلزمه بتدمير الدرعية**»[٤].

وهذا ما تُؤكِّده الرسائل التي كانت ترسلها حكومة السلطان العثماني لمحمد علي باشا، حيث كانت تقول له ـ بألفاظها النابية ـ: «إنَّ حصول المقصود منوط بِهِمَم ذاتِكُم العَلِيَّة وإقدام نجلكم المشار إليه [إبراهيم باشا] بالتوفيقات السبحانية على تسخير الدرعية هذه،

---

(١) انظر: البارون إدوارد نولده «رحلة إلى وسط الجزيرة العربية» (٧٧ ـ ٧٨).

(٢) مثل: محمد بن حميد في كتابه «السحب الوابلة» (٦٩٢/٢).

(٣) مثل: محمد الشوكاني «البدر الطالع» (١٦٠/٢). وعبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٨٣٩/٢).

(٤) جورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٤).

وقطع عروق شقاوتهم وقمع أصول مفسدتهم. إنَّ خدماتكم الجليلة هذه ستحرَّر في أوّل صحائف تواريخ الدهر والأزمان، كما أنَّها ستكون باعثة لدى السلطنة السَنيَّة على الامتداح والاستحسان، كما أنَّكم ستجرون اللازم نحو تحسين مصلحة درعية هذه بكسر أنوف نخوة هؤلاء الخوارج وقطع عروق مفسدتهم»[١].

وقد أجاب محمد علي باشا على طلب الحكومة العثمانية، قائلاً: «إن شاء الله أسعى جهدي وروحي في دفع الخارجي المذكور[٢] وإزالة وجوده من غير شبهة»[٣].

وفي رسالةٍ لمحمد علي باشا ردّاً على مكتوب من الحكومة العثمانية بإسطنبول يقول فيها: «فكَّرتُ وصمَّمْتُ على أخذ الانتقام من أعداء الدين[٤]، وتصفية الدرعية بصرفِ مبالغ طائلة جداً»[٥].

وكانت وسيلة محمد علي باشا لتحقيق هذا الهدف حملةٌ عسكرية جديدة أُسنِدَت قيادتها هذه المرة إلى ابنه إبراهيم باشا سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م ليقاتل أهل نجد[٦].

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ/ ١١ يوليو ١٨١٧م، ضمن «وثائق تاريخ شبه الجزيرة» (٣١٩/٢).

(٢) يقصد الإمام عبدالله.

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (١٥)، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٢٢٤هـ/ ٦ مايو ١٨٠٩م (٩٦/١).

(٤) يقصد: السعوديين.

(٥) الوثيقة السابقة (٨٩/٢ ـ ٩٠).

(٦) انظر: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٤٢٤/١). =

وسيأتيك بعد قليل أمر الدولة العثمانية على ولاتها في العراق ودمشق وصيدا وعلى شريف مكَّة بأن يشاركوا في تكاليف حملة إبراهيم باشا على أهل نجد؛ مِمَّا يعزّز تلك الحقيقة التاريخية التي تخلص إلى: أنَّ تلك الحملة عثمانية خالصة من ألفِها إلى يائِها.

* ترويج الدعاية عن أخبار ضخامة حملة إبراهيم باشا.

عمل محمد علي باشا على ترويج دعاية عن ضخامة حملة ابنه إبراهيم باشا وهي ما تزال في مصر ولم تتحرّك بعد؛ ليهزّ نفسية السعوديين ويرهبهم بأخبار تسليح جيشه الذي لا يقارن بأسلحة السعوديين البدائية[1].

ومن ذلك أنَّ الإمام عبدالله بن سعود أرسل هدايا ومراسلات مع مبعوثين من عِندِهِ[2] إلى محمد علي باشا، وعندما وصلا إلى القاهرة مَثُلا بين يدي محمد علي باشا وسلَّماه الرسائل، فاستقبلهما محمد علي باشا استقبالاً لائقاً، ثمَّ سَمَحَ لهما بالذهاب إلى رشيد[3] حيث طوسون باشا هناك، وأمر محمد علي باشا أحد ضبَّاط بلاطه بمرافقتهما، وأوصاه بأن يَمرّ بهما على كلّ الأماكن التي تعسكر فيها

---

(١) سيأتي بعد قليل بيان الفارق الكبير بين أسلحة السعوديين القديمة وأسلحة الترك العثمانيين.

(٢) قيل أنَّ المَبعوثين هما: محمد بن حسن بن مزروع وعبدالله بن عون؛ بحسب فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٠). أمَّا عثمان بن بشر في تاريخه «عنوان المجد» (١/٣٨٣) فيقول: أنَّ ابن مزروع هذا: هو حسن بن مزروع وليس محمد بن حسن بن مزروع.

(٣) رشيد: بليدة غربي النيل الغربي عند مَصَبِّهِ في البحر شرقي (الإسكندرية). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١١/١٩٣).

القوات[(١)]، حتى يَرَيا حجم القوّة التي أعدَّها محمد علي باشا لحرب أهل نجد.

فمرّ بهم أصحاب الباشا يفرّجوهم على المعسكرات والثكنات ومخازن معدَّات الحرب، فرأوا وفرة المعدّات وكثرة الجنود، ثمَّ لمَّا همّ رسل الإمام عبدالله بالإياب إلى نجد قال لهم محمد علي باشا: **«ها أنتم قد حصَّنتم المدن وحشدتم الجند وتأهَّبتم للقتال، وهو ما أنا موقن به، فأخبروا مولاكم بأنني أحذِّره كلّ الحذر وأدعوه إلى اتخاذ الحيطة لنفسه؛ لأنني سأرسل إليه الأمير إبراهيم الذي سيُنزل به وبحزبه العقاب الصارم، وسيكون حظّ عاصمتكم التلاشي والفناء، وخاتمة سكَّانها أن يُؤتى بهم إلى هنا، إمَّا أسرى وإمَّا قتلى، على أنَّه إذا حاسب عبدالله نفسه وحثَّها على الطاعة، وإلَّا أَخْضَعَتْه جنودي بقوَّة السيف، وإنَّه لجَدِيرٌ به الإسراع بالحضور لِيَصونَ بلاده من الخراب والنفوس البريئة من الهلاك، وإنِّي لمُمْهِله ما يريد من الوقت للتروّي، فلا تضيّعوا هذا الوقت فيما لا يفيد، واعلموا أنَّني طويل الصبر والأناة في الانتقام، ولكن ذلك ليس بدافعٍ له ولا بمانعٍ من أن يكون شديدا»**[(٢)].

ومن بين الأساليب الدعائية والتخويفية التي اتَّبعها الباشا محمد علي؛ أنَّه أرسل برسالة إلى الإمام عبدالله وأهل الدولة السعودية، يُخَوِّفهم بما أعَدَّه من جيش جرَّار لحربهم واستئصالهم، فقال في تلك الرسالة: **«سيصل إلى قُطرِكم ولدنا العزيز إبراهيم، فيُنزِلَ به الهلاك والخراب، ويَرمي أعناقكم بسيفه، ولا يدع في حاضرتكم حجراً على**

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٠ ـ ١٢١).

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٠٧ ـ ٥٠٨) باختصار.

حجر، ويوجّه بكم إلى أعتاب جلالة السلطان»[١].

* النفير العام لمواجهة حملة إبراهيم باشا.

لمَّا أرسل محمد علي باشا رسالته التهديدية إلى الإمام عبدالله ورسالته التهديدية الأخرى لأهل نجد ـ حاضرتها وباديتها ـ، أيقن الإمام عبدالله ألَّا مناص من الحرب، ولابدّ من حماية الدين والأرض والأهل والعيال، فعمل على إقامة الحصون والاستحكامات، وتفقَّدَ الأقاليم لهذا الغرض، واستوثق من وفرة الذخائر والمؤن وكفاية الجيوش المحشودة وإخلاص الزعماء والرؤساء وتعيين الفرق المخصَّصة لقطع خطّ الرجعة على العدو أو مهاجمة القوافل التي تموّن حملة إبراهيم باشا في مكان مرورها، ثم بثَّ في أوائل سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م رسله في أنحاء الحجاز يستحثهم الانتصار لإخوانهم في نجد ضدّ الحملة التي سيأتي بها إبراهيم باشا[٢].

ولقد وصف المؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس وصفاً بديعاً ذلك النفير الذي قام به أهل نجد من أجل مواجهة الحرب التي سيشنّها إبراهيم باشا ضدَّهم، حيث قال المهندس: «**شرع [أهل نجد] في الاستعدادات الحربية من كلّ جهة، وخزَّنوا الذخائر والمؤن في القلاع والقرى والمدن، والتزم مشايخ العربان وكبار العسكر على تجديد قسمهم وعهودهم، وخطب الأئمة خُطَب الجهاد وحضّوا على**

---

(١) المصدر السابق (٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٢) انظر: إدوارد جوان في كتابه «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٠٩ ـ ٥١٠). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٩١).

الحرب ومقاومة الأضداد، ولعنوا غشّ الترك وخديعتهم[(١)]، وجمعوا ثلاثين ألفاً من العساكر، وتعيَّن حكَّامهم من أهل الحزم والتدبير المتدربين في الحروب والوقائع، وباع الأغنياء أملاكهم وما تحت أيديهم، وصرفوها في المشتروات اللازمة للجيوش، وأجروا كلّ ذلك محبةً في وطنهم مع غاية الحَمِيَّة والحماس، وكشف عبدالله أقاليم مملكته بنفسه، وجاء إليه الأمداد والعساكر من البحرين والحسا، وانضمَّ إليه بعض قبائل من إقليم عمان، وأرسل إليه عرب اليمن ٢٠٠٠ مقاتل مساعدةً له على عدوّه»[(٢)].

* وصف حملة إبراهيم باشا.

جُهِّزت حملة إبراهيم باشا بتموين ضخم ضخامةً مهولةً بالأزواد والمتاع، ودُجِّجَت بأسلحةٍ كثيفةٍ لا حصرَ لهاً، وعُزِّزَت بجنودٍ غزيرةٍ مُخلَّطةٍ يُرى أوَّلها ولا يُرى آخرها:

ـ ضخامة تموين الحملة.

فقد استغرق تجهيز هذه الحملة مدَّة ستة أشهر[(٣)]، وكان البذل على تموين الحملة وتيسير مسيرها سخيّاً إلى غايةٍ بعيدة، لذلك قال المؤرِّخ عثمان بن سند: «**أمّا الأموال التي صَرَفَها** [محمد علي باشا]

---

(١) لعنهم لغشّ الأتراك له دواعيه، انظر ما ذكرناه في نهاية الفصل التاسع من خيانة محمد علي باشا لعهده الذي أعطاه للإمام عبدالله بن سعود، وقبله (في الفصل السابع) غدرهم بالإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود يوم اغتالوه خديعةً وخيانة.

(٢) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤١ ـ ١٤٢) باختصار وتصرّف يسير.

(٣) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية» (٩٢).

على العساكر فلا تُحصيها الأقلام ولا الدفاتر»[١].

فقد أصدر محمد علي باشا أوامره لجمع عدد كبير من المراكب بساحل بولاق لنقل المؤونة والذخائر إلى مدينة قنا[٢] ومنها تُنْقَل على ظهور الجمال إلى ثغر القصير ثمَّ إلى ميناء ينبع البحر[٣].

فنُقِلَ خلال ذلك؛ الخبز الجاف والقِرَب والأمتعة والمدافع والذخائر إلى قِنا، ومن قِنا أيضاً دبَّر الوسائل لتصدير الأمتعة والمهمات إلى ميناء القصير، ومن هناك تصعد الأقوات إلى السفن الجاهزة للتحميل، فتُشحن فيها المؤن والمدافع والأمتعة حتى تبحر إلى ينبع، في حين أنَّ عدداً كبيراً من القوافل اتَّجهَت إلى السويس حاملة معها القمح والطحين ومستلزمات التخييم[٤].

لقد كانت عيون الناظرين في القاهرة لا تقع خلال تلك الأشهر إلَّا على الجِمال مُحمَّلةً بالأثقال من الدقيق والغلال ومهمَّات الجيش قاصدةً السويس، كما كانت الأعين لا ترى إلَّا السفن وهي صاعدة نهر النيل إلى قنا مشحونة بالمدافع والقِرَب والبقسماط والذخائر ذاهبة إلى ميناء القصير لتُحمَل إلى ميناء ينبع[٥].

---

(١) عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣٧٧).

(٢) قنا: مدينة كبيرة بالصعيد الأعلى، واقعةٌ شرقي النيل على شاطئ ترعة خارجة منه شمال مدينة (قوص)، وهي رأس مديرية تنسب إليها. نظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣٧٧/١٤).

(٣) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٢).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٣ ـ ١٢٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٠ ـ ٥١٢).

(٥) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٠).

إلى جانب ذلك؛ تدفقت على الحملة أكداس من الأكياس من صعيد مصر مُحمّلَة بالدقيق والبقسماط والحنطة المخصَّصة للخبز والفول والشعير(١).

ثمَّ صدرت من إسطنبول أوامر حكومة السلطان العثماني بأن يشارك باشا بغداد في تكاليف الحرب، فأمرته أن يرسل إلى إبراهيم باشا وهو في طريقه إلى نجد رجالاً وذخيرةً ومؤناً(٢)، فتتابعت القوافل على إبراهيم باشا من جهات البصرة والزبير حاملةً معها الأرز والحنطة والتنباك! وجميع حاجات العسكر(٣) والشعير والطحين(٤) والشيشة! والغليون(٥)! وأموال كثيرة(٦).

ويذكر بعض أهل التأريخ أنَّ بعض الرجال من بغداد شاركوا في حملة إبراهيم باشا يوم هجم على الدرعية واحتلَّها ونكَّل بأهلها(٧).

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢/٢٩٤). ودفتر (٣) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٣١٣)، بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٣٤هـ/ ٢٢ يونيو ١٨١٩م (٢/٤٢٨). ودفتر (٣) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٣٢٣)، بتاريخ ٦ رمضان ١٢٣٤هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٩م (٢/٤٢٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١١).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٣).

(٥) انظر: جورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٢).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢/٢٩١).

(٧) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢/٣٤٩).

من بعد ذلك؛ **عُزِّزَت حملة إبراهيم باشا بحاميةِ الترك التي في المدينة النبوية**، فصاحبت عساكر الباشا في سيرها لحرب أهل نجد بقوافل أرسلتها لهم؛ مُحمَّلة بالبارود والقنابل والخبز اليابس و**٥٠٠٠** رأس من الغنم وقمحاً وشعيراً وزُبدة[١] وفولاً بأكياسٍ غزيرة[٢]؛ منها **١٥٠٠** إردب من الفول المجروش و**٥٨٠** إردب فول صحيح، كما جاءته من المدينة النبوية **٣٠٠٠** أوقية[٣] من البقسماط وأكياس كثيرة من الدقيق و**٣٠٠٠** كيس من الأرز الهندي و**٢٠٠٠** قِربة ماء للشرب[٤].

ثُمَّ وصلته من **حامية الترك في ينبع البحر** ذخائر كبيرة وتموينات كثيرة؛ منها **١٧٠٠** إردب من الشعير[٥]، كما جاءته من تلك الحامية ما يحتاجه من وسائل النقل، **وأرسل إليه البدو العدد الكافي من الجمال والهجن**[٦].

ثمَّ جاءت تعزيزات أخرى من جهة شريف مكَّة الشريف

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٤).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٤٩)، بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٢هـ/ ٦ أكتوبر ١٨١٧م (٢/٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٣) أوقية: هي الأُقَّة؛ ثقلٌ قدره أربعمئة درهم، أو ثمانية وأربعون ومئتان وألف جرام، وقد بَطُلَ استعمالها في مصر. انظر: إبراهيم مصطفى وزملاه «المعجم الوسيط» (٢٢).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٢١)، بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٣ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٢).

(٥) الوثيقة السابقة (٢/٣٥٣).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٥).

يحيى بن سرور؛ الذي أرسل الحِنطَة والأرز والبُنّ والسكَّر والشعير، وكانت حكومة الدولة العثمانية قد أرسلت إلى الشريف يحيى خمسين ألفاً من القروش ليؤمِّن تموين حملة إبراهيم باشا على أهل نجد[١].

كما تتابعت العساكر تمشي من مصر إلى قريب نجد في كلّ شهر وأسبوع تأتي بقوافل الطعام والأمتاع مصحوبةً بما ينوب تلك العساكر[٢] من الأزواد، حتى البصل كان يُحمَّل من مصر إلى معسكرات إبراهيم باشا في نجد[٣]، بل حتَّى (الشَّرْبَات) حُمِلَت من مصر إلى عساكره في نجد[٤].

ثم شاركت الباشوية العثمانية في دمشق بتكاليف حرب إبراهيم باشا على أهل نجد؛ إذ أرسلت عشرة آلاف من الجمال اشتراها محمد علي باشا على نفقته[٥]، وكان الوالي العثماني في الشام قد قدَّم المساعدة الضامنة لإيصال عشرة آلاف جمل من الشام حاملاً عليها ذخائر ومهمّات وأدوات حربية تعزيزاً لعساكر الباشا[٦].

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٦٤)، بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٣١هـ/ ٢١ يولية ١٨١٦م (٢/٢٦٩ ـ ٢٧٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٤٣٨).

(٤) انظر: جورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٥).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٥٥)، بتاريخ ٢١ ربيع الأول ١٢٣١هـ/ ٢ مارس ١٨١٦م (٢/٢٦١).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٦٠)، بتاريخ ٢٣ جمادى الثاني ١٢٣١هـ/ ٢١ مايو ١٨١٦م (٢/٢٦٥). أيضاً: =

كما شارك بتكاليف تلك الحرب الوالي العثماني في صيدا في جبال لبنان الذي أرسل قرابة ثلاثين ألف جمل تعزيزاً لعساكر الباشا[(١)].

إضافة لما سبق؛ جُهِّزت الحملة بصناديق الأموال ما لا يدخل تحت الحصر، وتابع محمد علي إغداق الأموال والذهب لحملة ابنه إبراهيم ليستميل بها العربان[(٢)]، وسلك إبراهيم طريقه من مصر إلى ينبع فالمدينة فنجد، وهو في كل هذه المسافات يتقدَّم على أنَّه صديقٌ للبدو والعربان وسكَّان البلدات، فقد كان يدفع فوراً ثمن كلّ دلوٍ من الماء الذي كان سكَّان بعض البلدات يقدّمونه لقواته، كما كان يدفع على الفور ثمن كلّ تَمْرة، وكلّ عود حطب يقدمه السكَّان لقواته[(٣)]، وكان يلقى العربان بالبشاشة وسعة الصدر والسخاء[(٤)].

- ضخامة عتاد الحملة.

جمع إبراهيم باشا عدداً ضخماً من المدافع وآلات الحرب الجديدة والنيران التي لا قبل للسعوديين بها[(٥)]؛ إذ كانت أسلحة

= محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١١٤)، بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٢هـ/ ٢ يونيو ١٨١٧م (٢/٣١١).

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢٦)، بتاريخ ٥ رمضان ١٢٣٢هـ/ ٩ يوليو ١٨١٧م (٢/٣٢٥).

(٢) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٩).

(٣) انظر: وليم جيفورد بالجريف «وسط الجزيرة العربية وشرقها» (٢/٦٤).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣٨).

(٥) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٥٥).

الترك متطوّرةً إلى حدٍّ بعيد مقارنةً بأسلحة السعوديين، حيث كانت أسلحة الترك سريعةً في إطلاق رصاصات بنادقها ومسدساتها ومقذوفات مدافعها، بينما ظلّت أسلحة السعوديين على الطراز القديم الذي لا يتوافق مع واقع التسليح الحديث يومذاك؛ إذ كان السعوديون يستخدمون البنادق ذات الفتيلة[1] التي تأخذ وقتاً لإشعالها وإطلاق الرصاصة الواحدة منها، فمسافة ما يفكّ السعوديّ بندقيته من جرابها ويولع الفتيلة يكون قد أصابه خمس رصاصات على الأقل من بندقية واحدة من بنادق الترك، إضافةً إلى أنَّ أفراد الجيش السعودي وقتها كان أكثرهم لا يزال يستخدم الرماح والسيوف على الطراز العتيق[2].

وكانت المدافع من أهم أدوات تلك المعارك وأسلحة هذه الحرب؛ كانت كلها بأعدادها الهائلة تجرّها الجمال من البحر الأحمر حتَّى نجد[3].

---

(١) البندقية ذات الفتيلة: صُنِعَت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، وتُسمَّى في نجد «فتيلاً»، ومنها البندقية المسمَّاة بـ«الشريفة» و«خِبَّة». ومِمَّا قيل فيها من الشعر النبطي، قول ابن الحافظ من أهل (السِّر):

يا بِنْدِقِي يا هَيفْ تَيْس الجِميلة آخذ على كَيْفي من البعد واختار
إلى وَرَّدْ المِشْقاصْ خَشْم الفِتيلَهْ إِلَى الدمْ من بين المَعاليقْ عَبَّار.

انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٤٧) (٨٠) (١٦٧ ـ ١٦٨) (١٧٢).

(٢) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٦ ـ ٢٠٧). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٣).

(٣) انظر: جورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٨٠).

ومن تلك المدافع؛ قبوز بوار ألفي: وهي مقذوفات المدافع التي حسمت المعركة في شقراء لصالح الترك[١].

ومنها خمسة آلاف مدفع هاون ذو الفتيلة، ويسمى هذا المدفع باسم: مدفع هاون (أبوس)، ومعه سدّاداته من الطوبخانة العامرة[٢]، وقد أُحضرت بمعيَّتِهِ خمسة وعشرين ألف قنبلة مدفع هاون[٣].

وأُرسِلَت من مصر مدافع من طراز كولينير ودروع جرخة، وصحبتها قنابلها ومقذوفاتها والطوبجية التي تقوم بخدمتها[٤]. كما أرسلت مدافع الهويتزر ومدافع مورتر[٥] ومدفعي حصار[٦].

ثمَّ جاءت إلى حملة إبراهيم باشا تعزيزات من بلاد أوروبا

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٢/ ٣٧٠).

(٢) الطوبخانة العامرة: هي المكان الذي كان يجري صبّ المدافع وحفظها فيه، في الحيّ الذي يحمل اسمها اليوم في تركيا. انظر: صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني» (٢/ ٨٦٤).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٩)، بتاريخ غرّة ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٩ يناير ١٨١٨م (٢/ ٣٦٣).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢/ ٣٩٥).

(٥) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١١٢) (١٢٧). و: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/ ١٦٢٢).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٠).

ليستخدمها في حربه ضدَّ أهل نجد، إذ أُرسِلَ إليه من هناك مدفع من مدافع الصحراء يسمَّى قنبانية، ومعه أربعة آلاف قذيفة، ووزن كلّ قذيفة سبع آقات[١].

وجاء من باريس مدفع هاون يحرسه أكثر من مئة رجل، وكُتِبَ على مؤخّرة هذا المدفع: «صُبَّ في ترسانة باريس في السنة الثانية من الجمهورية»[٢]. ثمَّ كتِبَ تحت هذا الكلام: «حرية، مساواة»[٣].

كما زُوِّدَت الحملة بمدافع قلمبدنة ومدافع الخَمْبَرَة، مع كميات لا حصر لها من مقذوفاتها وقنابلها الثقيلة والخفيفة قادمة من أوروبا[٤].

وزوِّدِت أيضاً بأشكالٍ مشكّلة من البنادق والمسدسات والأسلحة الأوروبية البيضاء[٥]. **ويذكر الكابتن سادلبير أنَّ أغلب البنادق من صناعةٍ فرنسية وألمانية**[٦] **وسويدية**[٧].

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٨)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٩ ديسمبر ١٨١٧م (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣٦).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٢).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٠٥)، بتاريخ ٧ ذي القعدة ١٢٣٣هـ / ٨ سبتمبر ١٨١٨م (٣٩١/٢).

(٥) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢١/٣).

(٦) انظر: جورج سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠١).

(٧) انظر: المصدر السابق (١٣٠).

ـ المشاركون في جيش إبراهيم باشا من الأعاجم والعربان المرتزقة.

من المهمّ تبيان تركيبة هذا الجيش الضخم الذي كان خليطاً مخلَّطاً من أعراقٍ أعجمية كثيرة، والتي سترتكب في حق النجديين جرائم إنسانية بشعة يندى لها جبين من بقي فيه ذرَّة من الآدَمِيَّة.

لقد تشكَّل هذا الجيش من الأتراك الخُلَّص الذين أَتَوا من تركيا(١)، وبعضهم من الأتراك الذين تبقّوا في مصر من بعد تقاطرهم عليها يوم رحلت الحملة الفرنسية عن مصر(٢)، فاستعان بهم محمد علي باشا في حملة ابنه طوسون باشا وحملة ابنه إبراهيم باشا(٣).

كما كان في جيش إبراهيم باشا عساكر شركسية(٤) وباشبوزوق(٥)؛ وهم قوات غير نظامية أقرب ما تكون إلى

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٤٦) (٤٤٩). وجورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٢ ـ ٩٣). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٢٨٣) (٢٩٤) (٢٩٩ ـ ٣٠١) (٣٠٧ ـ ٣٠٨) (٣١٤ ـ ٣١٥). وعبدالرحمٰن الرافعي «تاريخ الحركة القومية» (٢/٣٠٧ ـ ٣١٤).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٢١).

(٤) الشركس: اسمٌ أطلقه العرب على سكَّان إقليم القوقاز المعروفين باسم: ديغة؛ وهم من البطون التركية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢٧٢).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٤٩)، بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٢هـ/ ٦ أكتوبر ١٨١٧م (٢/٣٣٣).

الميليشيات[١].

وفيهم أيضاً من عساكر الدلاة[٢] والألبان الأرناؤوط[٣]، وأغلبهم فئات تبقَّت من عساكر وميليشات أرسلتهم الدولة العثمانية لمصر بعد رحيل الحملة الفرنسية عنها[٤].

كما كان الأكراد من مكوّنات جيش تلك الحملة[٥]، وقد شكَّلوا فئة الفرسان، وكانوا تحت قيادة الأمير أوزون علي الأُرْفَلِي الكردي[٦] الذي انتَخَبَ منهم خيَّالةً وفرسانا[٧].

---

(١) انظر: الأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (١٥٦) (١٦٣) (١٦٧). ومنير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٧٦/٤).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١١٧)، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢هـ / ١٢ يونيو ١٨١٧م (٣١٥/٢). وانظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٥٦/٤) (٤٣٦). والأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (٥٣).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٢). والأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (١٦٢).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٢١).

(٥) انظر: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٨٣٩/٢).

(٦) الأمير أوزون: بالتركية بمعنى الطويل، والأورفلي نسبة إلى مدينة (أورفة) التي كانت تسمى (الرها) من أرض (الجزيرة) شمال (حلب)، بين (الموصل) والشام الشمالية، وهي اليوم داخل حدود تركيا. انظر: تعليقات محب الدين الخطيب على كتاب «مختصر مطالع السعود» (ص٢٠٦) لأمين الحلواني.

(٧) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٦). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٢ - ٧٣).

وانضَمَّ إلى جيش إبراهيم جماعات من البربر المغاربة والبدو المغاربة بلغ عددهم ٤٠٠ من فرقة الفرسان و١٣٠٠ من فرقة المشاة الذين كانوا يمتازون بالخبرة في استعمال السلاح[(١)]، واشتهروا بكثرة الإفساد والاعتداء على الناس وهم ما يزالون في مصر، وفيهم من طبائع الأوباش يوم كانوا يتجمّعون في القاهرة قبل سفرهم لحرب أهل نجد، ولمَّا وصلوا نجداً اشتهروا بالسرقة[(٢)].

كما شارك في الحملة أجناس من بدو ليبيا[(٣)]، مثل: عرب الجوازي وأولاد علي[(٤)] والبراعصة[(٥)]، وأغلبهم خيّالة[(٦)] محترفون في حرب الصحراء، وكانت قوتهم تتكون من حوالي ألفين من المشاة، وحوالي ألف وخمسمئة من الخيَّالة، وجميعهم من نوعيةٍ مختارة،

---

(١) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١١٢ ـ ١١٤) (١٢٥ ـ ١٢٦) (١٣١).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٦٤/٤) (٣٣٩) (٣٥٣ ـ ٣٥٤) (٣٨٧) (٤٧٣).

(٣) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٢). ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦١٩/٣).

(٤) أولاد علي: من قبائل العرب في مصر، يقطنون (مديرية الشرقية)، و(مديرية البحيرة)، وهم من ذريَّة عقار. انظر: أ. ب. كلوت «لمحة عن مصر» (٤٢٥). وعبدالسلام الفرجاني «قبائل العرب في مصر» (٨ ـ ١٠)

(٥) البراعصة: من قبائل العرب في (برقة) بليبيا، ومنهم من رحل إلى مصر واستوطن (الفيُّوم) و(الصحراء الغربية) لمصر، وهم من ذرية عقار فرع الحرابي. انظر: الطاهر الزاوي «معجم البلدان الليبية» (٤٥). وعبدالسلام الفرجاني «قبائل العرب في مصر» (٩ ـ ١٠)

(٦) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٧ ـ ٢٠٨).

اختارهم الباشا بنفسه من بين أكثر البوادي وَلَعاً بالحرب[١].

وفي الحملة أيضاً أعدادٌ غفيرة من عرب الهوارة من بدو مصر[٢]، يقول أمين الحلواني: «جاء إبراهيم باشا ومعه عسكر من الأكراد والأرناؤوط وعرب مصر الهوارة ما يدكّ به الجبال»[٣].

وشارك في الحملة أيضاً عساكر كثيفة من العراق[٤] والشام[٥].

إلى جانب ذلك اصطحب إبراهيم باشا في حملته على نجد أرباب الصنائع والحرف[٦] من الحدّادين والنجّارين والطبّاخين[٧]، كما جمع ألفين من الفلاحين جاء بهم من أسيوط[٨]، ووظّفهم للعمل على خدمة جيشه ومنزله[٩]، وكان يتبع مؤخّرة جيش الحملة أيضاً بضعة

---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٩٩). والسير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٩٧).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٠)، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٣٠هـ/ ٢٧ أغسطس ١٨١٥م (٢/٢٣٦).

(٣) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥).

(٤) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٢).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٤).

(٦) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٢١).

(٧) انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٩١).

(٨) أسيوط: مدينة في الصعيد الأوسط بمصر، غربي النيل. وهي اليوم مديرية/ محافظة. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢/٢٥٨). ومحمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» (القسم الثاني) (٤/٧ ـ ٩).

(٩) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٤).

آلاف من الخدم(١).

ـ الأوروبيون المشاركون في حملة إبراهيم باشا.

أمر محمد علي باشا ببعثة طبية ترافق حملة ابنه إبراهيم باشا، فكانت مكوَّنةً من رئيسها **الطبيب الإيطالي أنطونيو سكوتو** Antonio Scoto وهو الطبيب الخاص لأسرة الباشا محمد علي(٢).

وكان من أفراد البعثة الطبية أيضاً **الجراحان أندريا جنتلي** Andrea Gentili وتوديسكيني Todeschini، والصيدلي سوشيو Socio، وقد عهِدَ إلى هذه البعثة الطبية مهمَّة مداوة مرضى الحملة وإسعاف جرحاها(٣).

كما اندمج في سلك جيش إبراهيم باشا كثيرون من الإفرنج (٤)، وقد شهدت الوثائق الفرنسية بأنَّ مَهَرَة المهندسين الفرنسيين هم من أعانوا إبراهيم باشا على تنفيذ خُططه الحربية في حربه على أهل نجد(٥).

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٥١).

(٢) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠١).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٨ ـ ١٢٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١١).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٠).

(٥) Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique.

كما رافقه بعض من الضباط الفرنسيين[١]، **ومنهم السيِّد فيسيير** Vaissiere وهو ضابطٌ فرنسي كان يشغل وظيفة ملازم ركاب إبراهيم باشا[٢]، **وكان بمثابة أركان حرب للباشا**[٣]، **ثمَّ اتخذه إبراهيم باشا مستشاراً عسكرياً**، ولكنَّ إبراهيم لم يهتم بنصائحه في بداية الأمر، فخسر إبراهيم أمام بلدة الرسّ خسائر فادحة، ولكنَّ ثقته تزايدت بمستشاره الفرنسي بعد أن خطَّط له وسيلة الاستيلاء على عنيزة، ثم تخطيطه لمعاركه في شقراء وضرما والدرعية[٤].

* حملة إبراهيم باشا تتحرك من مصر.

في **١٠** شوَّال **١٢٣١**هـ/**٣** سبتمبر **١٨١٦**م أعطى محمد علي باشا الإشارة من مصر لتلك العساكر الكثيفة لتنطلق إلى نجد مع ابنه إبراهيم باشا[٥].

يقول مؤرّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي (ت: ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م) عن مسير هذا الجيش الضخم، ما نصّه: «**فاجتمعوا صفوفاً وصنوفاً واستعدوا مِئِيناً وألوفاً، وكمُلَت ذخائرهم وانتظمت**

---

(١) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٩٢). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١١).

(٣) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٣٤٠).

(٤) كما سيأتي تبيانه في هذا الفصل.

(٥) نظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٩٩). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٣).

شعائرهم، وانضافت إليه أجناد العربان[(١)] وأقبلت لطاعته المشاة والركبان، وهيَّأ الذخائر والمَيِرَة[(٢)] وحمل منها الحمول الزائدة الكثيرة، وسار بجيشه كالبحر العجاج»[(٣)].

وكان محمد علي باشا قد أصدر أوامره للفقهاء في الأزهر بقراءة صحيح البخاري بقصد حصول النصر[(٤)] لابنه إبراهيم في حربه مع السعوديين[(٥)].

* إبراهيم باشا يصل إلى ميناء ينبع ثمَّ إلى المدينة، ويحتلُّ الصويدرة.

انطلقت السفن الراسية من القصير في غرَّة ذي القعدة ١٢٣١هـ/٢٣ سبتمبر ١٨١٦م[(٦)]، وبعد ستَّة أيَّام وصل أسطولها إلى

---

(١) يقصد عربان مصر وعربان ليبيا والمغاربة.

(٢) المِيرَة: الطعام يُجمَع للسفر ونحوه. كذا: الطعام يمتاره الإنسان. أيضاً: جلب الطعام للبيع؛ وهم يمتارون لأنفسهم ويميرون غيرهم مَيْراً. انظر: جمال الدين ابن منظور «لسان العرب» مادَّة (مير).

(٣) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٥٧) باختصار.

(٤) شاعت تلك البدعة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، وكانوا يستدفعون بها ما يدهمهم من الأوبئة واعتداءات الأعداء على ديارهم، وبالرغم من عدم نفعها لهم فإنَّهم يصرّون عليها ويتمسَّكون بها. ومن ذلك استدفاع أهل مصر الأوبئة ذاك الوقت بقراءة البخاري، انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٤٦/٢) (٧/٣).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٣٧/٤). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٨).

(٦) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٢).

ميناء ينبع[(١)].

نزل إبراهيم باشا مع كبار ضبَّاطه منزل حاكم ينبع وطلب من القرى المجاورة والقبائل أن يقدّموا له وسائل النقل اللازمة للجيش[(٢)]، **ولمَّا رفض أبناء قبيلة جهينة[(٣)] وبنو عوف[(٤)] وغيرهم أن يمدّوه بما أراد، أرسل الباشا إليهم قوةً عسكرية تصادر منهم ألف ناقة وألفين من رؤوس الغنم والماعز، وذلك بعد أن قتل من جهينة مئة وخمسون رجلاً[(٥)].**

وبعد عشرة أيام من إقامته في ينبع، توجّه إبراهيم باشا إلى المدينة النبوية[(٦)]، وحين وصل إليها استقبله عساكر حاميتها بطلقات البنادق[(٧)]، ثمَّ توجَّه مباشرة إلى قبر النبي ﷺ وتوسَّل به ودعاه من

---

(١) انظر: سليم جبرائيل الخوري «آثار الأدهار/ القسم التاريخي» (٧١).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٥).

(٣) قبيلة جهينة: واحدهم جُهَنيٌّ. تنقسم القبيلة إلى جذمين كبيرين: بني مالك وبني موسى، وكلا الجذمين يندرج تحته أفخاذ كثيرة عديدة. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١١٧ ـ ١٢٢).

(٤) بنو عوف: المقصود هنا بنو عوف الذين يسكنون (وادي القاحة) و(جبل عوف) و(ورِقان) إلى (العقيق) شرقاً، إلى (الحناكية) و(النُّخَيْل)، وفي نجد (الصمعورية). وهم من مسروح من حرب، والنسبة لهم عوفي. منهم: الصواعد والنواصفة. ومن الصواعد: البطنة وعلّاق. ومن النواصفة: اللهبة واللقامين والسِّهْلِية. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٧٨).

(٥) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٥ ـ ١٢٦).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٥). وعبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (١٣).

(٧) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٦).

دون الله، حيث قال في دعائه: «**أيَّها النبي المطهَّر، أنا إبراهيم بن محمد علي الذي خلَّص المدينتين المقدَّستين، جئت إلى قبرك الشريف أبتغي عونك في الحرب التي سأخوضها**»[١].

ثمَّ نقل إبراهيم معسكره من المدينة النبوية إلى قرية الصويدرة[٢] واتخذها مستودعاً مؤقَّتاً للمؤن والذخائر، ثمَّ طلب الجمال والمؤن من شيوخ القبائل المحيطة بالصويدرة، إلَّا أن تلك القبائل ولّت ظهرها لإبراهيم باشا ولم تقدّم أيَّة معونةٍ لجيشه[٣]، **لأنَّ تلك القبائل وإن كانت أرضهم محتلَّة من قِبَلِ الترك فإنهم لا يزالون على عهدهم لدولة آل سعود، بل إنَّ تلك القبائل أصبحت تعترض طرق إمدادات جيش إبراهيم باشا، وأضحت تتناوش القوافل التي تقصد الباشا بالتموين من ينبع والمدينة النبوية**، عندها وَجَدَ إبراهيم باشا نفسه مضطرّاً لضرب تلك القبائل حتى لا يسري فعلهم للقبائل الأخرى فتقتدي بهم، فجرَّدَ عليهم إبراهيم ألفي رجل من المشاة والفرسان لمعاقبتهم[٤].

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٥).

(٢) الصويدرة: تصغير الصادر ضدّ الوارد. وهي بلدة عامرة على (وادي نِجار)، وهي على الطريق من المدينة إلى القصيم على ٥٣ كلم من (المدينة النبوية)، وسكّانها قبيلة حرب، وهي اليوم إمارة تابعة لـ (المدينة النبوية). انظر عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٠١١).

(٣) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٢).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٨ ـ ١٢٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٢٨). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٢).

وكانت تلك القبائل قد استعدَّت للدفاع عن نفسها؛ فعلى مسيرة يومين من معسكر إبراهيم باشا ظهر أبناء تلك القبائل وقد طَلَوا أجسامهم وعيونهم بزيت مُزِجَ بمسحوق أسود، ووضعوا على جِباهِهِم **طاساً حديدية**[١]، **وشدّوا رؤوسهم بسيورٍ من الجِلد، وحملوا في نطاقهم ذخيرة الخرطوش**[٢] **والجنبية**[٣] **والسيف الذي يلازمهم، وكان في مقدمة محاربي القبائل فرسان يلبسون الدروع، ويتبع هؤلاء الفرسان أو الخيالة (الركوب)** أي: العساكر الهجّانة، وكانوا يحدون إبلهم[٤] حثّاً لها على السير، وكانت هذه الدواب كلّما سمعت صوت الحِداء ازدادت نشاطاً وهِمَّةً وتحفَّزَت تحفّزاً قويّاً للسير إلى الأمام، أمّا في المؤخّرة فكان يتألف منها المتراس؛ وهم المشاة المسلّحين

---

(١) الطاس: أو الطاسة، جمعه: طيس وطياس. يقصد بها الطاسة الحربية التي يلبسها المحارب فوق رأسه لتحميه من أثر وقع السيف والرماح. والاسم مأخوذٌ من اسم «الطاسة»: الإناء المقعَّر الذي يُشرَب به لتشابههما في شكلهما، واللفظ فارسي محرَّف عن الأصل: طاس، دخل على العربية، امّا اسمها العربي الفصيح فإنّه «خوذة» والجمع خِوَذ. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (١٤٩ ـ ١٥٠). ومصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٣٠٢).

(٢) الخرطوش: لفظٌ تركي، ويعني: حشو السلاح الناري. انظر: إبراهيم مصطفى «المعجم الوسيط» (٢٢٨).

(٣) الجنبية: هي ذاتها «الخنجر»، وهي في لهجتنا الدارجة «جنبية»، والجمع «جنابي». سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٦٩) (٢٣٩). وعبدالرحمٰن المانع «معجم الكلمات الشعبية في نجد» (٢٥١).

(٤) من الحدو والحداء، وهو سوق الإبل والغناء لها. انظر: جمال الدين أحمد بن منظور «لسان العرب» مادَّة (حدو).

بالطبنجات[١] الكبيرة والدرق[٢] بأيديهم[٣].

وما إن رأى رجال القبائل جيش إبراهيم باشا مقبلاً عليهم حتى ارتفع حِداءهم، وكان المشاة من جنود القبائل يتلظّون شوقاً للقتال في المقدِّمة فاندفعوا إليها.

وبعد أن أخذوا المواقع الملائمة لهم بين صفوف الفرسان بدؤوا يثبّتون سلاحهم على الأحجار البارزة لإصابة مرماهم بإجادة.

ثُمَّ انسلخت من رجالات القبائل فصيلة للتنقّل يسمّونها فصيلة الغزو، فراحت تناوش عساكر إبراهيم باشا.

فاشتدّ القتال بشكلٍ عنيف، واشتبكت جنود الفريقين على اختلافها، وحمي وطيس الحرب زمناً، ولكنَّ النتيجة كانت تفوّق عساكر إبراهيم باشا على رجالات قبائل الصويدرة ومحيطها، ونجم عن ذلك أن فرَّت جنود القبائل من رَشَاش رصاصات عساكر إبراهيم باشا ومقذوفات مدافعه.

---

(١) طبنجات: مفردها طبنجة. لفظٌ فارسي أصله «تبنجة»، وهو سلاح ناري. أُطلِقَ في العصر العثماني على نوع من البنادق القصيرة تمييزاً لها عن البندقية الطويلة التي كانت تُعرف باسم «تفنك». وَرَدَ اسم الطبنجة كذلك في بعض المصادر بلفظ «غدارة». انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٣٠٤).

(٢) الدَّرَقُ: ضربٌ من التِّرَسَة، والواحدة دَرَقَة، سُمِّيَت بذلك لأنَّ المحارب يتدرَّق بها، أي يحتمي بها من ضرب السيوف وطعن الرماح. انظر: جمال الدين أحمد بن منظور «لسان العرب» مادَّة (درق). وسعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٥١) (٩٩).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٢٨ ـ ٥٢٩).

وفي المقابل كانت عساكر الترك تطارد رجالات القبائل، وظلّت تطاردهم نصف ساعة، حتى بلغوا بيوتهم ودورهم، **عندها انهمك الترك لنهب البيوت والدور وأعملوا فيها التخريب وجدّوا في تدميرها أيّاماً، ومن بعدها عاد الترك وهم يقودون قطعان أغنام تلك القبائل، تاركين وراءهم بيوتاً مهدّمة ودوراً مُدَمَّرة**(١).

* مذابح العثمانيين في الحناكية.

من بعد انتصار إبراهيم باشا في الصويدرة سار أربعمئة فارس من عساكره إلى الحناكية(٢)، وبعد وصولهم إليها في محرم ١٢٣٢هـ/ديسمبر ١٨١٦م شرع إبراهيم بإنشاء الاستحكامات والقلاع فيها(٣)، وقد نصب مدافع صغيرة في كلّ أبراج قلعة الحناكية الصغيرة(٤)، فلمّا تمَّ لإبراهيم تحصين البلدة لَبِثَ ينتظر الإمدادات التي أخذ والده يبعث بها تباعاً؛ من المدفعية والعساكر التي ستحلّ محلّ الفصائل التي يقتضي التدبير العسكري تركها على حراسة النقط الخلفية احتفاظاً بخطّ الاتصال(٥).

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣٠ ـ ٥٣١). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣١ ـ ٥٣٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٦). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٢).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٩).

(٤) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٩).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣٢ ـ ٥٣٣).

لقد اتخذ إبراهيم باشا من الحناكية مركزاً يراقب منه بدو نجد وأهالي قراها القريبة[١]، ومن هناك في الثامن من محرّم ١٢٣٢هـ/٢ ديسمبر ١٨١٦م استصحب إبراهيم أغاوات دائرته والفرسان المغاربة، وغيرهم من الفرسان بلغ عددهم أربعمئة وخمسين نفراً، وأخذ يُغير من الحناكية على بوادي نجد دون أن تعلم تلك البوادي بمجيئه وسبب هجومه عليها[٢]، **فأغار على الرحَلَة من حَرب[٣] عند أبانان[٤] فأخذهم وقتل منهم في مكان يقال له جبلة[٥] في عالية نجد[٦]**.

وفي الوثائق أنَّ إبراهيم باشا أرسل أربعين من فرقة الكشافة ـ كشافة دليلان ـ في جيشه **ليتجسَّسوا على جموعٍ من قبيلة مطير**

---

(١) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٩).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٨١٥م (٢/٢٩٢).

(٣) الرَّحَلَة: والنسبة إليهم رحيليّ. وهم من المطالحة من ميمون من بني سالم من حرب. وهم بين (الروحاء) و(المدينة النبوية) على الطريق. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٢٦٧).

(٤) أبانان: وأهل نجد يسمّونه (أبانات)، وهو موضع في (عالية نجد) قريب من (جبل الستار) قريب من (الحناكية). انظر: عبدالله بن خميس «المجاز بين اليمامة والحجاز» (١٥٣).

(٥) جَبَلة: هضبة حمراء كبيرة، تتربَّع على ضفَّة (وادي الرشاء) الشمالية، المعروف قديماً باسم (التسرير)، وهي تابعة لإمارة (الدوادمي)، وهي في أراضي قبيلة الروقة من عتيبة. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (١/٢٨٠ ـ ٢٨٣).

(٦) الوثيقة السابقة (٢/٢٩٢). وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٤ ـ ٣٨٥).

وعربان من قبيلة حرب قرب جبلة، وأنَّ الفرسان الترك فوجئوا بمباغتة فرسان قبيلتي مطير وحرب، فدوّى صوت البنادق وملأ الجوّ، وبلغ صوت أزيز البنادق معسكر إبراهيم باشا فتعجَّل النفير تجاه مطير وحرب، فأعمل الباشا فيهم القتل والذبح، فكان الذي قُتِل من مطير وحرب قرابة الثلاثمئة رجل، ثمَّ سرق جمالهم وعددها سبعمئة جمل، وسرق أيضاً أغنامهم وعددها خمسة آلاف رأس، ونهب كل ما كان مع جموع مطير وحرب من الخيام والمتاع(١).

ثمَّ سيَّر الباشا جنوده للغارة على قبيلة المُحَلَف(٢) قرب جَبَلة أيضاً، ولكن رجالات قبيلة المُحَلَف استطاعوا التخلّص من جيوش الباشا ومدافعه وقنابره، وحاول الباشا أن يتعقَّبهم منذ الفجر حتى الساعة السادسة والنصف ولم يدركهم، فعاد بجنوده إلى الحناكية(٣).

بعدها توجَّه إبراهيم باشا ليغير على قبيلة عتيبة، ولكن رجالات عتيبة استطاعوا الانسحاب من جيش الترك ورحلوا بمواشيهم كلّها، ولم يستطع إبراهيم باشا أن يغنم من عتيبة شيئاً، ثمَّ إنَّه اغتاظ من عتيبة غيظاً شديداً لما أرسل خلفهم عساكره الترك لتلاحق المنسحبين منهم، وكانت عتيبة ـ في طريق انسحابها التكتيكي من وجه إبراهيم ـ تردم كل آبار الماء خلفها، فأصاب عساكر الترك التي تطاردهم العطش الشديد والإنهاك الكبير، فازداد حقد إبراهيم باشا على عتيبة،

---

(١) الوثيقة السابقة (٢/٢٩٢ ـ ٢٩٣).

(٢) المُحَلَف: من الجلاس، من ضنا مسلّم من عَنَزَة. ومنهم: الأشاجعة والعبادلة والسوالمة والبدور. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٧١٨).

(٣) الوثيقة السابقة (٢/٢٩٣).

واستطاع أن يدرك جماعة من المتخلفين من عتيبة الذين لم يدركوا إخوانهم الذين انسحبوا قبلهم، فانتقم منهم إبراهيم انتقاماً بشعاً؛ حيث نحرهم نحراً بِقَطع رؤوسهم جميعاً، وقد قطع إبراهيم بسيفه الخاص سبعة عشر رأساً من رؤوس رجالات عتيبة انتقاماً لما فعلوه بعساكره[(١)].

ولم يكن نصيب عرب **جبل شمَّر** أقلّ من نصيب القبائل الأخرى، فمنذ وصل إبراهيم باشا للحناكية وهو يعدّ لأهل جبل شمر الحرب والكيد لقتلهم، فقد أرسل لهم جيشاً مؤلّفاً من ستمئة من الخيَّالة الأتراك وألف من الخيَّالة البدو وخمسة آلاف من البدو الذين التحقوا به[(٢)]، **فكانت المذبحة بأهل جبل شمَّر مريعة، فقد قُتِلَ مئتان وجُرِح ثلاثمئة من رجال جبل شمَّر مقابل خمسة من الأتراك وعشرة جرحى منهم فقط[(٣)].**

* الإمام عبدالله يسير لملاقاة عساكر إبراهيم باشا عند ماويَّة.

بعد تلك الحوادث والاعتداءات واقتراب عساكر إبراهيم من القصيم، أمَرَ الإمام عبدالله بن سعود على بعض النواحي من أهل الوشم وسدير أن يتجهَّزوا بشوكتهم إلى القصيم، فساروا إليها، ثمَّ أمر على شوكة أهل القصيم أن تجتمع بهم، فاجتمع أهل تلك النواحي يقودهم حجيلان بن حمد أمير القصيم، ونزلوا

---

(١) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٦).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢/٢٩٣).

(٣) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٧).

بالغميس[(١)]، فأقاموا فيه نحو أربعة أشهر[(٢)].

ثمَّ تجهَّز الإمام عبدالله بنفسه غازياً من الدرعية واستنفر جميع قوَّاته السعودية من الحاضرة والبادية، وكان خروجه من الدرعية بتاريخ **٢٠** جمادى الأولى **١٢٣٢**هـ/**٧** إبريل **١٨١٧**م قاصداً ناحية الحجاز ونزل قرب الرس، واستلحق الشوكة التي مع حجيلان في القصيم، وسار قاصداً وادي الرِّمَة[(٣)] حتى نزل العَلَم؛ الماء المعروف[(٤)]، **وهو يريد الغارة على البوادي الذين تعاونوا مع إبراهيم باشا، فأنذروا عنه ورحلوا إلى الحناكية ونزلوا على الباشا**، فلمَّا علم عبدالله بذلك رجع من العلم وسار إلى نجخ[(٥)] ونزل به وأقام أياماً، فبلغه أنَّ علي أوزُن

---

(١) الغميس: هو ذات الموضع المسمَّى باسم (غميس بريدة)، وهو مجموعة كثبان رملية متداخلة تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة (بريدة)، وتبدأ من الضفَّة الشمالية لـ(وادي الرمة). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٨٢٣/٥).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٥/١). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٣) وادي الرُّمَة: وادٍ معروف في (عالية نجد)، وهو أول حدود نجد، يصبُّ من (الدهناء) وتصبُّ فيه أودية أخرى، وهو أكبر وادٍ في نجد يجيء من الغرب من جهة الحجاز. انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤٢٣/٢ ـ ٤٢٤). وشارل هوبير «رحلة في الجزيرة العربية الوسطى» (٨١ ـ ٨٢). وسعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٥٢٤/٢).

(٤) العَلَمُ: في (عالية نجد)، جبالٌ سودٌ كبيرةٌ متصلٌ بعضها ببعض، يقع غرب (دمخ) قريباً منه، وشمال (النير)، ويحفُّ به من الغرب (نفود الثمامة) ومن الجنوب (نفود الصَّخة). انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٩٨١/٣ ـ ٩٨٣).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٩).

ومعه عسكر من الترك وبوادي كثيرة ساروا إلى ماويَّة[١] في عالية نجد في ٢٨ جمادى الأولى ١٢٣٢هـ/٢٦ أبريل ١٨١٧م[٢].

وكان إبراهيم باشا قد أرسل فيلقاً كاملاً مِن عنده بقيادة علي أوزُن الأورفلي الكردي[٣] يصاحبه خمسمئة من المشاة المغاربة[٤] وألف من المشاة الآخرين وجماعة من البدو ومدفع ميدان واحد[٥] وثمانية قطع من المدفعية من نوع هوتزر وموريتر ومعهم مئة رجل من رجال المدفعية، **اجتمع هؤلاء كلّهم لضرب السعوديين القادمين من نجد، إضافةً إلى رغبة إبراهيم بضرب قبائل ماويَّة التي كانت تقطع خطوط إمداد التموين الواصلة لجيش إبراهيم باشا، لذلك حمل عليهم علي أوزُن الكردي[٦]، بينما ظلَّ إبراهيم باشا في الحناكية ينتظر وصول الإمدادات من أبيه محمد علي باشا[٧].**

---

(١) ماويَّة: قال ابن بشر: الماء المعروف قرب (الحناكية) بينه وبينها يومين. وقال: إنَّه جبل يسمَّى ماويَّة. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٦/١). وراجع: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٢٠١/٤).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٥ ـ ١٣٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٥/١ ـ ٣٨٦). ومطلق بن صالح «شذا الندّ» (ورقة ٥).

(٣) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٦). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٤) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٧).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٦).

(٦) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٧).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٦).

في المقابل تجهَّز الإمام عبدالله من خبرا نجخ يوم الأربعاء ١٣ جمادى الآخرة/٢ أبريل وقصد ماويَّة[١]، فلمَّا بلغها صبح الجمعة ١٥ جمادى الآخرة/٤ أبريل؛ فاض عليهم في ماويَّة بغتةً وهم على مائهم، فحمل جيش عبدالله عليهم حتى قربوا محطَّة العسكر التركي، فقابلهم الترك بمدافعهم، وأمر أوزون الكردي عساكره أن تُمطر السعوديين بوابل من الرصاص لا يتوقف[٢]، فتراجعت جنود عبدالله وتتابعت فيهم الهزيمة[٣] ووقع الرعب في قلوبهم من مدفعية الترك، فتبعهم الترك وقتلوا منهم رجالاً وأخذوا سلاحهم[٤] وخيامهم ومدفعين[٥]، وسقط على الأرض من أهل الركايب عَدَدٌ[٦] من جيش عبدالله، ووقع مئتا سعودي أسيراً لدى الترك، ونجم عن ذلك مقتل ثلاثمئة رجل من جنود عبدالله[٧] وقيل مئتا رجل[٨]، أما الترك فلم تزد خسارتهم على

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٩). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٥).

(٣) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٦). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ/ ١١ يوليو ١٨١٧م (٢/٣١٧ ـ ٣١٨).

(٥) انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٢٩).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٦).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٧ ـ ١٣٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٦).

(٨) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٩). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٦).

١٢٠ قتيلاً و١٦٨ جريحاً، كان ذلك بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة ١٢٣٢هـ/٤ أبريل ١٨١٧م[(١)]، وهذا أول وهنٍ وقع في جنود الإمام عبدالله[(٢)].

وكان من ضمن القتلى السعوديين **العالم والقاضي الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبدالوهاب بن مشرّف** (ت: ١٢٣٢هـ/١٨١٧م)[(٣)] **قاضي مرات**، فقد قُتِلَ في هذه المعركة مدافعاً عن عقيدته وبلده وحُرَمِه، رحمه الله تعالى[(٤)].

* جرائم الأتراك في ماويَّة.

لمَّا علم إبراهيم باشا بهزيمة السعوديين في ماويَّة غادر الحناكية قاصداً ماويَّة[(٥)] يصاحبه ٤٠٠ فارس، وجنود من المشاة يمتطون الهجن، ومعه قافلة مؤلَّفة من ٣٠٠٠ جمل تحمل مؤناً، واتخذ لقافلته طلائع تحرسه من جانبيها، فلمَّا وصل ماويَّة استقبل الجنود الترك

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٦).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٦).

(٣) هو الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبدالوهاب بن عبدالله بن مشرّف المشرفي الوهيبي التميمي. وهو ابن بنت الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (١/٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٤) انظر: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (١/٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٥) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

قائدهم بمظاهر الفرح وحَيّوه بإطلاق الأعيرة النارية من بنادقهم، ثم نزل إبراهيم في خيمة علي أوزُن وكال له المديح على ما حقَّقه من نصر على السعوديين، **ثمَّ جال في المعسكر يتفقَّد عساكره فوقع نظره على الأسرى السعوديين فأمر على الفور بإعدامهم رمياً بالرصاص**[١]، **رغم أنَّهم أسرى مكبَّلين بالسلاسل، ولم يكتف إبراهيم بقتلهم فقط؛ بل أمر أن تُجزّ رؤوسهم ثم تُقطَّع آذانهم**[٢] **وترسل إلى والده في القاهرة**[٣]، **ولم يَستَبْقِ إبراهيم أحداً من الأسرى**[٤].

وهذا شاهد عيان على آثار تلك المذبحة، وهو الكابتن البريطاني جورج سادلير، يقول: «لا تزال هنا [في ماويَّة] هياكل القتلى من الوهابيين منتشرة في الصحراء»[٥].

وقد كانت أخبار مجزرة الترك في السعوديين بماويَّة وصلت إلى القاهرة حيث محمد علي باشا، فَأَمَرَ أن تُضْرَب المدافع إعلاناً بالسرور لتلك الأخبار[٦].

وأرسلت الحكومة العثمانية إلى محمد علي باشا تشكره على

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٨).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ/ ١١ يوليو ١٨١٧م (٣١٨/٢).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٧).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٧). ومنير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٨١/٤).

(٥) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٩).

(٦) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٢٩/٤).

فعل ابنه بالسعوديين في ماويَّة، وتثني على تمثيله بجثثهم[(١)].

ثمَّ أكَّدت حكومة السلطان العثماني على محمد علي باشا أن يتابع السير إلى الدرعية ويسقطها، إذ قالت له حكومة السلطان بالنصّ: «ومن البديهي أنَّكم ستبذلون اللازم نحو حسن إنتاج مصلحة درعية هذه بكسر أنوف نخوة هؤلاء الخوارج، وقطع عروق مفسدتهم بتقديم الذخائر والعساكر والمساعدات اللازمة إلى نجلكم المشار إليه [إبراهيم باشا] بمقتضى الإرادة السَنيَّة»[(٢)].

* الأتراك يتحركون إلى الرسِّ.

تحرَّك إبراهيم باشا في منتصف شعبان **١٢٣٢هـ**/أوائل يوليو **١٨١٧**م من ماويَّة قاصداً الرسّ، تسير معه جموع عساكره الغزيرة بعُدَدِها وعتادها[(٣)]؛ إذ صاحبه في مسيره للرسِّ **٤٠٠٠** من الجنود المشاة، و**١٢٠٠** فارس، **ناهيك عن ألوف من البدو الذين انضمّوا إليه[(٤)].**

لقد كانت تلك العساكر ـ وهي في اتجاهها لضرب الرسّ ـ تسير وهي تحت تأثير الدعاية التي روّجها الأتراك وسوّقها محمد علي باشا وابنه إبراهيم بأنَّ حربها هذه حربٌ ضدّ الخوارج[(٥)].

---

(١) الوثيقة السابقة (٢/٣١٨).

(٢) الوثيقة السابقة (٢/٣١٩) باختصار.

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٧).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٨).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٠٥)، بتاريخ ٢٥ جمادى الثاني ١٢٣٢هـ/ ١٢ مايو ١٨١٧م (٢/٣٠٧).

وكانت الرسائل تتوارد من رجالات حكومة السلطان العثماني تصف الرسّ وقلعتها وأهلها بأوصاف سيّئة(١)؛ ومن ذلك رسالة أرسلها أحد من كان في حكومة السلطان يقول فيها: «حضرة صاحب الدولة والعناية والعطوفة إبراهيم باشا نجل وليّ النعم، حاصَرَ قلعة الرسّ، وأنَّ هذه القلعة ذات متانة زائدة، كما أنَّ عدد الملاعين(٢) الذين فيها كُثُر». ويسمّي هذا التركي اهل الرسّ: بـ «الطائفة المكروهة»(٣) وأنَّهم «رؤساء الخوارج»(٤).

وكانت حكومة الدولة العثمانية تُوَجِّه الجوامع والمساجد عندها في تركيا إلى الدعاء لإبراهيم باشا أن ينصره الله على أهل الرسّ، ووزَّعت الحكومة العثمانية العطايا وفرَّقَت الصدقات على التكايا لتستجلب النصر على الرسّ وأهلِهِ، حتّى أنَّ السلطان العثماني كان يعلن أنَّه يدعو بالنصر لإبراهيم باشا في حربه على أهل الرسّ لأنَّهم في نظره ملاعين ومن الطائفة الخارجية المكروهة(٥).

في أثناء ذلك؛ كان السعوديون قد عيّنوا في طريق حملة إبراهيم

---

(١) إنَّ تلك الأوصاف السيئة تُظهر لك النظرة الحقيقية التي كانت الحكومة العثمانية تنظر بها إلى السعوديين عموماً وإلى أهل الرسّ خصوصاً.

(٢) ستجد الوثائق التركية التي تناولت تلك الحوادث مكتظَّة بتلك الألفاظ القبيحة.

(٣) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢)، بتاريخ ٢٣ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ٣ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٧ ـ ٣٤٨).

(٤) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٥).

(٥) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢)، بتاريخ ٢٣ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ٣ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٧ ـ ٣٤٨).

للرسِّ مراكز الحَرَس والتربُّص[(١)]، فكان على إبراهيم باشا وجيشه الضخم أن يتقدموا نحو الرسّ تقدّماً حذراً؛ خوفاً من هجمات السعوديين التي كانت تبغتهم أثناء مسيرهم هذا، ولأنّه كلَّما أوغل في المسير أصبح الماء الصالح للشربِ نادر الوجود[(٢)].

أضحى الأتراك يرون في الأفق البعيد بلدة الشنانة؛ التي كانت بلدة كثيرة الخيرات تكتنفها الخضرة، ولكنَّ الإمام عبدالله أجرى تكتيكاً عسكرياً يقضي بتخريبها كيلا يستفيد منها الأتراك حال احتلالهم لها، كما أنَّ القادرين على حمل السلاح من أهل الشنانة ذهبوا إلى الرسِّ ليعزّزوا القوات السعودية المتواجدة هناك، **أما شيوخ وعجائز الشنانة ونساؤها وأطفالها فقد رحلوا عنها جميعهم وساقوا ماشيتهم ومتاعهم حتى لا يستفيد منها الترك، وقصدوا بلد شقراء حتى لا يقعوا تحت وطأة احتلال الترك**[(٣)].

* محاولات الاقتحام العثماني لبلد الرَّسّ.

تحرَّكت عساكر إبراهيم باشا وجنوده الكثيفة الهائلة من بلدة الشنانة ونزلوا الرسَّ في **٢٥** شعبان **١٢٣٢هـ/٩** يوليو **١٨١٧م**[(٤)]،

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٥٤٨).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٩).

(٤) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢)، بتاريخ ٢٣ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ٣ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٧). وانظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

فتأهَّب أهل الرسّ لصدّ هجوم الترك على بلدتهم[١] وفاجؤوا الأتراك بمفرزةٍ من الجنود السعوديين تناوشت معهم، فقتلوا اثنين من الترك وجرحوا خمسة منهم[٢].

وفي اليوم التالي ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ/٧ يوليو ١٨١٧م بدأ الأتراك يطوّقون بلدة الرس ويحكمون محاصرتها أيَّما إحكام؛ بحيث لا يدخل ولا يخرج منها أحد[٣]، ثمَّ نَصَب إبراهيم باشا مدافعه فوراً في الأماكن المناسبة[٤]، عندها بدأت مدافع الترك تضرب سور الرسّ وتسقط قذائفها على البيوت ستَّة أيامٍ متواصلة. ثُمَّ أمر إبراهيم باشا بالهجوم - ليلاً - على الرسّ، وكانت إشارة هجوم المشاة المتفق عليها هي طلقة مدفع، وما إن أُطلِقَت حتى تحرّكت قوات المشاة صوب سور الرسّ لتهدمه[٥].

* بسالة أهل الرسّ في صدِّ هجمات العثمانيين.

وفي يوم من أيام حصار الرسِّ، كانت طلقات نار بنادق الترك تتوالى بلا توقف، وطيلة أربع ساعات[٦] لم تهدأ حِدَّة هجوم الترك

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٧).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٩).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

(٤) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٨).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

(٦) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٣).

على البلدة، ولكنَّ أهل الرسّ بَدَت بسالتهم جَلِيَّةً في حماية الأرض والأهل والعيال(١).

كما كانت نساء الرسّ وراء الأسوار يشعلن سعف النخيل المطليّ بالصمغ لإضاءة الميدان لرجالهم الذي يذودون عنهم(٢). كما كُنَّ يُحرّضْنَ رجالاتهم على الثبات والاستماتة في الدفاع عن بلدهم(٣)، ومن ذلك القصيدة التي قالتها ـ عن تلك الحوادث ـ شاعرة الرسّ موضي الدهلاوية ابنة شيخ الرسّ وزوجة الشيخ قرناس (ت: ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م)(٤)، حيث قالت

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٧).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤١).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

(٤) الشيخ قرناس بن عبدالرحمٰن بن قرناس بن حمد بن علي، من آل محفوظ أحد البطون الكبيرة في قبيلة العجمان. وُلِد الشيخ قرناس في (صبيح) إحدى قرى (القصيم) سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، ونشأ في (الرسّ). عيَّنه الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود قاضياً على (المدينة النبوية) سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، حتى خرج منها سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م؛ يوم استولى طوسون على (المدينة النبوية). ثمَّ عُيِّنَ قاضياً على (الخبرا) وبعدها رجع إلى (الرسّ). ويوم سفَّر إبراهيم باشا آل سعود وآل الشيخ إلى مصر بعد سقوط (الدرعية) استتر الشيخ قرناس في غارٍ في (جبل أبان الأسود) يُعرف اليوم باسم (غار قرناس)، فكان يظلّ نهاره في الغار، وفي الليل يأوي إلى قرية (النبهانية) غربي (القصيم)، وظلّ كذلك حتى عادت الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود. توفّي الشيخ قرناس في (الرسِّ) سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م. انظر شيئاً من أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/١٢٣). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٢٣). وإبراهيم بن ضويَّان «تاريخ ابن ضويَّان» (١٦٨). وتجد تفاصيل ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٤١٥ ـ ٤٢٢).

هِيه يا راكبٍ حمرا ظِهيرَة تِزْعَج الكُور نابِية السَّنام
سِر وملفاك للعوجا[١] مِسيرَه دِيرَة الشيخ بَلِّغْه السَّلام
يا هَلْ الرَّسْ يا نِعْمَ الذِّخِيرَة وإنْ لِفَاكُم مِن الباشا كلام
إنْخَوْ الله لا تَنْخُون غِيرَه واعْرِفوا مَا مِنَ المِيتَه سلام
في يِديكم فَرَنْجيٍّ ذِخيره تَقْذِفَه مِثل سيقان النعام[٢].

لقد وقف أهل الرس على أسوار بلدتهم وظلّوا أربع ساعات يصدّون المهاجمين[٣] برماحهم وبنادقهم والمدفعين اللذين كانا عندهم، فصدّوا هجوم الترك في كلّ المواقع، مما اضطرّ عساكر المهاجمين إلى التراجع بعد أن تزايدت أعداد قتلى عساكر إبراهيم باشا واكتظّ معسكره بالجرحى المشرفين على الموت، لقد خسر الأتراك ٨٠٠ رجل ما بين قتيل وجريح في هجومهم هذا، فاتخذ الأتراك قرار توقف الحرب مؤقّتاً[٤].

كان الإمام عبدالله يعسكر بين عنيزة وبريدة عند الغميس كما ذكرنا من قبل، فأرسل أخاه فيصل بن سعود على رأس حملةٍ

(١) العوجا: نخوة أهل (الدرعية). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٨٦/٢). وقد مرَّ بيانها في الفصل الثاني

(٢) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٨٧/٢). ودلال الحربي «نساء شهيرات من نجد» (١٢٧ ـ ١٢٨). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (١٣٥).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٨).

(٤) الوثيقة السابقة (٣٤٨/٢). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤١ ـ ١٤٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

استطلاعية تجوب محيط الرسّ، وتسعى لفكّ الحصار ومساندة أهلها.

أمّا معسكر إبراهيم باشا فقد جاءته إمدادات قدرها تسعمئة رجل بقيادة البنباشي[١] ياور علي[٢]، وبهذا عوَّض الخسارة التي أنزلها به أهل الرسّ المحاصرين، وما إن وصلت قوات الدعم حتى همَّ إبراهيم باشا بهجمةٍ ثانية على البلدة المحاصرة، **فعند طلوع الفجر توجّهت عساكره إلى السور، ولكنّهم اصطدموا ببسالة أهل البلدة الذين كانت صلابة دفاعهم هذه لا تقلّ عن صلابتها في الهجمة العثمانية الأولى،** وأصيب قائد الهجوم البنباشي ياور علي وكثير من فرسانه بجروحٍ بالغة[٣] وتراجعت عساكر الترك، فخسر الباشا قتلى وجرحى بلغ عددهم خمسمئة نفر فيهم عدد كبير من قادة عساكره الكبار والصغار[٤].

وأمام بسالة أهل البلد وصمودهم؛ لم يَبقَ لدى الأتراك وسيلة يعتمدون عليها سوى الهجوم بكلّ ما يملكون من قوة.

---

(١) البنباشي: أصبحت فيما بعد «بكباشي»، وهي لفظ تركي بمعنى: رأس الألف، وهي رتبة عسكرية تعادل رتبة المقدّم. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٨٣ ـ ٨٤).

(٢) ياور علي: من قادة جيش إبراهيم باشا، ومن قبل كان من قادة حملة طوسون باشا التي أرسلها لحرب السعوديين في الحجاز، كان يقود فرق الخيَّالة. انظر: الوثيقة السابقة (٣٤٨/٢). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٥) (١٤٢).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠ ـ ٥٥١).

(٤) الوثيقة السابقة (٣٤٨/٢).

إذاً؛ لقد حاولوا القيام بهجوم ثالث، ولم تكن نتائجه مختلفة في فشله وخيبته عن الهجومين الأوَّلين[(١)].

* شهادة المؤرخين على صمود أهل الرس.

هذا مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي فيلكس مانجان يشهد على بسالة أهل الرسّ قائلاً: «**كان أهالي المدينة [الرسّ] يدافعون عن أنفسهم بشجاعة ويقومون ببعض الغارات، ولمّا لم تكن لديهم الإمكانيات الكافية، فإنَّهم اكتفوا بردّ طلائع المهاجمين والانقضاض على المدافع، كانوا يهاجمون أعداءهم بالبنادق ذوات الفتيلة والرماح. وحينما رأى [الترك] المحاصِرون ما حلّ بهم، فكّروا بزرع ثلاثة متفجّرات، ولكن المحاصَرون أبطلوا مفعولها**»[(٢)].

وهذا مؤرّخ نجد عثمان بن بشر يشهد قائلاً عنهم: «**حاصرهم الترك أشدّ الحصار وتابعوا الحرب عليهم في الليل والنهار، وكلّ يوم يسوق الباشا على سورها صناديد الترك بعدما يجعل السور بالقبوس فوق الأرض مهدوماً، فأنزل الله السكينة على أهل البلد والمرابطة، وقاتلوا قتال من يحمي الأهل والعيال، وصبروا صبراً ليس له مثال، فكلما هَدَمَت القبوس السور بالنهار، بناه أهل الرسّ بالليل، وكلّما حفر الروم[(٣)] للبارود، حَفَرَ أهل الرس تجاهه حتى يبطلوه، وبعض**

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٣). وجورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٣) باختصار.

(٣) يقصد الترك.

الأحيان يثور عليهم وهم لا يعلمون»[١].

وهذا أحد خواص محمد علي باشا وهو المؤرّخ الفرنسي إدوارد جوان الذي يأتي بشهادات شهود العيان المشاركين في جيش إبراهيم باشا فيقول: وقف أهل الرسّ «**على الأسوار وظلّوا أربع ساعات يصدّون المهاجمين برماحهم وبنادقهم، وكان النساء والشيوخ يحرّضون المدافعين من وراء الأسوار على الثبات والاستماتة ويعاونون الجرحى ويضيئون ميدان القتال بسعف النخل الجاف**»[٢]، وذكر أنَّهم أبدوا من ضروب البسالة ما يقضي بالعجب[٣].

ويشهد المؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس قائلاً: «كانت مدينة الرسّ هي أوّل مدينة استعدَّت لحصول مقاومة شديدة ومدافعة عتيدة وقت تقدّم إبراهيم باشا، وكانت على غايةٍ من الحصانة والاستحكام، وأجهد أهاليها أنفسهم في إظهار شجاعتهم وبسالتهم، وكان النساء في وقت المدافعة يساعدون شجعانهم المدافعين»[٤].

وشهد الناظم صاحب الملحمة في قتال الأتراك لأهل نجد الشيخ أحمد بن علي بن دعيج (ت: ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م)[٥] بأنَّ الشيخ

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٧).

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥٥٠).

(٤) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٣).

(٥) هو أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن دعيج، من قبيلة الكثير من بلد (مرات)، وسمَّى نظمه باسم «الدرّ الثمين في عقيدة الموحدين»، وهو تاريخ لحادثة نكبة نجد على يد إبراهيم باشا. انظر: عبدالله البسّام «علماء نجد» (٣/٤٦١). وترجمته كاملة في نفس كتاب البسّام (١/٤٩٧ ـ ٥٠١).

قرناس كان هو أوّل الثابتين والمشجّعين على مطاولة المعتدين حتى أذعن الباشا للصلح، لذلك قال ابن دعيج:

رجال صدق في اللقاء والباس　　أعيانهم وشيخهم قرناس[١].

* إبراهيم يضطرّ لعقد صلح مع أهل الرس.

كان كلّ شيءٍ في حصار الرسّ يفسد الجهود التي يبذلها إبراهيم باشا، إذ ما لبث الجوّ أن أصبح عاصفاً وكانت الرياح العاتية تثير عجاجاتٍ كثيفة من الغبار وتقتلع الخيام وتكاد تسلب القدرة على التنفّس، وكان جرحى الترك يموتون في وسط هذه العاصفة متأثّرين بجراحهم وبالأمراض والأوبئة التي انتشرت بين صفوفهم ففتكت بالكثيرين منهم[٢].

كما أنَّ الإمام عبدالله قد نجح في أحد الأوقات من اختراق حصار الترك للرسّ، وذلك أن الإمام بعث أخاه فيصل بن سعود بقوةٍ استطلاعية نجح خلالها في اختراق الحصار وتسلَّل إلى الرس فعزَّزها بالإمداد والتموين، فكان هذا سبباً في صبرهم على حصار الترك مدَّة أطول[٣].

ويذكر الكابتن سادلير: أنَّ بلدة الرسّ تمكنت من الحصول على التموين اللازم مرتين دون أن يَكتَشِف الترك أمرها[٤].

---

(١) أحمد بن علي بن دعيج «تاريخ ابن دعيج» (٢٠٨).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٣ ـ ١٤٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٢).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٢).

(٤) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

وقد استطاع الأمير فيصل بن سعود أنْ يُعَطِّلَ خطوط الإمداد التي تصل معسكر إبراهيم باشا، والتي كانت تسير قوافلها محمَّلة بالمؤن من مكة وجُدَّة وينبع متوجِّهةً إلى معسكره خارج سور الرسّ.

إلى جانب ذلك ما فتِئت غارات السعوديين تهجم بين وقتٍ وآخر على معسكر إبراهيم باشا وتنهك عساكره، فكانت غارات العربان السعوديين تتسلّط عليه ليلاً ويغنمون منه الكثير، ويقتلون ويقطعون أرجل الخيول والجمال فيصاب معسكر إبراهيم بنكباتٍ جمّة[١].

وكان السعوديون في واحدةٍ من الغارات قد استولوا على ما يقارب مئة من الجمال مع سائقيها وحرسها، على أنَّ إبراهيم باشا تبع المغيرين وطاردهم أربع ساعات، وكان بصحبته ألفاً من رجاله فاستطاع أن يكسرهم وأن يقتل منهم ٣٠٠ سعودي، **ثمَّ أمر بقطع رؤوس الجرحى السعوديين، فجمعها إبراهيم وعساكره وعرضها مرفوعة على النبابيت**[٢] **وثبّتوها أمام أسوار الرسّ على مرأى من أهل البلد المحاصَرين ليخيفوهم بهذا المنظر**[٣] **على أمل خضوعهم وتسليمهم**

(١) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٣).

(٢) لعلَّ النبابيت هنا جمع نَبُّوت؛ وهي البندق الطويلة التي لها إصبع تُفتَح به، ولخانتها صندوق بارز يتَّسع لأربع رصاصات، وهي السلاح المفضَّل في جنوب السعودية وبلدان اليمن. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٢٤٠). ولربما كانت النبابيت: التي مفردها النَّبُّوت في اللهجة المصرية؛ وهي العصا الطويلة المستوية. انظر: إبراهيم مصطفى «المعجم الوجيز» (٨٩٦).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٣).

البلدة، فما كان من أهل الرسّ إلّا أن زادهم هذا المنظر الشنيع نفوراً وحَمَت فيهم رغبة الانتقام من عساكر الترك[(١)].

ويعلّق إدوارد جوان على فعل إبراهيم باشا البشع بجثث السعوديين، فيقول: «**إنَّما أراد بهذا المنظر الشنيع التأثير في نفوس المحصورين بإلقاء الرَوْع فيها، ولكنَّه بثَّ بهذا الفعل نشاطاً جديداً فيها لطلب الانتقام، فاندفع** [أهل الرسّ] **خارج الأسوار واشتبكوا في معركةٍ سالت الدماء فيها غدراناً**»[(٢)].

ومن بعد تلك الحوادث؛ أرسل الإمام عبدالله إلى إبراهيم باشا عارضاً عليه التفاوض في مسألة الرسِّ.

ويشهد مانجان أنَّ الإمام عبدالله كان قادراً على تخليص بلاده من أعدائه بقوَّة السلاح، ولكنَّه أراد اللجوء إلى المفاوضات[(٣)]. ولعلّ مردّ ذلك أنَّ الإمام عبدالله كان يرجو أقرب السبل لإنهاء الحرب بعيداً عن سيل مزيد من دماء شعبه السعودي.

وعليه؛ أرسل الإمام عبدالله اثنين من مستشاريه وهم العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي (ت: ١٢٥٧هـ/١٨٤١م) وصالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[(٤)]

---

(١) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٣).

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٣).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤).

(٤) صالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي، فقيه، قُتِلَ على يد إبراهيم باشا في أحداث (الدرعية) سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢١). وانظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦١ ـ ١٦٦٢).

إلى مقرّ القيادة العامة للجيش التركي وعَرَضَ السلام على إبراهيم باشا شرط أن يرفع الحصار عن الرسّ، ولكنَّ إبراهيم لم يسمع إلى ما يحمله هذان المبعوثان، وكان جوابه أن أنذر أمير الرسّ بوجوب تسليم البلدة، فقال له الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي: «**هذا ضربٌ من الخيلاء، فأنت تهاجم الرسّ منذ زمنٍ طويل، ولن تستطيع الاستيلاء عليها**»[١].

أمَّا أمير الرسّ فقد أرسل جواباً لإبراهيم باشا فيه التحدي وطلب النزال، فقال له أمير الرسّ: «تعال وخذها».

عند كلمة أمير الرسِّ هذه؛ الْتَهَبَت الحرب مجدَّداً واندلعت نيرانها في كل مكانٍ بين الباشا وأهل الرسِّ[٢]، وخسر الأتراك بلا طائل كثيراً من الرجال والذخيرة[٣].

على أنَّ الحصار طال على أهل الرسّ إلى ١٢ ذي الحجَّة ١٢٣٢هـ/٢٣ أكتوبر ١٨١٧م[٤]، فكانت مدَّة حصارهم ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً[٥]، وفي ذلك قال الناظم صاحب الملحمة الشيخ أحمد بن علي بن دعيج:

وشبّ نار الحرب فوق الرسّ   ثلث السنة يضربهم بالقبسِ[٦].

---

(١) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤ ـ ١٤٥).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٤).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٥).

(٤) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٥) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٤).

(٦) أحمد بن دعيج «تاريخ ابن دعيج» (٢٠٨).

وذُكِرَ أنَّ الترك رموا أهل الرسِّ في ليلة واحدة بخمسة آلاف رمية بالمدافع والقنبر والقبس[(١)]، وقيل إنَّ الترك أمطروا الرسّ في ليلةٍ من الليالي بثلاثين ألف طلقة من مدافع جيش إبراهيم باشا[(٢)]، فأهلكوا ما خلف القلعة من النخيل وغيرها[(٣)]. هذا وعبدالله بن سعود وجنوده في عنيزة على الحال، وأرسل أهل الرسّ إليه إمَّا أن يرحل إلى الأتراك ويناجزهم وإمَّا أن يأذن لهم بالمصالحة.

وفي ذات التوقيت أقبلت عساكر وقبوس وأمداد من الترك كثيرة، ونزلوا على إبراهيم باشا ومن معه، فاستعظم أمره وكَثُرَتْ دولته، فوقعت المصالحة بينه وبين أهل الرسّ على دمائهم وأموالهم وسلاحهم وبلادهم، وجميع ما عندهم من المرابطة يخرجون إلى مأمنهم بسلاحهم وبجميع ما معهم، فخرجوا من الرسّ وقصدوا عبدالله في عنيزة[(٤)].

يقول المؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس: «**لمَّا رأى إبراهيم باشا نفسه أنَّه في موقع صعب والتغلّب على [بلدة الرسّ] تعبٌ ونَصَب، انجبر على رفع الحصار بعد أن قضى في الحصار عليها ثلاثة شهور وسبعة عشر يوماً، أرهق نفسه وأتعب نهاره وأمسه ثمَّ جاء على غير طائل**»[(٥)].

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠).

(٢) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٧).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٧ - ٣٨٨). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٥) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٤).

والكابتن البريطاني سادلير يذكر: «أنَّ إبراهيم باشا اضطرَّ في النهاية إلى المفاوضة ووضع شروط الاستسلام، ومع ذلك مُنِعَ جنود الباشا من دخول المدينة [الرسّ]، وكان على الجنود شراء حاجياتهم من أهالي الرسّ بشرط أن تبقى الرسّ محايدة إلى أن يتقرَّر مصير عنيزة»[(١)].

وهذا قريب مِمَّا أَكَّدَهُ مؤرّخو محمد علي باشا الذين ذكروا أنَّ الطرفان اتفقا على رفع الحصار عن الرسّ وعلى أن يذهب إبراهيم باشا مع جيشه حيث شاء، وعلى ألّا يدخل هو أو أحد من جنوده بلدة الرسّ، وأنَّ الأهالي ليسوا مجبرين على أن يقدّموا أيّ شيء لجيش الترك، وألّا يُطلَب منهم مؤنٌ أو غرامات، **وأنَّ بلدة الرسّ لن تقبل أن تقيم حامية تركية إلّا إذا استطاع إبراهيم باشا الاستيلاء على عنيزة**، وإذا لم يتمكن من ذلك فإنَّ المعارك تبدأ من جديد بين الطرفين[(٢)].

أمَّا لماذا اشترط أهل الرسّ عدم قبول حامية تركية إلَّا إذا استطاع إبراهيم أن يسقط عنيزة؛ فإنَّ القنصل الفرنسي في القاهرة يخبرنا: بأنَّ العلَّة في ذلك هو ضخامة قلعة عنيزة، فإنَّ القلعة بُنيَت خلال سبعين سنة، وعنيزة إلى جانب ذلك مدينة منيعة لا يُرام قهرها بسبب مناعة حصنها العظيم، ولذلك قال أهل الرسّ لإبراهيم باشا بأنَّهم سيسمحون بإقامة حامية لجيشه في الرسّ متى ما تمّ له الاستيلاء

---

(١) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٦). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٥). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٣).

على عنيزة، لأنَّهم ظنّوا أن عنيزة ستصمد وتقاوم طويلاً[(١)].

ويخبرنا إبراهيم باشا نفسه عن سبب هذا الشرط الذي اشترطه أهل الرسّ عليه، فيقول عن عنيزة: «البندر المسمَّى عنيزة جسيم في حدِّ ذاته، واتضَّح أنَّ جميع أهالي القصيم لا يخالفون رأي وتدبير هذا البندر، وأنَّ القرى الكائنة في وادي القصيم أيضاً تتبعه في سيره»[(٢)].

* ذكر القتلى من الجانبين في معركة الرس.

بلغ عدد القتلى الأتراك الذين سقطوا أمام أسوار الرسّ ٣٠٠٠ رجل[(٣)]، وقيل ٣٤٠٠ رجل[(٤)]، وقيل إنَّ قتلى الترك كانوا ٦٠٠ قتيل فقط[(٥)]، وأن جرحاهم بلغوا ١٩٠٠ جريح[(٦)].

أمَّا قتلى السعوديين في الرسّ فقد بلغ ١٦٠ رجلاً[(٧)]، وقيل ٧٠

---

(١) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٩١/٤).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م، (٣٤٢/٢ ـ ٣٤٣).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥١). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٣).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٦).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٨/١). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٦) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٦). وسليم جبرائيل الخوري «آثار الأدهار/ القسم التاريخي» (٧١).

فقط[١].

ومِمَّن مات في حصار الرسّ الشيخ عبدالعزيز بن رشيد آل حصنان (١٢٣٢هـ/١٨١٧م)[٢]، فقد كان هو قاضي بلد الرسّ يوم حاصرها إبراهيم باشا في النصف الثاني من شعبان عام ١٢٣٢هـ/يوليو ١٨١٧م حتى شهر الحج من ذلك العام، ولمَّا عجز إبراهيم باشا عن الاستيلاء على الرسّ بالحرب قطع بعض أشجارهم ونخيلهم، وكان فيما قطع وأتلف بستاناً جميلاً للشيخ عبدالعزيز آل حصنان يقال له الرويضة، وتأثَّر الشيخ من هذا الإجرام فأصيب بمرض من هذه الفاجعة؛ فصارت سبب وفاته في العام المذكور[٣].

* احتلال الخبرا.

لمَّا استقرَّ الصلح بين أهل الرسّ والترك، رحل إبراهيم باشا بعساكره ونزل بلد الخبرا، فلما نزلوها دبّ الرعب في قلوب أهلها من مدافع الترك فتفرَّقت البوادي هرباً من ضربها[٤].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٨). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٢) هو الشيخ عبدالله بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد بن حدجان من آل حصنان من فخذ آل محفوظ من قبيلة العجمان. انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣/٣٤٦ ـ ٣٤٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣/٣٤٧ ـ ٣٤٨).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٨). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧).

ويذكر مؤرّخو محمد علي باشا وخواصه: أنَّ الخبرا تعرَّضت لنيران مدافع الترك على مدى ساعتين فاستسلمت، واستراح فيها الجنود الأتراك أحد عشر يوماً[١].

ثمَّ جاء المَدَد لإبراهيم باشا وهو ما يزال في الخبرا؛ إذ وصلته تعزيزات من بعض شيوخ العربان الذين تواطؤوا معه، فأعطوه الجمال اللازمة للنقل[٢]، كما وصلته إمدادات يقودها رشوان آغا[٣] مؤلّفة من ٣٠٠ رجل من الفرسان[٤].

* احتلال عنيزة.

رحل الباشا من الخبرا إلى عنيزة، وكان في عنيزة الإمام عبدالله قد عيَّد فيها عيد النحر، وكان فيها عسكر لابن سعود يقال لهم المرابطية[٥] جاؤوا من عِدَّة بلدان نجدية، أميرهم محمد بن

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٦ ـ ١٤٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٥).

(٢) وعن ذلك الأمر، انظر: صالح بن فوزان الفوزان «إتحاف الأفاضل بشرح رسالة الدلائل» (٥٠ ـ ٥١) (١١٢ ـ ١١٣) (١١٥) (١٣٥) (١٥٥ ـ ١٥٦) (١٨٨).

(٣) رشوان آغا: من قادة الفرسان في جيش إبراهيم باشا. كان له دورٌ في حصار (الدرعية). دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١١٧)، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢هـ/ ١٢ يونيو ١٨١٧م (٢/٢١٥). وانظر عنه: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٧) (١٦٣ ـ ١٦٤) (١٧٨).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٥).

(٥) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٨).

حسن بن مشاري بن سعود[١]، جعل عندهم عبدالله مؤونة في قصر الصفا[٢] لضروريات الحصار المرتقب وقوعه من إبراهيم باشا، فلمَّا رتَّب عبدالله البلد رحل منها إلى بريدة[٣].

أخذت قوات إبراهيم باشا تقترب من قلعة عنيزة الواقعة على مسافة فرسخ من مدينة عنيزة، وهي قلعة منظَّمة ومشيَّدة بشكل قوي[٤]، **وما إِنْ اتَّخذت المدافع مواقعها حتى بدأ الترك يقصفون القلعة بشراسة[٥]، واستمر الترك يضربون عنيزة البلد ضرباً شديداً**

---

(١) محمد بن حسن بن مشاري بن سعود: من أمراء آل سعود المجاهدين البواسل، وصنائعه في المعارك ومقاومة الأتراك تشهد له بذلك. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٨) (٣٩٩ ـ ٤٠٠) (٤١٨). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٢٥).

(٢) قال محمد بن ناصر العبودي: «قصر الصفا، وليس الصفاء، وهي تعني الحجارة الصلدة». وقال أمين الحلواني: «قصرٌ شاهق البناء مُحكَمه، كان مُتَحَصِّناً فيه عسكر ابن سعود، المُعبَّر عنهم بالمرابطية». وقد هدم اهل (عنيزة) هذا القصر في سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م، ثمَّ أعاد بناءه خورشيد باشا في أحداث سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م. انظر: عثمان بشر «عنوان المجد» (٢/٢٧) (١٦٥). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٨). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٤/١٧١٣).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٥). وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٨). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٥).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٦).

(٥) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

متواصلاً مدَّة ستَّة أيام، فاستسلمت[١] لعدم جدوى صدّ المدافع التركية المخيفة.

ولكنَّ المرابطين في قصر الصفا امتنعوا عن التسليم، فجرَّ عليهم إبراهيم باشا القبوس والقنابر ورماهم رمياً هائلاً، وظلّ الرمي مستمراً لا يتوقف يومين وليلتين[٢]، ثمَّ عمل الباشا زُحافات تَقِيه رصاص أهل القصر، وقرَّب منهم القبوس والقنابر حتى ثلم جدار القصر، ووقعت رصاصة من القنبر داخل القصر فأفسدت مستودعات ذخائر السعوديين المحصورين في القصر، فثار مستودع الذخائر والْتَهَبَت نيرانه وتطايَرت شرارته فهدم ما حوله وقتل بعض الرجال المحتصرين، ولم يترك انفجار المستودع بقية من البارود، فلمَّا رأى المرابطة أنَّ عنيزة سقطت وأن سور القصر هُدِمَ عليهم طلبوا المصالحة من الباشا فصالحهم على دمائهم وأموالهم وسلاحهم[٣].

بعدها أمر إبراهيم باشا أن تُقْطَع خمسة آلاف وربَّما ستَّة آلاف نخلة من نخيل عنيزة لينصب مدافعه خلفها، ثمَّ رمَّم قلعة عنيزة وأنشأ سياجاً لمعسكره حصَّنه بإتقان[٤].

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٩/١).

(٢) دار الوثائق القومية، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٣٥٥/٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٩/١). ووإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٥).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٧).

يقول القنصل الفرنسي في القاهرة: **إنَّ سقوط عنيزة كان بتخطيط حربي فرنسي قام به الضابط فيسيير المستشار الفرنسي الحربي لإبراهيم باشا، فهو الذي نظَّمَ وأدار المعركة، فلم يقاوم المقاتلون في عنيزة من وراء حصنهم أكثر من ستَّة أيام ثمَّ استسلموا، فتعاظمت ثقة إبراهيم باشا بمستشاره الفرنسي بعد هذا النصر، فكان رأيه هو المتَّبع عنده**(١).

ولمَّا عَلِمَ عبدالله بسقوط عنيزة رحل من بريدة وقصد شقراء، وبعدها ذهب للدرعية يحصّنها، ثمَّ أذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم(٢).

وبناءً على الاتفاق المبرم سابقاً مع أهالي الرسّ وإبراهيم باشا؛ وُضِعَت حاميةٌ للترك في الرسِّ، إذ كان مقتضى اتفاق أهل الرسّ وإبراهيم أن يرفع الحصار ويتمّ الصلح بينهم، ولا توضع حاميةٌ للترك إلا إذا أخذ عنيزة واحتلَّها، وقد حصل احتلاله لعنيزة الآن، وعليه وُضِعت للتركِ حامية في الرسّ(٣).

وقد أرسلت حكومة الدولة العثمانية إلى محمد علي باشا تخبره بمدى الابتهاج الذي حصل للدولة جرَّاء وصول أخبار سقوط عنيزة في يد نجله إبراهيم باشا، وأنَّ حكومة الدولة وزَّعت ـ ابتهاجاً وفرحاً ـ

---

(١) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٩١/٤).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٩/١).

(٣) انظر: محمد فريد بِك «البهجة التوفيقية» (٧٤).

العطايا والخلع[١].

* احتلال بريدة والمِذْنَب.

بعدما رتَّب إبراهيم باشا تحصيناته في عنيزة، كان يريد الاستراحة قليلاً من عناء الحرب ثمَّ يواصل طريقه للبلدات والمدن النجدية الأخرى التي لا تزال صامدة، **ولكنَّ أحد زعماء العربان ـ وهو مِن الذين تواطؤوا مع إبراهيم باشا ـ استعجله لينطلق من عنيزة ويتوجَّه إلى بريدة ثمَّ شقراء**، فاستحسن الباشا ذلك[٢]، فزحفت عساكره من فورها على بريدة في غرَّة محرّم ١٢٣٣هـ/١١ نوفمبر ١٨١٧م[٣]، وكان أمير بريدة وقتها حجيلان بن حمد[٤].

وحين وصل إبراهيم باشا إلى بريدة بادر مباشرةً إلى تنظيم جيشه وهاجم بريدة بقصفٍ مدفعي عنيف وأمطرها بوابلٍ من القذائف حتى هدم أسوارها واستولى على إحدى قلاعها التي وُصِفَت بأنها قلعةٌ

---

(١) دار الوثائق القومية، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٥).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٨).

(٣) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٦)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٥). وانظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٨).

(٤) دار الوثائق القومية، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٥). وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٠). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٥ ـ ٢٧٦).

منيعة[١]، ثمَّ أمر بقتل كلّ أفراد الحامية السعودية في بريدة وكان عددهم مئتي رجل[٢]، وقيل إنَّه قتل منهم خمسين نفراً[٣]، ثمَّ احتزَّ الباشا جميع رؤوس رجالات الحامية ورماها بعيداً عن أجسادهم، ثمَّ أمر أن تُهدَّم كل الأبراج والمباني العالية في بريدة[٤].

ومن بعد إسقاط القلعة وأبراجها اقترب إبراهيم باشا من بريدة البلد وضرب عليها حصاراً وأخذ يمطرها بالقنابل مُدَّة يومٍ وليلة، فجاءه أمير بريدة حجيلان بن حمد وطلب منه الأمان، فأعطى الباشا الأمان لحجيلان وأهل بريدة[٥].

ثمَّ رحل الباشا من بريدة وأخذ معه بعض رؤساء القصيم ومنهم ولد حجيلان بن حمد؛ أخذه إبراهيم معه رهينةً[٦].

وكان الباشا يأخذ من كلّ بلد إذا أراد أن يرتحل منها من رؤساء أهلها رجلين أو ثلاثة خوفاً من أن يقع عليه فشلٌ أو هزيمة

---

(١) الوثيقة السابقة (٢/٣٥٥).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٦).

(٣) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٦)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٥).

(٤) الوثيقة السابقة (٢/٣٤٥). وانظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٦).

(٥) الوثيقة نفسها (٢/٣٤٦). وانظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٤).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٢).

فيحاربه أهل البلدان[١].

ثمَّ إنَّه نزل **بلدة المذنب** فأطاعه أهلها[٢] بعد أن أرسلوا إلى الباشا وفداً يطلب منه الموافقة على استسلامهم[٣].

* إبراهيم باشا يسير إلى الوشم.

سار إبراهيم باشا في تاريخ ١٨ صفر **١٢٣٣هـ/٢٨** ديسمبر **١٨١٧**م بعساكره ومدافعه وجماله وبغاله والعربان الذين انضمّوا إليه، **وكان أحد زعماء العربان دائم اللقاء به يحرّضه على استمرار المسير إلى الدرعية واحتلال البلدات والمدن التي في طريقها، لأنَّ هذا الزعيم البدوي كان يرجو أن يُسَنِّمَهُ إبراهيم باشا السيادة على الدرعية حال سقوطها بيد الباشا، وكان هذا المنظور المغري يجعل ذاك الزعيم البدوي يتوقَّد حماسة، وقد استمال هذا الزعيم إلى جانب إبراهيم باشا رجالاً انتزعهم بتأثيره فيهم من معسكر السعوديين**[٤].

كان إبراهيم باشا قد كتب إلى والده يطلب منه إرسال دعم له، وركَّزَ إبراهيم أن يكون الدعم محتوياً على الجنود المغاربة تخصيصاً، وبعد أن مرَّ شهران على احتلال الباشا لبريدة وصلته إمدادات من والده، وكانت مؤلَّفة من ثمانمئة رجل ومدفعي حصار وجمال كثيرة ومؤن وذخائر، فأصبح الجيش بعدها قادراً على المسير إلى الوشم

---

(١) انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٥٢٢/٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٠/١).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥١).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٩).

وبعدها يضرب الدرعية[١].

* احتلال أشيقر.

غادر إبراهيم منطقة القصيم تاركاً وراءه بيوتاً مهدَّمة وقرًى مهجورة، وقصدت عساكره بلدة أشيقر في ١٨ صفر **١٢٣٣هـ/٢٨** ديسمبر **١٨١٧م**.

كان جيش إبراهيم باشا الذي سار من القصيم إلى الوشم مؤلَّفاً من أربعة آلاف من الجنود الأتراك والألبان وخمسمئة مغربي يقودهم حسن كاشف[٢]، **وكان في مؤخّرة الجيش بضعة آلاف من الخدم يتبعهم عشرة آلاف دابَّة للنقل، مضاف إليهم جموع من بدو الجزيرة الذين مالوا إلى إبراهيم باشا وكانت مهمَّتهم حراسة قوافل تموين الجيش واستطلاع الطريق التي تسلكها عساكره**[٣].

يقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عن هؤلاء: «**هؤلاء الذين في وقت حملة الأعداء على بلاد التوحيد؛ ذهبوا إلى الأعداء ومالئوهم وزيَّنوا لهم الغزو وسهَّلوا لهم الطرق وبيَّنوها، وأجَّروهم دوابَّهُم لحمل معدَّاتهم وذخائرهم، وجلبوا لهم المؤونة... وأعطوهم أسرار المسلمين ودلّوهم على عوراتهم... وصاروا مع العدوّ بكلّ**

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٥٠).

(٢) حسن كاشف: أحد قادة جيش حملة إبراهيم باشا على أهل نجد، وحسن كاشف هذا رجلٌ خبير بحرب الاستطلاع، وكانت فرسان المغاربة تحت قيادته منذ وصولها إلى (ينبع) حتى بلوغها (الدرعية). انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٣) (١٥١).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٠).

جهة، حتَّى أنَّهم يقاتلون معه»[١].

ويعلّق فيلكس مانجان على فِعْلَةِ أولئك الفئات قائلاً: «**شأنهم في ذلك شأن زعماء القرى الذين يُفَضِّلون رؤية وطنهم مهزوماً**»[٢].

الحاصل؛ بعد مسير أربعة أيام وصل إبراهيم باشا إلى الوشم، ونزل بلد أشيقر والفرعة[٣]، ثمَّ أقام معسكره الممتلئ بالعساكر والسلاح قريباً منها، فأرسل إليه أهل أشيقر والفرعة يطلبون منه الأمان، فأخذ بلداتهم ونزل فيها[٤].

* صمود أهل شقراء.

وصل إلى الباشا إمدادات من العساكر والقبوس وصار في قوةٍ عظيمة[٥]، فسار بها من أشيقر في ٦ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ١٤ يناير ١٨١٨م[٦]، وقيل في ١١ ربيع الأول/ ١٩

---

(١) صالح بن فوزان الفوزان «إتحاف الأفاضل بشرح رسالة الدلائل» (٤٣) (٥٠) (١١٣ ـ ١١٤) (٢٢١ ـ ٢٢٢) (٢٦١ ـ ٢٦٢).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥١).

(٣) الفَرعَة: وهي (فَرعَة الوشم) المجاورة لبلدة (أشيقر) جنوبها. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٤٩).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٠).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٣ ـ ٣٤٤). ومحفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٨)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٩ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥١).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢).

يناير[١] حتى وصل قريباً من شقراء بعساكره المدجَّجة بالسلاح[٢].

سارت تلك العساكر وهي تحت ذات التأثير الدعائي التركي الذي هيمن عليها من قبل في مسيرها للرسّ وما تلاها، **فقد كانوا يعتقدون أنَّ أهل شقراء خوارج طغاة تجب محاربتهم، ويرون أنَّ أهلها خونة**، فهذا إبراهيم باشا قائد عساكر الترك يصف أهل شقراء قائلاً: «**زمرة طغاة الوهابيين، السيِّئي الأفعال من أعوان عبدالله بن سعود**»[٣]، ووصفهم بأنَّهم من «**أشرار الوهابيين**»[٤].

كان إبراهيم يرى من الأهمية القصوى أن يحتلّ شقراء؛ لأنَّها تُعَدُّ من أقوى المواقع في بلاد نجد كلّها[٥]، وهي من القلاع القوية في دولة ابن سعود[٦]، وهي أيضاً موقعٌ حصين تكمن أهميته في أنَّه مفتاح للدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، كما أنها قاعدة إقليم الوشم وخطّ الاتصال بالجهات الغربية التي يمرّ منها الطريق بين الرسّ

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٣٦٨/٢). وانظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٩/١).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٢)، بنفس تاريخ الوثيقة السابقة (٣٦٥/٢ ـ ٣٦٦).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بنفس تاريخ الوثيقة السابقة (٣٦٨/٢).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٥).

(٦) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٤).

والدرعية، ثمَّ إنَّ جبال طويق[١] تحيط بها من جميع الجهات، ولها تجارةٌ رائجة في الماشية والأصواف والسجاجيد مع دمشق وبغداد والبصرة[٢].

المقصود؛ في تلك الأثناء التي سار بها إبراهيم باشا قاصداً ضرب شقراء كان **حمد بن يحيى أمير شقراء وناحية الوشم[٣] أمر على أهل بلد شقراء أن يحفروا خندقاً يحيط ببلدهم، وكانوا قد بدؤوا في حفره وقت حملة طوسون باشا، فلمَّا صارت المصالحة تركوه، ثم لمَّا بلغتهم أخبار مسير إبراهيم باشا وعساكره نحو نجد قاموا بتجديد حفر**

---

(١) طُوَيق: جبل (اليمامة) الأشمّ. يسمّى جبل (اليمامة)، ويسمّى جبل (العارض)، ويسمّى جبل (طويق). يبدأ من رمال (الثويرات) شمال (الزلفي) ويذهب مجنباً حتى يندفن طرفه في (الربع الخالي) جنوباً، أي بما تُقدَّر مسافته بألف كلم، وتسيل منه عشرات الأودية الكبار. وتنفصل من (طويق) سلاسل جبال من الشمال. ويضمّ من سكان المملكة نسبة كبيرة، وفيه وحوله آثار عمران وطلول حضارة ومخلَّفات أمم وصفحات أجيال. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٨ ـ ٢٤) (٢/١١٧).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٥ ـ ١٥٦). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٥).

(٣) حمد بن يحيى بن غيهب: وآل غيهب فخذٌ كبيرٌ من أفخاذ قبيلة بني زيد. والشيخ حمد بن يحيى هذا هو أمير (شقراء) ذاك الوقت، وكان الإمام سعود جعله على الخراج، وجعله الإمام عبدالله أميراً على سائر (الوشم). وكان ابن يحيى ذا رأيٍ سديد، وهو أوَّل من ساعد وسار لمساندة الإمام تركي بن عبدالله، وكان مبعوث الإمام فيصل بن تركي إلى جهات عمان وإمارات ساحل عمان الشمالي ليحفظ ثغورها. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٥) (٣٨٩ ـ ٣٩١) (٣٩٣) (٤٢٣)، (٢/٢٥) (٣٦) (٨٥) (١٠١) (١٢٢) (١٥٨). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» (٦٣٠)

الخندق أشدّ القيام واستعانوا بالنساء والولدان لحمل الماء والطعام حتى جعلوه خندقاً عميقاً واسعاً، وبنوا على شفيره جدارٌ من جهةِ السور، وكانوا قد تحوّطوا لحصار عساكر الترك لهم فأمَّنوا بلدة شقراء بما تحتاجه من الحنطة والطعام الكثير[١].

* بدء القتال بين أهل شقراء والأتراك.

لمَّا صار الباشا عند حدود شقراء خرج على رأس ثمانمئة فارس ليستطلع أنحاء البلدة، واختار المكان المناسب لإقامة معسكره[٢]، فنزل في أسفل البلدة وشمالها، **فخرج إليه أهل شقراء، فساق الباشا عليهم الأتراك من عساكره، فوقع بينهم قتال شديد في وسط النخيل وخارجها، فقُتِلَ من الأتراك قتلى كثيرة وجُرِحَ منهم جرحى عديدة**[٣].

وفي المساء رجع الباشا إلى مقرٍّ قيادته العامة وأمر القادة بأن يكونوا على أهبَّةِ الاستعداد، وبدأ زحف الترك في صباح اليوم التالي، وعند الظهيرة وصل الجيش المؤلَّف من ٤٥٠٠ محارب أمام أسوار شقراء يتبعه ٦٠٠٠ جمل محمَّلة بالمؤن والذخائر[٤].

أخذ الباشا يجول حول محيط شقراء ويقيسها ويعرف موضع

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩١).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢).

منزله ومنزل عسكره ومدافعه[١]؛ **لأنَّه يعلم أنَّ أهل شقراء محاربون وأهل صدق في الحرب مجرَّبون**، فوضع الباشا قبوسه وقنابره ومدافعه فوق المَرْقَب عند الجبل الشمالي[٢].

أقام إبراهيم باشا معسكره جنوب شقراء وشرقها وأمر قنَّاصته خارج السور بإطلاق نيرانهم على من يستبين لهم من أهل البلد داخل السور، ثمَّ نصب إبراهيم باشا مدفعيته على هضبةٍ أخذت تصبّ قذائفها على شقراء صبًّا عنيفاً، ناهيك عن نيران البنادق الذي لم يتوقَّف[٣]، فكانت المدافع ترمي البلد رمياً هائلاً أرهب ما حوله من القرى والبلدات من أهل سدير ومنيخ والمحمل وغيرهم، حتى سمعه من في العَرَمَه[٤] ومُجَزّل[٥] وما حولها، فلمَّا احتصر أهل شقراء داخل

(١) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٤).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩١/١). ولعلَّه يقصد بالجبل الشمالي (جبل كميت)، وهو غير (كميت مراة)، انظر: عبدالله بن خميس في كتابه «المجاز بين اليمامة والحجاز» (ص٥٩).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠).

(٤) العَرَمَه: عارضٌ مستطيل من الشمال إلى الجنوب، بما تقارب مسافته ٣٠٠ كلم طولاً، و٣٠ كلم عرضاً في المتوسط، وينحدر جبلها من الناحية الغربية انحداراً شديداً، ويشكّل صفحات قائمة وأنوفاً بارزة، أمَّا من الناحية الشرقية فيأخذ في الانحدار التدريجي حتى يلامس السهول الشرقية بينه وبين (الدهناء). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٤٥/٢).

(٥) مُجَزّل: جبل مشهور في (اليمامة)، وهو جبل منقاد من الشمال إلى الجنوب شأن تكوين جبال الجزيرة، يقبل مِمَّا يلي (رمل السيَّاريَّات) و(ضويحي الزلفي)=

بلدتهم أَنْزَلَ إبراهيم باشا قبوسه ومدافعه وقنابره من رأس الجبل وقرَّبها من سور شقراء، وحقَّق على أهل البلد الحرب والرمي المتتابع، حتَّى قيل إنَّه رماها في ليلةٍ بثلاثمئة حمل من الرصاص والبارود.

ويذكر شاهد عيان كان في وسط شقراء: أنَّ رصاص القبوس والمدافع والقنابر والبنادق يتضارب بعضها ببعضٍ في الهواء فوق البلد وفي وسطها[(١)].

ثـمَّ إنَّ إبراهيم باشا هَدَمَ ما يليه من سور شقراء[(٢)] وقطع نخيلها[(٣)] إلا قليلا، هذا وأهل البلد ثابتون وفي أكنافها يقاتلون، فقرَّب الباشا القبوس من السور وهَدَمَ ما يليه من الدور والقصور.

فلمَّا همَّ الترك بالحملة على أهل شقراء انثنى عزمهم لأجل الخندق، ولأجل ما أذاقهم أهل البلد من شِدَّة القتال أول نزولهم، فصار الخندق من أسباب ثبات أهلها لأنَّه لا يُرام.

وفي كلّ ليلةٍ كان الباشا ينادي أهل شقراء ويدعوهم للمصالحة وهم يأبون عليه ذلك[(٤)].

= وما صاقبها، ويذهب مُجنِباً حتى ينتهي بجبل (خزَّة) حذاء (بلبول). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٣٢).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩١).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٢/٣٦٨).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٠).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩١ ـ ٣٩٢).

وفي ذلك يقول الناظم لتلك الحوادث الرهيبة، الشيخ أحمد بن علي بن دعيج:

شقرا عليها شبّ نار الحرب	بالقبس ضرباً مثل رجم الشهب
نهارهم يشبه هبّ عاصف	وليلهم بالوصف رعد قاصف
ثلاثة أيام عليهم طالت	وأفزعت قلوبهم وهالت
وفنيت الأسباب والأسوار	لم يبق إلّا خندقٌ دوّار
والتفت الأشراك والشباك	وأيقنوا بالعطب والهلاك
وحوّمت عليهم المنيّة	نجّاهم الله بصدق النيّة[1].

ويذكر مؤرّخو محمد علي باشا - وبعضهم كان مرافقاً للحملة - أنَّ إبراهيم باشا واصل قصفه لشقراء في ليلة ٨ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/١٦ يناير ١٨١٨م فأحدث القصف المتواصل ثغرةً في أسوار البساتين المحيطة بشقراء والتي تغطّيها أشجار النخيل، فحملت قوّات الترك على منازل أهل شقراء الواقعة خارج السور، فاحتدم القتال بين الترك وأهل شقراء، وصدَّ رجالات شقراء هجوم الأتراك، لكنَّ قذائف مدفعية الأتراك وقنابلهم أربكت صفوف المدافعين من اهل البلد وخوَّفتهم تلك الأسلحة الحديثة التي لم يعتادوها من قبل فانسحبوا إلى داخل البلد، فأحكم الأتراك قبضتهم على المنازل والمباني الواقعة خارج سور شقراء[2].

(١) أحمد بن دعيج «تاريخ ابن دعيج» (٢٠٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢ - ١٥٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢ - ٥٦٣).

* الغزاة الترك يقطعون رؤوس وآذان أهل شقراء.

بلغت خسائر الأتراك في هذا الهجوم ٤٢ قتيلاً وأسيرين ومئة جريح، أما خسائر أهل شقراء فكانت ١٦٨ شخصاً[(١)]، وقيل إنَّ عدد من قتل من أهل شقراء يُقَدِّر بعشرين نفساً بين الذكر والأنثى[(٢)].

وبعد مقتلهم على يد الأتراك طلب إبراهيم باشا أن يحضروا له جثث قتلى أهل شقراء، ثم أمر عساكره أن يُقَطِّعوا آذان تلك الجثث ويلقوها أمامه ليراها، ثم طلب إحضار الأسرى من أهل البلد وأمر أن تُقَطَّع رؤوسهم دون تمييز[(٣)].

* شقراء تحت الحصار والقصف المدفعي العنيف.

بعد ذلك الانتصار الأوَّلي لعساكر الترك، بادر الباشا إلى ضرب نطاق حول شقراء[(٤)]، وبدا أنَّ الأمور ستأخذ ذات المنحى الذي أخذته في حصار الترك لبلدة الرس، ولكنَّ توصيات مهندس الحصار الفرنسي فيسيير كانت مجدية بضرب حصار ناجح لا يكلّف خسائر كثيرة للترك، وسيكون في الوقت نفسه حصاراً منهكاً لأهل شقراء، عندها ضرب الترك ـ بناءً على توصيات فيسيير ـ حصاراً محكماً على شقراء.

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٣). وإدوار جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٣).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٣). وإدوار جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٣).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٢)، بتاريخ ١٧ ربيع أوّل ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٣٦٥/٢).

لمَّا انتهت أعمال التحصين بدأت مدفعية الترك تضرب البلدة ضرباً عنيفاً، وفي ذات الوقت كان فرسان المغاربة يشنُّون الغارات على بعض القبائل التي تحاول إنجاد أهل شقراء[١].

* مفاوضات تسليم شقراء.

أحدث قصف الأتراك المستمر خراباً عظيماً ببلدة شقراء، وفي مساء ١١ ربيع الأول **١٢٣٣**هـ/١٩ يناير **١٨١٨**م أرسل سكَّان البلدة وحاميتها رجلاً منهم للتفاوض مع إبراهيم باشا ليطلب منه التوصل إلى صيغة اتفاق للتسليم، وقد توقَّف القتال بناءً على ذلك لمدَّة ساعتين.

ولمَّا لم يتفَّق الجانبان على شيء؛ فإنَّ القتال استُؤْنِفَ بضراوة أكثر من ذي قبل حتى صُبْح يوم ١٣ ربيع الأول **١٢٣٣**هـ/**٢١** يناير **١٨١٨**م، وكان ضرب المدفعية التركية على أهل شقراء شديداً، عندها اضطرَّ أهل البلد إلى طلب التسليم، فأوفدوا أحد قادتهم إلى مقرِّ القيادة العامة للأتراك ليفاوض إبراهيم باشا في أمر الصلح[٢]، واتفق الجانبان على بنود الاستسلام، وعند الظهيرة فَتَحَت البلدة أبوابها، وكان أحد بنود اتفاقية الاستسلام ينصُّ على أنَّ رجال الحامية السعودية وعددهم ١٤٠٠ رجل يُسَلِّمون أسلحتهم في يوم ١٤ ربيع الأول/٢٢ يناير، وعلى أن ينصرفوا في صباح اليوم التالي إلى بلداتهم[٣]، ونصَّت الاتفاقية على أن تُسلَّم المدافع الخمسة التي لدى

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٣).

(٢) الوثيقة السابقة (٢/٣٦٥).

(٣) انظر: جورج سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٠). و«نبذة تاريخية عن نجد» (ص: ٦٥) أملاها: ضاري بن فهيد الرشيد، وكتبها: وديع البستاني.

أهل شقراء وجميع الذخائر والأسلحة ومستلزمات التخييم للجيش التركي، ووجد الجيش التركي في شقراء قمحاً وشعيراً وأرزّاً فاشتراها الباشا ودَفَع ثمنها، وقد كَفَت تلك المؤن لتموين الجيش التركي شهراً كاملاً[(١)].

وقد بلغت خسارة المحصورين من قتلى شقراء في الأيام الستة التي قاوموا فيها قرابة ١٧٠ ومن الجرحى ٢٤٠، منهم ٣٥ امرأة و١٢ طفلاً[(٢)].

* لقاء الشيخ عبدالعزيز الحصيّن بإبراهيم باشا.

لمَّا مَضَت أيَّامٌ قليلة من مصالحة أهل شقراء؛ وَشَى بهم رجل من أهل نجد عند إبراهيم باشا، **كان هذا الرجل مِمَّن ساعد الباشا وسار معه**، فقال له: إنَّه ارتحل من شقراء عدَّة رجال من أعيانهم وعامَّتهم إلى الدرعية، وأنَّهم يريدون أن ينقضوا العهد بعدما ترتحل عنهم ويقطعوا سبلك. فأفزع ذلك الباشا وأهمَّه، **فدخل شقراء مُغْضَباً بعددٍ كثير من عساكره، وجعل العسكر في المسجد فأوقدوا فيه النيران** ـ وذلك وقت الشتاء ـ **ثمَّ دخل الباشا بيت إبراهيم بن سدحان المعروف جنوب المسجد، وأرسل إلى الأمير حمد بن يحيى وهو جريح فجيء به بين رجلين، فتكلَّم الباشا بكلامٍ غليظ، ثمَّ أرسل إلى الشيخ عبدالعزيز الحصيّن الناصري، وكان قدْ كَبُرَ وثَقُلَ، فجيء به**

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٣ ـ ١٥٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٣ ـ ٥٦٤).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٤).

محمولاً فأكرمه الباشا وأعظَمَه، فذكر ما حدث من أهل البلد وأنَّهم فعلوا وفعلوا.

فكلَّمه بعض من حضر: أنَّ ما قال الواشي كذب، وأنَّ فلاناً في بيته وفلاناً قصد البوادي. فأرسل الباشا إلى ورقة الصلح فقرأها وردَّد قراءتها، وقام وقعد وهو يردّد قراءتها، وكان قصده أن يفتك بهم، فقال له الشيخ عبدالعزيز الحصيّن: كل ما تقول صدق، ولكن العفو يا باشا. فقال إبراهيم باشا: عفونا، عفونا إكراماً لمجيئك.

فكفى الله سبحانه شرّه، وخرج من البلد بعساكره، وأمرهم أن يُخلوا بيوتاً للجرحى الذين جرحوا في حرب شقراء ففعلوا، وأدخلهم عندهم، وهدم سور البلد ودفن خندقها، وأقام عليها نحواً من شهر، ثمَّ ارتحل منها، وأخذ عشرة من رؤسائهم، وسار منها إلى **بلد ضرما**، وأتت إليه مكاتبات أهل المحمل وحريملاء وأعطوه الطاعة[(١)].

* الباشا يسير إلى ضرما.

لمَّا علم الإمام عبدالله بمسير الباشا إلى ضرما أمر على رجالات جيشه أن يذهبوا إليها ويدخلوها ليصيروا عوناً لأهلها ضدّ عساكر إبراهيم باشا، فذهب سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[(٢)] ومعه عدَّة رجال من أهل الدرعية وغيرهم.

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٢ ـ ٣٩٣).

(٢) سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود: من أمراء آل سعود الذين كان لهم قدم صدق في مجاهدة المعتدين الأتراك في (ضرما) و(الدرعية). قتله إبراهيم باشا صبراً بعد أن قبض عليه عساكر الترك يوم انسحب بعد سقوط (الطريف) في (الدرعية) ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م وسلَّموه للباشا. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٤) (٣٩٦) (٣٩٨ ـ ٣٩٩) (٤١٨ ـ ٤١٩).

وذهب أيضاً للمرابطة في ضرما متعب بن إبراهيم بن عفيصان (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م) صاحب الخرج[1] وعدَّة رجال معه من أهل الخرج وغيرهم، وذهب أيضاً محمد العميري[2] وعدَّة رجال معه من أهل ثادق والمحمل[3]، كما ذهب من أهل العيينة عِدَّة رجال من آل معمَّر[4].

* مذبحة ضرما.

كان الباشا يريد المسير إلى الدرعية مباشرة من بعد خلاصه من شقراء[5]، ولكن الباشا تلقَّى تأكيدات بأنَّه لو استولى على ضرما لوجد

---

(١) متعب بن إبراهيم بن سليمان بن عفيصان: من قادة الدولة السعودية الأولى. قتله الأتراك في المجزرة التي ارتكبتها عساكرهم في (الدلم) الكائنة في (الخرج) في حملةٍ غادرة قادها آغا الحوطة جوخدار بيك، وهي المجزرة التي ذُبِحَ فيها أغلب رجالات أسرة آل عفيصان. انظر أخبار متعب بن عفيصان عند: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠ ـ ١٨١) (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٤ ـ ٣٩٥) (٤٣٧).

(٢) محمد العميري: آل العميري؛ الأصل أنَّهم من سكَّان (حريملاء)، قاله: عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (١/٣٢١). أمَّا محمد العميري فهو من الذين رابطوا في (ضرما) ثم في (الدرعية) وقت حملة إبراهيم باشا، ثمَّ كان للعميري دور في حوادث جلاجل بعد سقوط الدولة سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٤) (٣٩٦) (٤٠٥) (٢/٣٠).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٣ ـ ٣٩٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/٤١٩).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥)، رقم وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٣ ـ ٣٤٤). ومحفظة (٥)، رقم=

فيها مؤناً وفيرة، **وأكَّدَ له بعض من سار معه مِمَّن تواطأ معه من أهل الأرض بأنَّ ضرما سوف تستسلم له دون قتال**[١].

وعندما وصل إبراهيم باشا إلى الحَيْسِيَّة[٢] كتب إلى أهل ضرما يطلب منهم المؤونة وعلف الخيل، فكان جواب أهل ضرما على طلب الباشا أن أرسلوا إليه بصرَّةٍ فيها بارود وقذائف رصاص، فقال إبراهيم باشا قولته المشهورة: «**أردنا شقراء وأراد الله ضرما**»[٣]، التي ذهبت مثلاً في نجد[٤].

فعطف إبراهيم باشا إلى ضرما ونصب مدافعه عليها[٥]، وجعل

= وحدة الحفظ (٦)، بنفس التاريخ السابق (٣٤٦/٢). ومحفظة (٥)، وحدة الحفظ (١٨)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٩ ديسمبر ١٨١٧م (٣٥١/٢).

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٧). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٤).

(٢) الحَيْسِيَّة: هو ما يُطلق الآن على (وادي الأحيسي)، وهو ما فوق (العيينة) من (وادي حنيفة) من أعلاه. وأحياناً يطلقون (الحيسية) على ما سال من (وادي حنيفة) مشرّقاً ابتداءً من (ثنية الأحيسي) (سبع الملفات) ويطلقون على ما كان مغرّباً من هذه الثنية اسم (الحسّيان). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٦٤/١) (٣٦٣).

(٣) انظر: «نبذة تاريخية عن نجد» (ص: ٦٦) أملاها: ضاري بن فهيد الرشيد، وكتبها: وديع البستاني.

(٤) يقول محمد بن ناصر العبودي في «الأمثال العامية في نجد» (٨٣/١) عن هذا المثل: «أوّل من قاله إبراهيم باشا إبَّان حروب الدرعية؛ حيث كان منتظراً أن يبطش بأهل شقراء لِمَا بلغَهُ عنهم من إخلاصهم لآل سعود، ولكنَّه لم يفعل، وإنَّما بَطَشَ بأهل ضرما، فقال هذا القول الذي أصبح مثلاً».

(٥) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٩٥/٢).

من موضع أم حُيَيْد[١] نقطة الانطلاق في الإغارة على ضرما[٢] التي عاندته ورفضت الخضوع له[٣].

لمَّا وصل جيش الباشا ضرما في ١٤ ربيع الثاني **١٢٣٣هـ/ ٢١** فبراير ١٨١٨م، نزل شرقيّها قرب قصور المزاحميات بينها وبين بلد ضرما[٤]، فَحَطَّتْ عساكر الباشا خيامها وثقلها ثمَّ سارت بالقبوس والمدافع والقنابر ونزلت شمال البلد قرب السور.

عندها؛ ثار الحرب بين الترك وبين أهل ضرما الذين سارعوا بصدِّ هجوم الترك فقتلوا عدداً كبيراً من عساكرهم، ولم يعبؤوا بالباشا الذي طلب منهم المصالحة فأبوا عليه[٥].

من بعد ذلك حَشَدَت عليهم عساكر الترك والمدافع فلم يحصلوا على طائل، ثمَّ حشد الترك عليهم تارةً أخرى فقرَّبوا القبوس من

---

(١) أم حُيَيْد: تصغير حَيْد، وهي صفراء تقع شمالي (ضرما). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٦٣).

(٢) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٦٣).

(٣) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٤). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٦ ـ ١٤٧).

(٤) المزاحميات: وأحياناً يقال لها (المزاحمية). يحدّها غرباً رمل (قنيفذة)، ومن الشرق (بطن قَرْقَرَى)، ومن الشمال (قَوِيْد) وجبال (أم خُشَيْم) و(جبل المُشَمْرَخ) وجبال (ريع لمَّاع). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٦١).

(٥) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٠). وفليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٤). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧).

السور وحاربوا أهل ضرما حرباً عظيماً هائلاً[١]؛ حيث صوَّب إبراهيم باشا ثمانين من مدافعه على البلدة، وأمر رجال المدفعية أن يرموها بمئات القنابل.

يذكر أحد المؤرّخين أنَّه في ظرف نصف ساعة تَلفَت ضرما، حتى أنَّ كثير من أهلها خرجوا إلى جبل طويق وهلك منهم خلق كثير[٢].

وعندنا شهادة من شاهد عيان وقف على ذلك الحدث المهول، **فذكر أنَّه ومن معه عَدُّوا فيما بين المغرب والعشاء ٥٧٠٠ رمية ما بين قبس ومدفع وقنبرة أطلقها إبراهيم باشا على أهل ضرما[٣].**

على أنَّ إبراهيم باشا لَمَّا رأى صبر أهل ضرما وصدق جلادهم ساق الترك عليهم، وثَبَتَ لهم أهل البلد مرةً أخرى، ثمَّ حَمَلَ عليهم الترك حملةً واحدة **فاستمرّ أهل ضرما في الثبات وجالدوا الترك جلاد صدق وقتلوا من عساكر الباشا نحو ستمئة رجل، وهرب من سَلِمَ منهم إلى باشتهم، ثمَّ بنى أهل البلد ما تهدَّم من السور.**

وعندما تيقَّنَ الباشا من ثبات أهل ضرما في تلك الحرب؛ أمر على بعض القبوس وصرفها إلى جنوب البلد، وكان في تلك الجهة متعب بن عفيصان ومن معه من أهل الخرج الذين جاؤوا ليقفوا مع

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٤). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٤).

(٢) انظر: «نبذة تاريخية عن نجد» (ص: ٦٥ ـ ٦٦)، أملاها: ضاري بن فهيد الرشيد، وكتبها: وديع البستاني.

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٥).

إخوانهم في ضرما، وكان الحرب والضرب والرمي تتابع على أهل ضرما من الترك في الموضع الأول، وقتها كان أهل البلد والمرابطة من البلدات النجدية الأخرى قبالتهم عند السور المهدوم في وجه قبوس إبراهيم باشا وقنابره، فلم يفاجئهم إلَّا الصارخ من خلفهم أنَّ الترك خلفكم في أهليكم وأولادكم وأموالكم، فكرّوا لبلدهم راجعين[(١)].

حدث ذلك يوم وجَّه الباشا أوامره لعساكره بأنَّه يجب عليهم أن يقضوا على أهل ضرما قضاءً مبرماً، وأمرهم ألَّا يبقوا على أحدٍ منهم، فما كان من العسكر إلَّا أنْ نفَّذوا أوامر قائدهم في الحال، فوقعت المجزرة الشنيعة[(٢)].

حدث ذلك بعد صلاة الصبح ١٧ ربيع الثاني ١٢٣٣هـ/٢٤ فبراير ١٨١٨م؛ **حيث دخل الترك البلدَ من كلّ جهة وأخذوها عنوة وقتلوا أهلها في الأسواق والسكك والبيوت.**

وقد نهب الترك جميع ما احتوت عليه ضرما من الأموال والأمتاع والسلاح واللباس والمواشي والخيل وغير ذلك.

وكان محمَّد العميري المذكور مع رفاقه من رجالات ثادق والمحمل قد خرجوا من ضرما بعدما قُتِلَ بعضهم[(٣)].

يخبرنا مؤرِّخو محمد علي باشا عن مجزرة الترك التي ارتكبوها

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/٣٩٥).

(٢) انظر: فليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٧ ـ ١٥٨).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٥ ـ ٣٩٦).

في ضرما، حيث قالوا: إنَّ هؤلاء الترك ومن معهم من المرتزقة المتلهِّفين للسرقة والسلب والنهب ما كادوا يهزمون آخر الرجال المدافعين عن ضرما حتى دخلت جحافلهم البلدة في ١٧ ربيع الثاني ١٢٣٣هـ/ ٢٤ فبراير ١٨١٨م، فنفَّذوا إرادة قائدهم بسرعةٍ فائقة، **حيث انقضَّ الأتراك والمرتزقة على أهالي ضرما يطلقون النار عليهم بغزارة، ودخل الترك المنازل وقضوا على أهلها، وأخذ عساكر الترك يرمون أعناق رجالات البلد في الشوارع حتى ارتوت الأرض في المنازل والطرقات بالدماء.**

وقد أنجز الترك مجزرتهم خلال أقلّ من ساعتين، ولم يبق على قيد الحياة إلَّا بضع مئات من النساء والبنات والأطفال.

كانت أولئك النسوة والفتيات والأطفال يرون أمام أعينهم جثث آبائهم وإخوتهم وأزواجهم وأبنائهم يختلط بعضها ببعض، كانت الدماء تجري في الطرقات التي اكتظَّت بجثث القتلى من أهل ضرما، ولم يترك الأتراك والمرتزقة لمن تبقَّى حيّاً من أهل البلد إلَّا أن يتبعوا إلى القبر من كانوا يحبّونهم[١]. ذلك كان العقاب الذي أوقعه إبراهيم باشا بأهل ضرما الذين أرادوا الوقوف في وجهه.

وقد قيل إنَّ عدد القتلى في ضرما نحو ألف وثلاثمئة رجل[٢]، وقيل ألف ومئتي رجل[٣].

---

(١) انظر: فليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٦ ـ ٥٦٧).

(٢) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٦).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨١).

فلمَّا انتقم إبراهيم باشا من أهل ضرما وشفى غليله منهم، سمح لنساء ضرما وأطفالها بالبقاء في وسط تلك الخرائب التي أنزلها ببلدتهم بعد انْ نكَّلَ جنوده بأهلها، وجعل أولئك النسوة يبقون أمام جثث آبائهم وإخوتهم وأولادهم وأشلاء أزواجهم المنحورة المتناثرة، ولم تَكَد هذه المذبحة تنتهي حتَّى هبَّت عاصفة مصحوبة بالأمطار والبَرَد والرعد، لتضفي على المشهد في ضرما مزيداً من البؤس والألم؛ لقد غَمَرَت المياه السهل كله[1] في وقتٍ كانت فيه البيوت مهدَّمة والمنازل مخرَّبة.

يقول المؤرخ ابن بشر: «وكانت تلك الليلة سابع عشر ربيع الثاني ١٢٣٣هـ [٢٤ فبراير ١٨١٨م] التي حصل فيها شدَّة هذا الحرب من إرادة الله سبحانه وقدره، لمَّا أراد أن يُمضي أمره صب السماء عليهم بالمطر ومعه بَرَد شديد يجمد منه في الجوّ القطر»[2].

ويخبرنا الكابتن البريطاني سادليير عن مشهدٍ آخر من مشاهد مجزرة الترك بأهل ضرما، فيقول: «فجأة تغيَّر مزاج الباشا وأمر بقتل الأهالي، وَوُضِعَت جائزة قدرها خمسة جنيهات ألمانية مقابل كلّ زوجٍ من الآذان، وامتلأت أكياس الجنود بالأموال، ولم يكن الباشا على حالٍ أحسن منهم؛ فقد استخدم مسدسه بنفس الأسلوب الذي استخدمه الجنود وكأنَّه جنديّ بخيل»[3].

---

(١) انظر: فليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٨ ـ ١٥٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٦ ـ ٥٦٧).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٥).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٠).

وفي أثناء تلك الحوادث كان سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود ومعه عدَّة رجال من أهل الدرعية وغيرهم من الذين جاؤوا لنجدة أهل ضرما، قد احتصروا في قصرٍ من قصور البلد، فأرسل إليهم إبراهيم باشا وأعطاهم الأمان على دمائهم[1]، فخرجوا وساروا إلى الدرعية ولم يَنَلْهُم مكروه.

وخرج رجال من أهل البلد وغيرهم على وجوههم في البرية، فما بين ناجٍ ومقتول، حتى بقيت البلد خالية من أهلها.

ثمَّ جمع إبراهيم باشا جميع ما في ضرما من النساء والذرية وأرسلهم إلى الدرعية وهم نحو ثلاثة آلاف نفس[2]، على أنه سلب من النساء متاعهنَّ[3].



(١) انظر: المصدر السابق (١٣٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٦).

(٣) انظر: سليم جبرائيل الخوري «آثار الأدهار/ القسم التاريخي» (٧١).

* مسير الباشا إلى الدرعية.

لما نهب إبراهيم باشا بلد ضرما وأخلاها من أهلها ارتحل عنها بعساكره الهائلة وأسلحته الكثيفة قاصداً الدرعية[١]، يريد محاصرتها ثمَّ إسقاطها، وكانت هي هدفه الذي سعى إلى تحقيقه منذ انطلق من مصر **تنفيذاً لأوامر سلطان الدولة العثمانية.**

لقد تحركت تلك الجحافل المهولة من ضرما قاطعةً طريقها عبر الحيسية، ثم دخلت وادي حنيفة من عند بلد العيينة وبلد الجبيلة، ثم تقدَّمَت عبر الوادي حتى نزلت المَلْقَا[٢] في الوادي أعلى الدرعية[٣].

على أنَّ إبراهيم باشا يوم اقترب من حدود الدرعية؛ وجد أنَّ أهل الدرعية قد تأهَّبوا للقائه، كما تفاجأ إبراهيم باشا بأنَّ جموعاً كثيرةً من أهالي نجد قد هرعوا إلى الدرعية ليقفوا مع أهلها. وإليك تبيان ذلك:

* أنصار الدولة السعودية الأولى يهرعون إلى الدرعية.

هرع الأهالي من بلدات نجد إلى الدرعية مسرعين ليقفوا مع أهل الدرعية ويآزروهم في صمودهم ضدّ عساكر إبراهيم باشا[٤].

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٧).

(٢) المَلْقَا: هي ملتقى (وادي حنيفة) من الشمال و(وادي العمارية) من الغرب و(القَرِي) قرى (الملقا) من الشرق. تجتمع هذه الأودية الثلاثة ثم تنحدر مارَّة بقرية (العِلْب) ثمَّ (العَوْدَة) ثمَّ (الدرعية) ثمَّ (عرقه) فـ (الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٨٩).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/٣٩٢) (٣٩٦ ـ ٣٩٧).

فقد هرع عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة، ومعه أهالي منفوحة وعدد كبير من رجالاتهم[(١)] للدخول إلى مدينة الدرعية، راغبين في الوقوف مع إخوانهم في وجه عساكر إبراهيم باشا.

كما جاءت أفزاع بلد الحريق[(٢)] برجالاتهم يقودهم عبدالله الهزاني مسرعين لدخول الدرعية قبل أن يصلها إبراهيم باشا، فكان الهزاني وأهل الحريق في الصفوف الأمامية التي تتلقى الضربات الأولى من عساكر إبراهيم باشا[(٣)]. وكان في الدرعية قاضي الحريق والحوطة الشيخ رشيد السردي النجدي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[(٤)]؛ الذي ترك الحريق والحوطة وأتى للمرابطة في الدرعية[(٥)].

وجاء أيضاً أفزاع أهل الوشم[(٦)] بقيادة محمد بن ابراهيم بن سدحان صاحب شقراء.

---

(١) انظر: المصدر نفسه (٣٩٨/١) (٤٢٠).

(٢) لم تسقط (الحريق) ومحيطها بعد في يد عساكر الترك، وستسقط بعد سقوط الدرعية.

(٣) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩١). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢١٤).

(٤) الشيخ رشيد السردي النجدي: فقيه محدّث من علماء (الدرعية)، جعله الإمام سعود قاضياً على (الحوطة) و(الحريق). قُتِلَ سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م على يد عساكر إبراهيم باشا في حوادث (الدرعية). انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٢/٣). وعبدالله البسّام «علماء نجد» (١٩٠/٢ - ١٩١).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١) (٤٢٠ - ٤٢١).

(٦) انظر: المصدر السابق (٤١٩/١).

ثمَّ جاءت الأفزاع من أهل المحمل بقيادة محمد العميري. وجاء أيضاً أهل الصفرة[١] في المحمل بقيادة شديِّد اللوح.

كما حضر للدرعية أهل سدير بقيادة عبدالله ابن قاضي سدير أحمد بن راشد العريني[٢]؛ الذي ترك مكانه هناك وأتى للمرابطة في الدرعية.

كما كان في الدرعية الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٣] قاضي ناحية الخرج، ترك الخرج وجاء للمرابطة في الدرعية.

ومثله جاء من الرسِّ الشيخ الفقيه صالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٤].

وجاء من بلد عرقة أهلها بعد أن خرجوا من بلدتهم يوم هاجمها

---

(١) الصُفُرَّة: وادٍ من أودية (المحمل) ينحدر من جُمجمة (اللهزوم) مشملاً يميل إلى الشرق، وينتظم قرى (الصفرات) داخل الجبل ثمَّ يسهل فينبسط شمال منهل (الحِسي) وجنوب منخرق (وادي البير) جنوب (الملتهبة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٧٣/٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١) (٤٠٥) (٤٢٠). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٧٣/٢).

(٣) الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني. فقيه فاضل، كان قاضياً في (الخرج)، فتركها ورابط في (الدرعية)، فقتلته عساكر إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦١/٣).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١).

إبراهيم باشا[١] فاستقرّوا في الدرعية[٢] ورابطوا فيها وتجهّزوا لمقاومة عساكر الباشا.

كما كان في الدرعية رجالات من بلد جلاجل وبلد شقراء وعدد من أهلها وأعيانها بعد أن أخذ بلدهم إبراهيم باشا[٣] قبل مسيره للدرعية. وانضمَّ إلى هؤلاء من نزح من ضرما من الرجال الذين نجَّاهم الله من مجزرة إبراهيم باشا، فجاؤوا بنسائهم وأطفالهم للدرعية ورابطوا فيها[٤].

من بعد أولئك توالت جموع أهالي البلدات النجدية الأخرى مسرعةً للوقوف مع أهل الدرعية، فكانت الجموع تهرع للدرعية من ثادق والحوطة وحريملاء والعيينة والأفلاج، وجموع من أهل القصيم وغيرهم عددٌ كبير[٥].

وتزامن مع هرع أولئك النجديين إلى الدرعية أن تَدَفَّقَ على العاصمة أعدادٌ من أهل البحرين والحسا، ثمَّ تدفَّقَت بعض قبائل من ساحل الإمارات الشمالي في إقليم عمان، كما أسرع بعض أهل الجنوب للمرابطة في الدرعية[٦].

---

(١) سيأتي بعد قليل تبيان سقوط (عرقه).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٠/١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣٩٢/١).

(٤) انظر: المصدر نفسه (٣٩٦/١).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢٠/١).

(٦) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٢).

ويذكر مؤرِّخ حكومة الهند البريطانية تشارلز لو Charles Rathbone Low ـ اعتماداً على وثائقه البريطانية التي جمعها ـ أنَّ **خمسة آلاف مقاتل من القواسم جاؤوا لمناصرة أهل الدرعية ضد جيوش إبراهيم باشا في صفر ١٢٣٤هـ/نهاية سنة ١٨١٨م؛ وكان القواسم قد جاؤوا على متن ١٧ سفينة حربية**، لكنَّهم لمَّا وصلوا القطيف؛ بَلَغَهم نبأ اتفاق تسليم الدرعية لعساكر إبراهيم باشا، فعاد القواسم إلى بلادهم[١].

* أمراء آل سعود ومن معهم يبذلون أموالهم ويوزّعون قواتهم في الدرعية.

من قبل أن يتحرك إبراهيم باشا، وحتى وصوله بعساكره للدرعية ومحاصرتها، **كان أفراد آل سعود وعلى رأسهم الإمام عبدالله يبذلون أموالهم في سبيل حماية وطنهم، وكانت أسرة آل سعود تبيع ممتلكاتها في سبيل تدبير مصاريف حرب الدفاع عن الدين والوطن، وقد برهنوا بأفعالهم هذه على الحب الذي يكنّونه لمواطنيهم ومدى تعلّقهم بوطنهم**، وهو الأمر الذي شهد به مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي فيلكس مانجان[٢] والمؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس[٣].

ويوم توجَّه إبراهيم باشا بعساكره لحصار الدرعية وَضَرْبِهَا؛ كان الأمراء من آل سعود قد اتخذوا أماكنهم لصدّ عدوان الباشا وعساكره من الترك والألبان وبقية الأعاجم ومن معهم من المرتزقة، فكان

(١) انظر: Ch. R. Low, History of The Indian Navy, vol.1, p.349-350.

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١١٩).

(٣) انظر: محمود المهندس «البحر الزاخر» (١٤١).

ترتيب آل سعود لأنفسهم ومن معهم على المواقع الحربية كالتالي:

ـ القيادة العامة للجيش السعودي في الدرعية:

كانت القيادة العامة للإمام عبدالله بن سعود، وعَسْكَرَ معه آل الشيخ ومعهم عددٌ من الرؤساء والأعيان والشجعان بين باب سمحان وباب قلعة البلد المسمَّى باب الظهرة[(١)]، وبنوا خيامهم فيه، وعندهم مدافع كبار[(٢)]، وبنوا أيضاً محاجيهم[(٣)] التي كانت تقابلها محاجي الترك، ولازم الإمام وآل الشيخ ومن معهم محاجيهم بالليل والنهار[(٤)].

ـ قوات أمراء آل سعود ومن معهم في بطن الوادي من شماله:

من الواضح أنَّ العدد الأكبر من القوات السعودية تركَّزَ في نقاط الدفاع الشمالية والشمالية الغربية، نتيجةً لتوقُّعِ هجوم إبراهيم باشا من جهةٍ الشمال، وبالفعل كانت هجمات إبراهيم باشا مركَّزَةً في تلك

---

(١) الظهرة: أحد أحياء (الدرعية)، وهو داخلٌ في سور (سمحان) وسور البلد. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١١٣/٢). وعبدالله بن خميس «الدرعية معالم وأطلال» (١٩). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣) (٩٥). ويوسف شلحد «رحلة إلى الدرعية في الربع الأول من القرن الثالث عشر» منشور في «مجلة العرب»، ج٣ ـ ٤، السنة ١٩، رمضان ـ شوال ١٤٠٤هـ/ يونيو ـ يوليو ١٩٨٤م (ص: ١٥٦).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٦/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٨) (٩٠).

(٣) انظر تعريف المحاجي في تعريف المتاريس الآتي بعيد قليل في هامشة قريبة.

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٦/١).

المناطق[(١)] كما سنرى لاحقاً.

وعليه؛ كان الأمير فيصل بن سعود ـ أخو الإمام عبدالله ـ ومعه أخوه الأمير إبراهيم وأخوه الأمير فهد ومعهم عدد من رجال الدرعية قد تمركزوا في الصفوف الأمامية شمال الدرعية[(٢)] في بطن الوادي[(٣)] تجاه الباشا وعساكره[(٤)] وقبوسه وقنابره، وكان الأمير فيصل وأخوه إبراهيم وفهد قد وضعوا المتاريس[(٥)] والمدافع عند سمحة شمال الدرعية[(٦)].

(١) انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢١٦).

(٢) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٨).

(٣) المقصود (وادي حنيفة) الذي يمرّ على (الدرعية) ويجعلها نصفين على يمنته ويسرته، فيسمَّى (بطن الوادي) كما يسمَّى (الباطن). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٤٦٢/١). وقد مرَّ تعريف (الباطن) في الفصل الخامس.

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٨).

(٥) متاريس: من التِّرْس، وجمعه تروس. وهو التّرس الحربي المعروف الذي يحمله المحارب يتقّي به طعن الرماح وضرب السيوف. ويُسمَّى أيضاً: درقة، وهو عربيّ فصيح. وقد قال محمد بن لعبون:

فِي صَحْصِح كنّهْ قِفَا التِّرسْ مقلوب   طَرْب بِهْ الجِنّي على فِقْدِهْ الذِّيبْ.

انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٥٠ ـ ٥١). وعلى أيّة حال فالمتاريس هي ذاتها المحاجي التي يتكرر ذكرها في تاريخ ابن بشر، وهي بالمصطلح العسكري تسمَّى: الدشمة.

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٧/١).

وكانت قوَّات أهل الحريق يقودهم تركي بن عبدالله الهزَّاني صاحب حريق نعام وغيرهم في تلك الجهة متقدّمين خارج الأسوار في بطن الوادي بين قوَّات فيصل بن سعود وعساكر إبراهيم باشا، أي في المواجهة المباشرة لعساكر الترك من الشمال(١).

- قوات أمراء آل سعود ومن معهم شرق الدرعية:

تمركز عند المغيصبي(٢) في شاطئ الشعيب إخوة الإمام عبدالله، وهم: الأمير سعد بن سعود وأخوه الأمير تركي بن سعود وعندهم جمع من أهل الدرعية(٣).

ومن فوق المغيصبي تمركز عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة ومعه عدد رجال من أهل منفوحة وغيرهم(٤).

أمَّا الأمير عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود فقد تمركز في جهة ناظرة(٥) عند غَصِيبَة ومعه عدد من أهل الدرعية وأهل

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩١). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢١٤).

(٢) المغيصبي: شعيب في أعلى (الدرعية) خارج أسوارها من الشمال، على الضفَّة اليمنى لـ (وادي حنيفة)، وهذا الشعيب على يمين (سمحة) مقابلها؛ بينه وبينها الوادي. انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٣/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١).

(٥) ناظرة: يقول ابن خميس في ردِّهِ على تعليقات آل الشيخ على تاريخ ابن بشر=

المحمل وغيرهم[(١)].

وعلى ذلك الجانب أيضاً عِدَّة أبطال من آل دغيثر وغيرهم داخل السور، وقد تمركز آل دغيثر أكثر ما تمركزوا في شعيب قليقل[(٢)] داخل السور، حيث تمركز هناك حسن بن إبراهيم بن دغيثر وأخوه علي ومعهم جمع من أهل الدرعية وغيرهم، وكل رجل من هؤلاء معه عنده مدافع في موضعٍ معروف لا يفارقه إلى باب سمحان، وقد بنوا محاجيهم من الحجارة، وكانت تقابلها محاجي عساكر الترك، ولم يترك آل دغيثر ومن معهم محاجيهم بالليل والنهار[(٣)].

كما تمركز في تلك الجهات الشرقية من الدرعية الأمير فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فقد عسكرت قواته عند قري عمران عند النخيل المسمى بالرفيعة[(٤)] ومعه عدد رجال من أهل

= ما نصّه: وما (ناظرة) التي في (الدرعية) يا شيخنا سوى ظهر صغير يقع بين سور (الدرعية) شمالاً وشرقاً، و(غصيبة) جنوباً، و(السلماني) غرباً؛ ظهرٌ لا يؤبَه له، ولا يعرفه جرير، وما به ما يُوجِب المعرفة والشعر والبحث الطويل العريض، ولا من الحبَّة قُبَّة. انظر: ردّ عبدالله بن خميس على عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ في بحثٍ نشره ابن خميس في «مجلة العرب» بعنوان «التحقيق والتعليق على تاريخ ابن بشر للشيخ عبدالرحمٰن آل الشيخ» (ص٣٠٣).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٤/١ ـ ٤٠٥).

(٢) شعيب قليقل: داخل أسوار (الدرعية) وهو شعيب منساح من الضفَّة اليمنى لـ (وادي حنيفة)، وهو واقع بين (غصيبة) ومعها (ناظرة) وبين (سمحان). انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١) (٤٠٦).

(٤) الرفيعة: داخل أسوار (الدرعية) في الضفَّة اليمنى لـ (وادي حنيفة)، وهي=

الدرعية وأهل سدير رئيسهم عبدالله بن القاضي أحمد بن راشد العريني[(١)].

ـ قوات أمراء آل سعود في الجهة الغربية من الدرعية:

تمركز الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في البرج الذي فوق الجبل على شاطئ الوادي عند النخل المعروف بسمحة ومعه عدد رجال من أهل الدرعية وأهل النواحي من أهل الوشم وغيرهم. كما كان أخوه الأمير عمر بن عبدالعزيز وأخوه الأمير عبدالرحمٰن قد رابطوا على البروج الكبار عنده.

وإلى جانب أولئك كان الأمير عمر بن سعود بن عبدالعزيز ـ أخو الإمام عبدالله ـ، ومعه عدد رجال من أهل الدرعية وغيرهم على شاطئ شعيب الحريقة[(٢)]، وإلى جانبه أخوه الأمير حسن بن سعود[(٣)].

وعسكرت قوات الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود

= كائنة بجانب (قري عمران) على يمين (ظهرة سمحان) شمال (شعيب الشعيبة). انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٧٣/٢).

(٢) شعيب الحريقة: على الضفَّة الغربية لـ(وادي حنيفة) والشعيب كائنٌ شمال غرب (الدرعية)، وغربي (سمحة) وشمال (شعيب غبيراء). انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١) (٤٠١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

وأخوه الأمير زيد فيما يلي شاطئ الحريقة، أمَّا الأمير فهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود والأمير محمد بن حسن بن مشاري بن سعود ففي شعيب غبيراء قبالة عساكر الترك[(١)]، ومعهم الأمير فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود على شاطئ شعيب غبيراء أيضاً[(٢)].

كما تمركز في هذا الموضع حسن الهزاني وعِدَّة رجال من أهل الوشم وأهل سدير[(٣)].

أمَّا فرج الحربي[(٤)] فكان متمركزاً قبالة عساكر الترك من جهة غرب الدرعية تحت شعيب الحريقة وفوق شعيب غبيراء على شكلٍ ملاصقٍ لأعلاها[(٥)].

أمَّا الأمير عبدالرحمٰن بن سعود بن عبدالعزيز فكان مرابطاً بين شعيب البليدة وشعيب كتلة[(٦)] ومعه جمعٌ من أهل الدرعية

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٣/١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٤٠١/١).

(٤) قال عثمان بن بشر: فرج الحربي مملوك الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٦) شعيب كتلة: شعيب خارج أسوار (الدرعية) وهو على يسار (وادي حنيفة) جنوبي (شعيب البليدة) يقابلها في الضفَّة الأخرى (سمحان). انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

وغيرهم[١].

ومن وراء شعيب غبيراء كان الأمير مشاري بن سعود ـ أخو الإمام عبدالله ـ، ومعه جمعٌ من أهل الدرعية وغيرهم في مسجد العيد[٢] عند المنازل الجنوبية[٣] غربي الطريف جنوب شرق شعيب كتلة[٤].

ـ قوات أمراء آل سعود في الجهة الجنوبية من الدرعية:

ورابط من أمراء آل سعود في أسفل الدرعية في بطن الوادي قرب جبل القرين[٥]: الأمير سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود ومعه عدد رجال من أهل النواحي[٦].

وكان الإمام عبدالله قد وضع قوات في المناطق الجنوبية تحسّباً

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٤). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٥).

(٢) مسجد العيد: إن لم تكن النسبة لمصلّى العيد، فإنَّ العيد قري من قريان (اليمامة) الكائن في (الدرعية) ناحية (الطريف). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٨٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٩).

(٤) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٥) القرين: صفحة جبل معترضة في أسفل «الدرعية» من (وادي حنيفة)، فوقها (سور الدرعية) الضخم وأبراجه، ويتكسَّر عنها سيل (وادي حنيفة) فتصرفه غرباً بعد أن كان متَّجِهاً جنوباً. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٨٤).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٨). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٠ ـ ٩١).

لأيِّ هجوم أو التفاف غير متوقَّع من إبراهيم باشا، لذلك قال ابن بشر: إنَّ المتمركزين في تلك الجهات ليس عليهم حرب بل حفاظ لتلك الناحية، لذلك جعل في تلك الجهة من ليس لهم شدَّة في الحرب والصدور والورود[١].

ـ ذكر بقية الأمراء المرابطين في الدرعية:

ومِمَّن رابط من الأمراء أيضاً: عبدالله بن حسن بن مشاري، وأخوه عبدالرحمٰن، وإبراهيم بن عبدالله بن فرحان، وعبدالله بن ناصر بن مشاري، ومحمد بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه سعود وابنه محمد، والباقين من آل ثنيان[٢] وآل ناصر[٣] وآل هذلول[٤]

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢١٦).

(٢) آل ثنيان: أبناء ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن، من آل سعود، من آل مقرن، من المردة، من وايل. ومنهم عبدالله باشا بن عبدالله بن ثنيان بن إبراهيم، سُمِّيَ باسم والده لأنَّه وُلِدَ بعد وفاته، وقد عاش وتوفِّي في (إسطنبول) ومنحته الدولة التركية لقب باشا. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٨١/١).

(٣) آل ناصر: هم ذريَّة ناصر بن عبدالله بن مقرن بن مرخان، ويغلب على الظنِّ أنَّ آل ناصر هؤلاء انقرضوا. قاله: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ في تعليقاته على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (٤١٩/١).

(٤) آل هذلول: قال عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: أنَّهم ذرية هذلول بن فيصل أمير الغزو وقت الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وقال آل الشيخ: إنَّ هذلول هذا ليس له اليوم عقب، أمَّا آل هذلول الموجودون اليوم فهم ذرية ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن. انظر: تعليقات آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (٤١٩/١).

وغيرهم[(١)].

وقد قُتِلَ جمٌّ غفير من أولئك الأمراء أثناء الحصار وأثناء هجوم إبراهيم باشا على الدرعية، حتى أنَّ ابن بشر لم يستطع أن يحصيهم، فقال: «**لا يحضرني الآن عَدّهم، وإنَّما ذكرتُ أسماء من قُتِلَ من آل سعود وعددهم ليُعرَف صدقهم في الحروب ومباشرتهم القتال بأنفسهم**»[(٢)].

* دور علماء نجد في صدّ العدوان التركي على الدرعية:

لمَّا وصل الباشا الدرعية وحاصرها، سلك العلماء النجديون ـ أثناء دفاعهم عن عاصمة بلادهم ـ مسلكين اثنين لا انفكاك بينهما؛ المسلك الأول: أنَّهم نشطوا في بثِّ روح الحماسة بين الأهالي ليستبسلوا في الذَّبِّ عن عاصمتهم وصدّ عدوان الترك الذين استهدفوا دينهم وأرضهم بحملة إبراهيم باشا وعساكره[(٣)].

أمَّا المسلك الثاني: فإنَّ جمعٌ من العلماء قدَّموا أرواحهم دون دينهم وعقيدتهم وأرضهم، فكانوا ثابتين بصدق في مواطن القتال ضدّ الترك المعتدين، ودافعوا دفاعاً مجيداً دعا بقية الناس والأهالي للاقتداء بدفاعهم وجهادهم ضدّ أعدائهم.

وكان أبرز العلماء دفاعاً عن الدرعية هم العلماء من أسرة آل

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٨ ـ ٤١٩).

(٢) المصدر السابق (١/٤١٨ ـ ٤١٩).

(٣) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤١). وعبدالله البسّام «علماء نجد» (١/١٧٦).

الشيخ؛ ومن أبرزهم الشيخ عبدالله بن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)، عالم نجد ومفتيها بعد أبيه(١).

كما كان أخوه الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (كان موجوداً سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م) من المرابطين في الدرعية والمدافعين عنها(٢). ومثله أخوه الشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م)، رابط في الدرعية أثناء حصار إبراهيم باشا لها(٣).

إلى جانب هؤلاء كان الشيخ علي بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م) الذي رابط في الدرعية(٤). ومثله أخوه الشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)(٥).

والشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ هو كذلك من الذين احتصروا في الدرعية يوم حاصرها إبراهيم باشا، ورابط فيها ودافع

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٤٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٧٢). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/٤١٧).

(٣) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٢٨٥ ـ ٢٨٦).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٨ ـ ١٨٩) (٤٣٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٤).

وقاتل إلى آخر ساعة من ساعات إطلاق النار[١]. ومثله ابنه محمد بن عبدالرحمٰن بن حسن[٢].

كما كان ناصر بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب من المرابطين[٣]. ومثله الشيخ علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م تقريباً)[٤].

وكانت الشيخة فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٥] من ذوات العلم المُحَاصَرَات في الدرعية، وصبرت واحتسبت. كما سيُبَيَّن لاحقاً في هذا الفصل.

أمَّا العلماء من غير أسرة آل الشيخ، فكان هناك الشيخ رشيد السردي النجدي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) الذين كان قاضياً في بلد الحوطة والحريق، فلمَّا جاءت حملة إبراهيم باشا واستهدفت الدرعية

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٨٠). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/١٨٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٩).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/١٧٥).

(٥) هي فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وُلِدَت في (الدرعية)، ولمَّا ضيَّق إبراهيم باشا الحصار على (الدرعية) انسلَّت الشيخة فاطمة مع ابن أخيها علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فخرجا إلى إمارات الساحل الشمالي. انظر ترجمتها عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٣٦٤ ـ ٣٦٦) ولم يحدّد البسام سنة وفاتها، بل قال إنَّها من عالمات القرن الثالث عشر.

ترك الشيخ السردي الحوطة والحريق وذهب للمرابطة في الدرعية[1].

ومنهم أيضاً الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) الذي كان قاضياً في الخرج، فلما وصلت عساكر إبراهيم باشا وحاصرت الدرعية، ترك العريني الخرج وذهب ليقف مع إخوانه في الدرعية ليدافع عن دينه وعاصمة بلاده[2].

كما كان هناك عددٌ من العلماء رابطوا في الدرعية وقت حصار الترك لها، وقد وقعوا في قبضة إبراهيم باشا؛ فمنهم الشيخ الفقيه صالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي من أهل الرسِّ، والشيخ عبدالله بن صقر الحربي (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م)[3]، ومثلهم الشيخ عبدالله بن أحمد بن كثير (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[4].

ومن العلماء الذين رابطوا في الدرعية الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر آل معمَّر (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)[5]، كان من أهل

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢١).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/١٧٩).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤).

(٥) عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمَّر. وُلِدَ في (الدرعية)، ثمَّ خرج منها يوم سقطت بيد إبراهيم باشا، فرحل ابن معمَّر إلى البحرين وتوفِّيَ فيها. انظر أخباره وترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٦٧). وعبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٢٢٠ =

الدرعية، ورابط فيها يوم حاصرها إبراهيم باشا ودافع عنها دفاعاً بطولياً.

ومنهم العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي (ت: ١٢٥٧هـ/١٨٤١م)، كان قاضياً لآل سعود في المدينة النبوية، فلمَّا سقطت المدينة بيد الترك أيَّام حملة طوسون باشا، غادرها الشيخ أحمد إلى الدرعية، فلمَّا وصلت - من بعد ذلك - قوات إبراهيم باشا للدرعية وحاصرتها، كان الشيخ أحمد مع المحاصرين الصابرين داخل أسوار الدرعية[١].

ومنهم أيضاً الشيخ عبدالله بن أحمد بن محمد الوهيبي (ت: ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م)[٢]. والشيخ فارس بن حمد بن محمد بن رميح (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)[٣]. والشيخ محمد بن عبدالعزيز بن سلطان (من

= ٢٢٥). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٧٢ - ١٦٧٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣/٣٣٦ - ٣٤٥).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/٤٦٠) (٤٦٢).

(٢) عبدالله بن أحمد بن محمد بن حمد من المشارفة من الوهبة. رحل إلى (الدرعية) وطلب العلم على علمائها. جعله الإمام عبدالله بن سعود قاضياً في (الدرعية) مع قضاتها. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٩٠). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤/٣٥ - ٣٧).

(٣) فارس بن حمد بن محمد بن رميح. ولد في (العطَّار) من بلدان (سدير)، وارتحل لطلب العلم في الدرعية، وارتحل عنها يوم دمَّرها إبراهيم باشا. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٧٠٦). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٣٥٨ - ٣٥٩).

علماء القرن الثاني عشر)[١]، من أهل البير.

* دور نساء الدرعية في الدفاع عن عاصمة بلادهن:

كان للنساء مشاركة فاعلة في الدفاع عن الدرعية بطرائق مختلفة[٢]، لعلَّ أهمها تشجيع المدافعين وبثّ الحماس في نفوسهم وخدمة المقاتلين المرابطين في مواقِعهم العسكرية[٣].

وعن دور النساء هذا ذكر مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي فيلكس مانجان ـ بشهادة شهود عيان ـ قائلاً: «كان الحرّ شديداً، وكُنَّا نرى النساء السعوديات وهنَّ يحملن جراراً مملوءة بالماء يقتحمن خطّ النار لإيصال الماء إلى المحاربين»[٤].

وهو قريب مِمَّا ذكره المؤرخ محمود فهمي المهندس حيث قال: «وكان النساء يخترقن صفوف ونيران أعدائهنَّ للمحاصَرين، ويبحثن عن المياه اللازمة لشرب المجروحين»[٥].

---

(١) محمد بن عبدالعزيز بن سلطان آل حمدان، من أهل (البير) من بلدان (المحمل)، انتقل إلى (الدرعية) ودرس على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عيَّنه الإمام محمد بن سعود قاضياً على بلدان (المحمل) و(الشعيب). انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٦/٧١).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.

(٣) انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (١٨٤).

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٠).

(٥) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٦).



وصف ملحمة الدرعية بالتفصيل

ـ الباشا في الملقا:

لمَّا استقرَّ الباشا وعساكره في الملقا ـ في الوادي أعلى الدرعية ـ كما ذكرنا سابقا، وكان بينه وبين الدرعية مسيرة ساعة، ركب بخيله وقَرَّابَته[١] ومعه بعض قُبُوسه ليُعاين الموضع الذي يريد نزوله عند البلد[٢]، فسارت القَرَّابة والقُبوس مع بطن الوادي وصارت الخيل على جانبه يميناً وشمالاً حتى وصلوا العِلْب[٣]؛ نخل فيصل بن سعود المعروف قرب النخيل أعلى الدرعية[٤].

فاتخذ من ذلك الموضع مقرّاً لقيادته العسكرية، فنصب خيامه

---

(١) القَرَّابة: هم حَمَلَة القرابين، وهي بندقية من العصر العثماني واسعةُ الفوَّهة يحملها المشاة والفرسان. وقد مرَّ التعريف بالقرابين في الفصل التاسع.

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٧/١).

(٣) العِلْب: من قرى (الدرعية) في أعلاها، واقعةٌ على ضِفَّة (وادي حنيفة) تحت السدّ الكبير الذي أقيم هنالك. وهي قريةٌ ذات نخيل وزروع، وتقام بها الجمعة. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٧٣/٢).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٧/١). ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢١/٣ ـ ١٦٢٢).

فيه وحفر الخنادق ووضع المتاريس في مَوْضِعٍ مقابل لمتاريس أهل الدرعية، ووضع فيها طَوَابِيَ لمدافعه[١].

ثمَّ رتَّب الباشا مواقع جنوده ليستحكم حصاره على أهل الدرعية، **وقد عاونه في رسم خطط الحصار مستشاره الحربي الفرنسي الذي يصحبه وهو فيسيير Vaissiere**[٢]، **وهو الذي أشار عليه بحصار القرى الأربع المحيطة بالدرعية وأنْ يحتلَّها الواحدة تلو الأخرى ليسهل عليه حصار الدرعية ثمَّ احتلالها، فاتبَّع إبراهيم باشا رأي مستشاره الفرنسي**[٣].

ولمَّا نزل الباشا في العِلْب يوم الثلاثاء **٣** جمادى الأولى **١٢٣٣**هـ/**١١** مارس **١٨١٨**م؛ فرَّق عساكره تجاه جموع أهل الدرعية ومن آزرهم، **عندها بدأ القتال وجالت الخيل بين الفريقين، وشدَّد السعوديون متاريسهم وثبَّتوها أمام تقدّم جيوش الباشا، فاصطكَّت الصفوف واندلعت الحرب بينهم واضطَّرَمَت نارها وطار في السماء شرّها وشرارها، فتخالَلَت بين تلك الجموع القنابر والقبوس والمدافع، وصارت نيران المدافع تصبّ كالمطر فوق تلك الجموع، وتطور الحال واشتدَّ القتال وتصادمت الأبطال، والمحاربة بين الترك وأهل الدرعية سجال**[٤]، **وظلّوا على تلك الحال نحو عشر ليال من بعد نزول الباشا**

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٤٢)، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/ ٢ أبريل ١٨١٨م (٢/٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٧).

(٣) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٥).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٤٢)، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/ ٢ أبريل ١٨١٨م (٢/٢٧٢ ـ ٢٧٣).

والحرب بالمدافع والقبوس والقنابر والبنادق لا يزال مشتعلٌ أوارها[1].

- اندلاع المواجهات في المغيصبي والحريقة:

لمَّا كان اليوم العاشر - ١٣ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/٢١ مارس ١٨١٨م - من نزول إبراهيم باشا في العِلْب، اندلعت المواجهات بين أهل الدرعية وعساكر الترك عند المغيصبي - الشعيب المعروف خارج البلد شمال الوادي -؛ والسبب أنَّ أهل الدرعية حَمَلوا على الترك الذين حاولوا التسلُّل من جهة شعيب المغيصبي، ووقع بينهم قتال شديد وصدام عنيف قُتِلَ فيه من الفريقين عِدَّة قتلى[2]. وكانت القوات المتمركزة جهة المغيصبي قوامها قوات أهل منفوحة بقيادة عبدالله بن مزروع، وقوامها أيضاً قوَّات الأمير سعد بن سعود وأخوه الأمير تركي وكلّهم خارج سور البلد[3].

ثم أرسل إبراهيم باشا وقت انبلاج الفجر قائده أوزون علي ومعه عساكر وخيل كثيرة ليهجموا على القوات السعودية المتمركزة عند شعيب الحريقة[4]، فتقابلت الرجال واقتتلت قتالاً نجم عنه عِدَّة قتلى من الفريقين[5].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩ - ٤٠٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٠٠).

(٣) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية» (٩١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/٤٠٠).

كانت القوات السعودية المتمركزة في الحريقة هي قوات الأمير عمر بن سعود بن عبدالعزيز - أخو الإمام عبدالله - ومعه عدد رجال من أهل الدرعية وغيرهم، وإلى جانبه أخوه الأمير حسن بن سعود[١]، ومثلهم كانت قوات الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأخوه الأمير زيد متمركزةً فيما يلي شاطئ الحريقة[٢] وهم الذين اشتعلت المواجهات بينهم وبين عساكر أوزون علي هناك.

- اشتعال الحرب في شعيب غبيراء - وإبراهيم باشا يعرض جائزة لمن يأتيه بآذان ورؤوس أهل الدرعية:

جمع إبراهيم باشا خيلاً في الليل وجعلها في وسط شعيب بجانب غبيراء لا تكشفها متاريس أهل الدرعية، فلمَا كان الفجر أرسل الباشا أهل النجدة من قرَّابته مَدَداً لأهل المتارس التي تجاه متارس أهل الدرعية في غبيراء، **فوقع القتال الشديد واندلعت النيران من القبوس والمدافع والقنابر وحمل بعضهم على بعض وتضاربوا من بعيد ومن قريب، فظهرت خيل الترك من الشعيب المذكور من خلف متارس أهل الدرعية في هذا الموضع فانهزم السعوديون وتبعهم الترك من ساقتهم، وَقَتَلَ الترك منهم نحو مئة رجل.**

فكان من القتلى الأمير فهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود والأمير محمد بن حسن بن مشاري بن سعود، كما قُتِل حسن

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١).

الهزَّاني وعِدَّة رجال من أهل الوشم وسدير وغيرهم[١].

وكان «**جنود المشاة الأتراك قد لاحقوا الفارين** [من السعوديين] **حتَّى بساتين المدينة، وأسروا خلقاً كثيراً كان مصيرهم الموت سريعاً، وحملوا إلى قائدهم رؤوس القتلى** [السعوديين] **وآذانهم للحصول على الجائزة المرصودة**»[٢].

وقد كان إبراهيم باشا يدفع من خزينته ٥٠ قرشاً لمن يحمل له رأساً أو أذنين من رؤوس وآذان أهل الدرعية[٣].

ـ انسلال الترك إلى شمال الدرعية من الغيَّاظي إلى سمحة:

في إحدى ليالي شهر جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/مارس ١٨١٨م **هرب من الدرعية عِدَّة رجال من أهل النواحي الذين أتوا للمرابطة مع أهل الدرعية، فذهبوا إلى إبراهيم باشا وأخبروه بعورات أهل الدرعية ومعاديهم**[٤].

فأرسل إبراهيم باشا بعض متارس عساكره وما عنده من الخيَّالة إلى أوزون علي الكردي رئيس العساكر المكلَّفة بالهجوم على الدرعية من جنوب سمحة؛ بحيث ينسلّوا مع قوات رشوان آغا من شعيب

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٠ ـ ٤٠١).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٢).

(٣) انظر: تعليق محمد خير البقاعي على كتاب «تاريخ الدولة السعودية الأولى» لفيلكس مانجان (ص١٦٢).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠١).

غبيراء إلى ثغرةٍ في السور جهة قصر الغَيَّاظي[١].

وقَصْدُ الترك من ذلك؛ أن يهجموا على القوات السعودية المتمركزة في سمحة - من شمالها من جهة العِلْب - ويشغلوها بهجمات تأتيها من جنوبها، **وبناءً عليه أمر إبراهيم عساكره الدلاتية والمغاربة المرتزقة أن يضرموا الحرب ويحقّقوه من جهة شعيب غبيراء على من يليهم من أهل الدرعية في قصر الغَيَّاظي لعلَّ الأفزاع تنحاز إليهم من المتارس التي هي من جنوبهم**[٢].

ثمَّ زحف الباشا من صوب العِلْب تجاه سمحة، تصحبه قبوسه وقنابره مع الوادي على البروج الكبار التي كانت على يمنة الوادي ويسرته[٣]، **وحقَّق الباشا رمي مدافعه على البرج الذي كان فيه الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود وإخوانه الأمير عمر والأمير عبدالرحمٰن، فاشتد قصف الترك للأمير ومن معه في مترسهم، فثلم الترك تلك البروج وهدموا أكثرها، فتراجع عبدالله بن عبدالعزيز من مترسه وتترَّس قريباً منه، ونزل الترك في مترس عبدالله الأول**[٤].

---

(١) قصر الغَيَّاظي: نخلٌ لناصر بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود في أعلى (الدرعية) على ضِفَّة (وادي حنيفة) الغربية، وقد بَنى فوقه بأعلى الجبل المطلّ عليه قصرٌ يضاف إليه: (قصر الغيَّاظي)، لا يزال طَلَلاً قائماً ويُرى من بعيد. انظر: عبدالله بن خميس في كتابه «معجم اليمامة» (٢٢٧)، ومقالة ابن خميس المنشورة في «مجلة الدارة» عنوانها «الدرعية معالم وأطلال» (١٩).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠١).

(٣) عن ذلك البرج الذي في (سمحة)، انظر: جملاء مبارك المرّي «تاريخ مدينة الدرعية سياسياً وحضارياً» (٢٤٠) رسالة ماجستير غير منشورة.

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠١).

ثمَّ حملت عساكر الترك على موضع البروج الكبار خارج السور القريبة من سمحة عند الأمير عمر بن سعود ومعه عدد رجال من أهل الدرعية وأهل النواحي من أهل الوشم وغيرهم[١] **فثبت لهم الأمير عمر ومن معه وجالدوا الترك بالسيوف والبنادق وقاتلوا قتالاً هائلاً صادقاً.**

ثمَّ جرَّ الترك عليهم بالقنابر والقبوس، فلم يَدرِ عمر إلَّا والترك قد جاؤوا من خلفه من جهة مترس عمِّه الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ثمَّ تفاجأ بالترك ـ أيضاً ـ يهجمون عليه من أمامه، فوقع في الكمَّاشة، فانهزم وصحبه[٢].

ـ كماشة الترك على سمحة ـ الملحمة في السلماني:

سار أوزون علي الكردي في تكتيكه الذي ذكرناه سابقاً، فانسلَّ وقت انبلاج الفجر بعساكره من جهة شعيب الحريقة ومع شعيب غبيراء[٣]، فأخذ قصر الغَيَّاظي وكمنوا في نخيله، وبعد انهزام الأمير عمر بن سعود خرجت عساكر الترك بشكلٍ مفاجئ من خلف أهل الدرعية المُتَتَرِّسين في سمحة.

عندها تحرَّك إبراهيم باشا من جهة بروج الأمير عبدالله بن

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٩) (٤٠١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١) (٩٣).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠١ ـ ٤٠٢).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢١٣).

عبدالعزيز ـ الذي استطاع الباشا أن يهدّها ويكسر عبدالله بن عبدالعزيز ومن معه ـ، فدخل الباشا من جهة تلك البروج قاصداً معسكر فيصل بن سعود وإخوانه في سمحة، واستحكمت قبضة الكماشة:

١ ـ إبراهيم باشا وعساكره من شمال سمحة.

٢ ـ وأوزون علي الكردي من جنوب سمحة ومعه عساكره الدلاتية والمغاربة المرتزقة.

فانهزم فيصل بن سعود ومن معه من أهل الدرعية في سمحة التي سقطت بيد إبراهيم باشا، واتصلت الهزيمة في متارس السعوديين: في المتارس شمال سمحة والمتارس التي جنوبها، وتركوا أكثر المدافع والأثقال[١].

على أنَّ أهل الدرعية قاوموا الترك مقاومة شديدة لصدّ هجومهم من سمحة بعد سقوطها، وحاولوا عرقلة عساكر إبراهيم باشا بكلّ ما أوتوا من قوة، فَتَيَقَّنَ الترك أنَّهم بعدما احتلوا سمحة لن يستطيعوا التقدم، فاضطرّوا إلى الوقوف عند السلماني[٢]؛ وكان الأمير

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٤٢)، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/ ٢ أبريل ١٨١٨م (٢/٣٧٢ ـ ٢٧٣). ومحفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٨٧)، بنفس التاريخ (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٧). وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٢). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١). ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٢).

(٢) السلماني: حصن من حصون الدرعية على الضفَّةِ الشرقية لـ (وادي حنيفة) داخل أسوار (الدرعية) تقابله (مشيرفة) في الضفة الغربية للوادي، وهو بمحاذاة (ناظرة) و(غصيبة) وفوقه من اليمين (قري قصير). انظر: عبدالله بن خميس =

فيصل بن سعود وأخوه سعد ومعهم كثير من الأعيان والشجعان يحاربون الترك عند السلماني محاربةً عنيفة ويجالدونهم جلاد صدق، حتَّى جعلوا الترك يتقهقرون على أعقابهم دون السلماني؛ بعد أن قَتَلَ منهم أهل الدرعية قتلى كثيرة[١].

ثمَّ حاولت عساكر الترك أن تهجم على المتارس الجنوبية لأهل الدرعية؛ ذلك أنَّ كتيبة من معسكر أوزون علي توجهت إلى الجهة الجنوبية للدرعية، فجرت وقعة حصل فيها قتالٌ شديد من العصر إلى العشاء الآخرة، ولم ينَلْ الترك من تلك الجهات[٢].

واعتبر بعض المؤرّخين وقعة سمحة أولى الوقعات التي هزَّت كيان الدرعية[٣]، لأنَّه نجم عنها شيوع الخوف والبأس في نفوس بعض أهل النواحي الذين جاؤوا للصمود مع أهل الدرعية، فخرج بعضهم وقصدوا بلداتهم بعيداً عن الحرب في الدرعية[٤].

ـ الباشا ينتقل من العِلْب إلى قري قصير:

بعد سقوط سمحة رحل إبراهيم باشا وعساكره عن منازلهم المتقدّمة من موضع العِلْب ونزل بنفسه وقبوسه وقنابره ومخيَّمه

= «الدرعية معالم وأطلال» (٢٠). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٣٤).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٣/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٠٩/١).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٨/٢).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٦/١).

وحاشيته في الموضع المعروف بقِرَي قصير[١] شمال الدرعية؛ على يمين وادي حنيفة، تزامن ذلك مع تحرّك علي أوزون الأورفلي الكردي مع عساكره وتمركزهم قبالة محاجي أهل الدرعية الجنوبية.

ثمَّ فرَّق الترك عساكرهم على البلد وبنوا محاجيهم قبالة محاجي أهل الدرعية وأحكموها بالحجارة وقرَّبوها منها، وعلى هذا الترتيب كان طبيعياً أن تندلع المواجهات بين أهل الدرعية والترك الذين تقدّموا داخل السور، **فثار بينهم الحرب الهائل الذي لم يُنقَل مثله عن الأواخر والأوائل، وصار كلّ يوم ووقت قتال، واستمرَّ دائماً بالغدوّ والآصال، وتضارب أهل الدرعية والترك من المحاجي بالبنادق والسيوف والقرابين، وتطايرت القبوس والقنابر في الجوّ كأنها رجوم الشياطين؛ فهذا منها في الأرض ثايرة وهذا تراه في الجوّ طايرة، فصبر أهل الدرعية ونزل عليهم الثبات، وقاتلوا الترك حتى مَلَؤوا فجاج الدرعية من قتلى عسكر الباشا، فمرَّة يحملون على الترك في محاجيهم، ومرَّةً يحمل عليهم إبراهيم باشا وعساكره.**

وفي ظلّ صليل السيوف وأزيز البنادق ودويّ المدافع؛ ازدادت الحرب الْتِهَاباً في وسط المحاجي وجنوبها وشمالها وفي كثير من جهات البلد، فإذا رأيت في موضع حرباً رأيتَ مثله في الموضع الثاني، ومثله في الآخر، والغَلَبَة فيها لأهل الدرعية والدبور يأتي على جهات الترك إلَّا قليلا.

---

(١) سمَّى السعوديون هذا الشعيب فيما بعد باسم (قري الروم) نسبةً لنزول الترك فيه واتخاذهم له معسكراً للهجوم على الدرعية. والروم عند اهل نجد تعني: الترك. انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢٤٠).

واستمرّت الحرب في تلك المحاجي قرابة ستة أشهر، ضرب فيها إبراهيم باشا على أهل الدرعية حصاراً شديداً، وصار في تلك المدَّة وقعات عديدة لا يحيط بها العلم ولا يدركها من أرادها بالقلم[١].

- تركيا العثمانية ترسل الإمدادات إلى إبراهيم باشا أثناء حصاره الدرعية:

في ظلّ تلك الحوادث، توالت الإمدادات على إبراهيم باشا، إذ جاءته عساكر جديدة من مصر[٢]؛ فكان في كلّ أسبوع وشهر يأتيه منها عسكر وقافلة من الطعام والأمتاع وما ينوب العساكر[٣].

وتدفَّقَت على إبراهيم باشا فرقة من المغاربة ومدافع وأدوات للقتال أرسلها له والده محمد علي باشا[٤]، كما تقاطرت عليه أكداس من الأكياس آتيةٌ من صعيد مصر مُحمّلَة بالدقيق والبقسماط والحنطة المخصَّصة للخبز والفول والشعير[٥] والسمن والبارود

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٦ ـ ٤٠٨).

(٢) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٧).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (٣) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٣١٣)، بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٣٤هـ/ ٢٢ يونيو ١٨١٩م (٢/٤٢٨). ودفتر (٣) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٣٢٣)، بتاريخ ٦ رمضان ١٢٣٤هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٩م (٢/٤٢٩). ومحفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢/٢٩٤).

والقنابل[١]، حتَّى البصل أتى إليه من مصر[٢].

فأصبح الباشا - بعد تلك الإمدادات - في قوَّةٍ عظيمة من العساكر والأموال وآلات الحرب وكثرة السلاح وكثرة تتابع القوافل عليه من مصر من الأمتاع والأزواد وغير ذلك من جميع ما ينوب العساكر[٣].

ثمَّ تقاطرت عليه الإمدادات من بغداد[٤] بالرجال والذخيرة والمؤن[٥] وتتابعت القوافل عليه من جهات البصرة والزبير حاملةً معها الأرز والحنطة والتنباك! وجميع حاجات العسكر[٦] والشعير والطحين[٧] والشيشة! والغليون![٨] والرجال[٩].

ثمَّ تدفَّقت عليه قوافل التموين من حامية الترك في المدينة النبوية وعنيزة مُحمَّلة بالبارود والقنابل والخبز اليابس وخمسة آلاف رأس من

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣٨/١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٤٣٨/١).

(٤) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢٢/٣).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١١/١).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١).

(٨) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٢).

(٩) انظر: عبدالله البسّام «علماء نجد» (٣٤٩/٢).

الغنم وقمح وشعيرٍ وزُبدةٍ[(١)] وأكياسٍ غزيرةٍ من الفول والبقسماط والدقيق والأرزّ الهندي وآلاف من قرب الماء[(٢)].

فلمّا كثرت الأمداد على إبراهيم باشا وطال حصاره، حصل الضعف في أهل الدرعية وذلك بتقدير الحيّ القيوم[(٣)].

ـ الحرب تشتعل عند شعيب البليدة وشعيب قليقل:

بعد أن أحكم إبراهيم باشا حصاره على الدرعية وضَمِنَ القوة من الإمدادات التي وصلته، أرسل أوزون علي ليهجم على الدرعية من جهتها الجنوبية الغربية عند شعيب البليدة[(٤)]، وكانت القوات السعودية المتمركزة هناك على معسكرين؛ معسكر بقيادة فرج الحربي ومن معه، ومعسكرٌ آخر بقيادة الأمير عبدالرحمٰن بن سعود[(٥)]، فاندلعت المواجهات العنيفة هناك، واستمرَّت من العصر إلى بعد صلاة العشاء الآخرة، فنجم عن ذلك عدَّة قتلى من أهل الدرعية وحصل في الترك

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١ ـ ٥٧٢).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٤٩)، بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٢هـ/ ٦ أكتوبر ١٨١٧م (٢/٣٣٣ ـ ٣٣٤). ومحفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٢١)، بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٣ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٧).

(٤) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٥).

(٥) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٥).

مقتلةٌ كبيرة[١].

وفي اليوم التالي عاود الترك هجومهم على شعيب البليدة فحملوا على متاريس تلك الجهة، **فاستجمع أهل الدرعية قواتهم المتراجعة ورتَّب الرجال في تلك الجهة صفوفهم، فكرُّوا على الترك وحملوا عليهم، فنشب قتال عنيف استمرَّ من بعد وقت الظهر إلى ما بعد وقت العصر، حتَّى استطاع رجال الدرعية أن يُخرجوا الترك من محاجي شعيب البليدة وقتلوا منهم عِدَّة قتلى، وبذلك استقرَّ أهل الدرعية في معسكرهم من جديد في الشعيب المذكور**[٢].

وفي الجهة المقابلة من الوادي **دبَّ القتال في الموضع المعروف بشعيب قليقل حيث كان معسكر حسن بن إبراهيم بن دغيثر وأخوه علي؛ إذ فوجئوا بهجوم عساكر الترك من جهة شعيب قليقل، فانبروا للترك وتقاتلوا معهم قتالاً عنيفاً صدّوا به هجومهم واضطرُّوهم للتراجع، ولكنَّ الترك ترَّسوا قبالة متاريس أهل الدرعية في تلك الجهة، وقُتِلَ أثناء ذلك عِدَّة قتلى من الفريقين**[٣].

ـ الهجوم التركي الفاشل على غصيبة:

لمَّا حصل هجوم الترك على شعيب قليقل، قام الإمام عبدالله بن سعود ببناء أسوار جديدة وحفر خنادق أخرى تحسّباً لأي هجوم تركي لاحق، **وفي المقابل حَزَمَ إبراهيم باشا أمره بمشورة مهندس الحصار**

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٠). دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٤).

الفرنسي فيسيير على إقامة متاريس تقابل المعسكر السعودي الذي يطلّ على استحكامات غصيبة، فوضع الباشا مدافعه على قواعد الإطلاق وبدأ يقصف غصيبة قصفاً عنيفاً، فردَّ أهل الدرعية على هذا القصف بأن أطلقوا وابلاً من نيران بنادقهم على عساكر الترك حتى قتلوا منهم عساكر كثيرة، على أنَّ ضرب قنابل المدفعية التركية ركَّزت على غصيبه فأحدثت في جدارها فتحة، ولكنَّ الترك لم يتقدموا إلي غصيبة ولم يقتحموها!.

وقد علَّل مانجان عدم اغتنام الأتراك فرصة اقتحام غصيبة؛ إلى التمرّد الذي حصل في معسكر إبراهيم باشا ورفض بعض القادة لأوامر الباشا[١]، فرأى أهل الدرعية المحاصرون تصرّف إبراهيم باشا بعدم اقتحام غصيبة أنَّه بسبب الوجل الذي اعترى عساكره من بسالة أهل الدرعية وتحصيناتهم التي تزداد مناعةً يوماً بعد يوم، **فصار أهل الدرعية يخرجون كلّ يوم في غارات يتفنّنون خلالها بهجمات خاطفة على معسكر الأتراك**[٢].

ـ الهجوم التركي على عرقة:

كان إبراهيم باشا من قبل حصاره على الدرعية قد استولى على الرياض، فسايره حاكمها وعاونه على الدرعية، كما استولى الباشا أثناء ذلك على منفوحة التي فرّ منها بعض أهاليها إلى الدرعية، وكلّ

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٦). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٣). ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٢).

تلك البلدات واقعة جنوب الدرعية، ولم يَتَبَقَّ سوى عرقة التي رفضت الخضوع للباشا، فأرسل إبراهيم باشا عساكره الخيَّالة إليها، فقاومهم أهلها وقاتلوا الترك قتالاً شديداً، فقتل الترك من أهلها نحو ثلاثين رجلاً وأشعلوا النيران في البلدة وتركوها.

على إثر ذلك أرسل الإمام عبدالله قوةً من عنده لتساند بلدة عرقة، فذهب مئة رجل من أهل الدرعية إلى البلدة ليصدّوا هجمات الترك عنها، ولمَّا علِمَ الباشا بذلك أرسل عساكر كثيرة من عنده يعاونهم أمير الرياض وبعض أهل منفوحة والخرج، وقصدهم الهجوم مع الترك على عرقة، ولمَّا وصلوا البلدة طَوَّقُوها بحصارٍ مُحكَم، وأخذت مدافعهم تضرب المُحَاصَرِين، فاستسلم من في عرقة وأخرجهم الترك بأمان قطعوه لهم، فرحل رجالات عرقة ومن معهم من المرابطين وتوجّهوا إلى الدرعية[١].

- حريق الجبخانة[٢]:

في أثناء هذه المعارك والحروب **اشتعلت النار في زهبة الباشا وما في خزائنه من البارود والرصاص وجميع الجبخان، وكان اشتعالها أمراً هائلاً لا يكاد يوصف، وسُمِعَ صوت انفجار خزائن السلاح وفرقعة القنابل المشتعلة على مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة، فأهلكت تلك النيران خيلاً ورجالاً وأحرقت خياماً وأزواداً وأثاثاً، وهربت عساكر**

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٧). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨١) وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٠).

(٢) جبخانة: لفظٌ تركيٌّ. معنها: مستودع السلاح والذخيرة. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (١٨٧).

الترك والمرتزقة من المغاربة ومن عاون الترك، فرُّوا فزعين إلى رؤوس الجبال وامتلأت قلوبهم رعباً، وكان هذا أوَّل وهن عظيم على الترك[١].

والمؤرِّخ الجبرتي يحيل أسباب حريق الجبخانة إلى فعلٍ متعمَّدٍ من أهل الدرعية، حيث يقول: «في منتصفه [١٥ رمضان ١٢٣٣هـ/١٩ يوليو ١٨١٨م] وَصَلَ نجّاب أخبر بأنَّ إبراهيم باشا ركب إلى جهةٍ من نواحي الدرعية لأمرٍ يبتغيه وترك عرضيَّهُ، فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضيّ على حين غفلة وقتلوا من العساكر عِدَّةً وافرة وأحرقوا الجبخانة»[٢].

وعندنا شاهد عيان رأى حادثة احتراق جبخانة إبراهيم باشا، ووصف فداحة ما وقع وهول ما حدث، حيث يقول: «**في [١٦ شعبان ١٢٣٣هـ] ٢١ يونيو ١٨١٨م كانت هناك اشتباكات بين الأتراك والسعوديين، فلمَّا عاد عساكر الترك إلى معسكرهم ليلتمسوا الراحة من عناء القتال هبَّت رياح جنوبية وحملت معها ـ فيما تحمله ـ جذوة نار مَوْقِد أشعلها أحد الجنود الترك ليطبخ عليها طعامه وألقتها مباشرة على خيمة كبيرة فيها مستودع الذخيرة الحربية، فاشتعل البارود، وكان الانفجار هائلاً.**

لقد كان هناك أكثر من مئتي برميل من البارود ومئتين وثمانين صندوقاً من الطلقات وقذائف وقنابل مشحونة، لقد ذهب كلّ عتاد المدافع أدراج الرياح.

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734. **وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١١/١).**

(٢) **عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٤٩/٤).**

اقتلعت قوَّة ذلك الانفجار الشديد الخيام واحترق عدد منها، وظلَّ الناس في الدرعية ومحيطها يسمعون دويّ انفجار القذائف مدَّة عشر دقائق متواصلة لم تنقطع، لقد زُلْزِلَت الأرض زلزالاً عنيفاً، واهتزَّت أرض الدرعية من شدَّته وسمع دَوِيَّهُ الناس من مسافات بعيدة.

لقد كانت شظايا القنابل تتطاير في الهواء، وكان اندفاعها قويَّاً، حتَّى أنَّ الشظايا وصلت إلى أكوام الشعير والقمح المخصَّصة لطعام الجيش فاندلعت فيها النيران فأكلتها، وسارع العساكر لإطفاء الحريق، إلَّا أن النيران التهمت نصف تموين المعسكر.

لقد كنَّا نرى جثث الضحايا وقد تفحَّمَت بعد أن أحرقها البارود المشتعل، ووجدنا أشلاء أجساد العساكر متناثرة هنا وهناك، ومن نجا فقد ملأت جسده الجروح والحروق.

لقد أنزلت هذه الكارثة الهلع والرعب في قلوب الأتراك، وتركت إبراهيم باشا في وسط الصحراء على مسافة خمسمئة فرسخ عن مصر وليس معه الآن من الأسلحة إلَّا الرصاصات التي يحملها جنوده في جعبتهم، إلى جانب مئات من القنابل وقذائف داخل المدفعية»[١].

ـ غارات أهل الدرعية على معسكرات إبراهيم باشا بعد حريق الجبخانة:

على الرغم من أنَّ ابن بشر قال: إنَّ أهل الدرعية بعد حريق

---

(١) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٦ ـ ١٦٧) باختصار وتصرّف يسير.

الجبخانة قد همُّوا أَنْ يحملوا على الترك في خيامهم ويدهموهم في معسكرهم فلم يفعلوا، وكان أمر الله قدراً مقدوراً[١].

إلَّا أنَّ مؤرّخ محمد علي باشا وهو الفرنسي فيلكس مانجان يذكر غير ذلك، ومانجان يوكّد ما يذكره من حوادث الدرعية بناءً على قربه من محمد علي باشا ومراسلاته مع ابنه إبراهيم باشا، كما يوثّق ما يذكره عن حوادث الدرعية من شهود عيان من عساكر الترك وقادتهم الذين كانوا في قلب تلك المعارك.

حيث ذكر مانجان: **أنَّه خرج من الدرعية حوالي ثمانية أو عشرة من كشَّافة جنود أهل الدرعية، أخذوا يدورون حول معسكر الباشا لتسقُّطِ أخباره بعد حريق الجبخانة، فأعلن قادة معسكر الترك النفير العام، وتسابق الجنود الأتراك ومن معهم من المرتزقة لصدّ تلك الغارة السعودية، واشتبك الجانبان في معركة عنيفة، فلمَّا رأى السعوديون أن الأتراك ما زالت لديهم القدرة على القتال بالرغم من حادثة الجبخانة انسحبوا إلى الدرعية.**

وفي صباح اليوم التالي خرج السعوديون من الدرعية وكان عددهم ١٥٠٠ رجل، فبدأت عساكر الترك تطلق النار عليهم، ولم يكن ذلك ليستمرّ طويلاً؛ لأنَّ الطلقات ستنفد بعد حين.

وفي تلك الأثناء جاء إبراهيم باشا إلى قلب الحدث ووقف على مكانٍ مرتفع نصب فيه ثلاثة مدافع، وأمر عساكر المدفعية أن يرموهم بطلقات متقطّعة، حتَّى إذا اقترب منهم السعوديون كثيراً بادرتهم عساكر المدفعية التركية بإطلاق نارٍ كثيف، وبالفعل؛ فإنَّه حين حدثت

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١١).

المواجهة الفورية تلقَّتهم مدافع الترك بمقذوفاتها فحصدت منهم حصداً ذريعاً، فاضطرَّ السعوديون أمام كثافة النيران للانسحاب تاركين وراءهم عددٌ كبير من القتلى والجرحى(١).

ـ الإمدادات تصل إبراهيم باشا بعد حريق الجبخانة:

أرسل إبراهيم باشا بعد حادثة حريق الجبخانة رسائل إلى حامياته في شقراء وبريدة وعنيزة ومكة والمدينة النبوية وينبع، يطلب منهم ـ على وجه السرعة ـ إرسال ما يُعوِّض به تلك الخسارة، وبعد خمسة وعشرين يوماً وصل إلى معسكر الباشا فرقةٌ مكوَّنة من ٢٠٠ من العساكر الدلاة جاؤوا من حامية الترك في عنيزة، يتبعهم ٢٠٠ جمل محمَّلة بالبارود والقنابل وقذائف المدفعية.

كما جاءته من المدينة النبوية المؤن ومدفعين وقادة عسكريين و٤٠٠ جندي من المشاة، وبعد عدَّة أيام وصلت فرقة من الفرسان تتبعها قطعان الماشية والمؤن.

كما أنَّ بعض البدو الذين خضعوا للباشا أرسلو إليه آلاف الخراف جلبوها من الغارات التي شنّوها على القبائل التي رفضت الخضوع للباشا(٢).

كما أخذ إبراهيم باشا يأخذ من كل بلد أخضعها ما فيها من

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٩ ـ ١٧١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٦) (٥٧٨).

خزانة الجبخان وغيره، ثمَّ تتابع عليه الجبخان والعساكر من مصر[١]، حيث ارتحل إليه من القاهرة عساكر تركية على دفعاتٍ ثلاث برّاً وبحراً يتلو بعضهم بعضاً في شعبان ورمضان ١٢٣٣هـ/يونيو وأغسطس ١٨١٨م.

وكانت تلك العساكر التركية قبيل مسيرها من القاهرة - كما يقول الجبرتي - **تستبيح الفطر في رمضان بحجَّة السفر**، فيجلس الكثير من تلك العساكر في أسواق القاهرة «**يأكلون ويشربون ويمرّون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم، وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفَّار المخالفين لدين الإسلام**»[٢].

ثم توالت الرواحل والقوافل تتقاطر على الباشا من البصرة والزبير مع أهل نجد الجالين في العراق، فتابعوا عليه القوافل من الأرز والحنطة والتنباك وجميع حاجات العساكر.

وسارت إليه القوافل أيضاً من جميع نواحي نجد بجميع ما ينوب العساكر، فَثَبتَ في موضعه وتعاظم أمره وتزايد حربه على الدرعية حرباً عظيماً وأهلها ثابتون، والخارج من الدرعية كلّ ليلةٍ أعداداً من أهل النواحي ومن أهلها الذين كان يَعِدهُم إبراهيم باشا بالأمان حال خروجهم منها وتركهم المرابطة فيها[٣].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١١/١).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٤٩/٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١١/١ - ٤١٢).

- القتال في كتلة والصنع والمغترَّة وقري عمران والرفيعة:

جرى في كتلة الشعيب المعروف قبلة الدرعية التحام عنيف بين الترك وأهل الدرعية، فنجم عن ذلك الالتحام مقتلة عظيمة بين الفريقين[١].

ثم حصلت مواجهات عند الصنع[٢] والمغْتَرَّة[٣]، بعدها جرى التقاتل بين جنود الأمير فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز وبين عساكر الترك الذين هاجموا قري عمران شرقي البلد عند نخل الرفيعة، فوقعت ثلاث معارك هناك[٤].

ثمَّ إنَّ أهل الناحية الشمالية حملوا على قبوس الباشا فوقع عندها قتالٌ شديد، وقَتَلَ أهل الدرعية عِدَّة قتلى من الترك.

ثم إنَّ أهل الدرعية أرادوا أن يَجرّوا المدافع التي غنموها فوجدوها مربوطة بسلاسل من حديد، وكان الترك قد ملؤوها برصاص البنادق والكبريت فثوّروها على اهل الدرعية؛ فقُتِلَ منهم مقتلة ورجعوا عنها، ومِمَّن قُتِلَ في تلك الوقعة: حسن بن إبراهيم بن دغيثر وأخوه

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٢/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٧).

(٢) الصنع: مجرى للسيل ويَصبّ من جبل. انظر: عبدالرحمٰن المانع «معجم الكلمات الشعبية في نجد» (١٠٧).

(٣) المغترَّة: في أسفل (الدرعية) وهو قريب من موضع (غار بنت الأمير). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٣٠/٢).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٢/١).

علي، وقُتِلَ أيضاً عبدالعزيز بن عبدالكريم بن معيقل[١] من أهل الوشم[٢].

ثمَّ اندلعت المواجهات في الرفيعة، وذلك أنَّ الباشا سار بعسكره من مخيمه ومعه مدفعان، وسار خلفه القرَّابة ومَنْ معهم مِنْ أهل الخرج وصاحب الرياض وبعض أهلها، فأقبل الباشا بكلِّ هؤلاء وحمل على المتارس والمحاجي التي في شعيب الرفيعة فوقع فيهم هزيمة، فظهر عليهم الأمير فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز من الرفيعة ومعه جمعٌ من أهل الدرعية وأهل سدير وغيرهم، فوقع بينهم وبين قرَّابة الترك قتال شديد، فحمل عليهم الباشا بالخيل فقُتِلَ من أهل الدرعية عِدَّة قتلى منهم الأمير فهد بن عبدالله المذكور.

ثمَّ تكاثرت الأفزاع من أهل الدرعية على الباشا وعساكره فانهزمت خيل الباشا وقرَّابته ومن معهم من أهل النواحي الذي تواطؤوا معهم على أهل الدرعية، وقتل منهم قتلى كثيرة، ثمَّ كرَّ الباشا راجعاً عليهم، فثبت له أهل الدرعية واقتتلوا معه ومع عساكره اقتتالاً شديداً هائلاً، وصبر الفريقان وحصل جلاد عظيم من طلوع الشمس إلى وقت الظهيرة، وانقضت الوقعة على قتلى كثيرة من الفريقين[٣].

---

(١) عبدالعزيز المعيقل؛ أبوه عبدالكريم المعيقل وكان من مشايخ المؤرّخ ابن بشر، وهو من تلاميذ الشيخ عبدالعزيز الحصيّن. وآل معيقل: هم الذين في (القرائن) قريب (جبل طويق). انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٧٨٥). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٢٦) (٥٣٦) (٢/٢٧٣).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٢ ـ ٤١٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٤١٣).

- خروج غصَّاب العتيبي من الدرعية:

جرت بعد وقعة الرفيعة وقعات ومقاتلات لا تُحصى، وطال الحصار واستحكم على أهل الدرعية، ونَقَصَ التموين في البلد وغَلَت الأسعار فيها حتَّى بلغ سعر البُرّ صاع بريال. ثمَّ حصل أنَّ أهل النواحي الذين كانوا يرابطون بجانب أهل الدرعية قد ملّوا الحرب وأنهكهم طول الحصار فخرج منهم أناس كثير، **فلمَّا كان آخر وقت الحصار خرج من الدرعية غصَّاب بن شرعان العتيبي، وكان خروجه منها وقت الهجيرة، وقَصَدَ الباشا.**

وقد أكَّدَ ابن بشر بأنَّ غصَّاباً هذا مِمَّن يُظنّ به الصدق مع آل سعود والصبر معهم، كما ذكر ابن بشر: أنَّ غصَّاب العتيبي كان رئيس الخيّالة في الدرعية، فلمَّا خرج قَوِيَ عزم إبراهيم باشا على الحرب وقرَّب القبوس من البلد، وأصاب أهل الدرعية كآبة ووهن من خروج غصَّاب عنها[١].

من هنا جاءت بعض المراجع المتأخرة جداً[٢] واستنبطت - بما فَهِمَتْهُ خطأً من كلام ابن بشر - أنَّ غصاب العتيبي خان الإمام عبدالله، **بالرغم من أنَّ ابن بشر أشاد بإخلاص غصَّاب وصدقه مع آل سعود، وفي المقابل فإنَّ ابن بشر لم يُشِرْ إلى كونِ غصَّاب خائناً، ولكنَّه بَيَّنَ أنَّ في خروج شخص بمكانةِ غصَّاب ضربة معنوية لأهل الدرعية.**

وكانت إحدى الباحثات قد استندت في بحثٍ لها على وثائق تركية وظَهَرَت بنتيجةٍ تفيد: بأنَّ غصَّاباً أراد الخروج من الدرعية كسائر

---

(١) انظر: المصدر نفسه (٤١٣/١ - ٤١٤).

(٢) مثل: سنت جون فيلبي في كتابه «تاريخ نجد» (١٥٣).

من خرجوا، فطلب منه الإمام عبدالله أن يتَّجِه إلى الباشا ويعرض عليه الصلح، ولعلَّ إبراهيم باشا احتجز غضَّاب، حتى لا يدعه يرجع إلى الدرعية مريداً بذلك إضعاف معنوياتها[١].

ـ الهجوم التركي الكبير على الدرعية من جميع جهاتها:

لمَّا كان صبيحة السبت ثالث ذي القعدة ١٢٣٣هـ/١٣ سبتمبر ١٨١٨م حَمَلَ الترك على محاجي الدرعية، **وذلك أنَّه لمَّا خَرَجَ من خَرَجَ من أهل الدرعية وغيرهم إلى الباشا، أخبروه بعورات أهل البلد وغرَّاتهم، وأخبروه بالموضع الذي ليس في أهله شِدَّةٌ على الحرب، وبالموضع الذي يتفرَّقون منه بالليل، وبالموضع الذي ليس فيه إلَّا قليل، وبالموضع الذي يدخلون منه على أهل الدرعية وهم لا يعلمون**[٢].

فلمَّا عَلِمَ الباشا بذلك ـ وكانت قد وصلته من مصر إمدادات غزيرة من العساكر ـ؛ أرسل تلك الليلة إلى أسفل الدرعية مدفعاً وعسكراً وأمرهم أن يحقِّقوا الحرب على من فيها، ليشغل بعضهم عن بعض، ثمَّ جمع الخيَّالة والقرَّابة وأرسلهم إلى علي أوزون الكردي في الجهة الجنوبية من الدرعية وكمنوا عنده.

ثمَّ حقَّق الباشا الحرب بالقبوس والقنابر والمدافع والبنادق على أهل الجهة الشمالية، يريد بذلك أن ينحاز أهل الدرعية إلى تلك الجهة لينشغلوا بها عمَّا يجري مِن اقتحامٍ للجهة الجنوبية، فلمَّا كان

---

(١) انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٤).

وقت طلوع الفجر أرسل علي أوزون عساكره إلى محجى الأمير عبدالرحمٰن بن سعود وهو فوق مشيرفة نخل سعود بن عبدالعزيز[١]، فوجدوه خالياً، ودخلوا معه في وسط النخل المذكور دون أن يلمحهم أحد[٢]، فاستولوا عليه وهو خلف محاجي أهل الدرعية من جهة البلد، فنقبوا جداره الذي على شفير الوادي وتَتَرَّسُوا به، ثمَّ ثار الحرب العظيم من الترك على كلّ من كان في الجهة الجنوبية والشمالية من أهل المحاجي[٣]، وكانت القنابل والقذائف من كلّ الأنواع تخترق الفضاء[٤].

فلمَّا اشتغل بعضهم ببعض واشتعلت نار الحرب؛ لم يَفْجَأ أهل الدرعية إلَّا والترك قد أتوهم من خلفهم من جهة مشيرفة، ثمَّ تفاجؤوا بالترك الآخرين مع وجوههم قادمين إليهم من جِهَةِ الشمال، وصارت رصاصات بنادق الترك تُطلق على أهل الدرعية من كل جهة[٥]، فانهزم اهل الدرعية إلى محاجيهم، وصار التقاتل عنيفاً؛ حتَّى قُتِلَ فيه قتلى كثيرة من الفريقين؛ قُتِلَ فيه الأمير إبراهيم بن سعود بن عبدالعزيز[٦].

---

(١) مشيرفة: المعروف باسم (حصن مشيرفة)، في (البليدة) في (الدرعية)، وهو على الضفَّة الغربية لـ(وادي حنيفة). انظر: عبدالله بن خميس «الدرعية معالم وأطلال» (٢٠). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٣٤).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٤ ـ ٤١٥).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الولى» (١٧٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٧٣).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٥).

ـ حرب الشوارع في السهل.

بعد تلك الكمّاشة التركية السابقة، تفرّق أهل الدرعية في بلدهم ورابط كلّ فريق منهم عند منزلتهم وأرضهم وتترّسوا عند أسوار أحيائهم ودورهم، وفي تلك الأثناء كان الأمير سعد بن عبدلله بن سعود قد لجأ إلى قصر غصيبة المشهور، فدخله واحتصر فيه[١] ومعه عِدَّة رجال من الأعيان وغيرهم[٢]، فجرَّ الباشا قبوسه وقنابره على المحاصرين في قصر غصيبة وضربه ضرباً عنيفاً وقصفه قصفاً شديداً[٣].

ثمَّ انبثَّت عساكر الترك والمرتزقة كالجراد في جهة السهل من الدرعية، واستولوا على كثير من الدور والبيوت في تلك الجهات[٤]، فاندلعت المواجهات والمصادمات العنيفة بين أهل السهل[٥] وبين الأتراك، هذا وأهل السهل حافظين جهتهم ومنازلهم.

وكان الإمام عبدالله بن سعود ومن معه من الأعيان في منزلهم بين البابين: باب الظهرة وباب سمحان، فلمّا رأى عبدالله بن سعود

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٣). وجملاء المرّي «تاريخ مدينة الدرعية سياسياً وحضارياً» (٢٤٧ ـ ٢٤٨) رسالة ماجستير غير منشورة.

(٢) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٢٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٥). ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٤).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٣).

(٥) قال ابن بشر: أهل (السهل) من أهل (البجيري) و(الحوطة) و(النقيب) و(مريح). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٥).

ما جرى، انتقل من سمحان وقصد منزله في الطريف وترك مخيَّمه ومدافعه وثقله في موضعه[١].

ـ شاهد عيان على معركة السهل:

لمَّا أقبل الباشا بقبوسه وقنابره ومدافعه ونزل في منزل عبدالله في سمحان ووجَّهَ قبوسه على باب الظهرة ورماها رمياً عظيماً؛ انتشرت عساكره التركية كالفراش المبثوث على أهل السهل واستولوا على البيوت ومزارع النخيل، وكادوا أن يستولوا على كلّ السهل عنوةً، ولكنَّ أهل السهل جالدوهم جلاداً عظيماً، بيدَ أنَّ الضربات التركية كانت وطأتها عنيفة، لكنَّ الله حماهم وكفَّ الترك عنهم فَهَمُّوا بالمصالحة، على أنَّ بعض أهل السهل اعترضوا، وقالوا: إنَّها ليست مصالحةً إلّا على السهل وأهله وينبغي إخراج عساكر الترك من البيوت والنخيل وقتل ما أمكن منهم.

فبرز في تلك الحالة العصيبة الشيخ عبدالله ابن الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فشمَّر وشهر سيفه وانتدب، واجتمع عليه أهل البجيري ونهضوا على الترك من كلّ جانب كأنَّهم الأسود، وقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود[٢]، وكان الشيخ عبدالله ـ رغم تقدّم سنّه وجلال قدره ـ على رأس المجاهدين المدافعين هناك شاهراً سيفه يقاتل قتال الأبطال المغاوير، ويلهب حماس المدافعين مردِّداً كلمته المشهورة: «بطن الأرض على عزّ خير من ظهرها على ذل»[٣].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٥).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٦).

(٣) عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٦٨). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/١٧٦).

واشتدَّت - على إثر هذا الحماس من الشيخ عبدالله - المقاومة من المقاتلين الذين كانوا معه ضدَّ عساكر الترك في السهل، فأظلمت الهجيرة كأنَّها الليل البهيم، وصريخ السيوف في الرؤوس كأنَّه صهيل الخيل، فأخرجوا الترك من السهل صاغرين، وقتلوا منهم عِدَّة مِئِين.

حتى قال أحد شهود العيان مِمَّن حضروا تلك الحرب: **والله؛ لو حَلَفتُ بالطلاق أنّي من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني لم أطأ إلَّا على رَجُلٍ مقتول، لم أحنث**[1].

في ذاك الوقت كانت كثير من مدافع السعوديين تقع غنيمةً في أيدي عساكر إبراهيم باشا، فنفعهم ذلك باتخاذ مواقع جديدة، وبدأت القذائف والقنابل تفتك بالآهلين في السهل وغصيبة، ولمَّا رأى السكان عند أسوار مدينتهم عدواً لا يستطيعون مقاومته، وبدا أنَّ الحرب أنهكتهم، وأحزنهم عويل النساء وبكاء الأطفال[2]، عندها أرسل أهل السهل إلى الباشا وطلبوا الصلح، فأجابهم إليه بعدما كان آبياً ولانَ لهم بعدما كان قاسياً، فخرج إليه من الأعيان: عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود والشيخ العالم علي ابن الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وجاء محمد بن مشاري بن معمّر يسير بصعوبةٍ شديدة[3]، فأرادوا منه أن يصالحهم على البلد كلّها، فأبى أن يصالحهم إلَّا على أهل السهل أو يحضر عبدالله بن سعود، فانعقد

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٦).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٤).

(٣) كانت القدم اليمنى لمحمد بن مشاري بن معمّر قد بترتها إحدى قذائف الترك.
انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٠).

الصلح بينهم يوم الأربعاء سابع ذي القعدة **١٢٣٣**هـ/٨ سبتمبر ١٨١٨م[١].

وبعد صلح أهل السهل، حقَّق الباشا ضرباته على سمحان وثلم جدرانه، فصالح أهل سمحان والمحاصرين في قصر غصيبة[٢].

ـ الباشا يضرب الطريف من جميع جهاتها:

بعد مصالحة الباشا مع أهل السهل وسمحان، انتشرت جنود العساكر التركية في السهل وَوَجَّهت المدافع التركية قذائفها نحو الطريف حيث الإمام عبدالله ومن معه[٣]، **فاندلعت الحرب الهائلة على أهل الطريف من كلِّ جهاته؛ من الشمال والجنوب وجهة المشرق والمغرب، وأحاطت عساكر الترك بالطريف وأمطروه بالقذائف والقنابل ورصاصات البنادق، وتسلَّطت المدافع التي في جبل سمحان بقنابلها على أهل الطريف[٤] تتساقط عليهم بشكلٍ متتابع، فاشتعلت النار في كلّ جهات الطريف، فثلمت قبوس الترك مقاصير آل سعود وخرقتها، واستشرفت نفوس عساكر الترك وطمعت في أخذ الطريف عنوة، ولكنَّ الله سلَّم حين أخرج الإمام عبدالله المدافع التي في قصره وجعلها في مسجد الطريف ورمى بها الترك.**

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٦/١ ـ ٤١٧).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٨/١). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٢٤/٢).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٥). وجورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٢).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨١).

ثمَّ تسلَّل بعض أهل البجيري من جهة السهل إلى الطريف للوقوف مع الإمام عبدالله ومن معه، كما تسلَّل بعض أهل النواحي أيضاً لمساندة من في الطريف من المحاصرين، واستمرَّت المقاومة يومين، ولكنَّ بعض المحاصرين قد ملّوا الحصار والتضييق وسئموا الحرب وويلاتها، فتفرّق كثير منهم عن الإمام عبدالله رغم ما بذله لهم من الدراهم التي كانوا يأخذونها ويهربون[1].



(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٧/١). وعبدالرحمٰن بن حسن «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٤/١٢).

* الصلح بين الإمام عبدالله وإبراهيم باشا:

لـمَّا رأى الإمام عبدالله ما رآه من هول ضربات الترك على الطريف وَتَفَرُّقِ الكثير مِمَّن معه، دفعه صياح الناس[١] إلى أن يبذل نفسه للأتراك؛ ففدى بروحه النساء والولدان والأموال[٢].

والحقّ أنَّ الإمام عبدالله ـ بالرغم من هول تلك الحوادث ـ لم يشأ أن ينجو بنفسه ويغادر عاصمته، مع ما هو معلوم من قدرته على ذلك حتَّى من قبل وصول الباشا وحصاره للدرعية، فقد عُرِضَ على الإمام أن يبقى بعيداً عن الدرعية لدى قبيلة قحطان[٣].

وهذا ما شهد به الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن حين ذكر أنَّ هناك من أشار على الإمام عبدالله بالرحيل من الدرعية قبل وصول الباشا إليها وأن يذهب إلى عربان قحطان ونحوهم، ولكن قدَّرَ الله غير ذلك؛ يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن: «فلو ساعد القدر لم يظفر به عدوّه، ويكون ظهره على السَّعة، ويذكرون له: أنك يا عبدالله إذا صرت كذلك صار لك في العسكر [التركي] مكايد، منها قطع سابلة ما بين [جيش إبراهيم] وبين المدينة. وهذا الرأي سديد، ولكن لم يُرِد الله قبوله، لأنَّ الأقدار غالبة، ولو قُدِّر ذلك لكان»[٤].

وعليه «صمَّمَ الإمام عبدالله على البقاء والصمود في الدرعية؛

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٧).

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٢٠٥).

(٤) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٣٤).

خصوصاً في ساعاتها الحرجة من الحصار، ولعلَّه رأى في هروبه منها عاراً وشناراً تهون دونه أيَّة مصيبة، فانتصرت عوامل الشجاعة في نفس عبدالله على ما كانت تُحَتِّمهُ الجوانب السياسية الذكيَّة والرأي السليم»[١].

الحاصل؛ أنَّ عبدالله أرسل إلى إبراهيم باشا يطلب المصالحة، فأمره الباشا أن يخرج إليه، فخرج إليه وتصالحا[٢] على أن يركب عبدالله إلى السلطان فيحسن إليه أو يسيء[٣]، وانعقد الصلح على ذلك

---

(١) عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٢٠٥).

(٢) يقول فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٦)، ومثله إدوارد جوان في كتابه «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨١): أنَّ الإمام «عبدالله قبَّلَ يَد إبراهيم باشا». وقال مثل ذلك: جورج سادلير في «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٢). وهذا غير صحيح، فلم تذكر المصادر التي كتبت عن حادثة الاستسلام شيئاً مِمَّا أشار إليه مانجان، ثمَّ إنَّ هذا الأمر على غير العادة الجارية لدى الأئمة من حكَّام الدولة السعودية الأولى ولا حتَّى الثانية ولا حتَّى عهد الملك عبدالعزيز وأبنائه. ثمَّ إنَّ بعض المؤرّخين ذكروا ردوداً للإمام عبدالله في مجلسه مع إبراهيم باشا ومجلسه مع أبيه محمد علي باشا تدلّ على كبرياء وصلابة الإمام ورضاه بقضاء الله وقدره. وهذا ما يرويه عبدالرحمٰن الجبرتي في تاريخه، ويرويه أيضاً القنصل الفرنسي في القاهرة. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣). ومنير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٤/١٣٣ ـ ١٣٤). وانظر: تعليقات محمد خير البقاعي على كتاب «تاريخ الدولة السعودية الأولى» لفيلكس مانجان (ص١٠٠ ـ ١٠١)

(٣) هذه رواية ابن بشر في «عنوان المجد» (١/٤١٧). وهناك رواية أخرى لهذا الحدث فيها تفصيلات عند المؤرخ الفرنسي إدوارد جوان (وجوان شاهد عيان ومن خواص محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا)، حيث ذكر جوان: أنَّ إبراهيم باشا قال للإمام عبدالله: «إذا كنتُ لا أستطيع التصرّف في إرادة الوالي=

ودخل منزله على أن يعود للباشا في الغد، ثمَّ أطاعت البلد كلّها لإبراهيم باشا[١].

والحقُّ؛ أنَّ الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود «كابد العساكر [التركية، حتَّى] تتابعت عليه الحروب والكروب، وصَبَرَ حتَّى تفرَّق الناس عليه شعوب، وحارب الترك في الحجاز وفي الدرعية، حتى مضى عليه أمر ربِّ البريَّة، وانتَقَضَ نظام الجماعة والائتلاف، بعدما قاتل قتالاً ما قاتله أحد من الأسلاف»[٢].

وتشهد الوثائق البريطانية: أنَّ الإمام عبدالله حارب ببطولة شَهِدَ لها إبراهيم باشا نفسه وقدَّمَ له التحية لشجاعته في الحرب. ووصفت الوثائق البريطانية الإمامَ عبدالله بـ: «المحارب الشجاع النبيل»[٣].

وأضحى من المعلوم أنَّ إبراهيم باشا ما كان لينتصر على ابن سعود لولا التفوق الكبير للسلاح العثماني على السلاح السعودي.

= [محمد علي باشا] فإنّي لعاجزٌ من باب أولى عنه في إرادة السلطان [العثماني محمود]، ولكنّي أعتقد عن ثقةٍ أنَّهما من كرم النفس وسِعَةَ الصدر بحيث يأبيان التنكيل بعدوٍّ سلَّم نفسه إليهما». ولمَّا كان عبدالله في القاهرة عند محمد علي باشا، أخبره الباشا أنَّه التمس له العفو عند السلطان، لكن لم يشفع لعبدالله عند السلطان التماس محمد علي باشا ولا رجاؤه بالعفو عنه. انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣) (٥٨٦). وعبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٢٠).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٧ ـ ٤١٨).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/١٩).

(٣) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.

وما أحسن ما كتبه أمين الحلواني[(١)] عن حرب الدرعية تلك، حين قال: «**ولمَّا تحارب ابن سعود مع إبراهيم باشا، وغُلِبَ ابن سعود، فما غُلِبَ من قِلَّةِ عسكرٍ أو من عدم شجاعة عساكره أو من احتياجٍ إلى مالٍ؛ إنَّما غَلَبَهُ إبراهيم باشا بالمدافع والآلات الحربية الجديدة والنيران التي لا قِبَلَ له بها؛ هو وجميع العرب**»[(٢)].

وهذه حقيقة اعترف بها إبراهيم باشا نفسه منذ بداية الحرب وحتَّى قبل وصوله للدرعية، حيث قال في رسالةٍ وجَّهها لأبيه: «**يتضِّح أنَّ الفتوحات التي حصلت في أيِّ مَحَلّ؛ إنَّمَا حصل أكثرها بالمدافع**»[(٣)].

وقال إبراهيم باشا معترفاً: **بأنَّه لولا تعويله على المدافع لما كان شكٌّ في هلاك عساكره**[(٤)].

وستجد تنويهاً على تلك الحقيقة عند المؤرّخ الفرنسي إدوارد جوان ـ وهو من خواص محمد علي باشا، وقيل إنَّه حضر مع حملة إبراهيم باشا على نجد ـ، قال فيه: «**ومما لا شك فيه أنَّ مدفعية**

---

(١) والحقُّ أنَّ الحلواني بالرغم من مَيْلِهِ إلى جهة العثمانيين الأتراك، وغالباً ما يكون معادياً لدولة آل سعود؛ لكنَّه في بعض المواضع من كتابه لا يحيد عن شهادة الحقِّ.

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٥٥).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م، (٢/٣٤٣).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٢/٣٦٨).

إبراهيم باشا كانت أقوى من مدفعية الوهابيين، وأنَّ عساكره كانوا أجود سلاحاً»[(١)].

المقصود؛ يقول الفرنسي فيلكس مانجان: إنَّه بعد لقاء عبدالله والباشا، كان الأخير يخشى أن يهرب عبدالله من الدرعية في أيِّ فرصة تسنح له[(٢)].

ولكنَّ المؤرّخ الفرنسي جوان شهد بالحقّ فقال: «**ولكنَّ الزعيم الوهابي كان رجلاً صادقاً شريفاً؛ إذا وَعَدَ وفَّى**، فإنَّه حضر في الميعاد المضروب، وتلقَّاه إبراهيم بمثل ما تلقَّاه به أمس من البشاشة والإيناس»[(٣)].

وبعد المصالحة بيومين أمر الباشا على عبدالله بن سعود أن يتجهَّز للمسير إلى مصر، فأوصاه عبدالله خيراً بأسرته ورجاه ألَّا يهدم الدرعية بعد اليوم وألَّا يعاقب الذين حملوا السلاح ضدّ الأتراك، فوافق إبراهيم على ذلك كلّه[(٤)].

ثمَّ أمر الباشا على رشوان آغا وعلى الدويدار[(٥)] ومعه ٤٠٠ من

---

(١) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٧).

(٣) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣).

(٥) الدويدار: أو الدَّوادار؛ هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير. و(الدواداريَّة): وظيفةٌ موضوعها نقل الرسائل والأمور عن السلطان وعرض القصص والبريد وأخذ الخطّ السلطاني على عامَّة المناشير. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم اللفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٧٧).

العساكر[١] بأن يتجهّزوا للمسير مع الإمام عبدالله، فرحل معهم عبدالله من الدرعية وليس معه من قومه إلّا ثلاثة رجال أو أربعة[٢]، فسارت به تلك العساكر وقصدوا مصر[٣].

* صفة دخول الإمام عبدالله إلى مصر ثم إسطنبول:

يقول المؤرّخ المصري عبدالرحمٰن الجبرتي: أنَّ عبدالله وصل القاهرة يوم ١٧ محرَّم ١٢٣٤هـ/١٦ نوفمبر ١٨١٨م، وقد «دخلها من باب النصر، وصحبته عبدالله بكداش قبطان السويس وهو راكبٌ على هجين وبجانبه المذكور وأمامه طائفة الدلاة، فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق وخلافهما»[٤].

---

(١) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢٥/٣).

(٢) انظر: عثمان بن بشر في كتابه «عنوان المجد» (٤٢١/١). وعند فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (ص١٧٨): أنَّ الذي رافق عبدالله اثنان من رجاله، هما: كاتبه عبدالعزيز بن سلمان وخازنه الذي هو من منطقة (السرّ). أمَّا إدوارد جوان في كتابه «مصر في القرن التاسع عشر» (ص٥٨٤) ومثله لوريمر في «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢٥/٣) فيذكران: أنَّ الذي رافق عبدالله خازنداره وكاتب أسراره وبعض عبيده. بينما يذكر المؤرّخ المصري عبدالرحمٰن الجبرتي في «عجائب الآثار» (٤٦٣/٤): أنَّ عبدالله كان معه خدم لزومه، ولم يذكر عددهم. في حين ذكر عبدالعزيز السلمان كاتب الإمام عبدالله: أنَّ الذي رافق الإمام ١٢ نفراً، وأنَّ محمد علي باشا لم يقبل أن يصطحب معه لإسطنبول هذا العدد، فكلَّف عبدالله أن ينتخب اثنين فقط. انظر الوثيقة التي أتى بها منير العجلاني في كتابه «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٢٥٠/٤).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨١ ـ ١٨٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٧/١) (٣٢١ ـ ٤٢٢).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٦٢/٤).

«فذهبوا به إلى بيت إسماعيل باشا ابن الباشا[١]، فأقام يومه، وذهبوا به في صبحها عند الباشا [محمد علي] بشبرا[٢]، فلمَّا دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه[٣]، وقال له: **ما هذه المطاولة.** فقال: **الحرب سجال.** قال: **وكيف وجدتَ إبراهيم باشا.** قال: **ما قصَّرَ وبذل هِمَّته، ونحن كذلك، حتى كان ما كان من قدرة المولى.** فقال: **إن شاء الله تعالى أترجَّى فيك عند مولانا السلطان.** فقال: **المقدَّر يكون.** ثمَّ ألبسه خُلْعة وانصرف عنه إلى بيت إسماعيل باشا ببولاق»[٤].

ثمَّ ذكر الجبرتي أنَّ الإمام عبدالله كان حاضراً ومعه صندوق فيه بعض ما أخذه أبوه الإمام سعود من الحجرة النبوية، ودار بين الإمام عبدالله ومحمد علي باشا حديث ونقاش حولها[٥].

---

(١) قصر إسماعيل باشا ابن محمد علي باشا أمام المطبعة الكبرى في (بولاق مصر). انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣). وعبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (١٠٦).

(٢) شبرا: قرية بضواحي (القاهرة)، من (مديرية القليوبية) واقعة على الشاطئ الشرقي للنيل. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢/٣١٢). وقصر محمد علي باشا كائنٌ في (شبرا) يسمَّى قصر شبرا على حافة النيل من الشطّ الغربي. انظر: عبدالحميد بكْ «ذيل خطط المقريزي» (١١٠).

(٣) يقول فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٢)، ومثله إدوارد جوان في كتابه «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٤): أنَّ الإمام عبدالله قبَّلَ يد محمد علي باشا. وهذا غير صحيح ولا دليل عليه، وانظر تعليقنا على بطلان مسألة تقبيل الإمام عبدالله ليد إبراهيم باشا التي أوردناها في هامشة سابقة قبيل قليل في هذا الفصل.

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣).

(٥) أوردنا هذا النقاش بين الإمام والباشا في الفصل الثامن.

ثمَّ سافر الإمام عبدالله بن سعود في يوم الأربعاء **١٩** محرَّم **١٢٣٤هـ/١٨** نوفمبر **١٨١٨**م إلى جهة الإسكندرية وصحبته جماعة من التتر[١] إلى إسطنبول، ومعه خدم[٢].

يقول الجبرتي: وفي يوم السابع من جمادى الأولى **١٢٣٤هـ/٤** مارس ١٨١٩م «**وصلت الأخبار عن عبدالله بن سعود أنَّه لمَّا وصل إلى إسلامبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون**[٣]، **وقتلوا أتباعه أيضاً في نواحي متفرِّقة، فذهبوا مع الشهداء**»[٤]. هكذا وصفهم الجبرتي بالشهداء؛ وهذا من إنصافه وقوله الحق.

ويقول مؤرِّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي (ت: **١٢٧٠**هـ/**١٨٥٣**م): أنَّ عبدالله «**لم يمكث بإسلامبول سوى بعض أيام، ثمَّ قُطِعَ عُنَقه مع رفيق له**»[٥].

ويقول المؤرِّخ إلياس الأيوبي (ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)[٦]: أنَّ

---

(١) التَّتَر: كلمة تُطلَق على ساعي البريد في الدولة العثمانية؛ لأنَّ التتر كانوا يؤدُّون عمل سُعاة البريد. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم اللفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٠٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣).

(٣) باب همايون: أحد بوابات (قصر طوب قابي) الذي أنشأه السلطان محمد الملقَّب بالفاتح، ويقع على السور السلطاني الذي يفصل بين القصر والمدينة، وهو مقابل (آيا صوفيا). انظر: سهيل صابان «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» (٥٠).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٧).

(٥) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٦٤).

(٦) إلياس الأيوبي: مؤرِّخٌ فلسطينيٌّ، حاقد على الدولة السعودية الأولى حانقٌ على=

محمد علي باشا سلَّم عبدالله «إلى نفرٍ من التَّتر أتوا من الأستانة لاستلامه، فعادوا به إليها، وهناك ـ بعد أَنْ داروا به الشوارع ثلاثة أيام ليهزأ به الملأ ويهينوه ـ قَطَعوا رأسَهُ ثمَّ حشوه تبناً، وأبقوه مُعلّقاً على سور الباب العالي مُدَّةً يتفرّج عليه المارّون ويشتمونه»[(١)].

وَأكّد ذلك المؤرّخ الفرنسي إدوارد جون حين قال: ظلَّت الناس تتفرَّج على جثَّة الإمام عبدالله وصاحبيه «بعد ان قُطِّعَت رؤوسها ثلاثة أيَّام متتابعة، وشاع بين الناس في الآستانة يومئذٍ أنَّ هذه الرؤوس أُخِذَت وصُحِنَت في هاون الحكومة، وجُعِلَت الجثث الثلاثة ملكاً للشعب [في إسطنبول]، ولسنا نظنّ أنَّ النُّسوَر والبزاة وَثَبَت عليها، كما وَثَبَ أهل الآستانة بفرحٍ وسرورٍ يَنُمَّان عن طبيعة الوحشية المستقرَّة في نفوسهم»[(٢)].

ويعلّق فيلكس مانجان[(٣)] على مقتل الإمام عبدالله قائلاً: «لقد ذهب [الإمام] عبدالله ضحيَّة إرضاء حقد الشعب التركي المتعصب، فطافوا به في المدينة ثلاثة أيام، ثمَّ قطعوا رأسه بعدها في ساحة آيا

= دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ترجم له: خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» (٩/٢).

(١) إلياس الأيوبي «محمد علي» (١٢٤ ـ ١٢٦). ولا يُخفي الأيوبي تشفّيه وفرحه بمقتل الإمام عبدالله.

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٧).

(٣) وفيلكس مانجان تعليقه مهم؛ لأنَّه شاهد عيان، وهو من خواص محمد علي باشا.

صوفيا[(١)] مع رفيقيه التعيسين. لقد قُضِيَ بذلك على قائد أمَّةٍ من الشجعان اعتادت الصبر على الشدائد، إنَّه المأسوف عليه عبدالله بن سعود»[(٢)].

* ذكر من قُتِلوا أثناء الحرب في الدرعية، ومن قُتِلَ بعد استيلاء إبراهيم باشا على البلد:

في جمادى الآخرة من سنة ١٢٣٣هـ/أبريل ١٨١٨م أثناء الحصار والحرب قُتِلَ الأمير فيصل بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود[(٣)]، كان قتله في غير قتال، فقد كان يمشي من موضعٍ إلى موضعٍ فأصابته رصاصة من مكان بعيد فمات في يومه ذلك، وكان الموضع الذي رُمِيَ منه لا تبلغه الرميَّة، وقد ذكر شاهد عيان رأى تلك البندقية مع رجلٍ من عساكر الترك، فقال: طولها تسعة أشبار ورصاصها إحدى عشر درهم[(٤)].

---

(١) آيا صوفيا: هي أكبر وأشهر الكنائس البيزنطية في (إسطنبول)، وتقع في (ميدان سلطان أحمد) الذي كان يُعرَف قديماً باسم Augusteion، شيَّدها قسطنطين الثاني، وعندما أخذ الترك العثمانيين مدينة (القسطنطينية/ إسطنبول) حوّلوا الكنيسة إلى جامع، وهدموا بعض قبابها وأقاموا مكانها منارات. وفي حديقة الجامع مراقد السلاطين والأمراء العثمانيين. انظر: صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني» (١/ ٨٠ ـ ٨٢).

(٢) فيلكس مانجان في «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٤ ـ ١٨٥).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨/٢). وإبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري «عنوان المجد» (٢١٨).

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٢/١). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٣٤٣/١).

أما رواية مؤرخي محمد علي باشا فيذكرون أنَّ فيصل بن سعود كان على ثنيَّة من الجبل يستكشف عساكر الباشا، وأثناء ذلك أُطلِقَت عليه رصاصة قتلته[(١)].

وفي رسالة إبراهيم باشا لأبيه محمد علي يذكر - وهو يتشفَّى - صفة مقتل فيصل بن سعود، فيقول: «إنَّ الشقيَّ فيصل [بن سعود] قُتِلَ برصاصة أطلقها عليه عبدكم مصطفى آغا قواله لي»[(٢)].

ومِمَّن قُتِلَ من آل سعود أيضاً: إبراهيم بن سعود بن عبدالعزيز، وأخوه تركي مات في آخر الحصار مريضاً[(٣)]، أمَّا عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود فقد توفّي بعد انقضاء الصلح[(٤)].

وقُتِلَ أيضاً فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز، وفهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود وأخوه إبراهيم وأخوه عبدالله وأخوه عبدالرحمٰن[(٥)].

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٨).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) ذوات، وحدة الحفظ (٩٤)، بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ/ ١٣ يوليو ١٨١٨م (٣٨٩/٢).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٨/١). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٣٤٣/١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٩/١).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٨/١).

كما قُتِلَ عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود أصابه حرامية في مُدَّة مقام الباشا في الدرعية(١).

وكان الأمير سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود قد خرج من الطريف فأخذته خيل الترك وأتوا به إلى الباشا فقتله صبراً(٢)، ودفع إبراهيم باشا عشرة أكياس من المال للجنديّ الذي أسر سعود بن عبدالله(٣).

ومات أيضاً إبراهيم بن عبدالله بن فرحان، وعبدالله بن ناصر بن مشاري، ومحمَّد بن عبدالله بن محمد بن سعود، وسعود بن عبدالله بن محمد بن سعود وابنه محمَّد. وَقُتِلَ من آل ثنيان وآل ناصر وآل هذلول عددٌ كبير.

كما قُتِلَ محمد بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب(٤). ويُرَجَّح أن يكون الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن خميس من قتلى حرب الدرعية(٥).

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣ ـ ١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٨/١ ـ ٤١٩).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٨/١).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٤ ـ ١٧٥).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٩/١).

(٥) الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن خميس: إمام قصر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ثم صار القاضي الخاص للإمام سعود بن عبدالعزيز. انظر: تعليقات عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة» (٤٨٨/٢) من تأليف ابن حميد.

وقُتِلَ من آل معمَّر أهل العيينة ستَّة رجال[١] وقيل خمسة عشر[٢] وقيل سبعة عشر[٣]، منهم ناصر ابن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمَّر قُتِل أثناء الحصار[٤]. وقُتِلَ أيضاً من آل دغيثر ستة[٥].

وقُتِلَ من سائر نواحي نجد من الرؤساء ومن دونهم خلقٌ كثير؛ فقد قُتِلَ من أهل الوشم قريب من مئة رجل، ومن أهل الحريق والحوطة نحو ثلاثين رجلاً، ومن أهل بلد ثادق والمحمل نحو أربعين رجلاً، ومن أهل بلد عرقة كذلك نحو أربعين رجلاً، ومن بلد منفوحة أكثر من خمسين رجلاً، ومن بلد حريملاء والعيينة والأفلاج وسدير والقصيم وغيرهم عدد كثير[٦].

* أفاعيل إبراهيم باشا المُنْكَرَة بأهل الدرعية:

لمَّا صالح الباشا أهل الدرعية واستولى على البلد، **صارت عساكر الترك تعبث بأسواق الدرعية وتضرب أهلها وتهينهم، فكان الترك يَجمعون بعض رجالات البلد من الأسواق ويُخرجون من كان منهم في الدور والبيوت ثمَّ يهينونهم بأن يحملوا على ظهورهم ما**

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٩/١).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٠٥/٢).

(٤) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٢٧/٢).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٩/١).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٩/١ ـ ٤٢٠).

تحمله الحيوانات، ثم يأمرون أهل البلد بهدم البيوت والدكاكين، ثمَّ يأخذون أخشاب سقوف البيوت والدكاكين ويكسرونها، ويأمرون أهل البلد أن يَرِدُوا على الماء ويحملونه للعساكر، فأهانوا اهل الفضل وأهل العلم ورفعوا الساقط والخسيس[(١)].

ثمَّ استولى إبراهيم باشا وعساكره على أوقاف المساجد والأراضي والبساتين في الدرعية[(٢)].

كما استولى على مجموعات كبيرة من المصاحف والكتب الموجودة فيها وأرسلها إلى المدينة النبوية[(٣)].

ثمَّ لمَّا استقرَّ إبراهيم باشا مُدَّةً في الدرعية كثُرَ عنده القيل والقال من أناسٍ من أهل نجد في أعيان الدرعية وصلحائها وعلمائها، فرموهم عنده بالهتان وتظاهروا عليهم بالإثم والعدوان، فقتل الباشا من أعيان البلد عِدَّة رجال، فمنهم من قُتِلَ صبراً بالقرابين والبنادق، ومنهم من جعلهم على ملفظ القنبر والقبس وصار رصاصة البارود وطاح من الجوّ قِطَعاً.

فمِن هؤلاء الشيخ رشيد السردي النجدي الذي كان قاضياً في بلد الحوطة والحريق، فلمَّا جاءت عساكر إبراهيم باشا وحاصرت الدرعية ترك الشيخ السردي الحوطة والحريق وذهب للمرابطة في الدرعية، فكان من المتحمسين لدولة آل سعود والدعوة السلفية

---

(١) انظر: المصدر السابق (٤٢٩/١).

(٢) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٤).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (٧) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٥٨)، بتاريخ ١١ شعبان ١٢٣٦هـ/ ١٤ مايو ١٨٢١م (١٥٧).

والدفاع عنهما، ولمَّا عَلِمَ إبراهيم باشا منه هذه الصلابة في عقيدته ـ عقيدة التوحيد ـ قتله صبراً عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م[١]، **حيث ثوَّر عليه عساكر إبراهيم باشا القرابين والبنادق فمزَّقت جسده**[٢].

ومنهم أيضاً الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) الذي كان قاضياً في الخرج، فلما حوصرت الدرعية، ترك العريني الخرج وذهب ليرابط في الدرعية، **فلما استسلمت البلد صار الشيخ علي العريني يجاهر بعداوة الترك والبراءة منهم، وعَرَفَ ذلك منه إبراهيم باشا، فكان الشيخ علي العريني من جملة المقتولين صبراً**[٣]**، فقد جعله إبراهيم باشا على ملفظ المدفع فثوَّره عليه، وفي ذات الوقت كانت رصاصات البنادق منطلقة نحوه، فتطاير جسده في الجوِّ وطاح أشلاءً متناثرة على الأرض**[٤].

ثمَّ أمر إبراهيم باشا أن يؤتى بالشيخ الفقيه صالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي من أهل الرسّ، وقد كان مرابطاً في الدرعية وقت الحصار ثمَّ وقع في قبضة إبراهيم باشا، فأمر عساكره أن يضربوا **الشيخ بعصيِّهم، ثمَّ حمله الباشا وجعله على ملفظ القبس والقنبر فثوَّر عليه النار فتناثرت أشلاء جسده على الأرض**[٥].

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٢/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٩٠/٢ ـ ١٩١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦١/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٧٩/٥).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٩). ومحمد=

وكذا حصل للشيخ عبدالله بن صقر الحربي (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م)[(١)].

ثمَّ جيء بالشيخ عبدالله بن أحمد بن كثير (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)، الذي كان من ضمن المرابطين في الدرعية وقت الحصار، فأمر الباشا عساكره أنْ تقتله[(٢)]؛ **وكان قَتْلُهُ بعدما وشى به رجلٌ بغداديٌّ كان سائراً مع جيش إبراهيم لحرب أهل الدرعية، فحرَّضَ هذا البغدادي الباشا فَقَتَلَ ابن كثير.**

ثمَّ إنَّ هذا البغدادي كرَّر تحريضه ووشايته عند الباشا ليقتل رجالات آل سويلم الذين كانوا في الدرعية[(٣)]، فقرَّب الباشا قرابينه وبنادقه على عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سويلم وحمد بن عيسى بن سويلم فقتلهم في وقتٍ واحد.

ومِمَّن قُتلَ بالقرابين والبنادق محمد بن إبراهيم بن سدحان صاحب بلد شقراء[(٤)].

= الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦١ ـ ١٦٦٢).

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤).

(٣) انظر: عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٣٥).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢١).

أمَّا ما جرى على العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي (ت: ١٢٥٧هـ/١٨٤١م)، الذي كان قاضياً لآل سعود في المدينة النبوية، فإنَّه خرج من المدينة يوم استولى عليها الترك واستقرَّ في الدرعية ورابط بها، ويوم حاصرها إبراهيم باشا كان الشيخ هو صلة المفاوضة في أمر الصلح بين آل سعود وإبراهيم باشا، **وعَرَضَ عليه الباشا أن يردّه إلى المدينة فأبى وقال: لا أفارق أهل الدرعية إلّا إذا غُلِبوا.** فأغضب الباشا ذلك، ولمَّا أخذ إبراهيم باشا الدرعية أمسكه وقلع أسنانه وعذَّبه بأنواع العذاب، ثمَّ رحَّله للقاهرة[١].

ومن الأسباب التي جعلت إبراهيم باشا ينكّل بالشيخ أحمد بن حسن بن رشيد، أنَّ الباشا لم ينسَ حنقه وغضبه على الشيخ أحمد بن حسن يوم فاوضه الأخير وقت حصار الرسّ[٢]، ورفض إبراهيم المفاوضة وطلب تسليم الرسّ، فقال له الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي: «هذا ضربٌ من الخيلاء، فأنت تهاجم الرسّ منذ زمنٍ طويل ولن تستطيع الاستيلاء عليها». فاغتاظ إبراهيم باشا من كلام ابن رشيد الحنبلي[٣] وأسرَّها الباشا في نفسه، فلمَّا تمكن من الدرعية قبض عليه ونكَّلَ به كما بينَّا قبيل قليل.

إلى جانب هؤلاء قام إبراهيم باشا بقتل أبناء الشيخ عبدالله ابن

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). ومحمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢٩/١ ـ ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٢/٣) (١٦٨٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٦٠/١) (٤٦٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٩).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤ ـ ١٤٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٣ ـ ٥٥٤).

الشيخ محمد عبدالوهاب، وهم: الشيخ علي بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م) الذي رابط في الدرعية حتى وقع في قبضة الترك فقتلوه قرب الدرعية[(١)].

ومثله أخوه الشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: **١٢٣٣**هـ/١٨١٨م) الذي رابط وصمد في الدرعية عاصمة بلاده، وصبر وقاوم حتى تمَّ تسليم الدرعية بناءً على الأمان الذي أعطاه إبراهيم باشا لأهلها في اتفاقية التسليم، **إلَّا أن رجلاً نجدياً في جيش إبراهيم باشا وشى بالشيخ سليمان وبأفرادٍ معه، فَغَدَر بهم الباشا وقتلهم.** هكذا نَصَّ ابن بشر بأنَّ الواشي من أهل نجد الذين تواطؤوا مع الباشا[(٢)].

بينما يخبرنا الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ: أنَّ الواشي كان بغدادياً سار مع إبراهيم باشا في حربه لأهل الدرعية، فقال الشيخ عبدالرحمٰن نصّاً: «وغدروا بسليمان بن عبدالله وآل سويلم وابن كثير عبدالله بسبب البغدادي الخبيث، حداه عليهم»[(٣)].

وإليك الصفة التي قُتِلَ بها الشيخ سليمان؛ **وهي أنَّ الباشا أرسل إليه وتهدَّدَهُ، ثمَّ أمر على آلات اللهو والرباب فجرُّوها عنده إرغاماً له بها، بعدها أمر الباشا أن يذهبوا به إلى المقبرة ومعه عددٌ كبير من**

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٨ ـ ١٨٩) (٤٣٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٢٤١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٤).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٣٥).

العساكر فأمرهم أن يثوِّروا فيه البنادق والقرابين، فثوَّروها فيه، فتطاير جسده وتقطَّع أشلاءً متناثرة، حتَّى أنَّهم صاروا يجمعون لحمه قِطَعاً حين أرادوا دفنه(١).

ولعلَّ سبب قتل إبراهيم باشا للشيخ سليمان بتلك الطريقة الوحشية؛ أنَّ الشيخ سليمان شُهِدَ له أثناء حوادث الدرعية أنَّه كان مغواراً شجاعاً مِقْداماً لا يهاب الموت، وكان شديداً في قتاله مع الترك أثناء حصارهم للدرعية.

ويُذكر عنه: أنَّه كان فارساً متمرِّناً على ركوب الخيل، ويجيد فنون القتال، يقارع الأعداء بشجاعةٍ نادرةٍ وثباتٍ ورباطة جأش، فقد ذكروا عنه في إحدى وقعات حوادث الدرعية: **أنَّه كان يصول ويجول على فَرَسِهِ في المعركة شاهراً سيفه، فالتقى بأحد خيَّالَة الترك، فلما اقترب منه ضربه الشيخ سليمان بالسيف، فبتره نصفين، فكان نصفٌ على الفرس، ونصف على الأرض.**

فبذلك أرعب سليمان التركَ وأوقع في قلوبهم الذلّ والهلع، فقد كان كلّ من يقابله منهم يفرّ من وجهه، وقد كان سبب في هزيمتهم في تلك المعركة.

فلربَّما كان هذا هو السبب الذي جعل إبراهيم باشا يقتله بتلك الطريقة(٢).

الحاصل؛ لمَّا فعَلَ إبراهيم ما فعله بالشيخ سليمان أراد الباشا أن يغيظ والده الشيخ عبدالله، فقال له: «قتلنا ابنك سليمان». فأجابه

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٤).

(٢) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٣٨ ـ ١٣٩).

الشيخ عبدالله بقلب المؤمن الصابر ولسان المجاهد الواثق: «إنْ لمْ تقتله مات». فنالت منه هذه الكلمة الصادقة من هذا العالم الشجاع المؤمن ما لم تنله السهام الحِداد، فأخذ الباشا يردّدها بلسانه ويتأمّلها بعقله.

لذلك كان إبراهيم باشا يردّد وهو في مصر قائلاً: «**العلماء الحقيقيون في صحاري نجد**»، لِمَا رأى من إيمانهم وصدقهم وتمثّلهم بحالات السلف الأوائل(١).

* ذِكْرُ من خرج من الدرعية من أهل العلم:

لمَّا رأى **الشيخ علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب** (ت: ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م تقريباً) ما رآه من تنكيل إبراهيم باشا بأهل الدرعية وتعذيبه لهم، عزم على الفرار هو **وعمَّته الشيخة فاطمة بنت الشيخ محمَّد بن عبدالوهاب**، فانسلَّ الشيخ وعمّته وخرجا من الدرعية إلى **قطر** ثمَّ إلى **رأس الخيمة**(٢).

ويورد الشيخ البسَّام بعض أقوال الرواة التي تقول: إنَّ **الشيخة فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب** «في ذهابها مع ابن أخيها إلى عمان(٣) مرَّا على بوَّابةٍ خشبية عند ضريح وليٍّ لهم لا يتجاوزه أحد

---

(١) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/١٧٦ ـ ١٧٧).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/١٧٥). (٣٦٤ ـ ٣٦٦).

(٣) يقصد دولة الإمارات اليوم، وكانت تسمَّى «ساحل عمان الشمالي». راجع ما ذكرناه عن تسميات تلك الإمارات في الفصل الثالث.

حتَّى يُقرِّب لصاحب الضريح شيئاً، فطلب منها سادن الضريح ذلك، فقال ابن أخيها: ما نقرِّبْ له إلَّا تْرَاب في وجهه. فقالت عمَّته: لا، ما نقرِّبْ له تْرَاب». ويعلّق البسَّام قائلاً: «وكلٌّ منهما هي وابن أخيها له مقصد شريف»(١).

مع أنَّ المؤرّخ البلداني الشيخ حمد الجاسر ذكر أنَّ تلك الحادثة وقعت والشيخة فاطمة عند قرية الزّيمة(٢) في طريقها إلى الحجّ(٣).

وقد وَجَدتُ تلك الرواية عند الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم (ت: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٠م)(٤) يرويها عن الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، حيث يقول ابن قاسم: «وسمعت فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز يقول: روى لنا المشايخ عن فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ أنَّه أُرِيدَ منها أن تُقرِّبَ لأحد المعبودين في زمانها شيئاً فأَبَت. فقالوا: ولو تراب. قالت: ولا

---

(١) عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٣٦٥).

(٢) الزيمة: في (وادي نخلة اليمانية)، يمرّ بها طريق مكة إلى الطائف المارّ بنخلة اليمانية. سكَّانها جلّهم الأشراف القناوية. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٧٧١).

(٣) انظر: حمد الجاسر، بحثٌ بعنوان «المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» في «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م (ص٢٨٥).

(٤) هو الشيخ محمد، ابن الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم، وقد كانت له جهود علمية في جمع فتاوى ورسائل العلماء. توفي في (الرياض) إثر حادث مروري. انظر ترجمته عند: عبدالملك بن محمد القاسم «العالم العابد الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن قاسم» خصَّصه كلّه في حياته وسيرته ومؤلّفاته.

تراب؛ **التراب خير من الذباب**»[١].

المُراد؛ خَرَجَ من الدرعية أيضاً **الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر آل معمَّر** (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)؛ الذي فرَّ من تنكيل إبراهيم باشا بأهل الدرعية بعد التسليم، وأرسل ابن معمَّر زوجته وولده وابنتاه عند ابن عمِّه أمير **بلدة سَدُوس** عبدالله بن إبراهيم بن مشاري بن معمر ابن عمّ الشيخ عبدالعزيز، وكان شهماً كريماً، فكفل أولاد الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن معمر وزوجته وجعلهم تحت رعايته وعنايته، أمَّا الشيخ عبدالعزيز فقد واصل هروبه حتى وصل إلى **البحرين** وتوفّي هناك[٢].

وحمد ابن معمَّر هذا؛ هو صاحب القصيدة الشهيرة ذائعة الصيت، المسمَّاة بالقصيدة الطنَّانة التي رثى بها سقوط الدرعية[٣].

ومِمَّن خَرَجَ أيضاً بعد سقوط الدرعية الشيخ عبدالله بن أحمد بن محمد الوهيبي (ت: ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م)؛ حيث فرَّ إلى **رأس الخيمة** خوفاً من فتك عساكر إبراهيم بأهل الدرعية، ولم يزل مقيماً بها حتى عام **١٢٣٥هـ/١٨٢٠م** حين استولى الإنجليز عليها وعلى سائر الإمارات وصاروا يعيشون في البلاد بالخراب والدمار ويعذّبون

---

(١) محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ» (١٠٨/١) في الهامش.

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٦٧/٢). وعبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٢٢٠ ـ ٢٢١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٧٣/٣). وعبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم «الدرر السنيَّة» (٣٨٩/١٦). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣٤١/٣).

(٣) سنأتي على ذكر القصيدة الطنَّانة في نهاية هذا الفصل.

أعيانهم، فخرج منهم من نجّاه الله من فِتنهم، وكان معه في مقامه هناك وفي هروبه عدّة أعيان من المسلمين من بلاد نجد[١].

ومِمَّن فرَّ من تنكيل إبراهيم باشا بأهل الدرعية الشيخ فارس بن حمد بن محمد بن رميح (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) الذي كان مرابطاً فيها وقت الحصار، فلمَّا دمَّرت عساكر الباشا الدرعية خرج منها ابن رميح وعاد إلى **العطار**[٢] **بلده الأول**[٣].

ومنهم أيضاً الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن سلطان، من أهل البير ـ من بلدان المِحْمَل ـ، فإنَّه كان هو وأهله وأولاده مرابطين في الدرعية، فلمَّا غزتها قوَّات إبراهيم باشا، عاد بأهله وأولاده إلى بلده **البير**[٤].

كما خرج من الدرعية عبدالعزيز بن سليمان بن عبدالوهاب بن مشرف (ت: ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م تقريباً)[٥]، الذي كان يقيم في الدرعية حتى غزاها إبراهيم باشا ودَمَّرها، فذهب إلى حريملاء ـ في الشعيب ـ حتى غزا الترك الحملة التركية الثانية عام ١٢٣٦هـ/١٨٢١م، فجرى على عبدالعزيز في حريملاء من الحبس والتعذيب والضرب وسرقوا مكتبته،

---

(١) عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤/٣٥ ـ ٣٧).

(٢) العطَّار: بلدة من بلدان (سدير)، وهي في أسفل (وادي الفُقَي/ وادي سدير). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٦١) (٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٣) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٣٥٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (٦/٧١).

(٥) عبدالعزيز بن سليمان بن عبدالوهاب، ابن أخ الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وُلِدَ في (حريملاء)، ثم انتقل إلى (الدرعية)، وتوفي في (الأحساء). انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣/٣٦٣ ـ ٣٦٥).

وكانت خزانة كتب عظيمة، ثمَّ نهبوا بيته، ثمَّ أشعلوا النار في باقي الكتب وسائر البيت، فحمل أهله ورحل إلى الأحساء وتوفّي فيها(١).

وخرج أيضاً من الدرعية؛ المؤرِّخ الشيخ محمد بن عمر بن محمد بن حسن بن محمد بن فاخر، الوهبي التميمي، وهو من بلدة التويم ـ من بلدان سدير ـ، وكان قد انتقل إلى الدرعية بعد سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م، وبقي هناك حتى حاصرها إبراهيم باشا وسقطت في يده سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، فاضطَّره جور الأتراك أن يرحل من الدرعية قبل هدمها، فذهب إلى الأحساء، ثم عاد إلى بلدة حَرْمَة ـ من بلدان سدير ـ بعد أن هدأت الأمور(٢).

* ذِكْرُ الأمراء من آل سعود الذين خرجوا من الدرعية:

ومِمَّن خَرَجَ من الدرعية من آل سعود الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود(٣)، **خرج بعد تنكيل إبراهيم باشا بأهل البلد، وتخفَّى في غارٍ عُرِف باسم غار تركي**(٤). **كما خرج معه واختفى أخوه زيد بن**

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٥٥ ـ ٤٥٦). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣/٣٦٣ ـ ٣٦٤).

(٢) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٥/٢٤٦ ـ ٢٤٨).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥).

(٤) غار تركي: في (هضبة عُلَيَّة) وهو غارٌ مجوَّفٌ في مصبِّ تلعة متعلِّقَة بالريش (ريش عُلَيَّة)، وهو حَزْنٌ ممتدّ فوق قمَّة (عُلَيَّة) من الشمال إلى الجنوب، وما سال منه ينحدر منه شرقاً على (الخَرْجِ). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٢٩ ـ ٢٣٠).

عبدالله بن محمد بن سعود[١].

يقول أمين الحلواني: «**لمَّا أَسَرَ إبراهيم باشا عبدَالله بن سعود ونقله وعائلة الملك إلى مصر**[٢] **سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، انْفَلَتَ من يَدِ إبراهيم باشا تُركي بن عبدالله بن سعود، وبقيَ متنقِّلاً مُستَتِراً من قريةٍ إلى قرية، ومن قبيلةٍ إلى قبيلة، والعساكر المصرية**[٣] **لا زالت منتشرةً في أرضِ نجد**»[٤].

ومِن الذين خرجوا من الدرعية: الأمير عمر بن عبدالعزيز وأبناؤه عبدالله ومحمد وعبدالملك؛ خرجوا منها وقت المصالحة. كما خَرَجَ أيضاً الأمير مشاري بن ناصر وحسن بن محمد بن مشاري؛ خرجوا بعد استيلاء الترك على الدرعية وقيامهم بالتنكيل بأعيان البلد[٥].

يقول المؤرّخ عبدالله بن محمد البسَّام: «**وكان حسن بن مشاري بن سعود ومشاري بن ناصر قد هربا من الدرعية إلى** [إمارات الساحل الشمالي في إقليم] **عمان، وقت المصالحة مع إبراهيم باشا**»[٦].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٢).

(٢) سيأتي ذكر حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ من (الدرعية) إلى مصر، في ملحقٍ خاصٍّ في نهاية هذا الفصل.

(٣) مَرَّ في الفصل التاسع بيان أنَّ تلك العساكر عثمانية وليست مصرية.

(٤) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٦).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٤٥).

(٦) عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٨١).

أمَّا سعد ابن الإمام عبدالله بن سعود، فلا يُعلَم مصيره؛ هل قُتِلَ في هذه الحرب؟ أم نُقِلَ مع عشيرته الذين نُقِلوا إلى مصر وماتوا بها ولم يبقَ لهم بقية؟[(١)] فالله أعلم بما آل إليه مصيره.

* أفاعيل إبراهيم باشا في الأحساء:

لمَّا توجَّه إبراهيم باشا إلى محاصرة الدرعية انضمَّ إليه محمد وماجد ابنا عريعر بن دجين، فلمَّا سلَّمَت الدرعية وانتهت الحرب طلب ماجد وأخوه محمد من إبراهيم باشا أن يولّيهما الأحساء، فأجابهم إلى ذلك[(٢)]، فتوجَّها إليها، وقد خرج منها أميرها فهد بن سليمان بن عفيصان (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م)[(٣)] حينما بلغه استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية، خرج ابن عفيصان إلى البحرين خوفاً من بَطشِ عساكر الباشا؛ لِمَا سَمِعَهُ عنها قبل وصولها إلى الأحساء، ثمَّ

---

(١) انظر تعليق عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على «عنوان المجد» (٤١٥/١) لعثمان بن بشر، في الهامش. وانظر أيضاً: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٣).

(٢) انظر: سلطان الأصقه «إمارة الكويت في ظلّ التنافس الدولي» (٥٢).

(٣) فهد بن سليمان بن عفيصان: هو الذي أَمَرَهُ الإمام سعود سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م أن يَعبُرَ إلى البحرين ويضبطها ثمَّ جَعَلَه على بيت المال هناك، ثمَّ إنَّه وَقَعَ في أسر آل خليفة بعد استعانتهم بسلطان مسقط والعجم والإنجليز الذين في مسقط، ثمَّ افتكَّه الإمام سعود فيما بعد. ثمَّ كان أميراً نائباً للإمام عبدالله على (الأحساء). وفي سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م قُتِلَ على يد إبراهيم باشا بعد ان أرسل الباشا حملة غادرة على أسرة آل عفيصان في (الدلم) في (الخرج). انظر أخباره عند: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٠ ـ ١٧١) (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٠٨/١ ـ ٣٠٩) (٤٢٣) (٤٣٧).

دخل ماجد ومحمد آل عريعر الأحساء واستوليا عليها، ومن بعدها سار محمد بن عريعر إلى القطيف واستولى عليها[١].

وبعد أيام كان إبراهيم باشا وهو لا يزال في الدرعية قد أخذ خيل آل سعود وشوكة الحرب وسطى على كلّ ما عليه اسم أو رسم أو وسم بالبنادق والسيوف التابعة لآل سعود.

ثم بعث إبراهيم باشا - في سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م - بقائدٍ من قوَّادِهِ يقال له محمد كاشف ومعه ٢٤٠ رجلاً وفي صحبتهم عبدالله ابن الشيخ عيسى المطلق وأمرهم بأخذ جميع ما في بيت المال وما كان لآل سعود في الأحساء من الخيل والسلاح، فقدِموا وأخذوا أموالاً وقتلوا رجالاً وصادروا ظنابن آل سعود وطوارفهم، وقَتَلَ رجال من أئمة مساجد الأحساء من أهل نجد، ومسكوا الشيخ عبدالرحمٰن بن نامي وحبسوه وأخذوا أمواله ثمَّ قتلوه[٢]. ثمَّ عثا الكاشف في أرض الأحساء وأفسد وظلم أهلها[٣].

فلمَّا رأى آل عريعر أفاعيل عساكر إبراهيم باشا بالأحساء، خافوا على أنفسهم فخرجوا من الأحساء وتوجَّهوا إلى العراق[٤]، ثمَّ

---

(١) انظر: محمد آل عبدالقادر «تحفة المستفيد» (٢٥١/١ - ٢٥٢). وجمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي» (٤٠٢/١).

(٢) انظر: عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢٩/١ - ٤٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٤/٣). وعبدالله البسّام «علماء نجد» (٢٧٣/٣ - ٢٧٤). وتعليقات عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة» لابن حميد (٥٢١/٢).

(٣) انظر: عثمان بن سند «مطالع السعود» (٤٤٧).

(٤) انظر: محمد آل عبدالقادر «تحفة المستفيد» (٢٥٢/١). وجمال زكريا قاسم=

هرب من الأحساء رئيس السياسب ومعه رجال من أتباعه ومن أعيان البلد وركبوا البحر فراراً من عساكر إبراهيم باشا.

ولقد بقيت عساكر إبراهيم باشا في الأحساء وعاثوا فيه إلى قريب ارتحال الباشا من الدرعية(١). وفي هذا يشهد سادلير الذي رأى بعينيه ما حلَّ بالأحساء، حيث يقول: «**لقد قضى الكاشف على الكثير من الممتلكات الخاصَّة بالأحساء رغم بُعدها عن نجد وما جرى فيها؛ لقد جمع الكاشف مليوناً ومئتي ألف من القروش من أهالي الأحساء قبل مغادرته، وأصبح شعار الباشا سلب الأهالي وجمع الأموال وترك الدمار الشامل بصورةٍ لا يوجد لها مثيل في تاريخ الجزيرة**»(٢).

* أوامر الحكومة العثمانية بتدمير الدرعية وسائر أسوار البلدات النجدية:

لـمَّا دخلت السنة ١٢٣٤هـ - آخر ١٨١٨م، وأوَّل ١٨١٩م - جاءت الأوامر من محمد علي باشا إلى ابنه إبراهيم باشا أن يُسَفِّر من في الدرعية من آل سعود وآل الشيخ وبعض الأعيان ويأتيه بهم في القاهرة(٣).

= «تاريخ الخليج العربي» (٤٠٢/١). وفؤاد سعيد العابد «سياسة بريطانيا في الخليج» (١٢٠).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣٠/١).

(٢) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٥).

(٣) وسيأتي - بالتفصيل - ذكر حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ من الدرعية إلى القاهرة في ملحقٍ منفرد آخر هذا الفصل.

كما أمر محمد علي باشا ابنه إبراهيم أَنْ يُدَمِّرَ الدرعية ولا يُبقي فيها قصر ولا دار ولا بناء ولا حجر إلَّا ويهدمه، وأن لا يُبْقِ فيها شجر إلَّا ويقطعه، فبعث إبراهيم باشا عساكر من حاشيته وخَدَمِهِ وفرَّقهم في نواحي نجد وأمرهم بهدم أسوار البلدان وحصونها(١).

فنزلت تلك العساكر على تلك البلدان وهدمت الأسوار والتحصينات والقلاع التي في شقراء وثرمداء ومنفوحة وعنيزة والرياض وسائر قرى ومدن نجد بلا استثناء(٢). ثمَّ «صادروا أهلها بخراجهم وعلف خيولهم وعَلِيقها(٣) بالليل والنهار، وجمعوا ما في البلدات النجدية من الحنطة والشعير إلَّا ما قلَّ»(٤).

ثمَّ لمَّا كان في شعبان ١٢٣٤هـ/يونيو ١٨١٩م قدِمَت الرسل والمكاتبات من محمّد علي باشا على ابنه إبراهيم باشا وهو في الدرعية يأمرهُ بهدمها وتدميرها، فأمر الباشا أهل الدرعية أن يرحلوا عنها، ثمَّ أمر على العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ولا يرحموا صغيرها ولا كبيرها، فابتدر العساكر إلى هدمها مسرعين، وكانوا أحياناً يهدمونها وبعض أهاليها فيها مقيمين، فقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور، ونَفَذَ فيها القدر، وأشعلوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٩) (٤٣٧).

(٢) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٦).

(٣) العَلِيقُ: طعام الحيوان من تبنٍ وشعير ونحوه. انظر: إبراهيم مصطفى وزملاه «المعجم الوسيط» (٦٢٣).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٩).

السكَّان فتركوها خالية كَأَنْ لم يَكُنْ بها من قديم ساكن، وتفرَّقَ أهلها في النواحي والبلدان(١).

ويأتينا مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي فيلكس مانجان بشهادة على ذلك المشهد المأساوي، فيقول: «جمع إبراهيم باشا زعماء المدن الذين جاؤوا إلى الدرعية حسب أوامره والزمهم بهدم أسوار مدنهم وتحصيناتها خلال مدَّة محدَّدة، [ثمَّ] أمر بهدم بيوت [الإمام] عبدالله والمسجد، واضْطَّرَّ السكان إلى هدم الأسوار والحصون التي لم يطلها الهدم خلال الحصار، **وما كاد إبراهيم [باشا] يَرْحَل حتَّى أصدر الحاكم أمره إلى الجنود بقطع أشجار النخيل وإتلاف المزروعات كلّها بينما كان السكَّان مشغولين بهدم الأسوار، وأجبر الناس على الخروج من المدينة كيلا تقع المنازل على رؤوسهم، وسارع السكان جميعاً يبحثون عن مكان إقامةٍ في الأماكن المجاورة، وخلال عشرين يوماً خَلَت الدرعية من سكَّانها؛ فما إنْ تخرج أسرة من منزلها حتَّى يبادر الجنود إلى إحراقه غير عابئين إذا كان البيت المجاور خالياً أم لا، لقد شكَّل ذلك منظراً مأساوياً**»(٢).

وتخبرنا وثائق لوريمر التي جمعها لموظفّي حكومته البريطانية: **«أنَّ عقوبة هدم وتدمير الدرعية كانت شاملة، حتَّى لم يُبقِ فيها حجرٌ على حجرٍ، وقُطِّعَت أشجار النخيل حتَّى آخر شجرة»**(٣).

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/٤٣٤).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٩٣ ـ ١٩٤) باختصار وتصرفٍ يسير.

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٦).

وقد وقف الكابتن البريطاني سادليير على ذلك المشهد المأساوي كشاهد عيان رآه بعينيه فوصفه قائلاً: «**لم تَبْقَ من المناطق المذكورة آثار سكنية غير بضعة منازل مهدَّمة ومهجورة، لقد دُمِّرَت القلاع والجدران بواسطة جيوش الباشا، وخُرِّبَت المزارع كلّها، حتَّى أنَّ الباشا قبل مغادرته دمَّر بساتين النخيل كلّها، ولم أجد إنساناً واحداً يُقيم في هذه المنطقة**»(١).

ويذكر شاهد العيان هذا أنَّ أكثر أهل الدرعية بعد سقوط مدينتهم ذهبوا واستقروا في منفوحة لقربها منهم(٢) وأنَّ «**سكَّان المنطقة أصبحوا في حالة يُرثى لها، خاصة بعد أن هُدِّمَت منازلهم وشُرِّدَ رؤساؤهم ولجأ إليهم بعض سكان الدرعية بعد هدمها، بل إنَّ عساكر الترك صادرت محصول العام ولم يتركوا للأهالي قمحاً أو شعيراً**»(٣).

ولقد كان سلب العساكر التركية للغلال الزراعية وقطعهم لأشجار النخيل من أشدّ وانكى ما وقع على أهل البلاد النجدية.

وعلى تلك المأساة يشهد مؤرّخ محمد علي باشا فيلكس مانجان قائلاً: إنَّ «الحرب التي استمرَّت زمناً طويلاً أتَت على قِسم كبيرٍ من الغلَّة الزراعية، وقُطِعَت أشجار النخيل في أماكن متعدِّدة ليتغذَّى الجنود [الأتراك] بِلُبِّها، وبلغ القحط حَدّاً جعل الناس يأكلون الحشائش. لقد بلغ القلق ذروته، ولم يَبقَ من أملٍ يلوح في الأفق»(٤).

---

(١) جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٨٦) (٩٤) بتصرّف.

(٢) انظر: المصدر السابق (٨٢) (٩٤).

(٣) المصدر نفسه (٨٣) باختصار.

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨١).

ولم يكتفِ إبراهيم باشا بتدمير بلدات أهل الحاضرة وسلب ما عندها، بل تسلَّط أيضاً على أهل البادية وسلب ما عندهم من الزاد والماشية وغيرها، وقد شهد بذلك شهود عيان، نَقَلَ عنهم مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي إدوارد جون ما حصل من تلك الحوادث المأساوية، حيث قال: «لطالما خرج [إبراهيم باشا] لغزو العربان، فكان يعود من كلّ غزوةٍ بالغنائم الكثيرة»(١).

ولقد أدَّت ثورات قبائل البادية المتتالية على عساكر الترك إلى إثارة البلبلة في خطط إبراهيم باشا وعرقلت تحرّكاته(٢)، ذلك أن أهل البادية «في كلّ مكان يعتبرون الأتراك دخلاء وينتظرون مغادرتهم في أسرع وقت»(٣).

وهناك حادثة ذكرها ابن بشر؛ كادت تُودِي بحياة إبراهيم باشا وهو في طريق ارتحاله من الدرعية إلى المدينة النبوية؛ حيث وافَقَ الباشا غزواً من قبيلة العجمان، فاحتدم القتال بين جيشه وبين العجمان، ثمَّ هَجَمَ واحدٌ من العجمان على إبراهيم باشا مباشرةً، فَضَرَبَهُ بسيفه ضربةً عظيمةً فَلَقَت السرج إلى نصفين، وجُرِحَ فيها الحصان الذي تحت الباشا جرحاً ليس له نظير، وقطعت تكَّة سروال الباشا، فَسَلِمَ إبراهيم باشا من هذه الضربة بأعجوبة(٤).

ويشهد شاهد عيان قائلاً: ظلّ «جيش الأتراك مشغولاً في

---

(١) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٢) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٤٩).

(٣) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٦٨).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٧).

الانتقام من البدو وضربهم، حتَّى حرموهم من المواشي وهدموا وأزالوا تحصينات كل قرى نجد، **لقد أصبح شعار الباشا في هذه الفترة سلب جميع الأهالي وجمع الأموال وترك الدمار الشامل بصورةٍ لا يوجد لها مثيل في تاريخ الجزيرة. لقد كنتُ شاهداً على الدمار الذي أتى به الباشا وجيشه على كلّ أرض الجزيرة**»[١].

حتَّى أنَّ كثيراً من قبائل البادية هربت متوغِّلَةً في الصحراء باتِّجاهِ الخليج العربي مبتعدين عن حوادث الحروب وتنكيل الباشا في الدرعية وبقية بلدات الحاضرة النجدية[٢].

يقول سادلبير: «**لقد كان من سوء طالعي أن أتعرّف على إبراهيم باشا وأن أكتشف شخصيته بملاحظاتي الذاتية، وأن أقول: إنَّ عملياته العسكرية الأخيرة تميزَّت بالوحشية وعدم مراعاة لأبسط المبادئ الإنسانية المقدَّسة، مع عمليات نهب لمصلحته الشخصية من أموال ومتاع القبائل التي قامت بمساعدته أو مصادرة أملاك وأموال أولئك الذين اختبؤوا خوفاً منه**»[٣].

* هدم الدرعية وتدميرها جاء بأمر من سلطان الدولة العثمانية:

يأتينا سادلبير بشهادةٍ تدلّ على أنَّ كلّ هذا التدمير الذي وقع في الدرعية وما حولها كان بأمر السلطان العثماني، حيث يقول سادلبير:

---

(١) جورج سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٥) باختصار.

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٩١).

(٣) جورج سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٢١).

«أثناء لقائي مع إبراهيم باشا قال لي: إنَّ الحملة الموجَّهة ضدَّ الدرعية كانت نتيجة لأوامر الباب العالي الموجَّهة لوالده، وأنَّه هو شخصياً لا يُدرك أبعادها ولا الأهداف الحقيقية من ورائها، وكانت الأوامر تلزمه بتدمير الدرعية فقط، ومتى ما دُمِّرت فإنَّ عليه الانتظار لأوامر جديدة من والده»(١).

وشهد بذلك مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي إدوارد جوان حين قال: **«وَرَدَت من والده** [محمد علي باشا] **نصوص الأوامر السلطانية القاضية بتدمير الدرعية وجعل عالي أسوارها وحصونها سافلها وإحراق بيوتها»**(٢).

وهو ما وثَّقه لوريمر حين قال: **«أمَّا التدمير الكامل لمدينة الدرعية فلم يبدأ إلَّا بعد صدور الأوامر به من القسطنطينية»**(٣).

* مجزرة الترك بأسرة آل عفيصان في الخرج:

في وقت ارتحال الباشا من الدرعية إلى القصيم، أرسل أحد أغواته الذي في حوطة الجنوب واسمه الآغا جوخدار ومعه عساكر أتراك، ونزل الدِّلَم في الخرج، وقتل آل عفيصان(٤) لأنَّهم من قادة

---

(١) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٤).

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٥ - ١٦٢٦).

(٤) آل عفيصان: من أهل (الخرج) من عائذ من عَبيدَة من قحطان، وهي أسرة كريمة مجاهدة مخلصة لوطنها وحكَّامها، برز منها رجال لهم قدم صدق في القيادة والولاية والزعامة، يقول عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: «كانوا =

دولة آل سعود ولأنَّه عُرِفَ عنهم إخلاصهم لحكَّامهم[١]، وقد قُتِلَ من آل عفيصان كلٌّ مِن: فهد بن سليمان بن عفيصان، وأخوه عبدالله بن سليمان[٢]، ومتعب بن إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، واستأصل الآغا جوخدار خزائن آل عفيصان وأموالهم[٣].

* ابتهاج المناوئين بسقوط الدولة السعودية الأولى:

يذكر المؤرِّخ المصري عبدالرحمٰن الجبرتي أنَّه في يوم ١٢ ذي الحجَّة ١٢٣٣هـ/١٣ أكتوبر ١٨١٨م «وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان آغا الورداني أمير ينبع بأنَّ إبراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية، فانسرَّ الباشا [محمد علي] لهذا الخبر سروراً عظيماً وانجلى عنه الضجر والقلق وأنعمَ على البشر، وعند ذلك

= من رجال آل سعود الذين يعتمدون عليهم في الإمارات وقيادة الجيوش والسرايا، وآخر من عرفته أنَّه تولَّى من آل عفيصان الإمارات لآل سعود هو سعد بن عفيصان الذي كان غازياً في جيش إمام المسلمين صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م». انظر: تعليقات آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١٥٢/١ ـ ١٥٣). وانظر أيضاً: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٥٥٤). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٩/٢).

(١) انظر: تعليقات آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١٥٢/١ ـ ١٥٣). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٩/٢).

(٢) عبدالله بن سليمان بن عفيصان: كان أميراً نائباً للإمام عبدالله على (الخرج). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢٣/١).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (١١٧)، بتاريخ ٢١ ذي القعدة ١٢٣٤هـ/ ١٣ سبتمبر ١٨١٩م (٤٤٩/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣٧/١ ـ ٤٣٨).

ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية[١]، وانتشر المبشِّرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش»[٢].

ويذكر الجبرتي أنَّه في نفس اليوم المذكور وصلت أخبار انتصار إبراهيم باشا على أهل الدرعية «بمكاتبات من السويس وينبع إلى القاهرة وذلك قبيل العصر، فأكثروا [في القاهرة] من ضرب المدافع من كلّ جهة، واستمرَّ الضرب من العصر إلى المغرب، بحيث ضُرِبَ بالقلعة خاصَّةً ألف مدفع وصادف ذلك شِنْك أيام العيد، وعند ذلك أُمِرَ بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وبولاق ومصر القديمة والجيزة.

وحضر كُشَّاف النواحي والأقاليم بعساكرهم، وأخرجوا الخيام والصواوين والوطَّاقات[٣] خارج باب النصر وباب الفتوح وذلك يوم الثلاثاء [٢٦ ذي الحجَّة ١٢٣٣هـ/٢٧ أكتوبر ١٨١٨م]، ونوديَ بالزينة، فشَرَع الناس في زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور

---

(١) الأُزبَكِيَّة: غربي (القاهرة)، كانت في الأصل (بركة الأُزبَكِيَّة)، ثمّ رُدِمَت وجُعِلَت جنينة تُعرف اليوم باسم (حديقة الأزبكيَّة)، يحيط بها اليوم (شارع الجمهورية) غرباً، و(شارع نجيب الريحاني) شمالاً غربياً، و(ميدان الأوبرا) و(نفق الأزهر) جنوباً، قريباً من (جامع الكخيا) جنوباً غربياً، و(شارع البوسطة) جنوباً شرقياً وشرقاً أيضاً. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٢٤٨ ـ ٢٥١) (٣٦٨). ومحمد الشِّشتاوي «متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني» (١٦٠ ـ ١٦٣).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٥١).

(٣) الوُطَّاقات: مفردها: وطَّاق. لفظٌ تركيٌّ أصله: أوتاق. معناها: الخيمة الكبيرة. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٤٤٢).

ووقود القناديل والسهر، وأظهروا الفرح والملاعيب»[١].

كما «نودي بزينة المدينة سبعة أيام أوّلها الأربعاء [٢٧ ذي الحجَّة/٢٨ أكتوبر] ونصبت الصواوين خارج باب النصر عند الهمايل[٢]، وكذلك صيوان الباشا، وباقي الأمراء والأعيان خرجوا بِأُسَرِهِم لعمل الشِنْك والحرائق، وأخرجوا من المدافع مئة مدفع وعشرة، وتماثيل وقلاعاً وسواقي وسواريخ[٣] وصوراً من بارود، وبدؤوا في عمل الشِنْك من يوم الأربعاء، فيضربون بالمدافع مع رمَّاحة الخيَّالة ضرباً متتابعاً، بحيث يتخيل الإنسان أصواتها مع أصوات بنادق الخيَّالة المترامحين رعوداً هائلة.

واستمرَّ هذا الضرب والشِنْك إلى يوم الثلاثاء رابع المحرَّم ١٢٣٤هـ [٣ نوفمبر ١٨١٨م]، وأهل البلد ملازمون للسهر، والزينة على الحوانيت والدور ليلاً ونهاراً في خان الخليلي[٤]

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٥١).

(٢) الهمايل: لم أجدها فيما وقفت عليه من مصادر الخطط والآثار. ثمَّ أخبرني الدكتور محمد حسام الدين المتخصص بالخطط والآثار: بأنَّها ناحية التُّرَب/المقابر في (شارع سونة شرارة) المقابلة لـ(باب النصر) شمالاً، يفصل بينه وبينها (شارع البنهاوي).

(٣) يعني صواريخ.

(٤) خان الخليلي: أحد الأسواق الرئيسية في القاهرة، سُمِّيَ تبعاً لمنشئه الأمير سيف الدين جهاركس الخليلي اليلبغاوي (ت: ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م). يحدّه من الغرب (شارع المعز لدين الله) في مواجهة جامع الشيخ مطهّر و(الصَّاغة)، ومن الشمال (سكَّة البادِستان) و(شارع خان الخليلي)، ومن الجنوب (شارع جوهر القائد)، ومن الشرق امتداد (شارع خان الخليلي) عند (باب الغوري)=

والغورية[١] والجمالية[٢]، وفي بعض أماكن الخانات أقيمت الملاهي والأغاني والرقصات»[٣]. فكانت زينةً لم يسبق لها مثيلٌ صُرِفَ فيها مبالغ وافرة ابتهاجاً بهذا النصر[٤].

أمّا فرح النصارى والأجانب الموجودون في القاهرة، فيقول الجبرتي: إنَّ معظم الزينة كانت في «مساكن الإفرنج والأرمن، فإنَّهم تفنَّنوا في عمل التصاوير والتماثيل وأشكال السرج وأشكال النجف»[٥].

وفي ٩ محرّم ١٢٣٤هـ/٨ نوفمبر ١٨١٨م «زيَّنَ أهالي بولاق أسواقهم وحوانيتهم وأبواب دورهم ودُقَّت الطبول والمزامير في

= المعروف بـ(باب البادستان). انظر: تعليقات أيمن فؤاد سيّد على كتاب «المواعظ والاعتبار» للمقريزي (٣/٣١٤). وإدوارد وليم لين «القاهرة منتصف القرن التاسع عشر» (١١٤ ـ ١١٦).

(١) الغورية: هو (شارع الغورية) المعروف في (القاهرة). سُمِّيَ نسبةً للسلطان المملوكي قانصوة الغوري (ت: ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م). وهذا الشارع يبتدئ من (قراقول الأشرفية) وينتهي إلى (باب شارع الكحكيِّين). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/١١٢). وعبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٥٨).

(٢) الجمالية: هي ثمن (الجمالية) وسط (القاهرة) من شرقيها، من أشهر شوارعها (شارع السكريَّة) و(شارع العقادين) و(شارع حارة الروم) و(شارع خشقدم) و(شارع وكالة التفاح) و(شارع النحَّاسين) و(شارع الخرنفش) وغيرها. انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (١٩ ـ ٢١).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٠ ـ ٤٦١) باختصار وتصرف يسير.

(٤) انظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٧٦).

(٥) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦١) باختصار.

السفائن، وطبلخانة[١] الباشا والمدافع الكثيرة تضرب في كلّ وقت من ضحوة النهار وكلّ عصر وعشاء، **واحتفل النصارى والإفرنج في بولاق وأبرز الجميع زينتهم وتماثيلهم**»[٢].

ويذكر مؤرّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي: أنَّه يوم وصل الإمام عبدالله للقاهرة «**كان يوماً مشهوداً وعيداً من أكبر الأعياد**»[٣].

وذكر الرجبي أيضاً: أنَّ الدولة العثمانية شكرت محمد علي باشا «ابتهاجاً به، حتَّى صار ملهج لسانها وحلّ من عينها على الحقيقة محلّ إنسانها»[٤].

أمَّا في تركيا فقد أرسل نقيب الأشراف بإسطنبول عبدالوهاب الحسيني تسبيحي زاده برسالةٍ لمحمد علي باشا يشكره فيها: «على تفضّله بإرسال مكاتبة إليه تتضمَّن أخبار النصر على الوهابيين والاستيلاء على الدرعية وإرسال عبدالله بن سعود إلى إسطنبول مقيَّداً بالأغلال، ويدعو له بدوام النصر»[٥].

---

(١) طبلخانة: المراد بها ما نسميه في عصرنا موسيقى الجيش. وهي لفظٌ فارسي. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٠٦).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٢) باختصار.

(٣) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٦٤).

(٤) المصدر السابق (١٦٥).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم المحفظة (٢٠)، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٣٤هـ/ ١٨ ديسمبر ١٨١٩م (٢/٤٠٤).

وأرسل حفيد قاضي عسكر الأناضول برسالة لمحمد علي باشا يهنِّئه لأجل: «توفيقه في تخليص البلاد المقدَّسة من أيدي الخوارج [هكذا]، وتوفيق إبراهيم باشا في أسر عبدالله رئيسهم والاستيلاء على الدرعية»، ثمَّ دعا له بدوام النصر[(١)].

ثمَّ تتابعت رسائل التهنئة من رجال الباب العالي[(٢)] وقاضي عسكر الروملّلي[(٣)].

أما في جهات عمان؛ فإنَّ حاكم مسقط السيِّد سعيد بن سلطان ـ لمَّا سقطت الدرعية سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م على يد إبراهيم باشا ـ فرح سلطان مسقط بهذا الحدث[(٤)]، وهنَّأ الباشا بانتصاره على آل سعود[(٥)]، ثم أخذ يستغلَّ سقوط الدرعية ليطلب من الإنجليز أن يعاونوه على مدّ نفوذ حكمه إلى جزر البحرين، إلَّا أنَّ الإنجليز لم

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم المحفظة (٢١)، بتاريخ ٢٥ صفر ١٢٣٤هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٨١٩م (٢/٤٠٥).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم المحفظة (٢٣)، بتاريخ ٢٧ صفر ١٢٣٤هـ/ ٢٦ ديسمبر ١٨١٨م (٢/٤٠٨ ـ ٤٠٩). ومحفظة (٦) بحر برا، رقم المحفظة (٣٣)، بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٢٣٤هـ/ ٢٤ يناير ١٨١٩م (٢/٤١٢ ـ ٤١٣).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٢٤)، بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٣٤هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٨١٨م (٢/٤١٠ ـ ٤١١).

(٤) انظر: جمال زكريا قاسم «دولة البو سعيد» (١٤٧). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «محمد علي وشبه الجزيرة العربية» (٢٩).

(٥) انظر: جمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي» (١/٢٧٨).

يلقوا له بالاً بالنسبة لمطالبه بالبحرين(١).

على أنَّ الإنجليز وافقوا على طلب سلطان مسقط ليتحالفوا معه ضدَّ قبيلة بني بو علي الموالية لآل سعود(٢)، وقبيلة بني بو علي هي التي وصفها لوريمر الإنجليزي بقوله: «**كانوا متعصبين لمبادئ الوهابية، وهم أكثر قبائل عمان تديّناً، وهي القبيلة الوحيدة في سلطنة عمان التي التحمت في معركةٍ بريَّةٍ مع قوّةٍ بريطانية في [٢ صفر ١٢٣٦هـ] ٩ نوفمبر ١٨٢٠م**»(٣).

ولقد عاون الإنجليز سلطان مسقط ضدَّ بني بو علي، واستطاعت تلك القبيلة في صفر **١٢٣٦**هـ/نوفمبر **١٨٢٠**م أن تهزم على أرض قريتها - بلد بني بو علي - فرقةً من الجنود الهنود الذين يعملون في الجيش البريطاني(٤) كانوا قد قاموا بهجوم حربيٍّ على تلك القبيلة، ولكنَّ النتيجة كانت كارثةً رهيبةً على الإنجليز وسلطان مسقط؛ حيث أباد أبناء القبيلة هذه المجموعة من الجنود البريطانيين مع ضبّاطها، ثمَّ بعثرت تلك القبيلة جنود سلطان مسقط فوقعوا بين قتيل وأسير(٥).

أمَّا مواقف المؤرخين من أهل البدع الذين عاينوا الحدث وعاصروه؛ فهذا المؤرِّخ عثمان بن سند البصري يقول عن سقوط

---

(١) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣١٦/١). وجمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي» (٣٧٤/١).

(٢) انظر: سلطان الأصقه «إمارة الكويت في ظلِّ التنافس الدولي» (٦٤).

(٣) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٨٧/١) باختصار.

(٤) انظر: المصدر السابق (٨٧/١).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٣١٩/١).

الدولة السعودية - بالنصّ -: «هذا ومن مناقب السلطان محمود ومساعيه التي هو بها ما دار المَلَوَان محمود، إزالة رأس المبتدعة ورئيسهم ابن سعود[(١)]، فإنَّ الله تبارك وتعالى جعل له بذلك فخراً، ورفع له به في الملأ الأعلى ذكراً، إذ لولاه لألْقَت بِدعة من ذكرناه في الأرض كلاكلها»[(٢)].

ثمَّ أنشد ابن سند أبياتاً أظهر فيها فرحه بسقوط الدولة السعودية الأولى، فقال:

«همامٌ من بني عثمان صَلْتٌ ... براحته رسول الحَدِّ صَلْتُ
أزال به ضلالة عارضيٍّ ... لتضليل الورى أبداً يَمُتُ»[(٣)].

وكان ابن سند قد أرسل رسالةً إلى إبراهيم باشا يحثّهُ فيها أن يصبر على حصار الدرعية ومحاربة أهلها، وكان يرجوه أن يبيدهم ولا يَسْتَبْقِ منهم أحداً، حتَّى الأطفال الصغار.

وهذا نصُّ كلام ابن سند، حيث قال: «ومن الموافقات الغريبة واللطائف البديعة والعجيبة، ما كتبته إلى الوزير إبراهيم

---

(١) الحمد لله الذي خيَّب ظنّ الحاقد الحاسد عثمان بن سند، فقد عاد حكم آل سعود في الدولة الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله، ثمَّ عادت اليوم قويَّة الأركان والبنيان على يد مؤسس الدولة السعودية الحديثة الملك عبدالعزيز وأبنائه وأحفاده.

(٢) الحمد لله، خابت ظنون ابن سند، فها هم المسلمون اليوم يرون انتشار تلك الدعوة المباركة (دعوة الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب) وصار أكثرهم يعلم حقيقتها وحقيقة أعدائها الحقدة الحسدة، كما صاروا يرون الخير العميم على يد دولة آل سعود اليوم من توطين الأمن وخدمة البلاد والعباد.

(٣) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٧٣).

[باشا] عندما نَزَلَ على الدرعية لمُقاتلةِ أميرها، في ضمن رسالة أحثُّهُ بها على المصابرة والمجالدة لأرباب تلك البدعة الفاجرة. [فقلت له]: أبشر أيها المُصابر المُجاهد، والفارس الباسل المِغوار المُجالِد لِفرقةٍ من الدين مَرَقَت وطائفةٍ ما افتخرت إلَّا بكونها للإجماع خَرَقَت، [أبشر] بالفتح من الله». ثمَّ يقول: «وفي ضمن الرسالة قصيدة منها قولي:

ولا تُبْقِ مِنهُمُ واحداً تَسْتَطيبه ... إذا خَبُثَ الآباء لم يَطِبِ الولْد»[(١)].

أما المؤرِّخ المكيّ القبوري أحمد زيني دحلان؛ فقد كان يشمت بدولة آل سعود وحرب محمد علي باشا ضدَّها وضدّ دعوتها السلفية، حيث يقول دحلان: «فأتاهم صاحب مصر [محمد علي باشا] بجيوش من العساكر المنصورة فطهَّرَ الأرضَ منه ومن أتباعه، ثمَّ جهَّزَ ابنه إبراهيم باشا فوصل بجيوشه إلى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المئتين والألف فأفنى وأباد من بقي منهم»[(٢)].

أمَّا الحكومة البريطانية؛ فإنَّها فرحت بسقوط الدولة السعودية الأولى؛ لأنَّها كانت تخشى أن تتمكَّنَ تلك الدولة من تكوين وحدة سياسيَّة بين الإمارات العربية على الخليج العربي، مِمَّا يُشكِّل خطراً على الوجود البريطاني في الخليج[(٣)]، ودليل ذلك ما أورده أحد المؤرّخين البريطانيين حين قال: بأنَّ «الأعمال في الخليج ـ التي كان وراءها الوهابيون ـ تقضّ مضاجع الحكومة البريطانية تماماً كتهديدات

---

(١) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(٢) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣١٣ ـ ٣١٤).

(٣) انظر: سلطان الأصقه «إمارة الكويت في ظلِّ التنافس الدولي» (٦٤ ـ ٦٥).

نابليون»[١].

وكانت بريطانيا قد انتهزت فرصة سقوط الدرعية لتضرب بشدَّة على إمارات القواسم بعد أن فقدوا مساندة الدولة السعودية الأولى[٢].

كما أرسلت الحكومة البريطانية في الهند مندوبها **الكابتن سادلبير** ليقدّم التهاني لإبراهيم باشا بمناسبة إسقاطه دولة آل سعود الأولى وعاصمتهم الدرعية[٣]، وفي ذلك يقول الكابتن سادلير: «**أخبرتُ صاحب السعادة** [إبراهيم باشا] **عن مدى رغبتي في زيارته عندما كان في الدرعية، وذلك لكي أنقل تهاني وتحيَّات ذي الشرف الرفيع الحاكم** [الإنجليزي] **العام في الهند** [البريطانية] **بمناسبة انتصار الباشا»**[٤]. ويؤكّد سادلير **أنَّ انتصارات إبراهيم باشا كان لها الأثر الفعَّال في نفوس رجال السلطة البريطانية في الهند**[٥].

أمَّا في جهات فارس؛ فإنَّ شاه الفرس عبَّاس ميرزا أرسل رسالة ملؤها الابتهاج والسرور إلى محمد علي باشا يهنِّئه ويشكره على إسقاط الدرعية وقضائه على دولة آل سعود الأولى، وفي الرسالة نفسها يخبر الشاه بأنه بعث هدية لمحمد علي؛ وهي سيف حديد توارثه ملوك الفرس وتعاقبوا على تَقَلُّدِهِ، وأنَّه خصَّ محمد علي باشا

---

(١) جون كيلي «بريطانيا والخليج» (١/١٥٦).

(٢) انظر: جمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي» (١/٤٠٣).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (١١٥)، بتاريخ ٢١ ذي القعدة ١٢٣٤هـ/ ١٣ سبتمبر ١٨١٩م (٢/٤٤٦).

(٤) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٠٢).

بهذا السيف وبخاتمٍ من الفيروزج(١).

أمَّا روسيا؛ فإنَّ وثيقةً تركية تخبرنا أنَّ سفير روسيا في تركيا قد أرسل رسالةً إلى السلطان العثماني يهنِّئه فيها على تغلّبه على السعوديين وإسقاط دولتهم(٢).

*** رثاء الدرعية:**

حين حلَّت الكارثة بالدرعية سنة ١٢٣٣ ـ ١٢٣٤هـ/١٨١٨ ـ ١٨١٩م، ورأى شهود العيان ما وقع بأهلها من القتل والتنكيل والتعذيب والحرق والتدمير، هيَّجت تلك الحوادث قرائح الشعراء الذي عاينوا الحدث بأعينهم ووقفوا عليه بجثمانهم، فرثوها وبكوها بأبياتٍ تُبكي وتهيّج من يقرأها.

ومن أولئك ـ الذين هيَّجوا الناس بقصائدهم التي ترثي الدرعية ـ الشيخ علي بن حسين ابن الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م تقريباً)، الذي كان شاهد عيان على ما وقع آنذاك، فقال في قصيدته المسمَّاة «وقعة الدرعية» ما يلي:

خليلي عوجا عن طريق العواذل ... بمهجور ليلى فابكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يُعقب راحة ... من الوجد أو يشفي عليل البلابل

أرى عبرة غبراء تتبع أختها ... على إثر أخرى تستهل بوابل

تهيّج ذكرى الأمور التي جَرَت ... تُشيب النواصي واللحاء الأماثل

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (٤) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (١٤)، (بدون تاريخ) (٢/٣٩٥ ـ ٣٩٧).

(٢) الأرشيف العثماني في دارة الملك عبدالعزيز: HAT. 0345/19665, N310, R6/104

وتُسقط من بطن الحوامل حملها وتذهل أخبار النساء المطافل
فبينا نسوس الناس والأمر أمرُنا وتنفذ أحكام لنا في القبائل
وتخفق رايات الجهاد شهيرة بشرقٍ وغرب يمنة وشمائل
تبدَّلت النعماء بؤساً فأصبحت طغاة عتاة ملجأ للأراذل
وبثَّ عتاة الناس في الأرض بغيهم وريِعَت قلوب المؤمنين العواقل
وأقبل قادات الضلالة والردى وساداتها في عسكر وجحافل
فخانت لهم نجد لما قد أتوا بها ولم يبق للإسلام غير قلائل
فقد خلعوا والله ربقة دينهم وجار أمير مع وزير وعامل
فلم يفلحوا والحمدلله وحده ولم ينجوا بل شرارهم في تطاول.

ثمَّ وصف ما حلَّ بأهل الدرعية خاصة وأهل نجد عامَّة على أيدي العساكر العثمانيين؛ من الكوارث والمصائب والتشتُّت والغربة عن الوطن، فقال:

وشُتِّتَ حبل الدين وانبَتَّ أصله فأضحى مُضاعاً كالبدور الأوافل
وفرَّ عن الأوطان من كان قاطناً تراهم فرادى نحو قُطر وساحل
وفُرق شمل كان للدين شاملاً وزالت ولاة المسلمين العوادل
وصار شرار الخلق في الأرض بعدهم ودارت رحًى للأرذلين الأسافل

ثمَّ وصف ما ارتكبته عساكر العثمانيين في الدرعية من سلب الأموال ونهب المتاع، وتدمير القصور والدور والبيوت، وهدم المساجد والمدارس وهدّ الأسوار، وسرقة الكتب بأنواعها، وحرقهم للمزروعات وقطعهم للنخيل، وتسبّبهم بمجاعة ضربت نجد كلّها، ثمَّ أَسرهم لأهلِ الفضل، وحبسهم لذوي المكانة؛ حيث قال عن ذلك:

فأصبحت الأموال فيهم نهائباً وأصبحت الأيتام خُمصَ الحواصل[١]

فكم دمَّروا من مسكن كان آنسا وكم خرَّبوا مِن مَرْبع ومعاقل

وكم خرَّبوا من مسجد ومدارس يُقام بها ذكر الضحى والأصائل[٢]

وكم قطَّعوا مِن باسقات نواعم وكم أغفلوا مِن معقل ومنازل

وكم اهلكوا حرثاً ونسلاً بِبَغْيِهِم وكم أَيْتَموا طفلاً بغدرٍ وباطلِ

وكم حرَّقوا مِن كُتْبِ علمٍ وحكمة وفقهٍ وتوحيد وشرح مسائل

وكم هدَّموا سوراً وقصراً مشيَّداً وحِصناً حصيناً أوهنوا بالمعاول

وكم أسروا مِن حاكمٍ بعد عالم وكم زلزلوا مِن محصنات غوافل

وكم قتلوا من عصبةِ الحق فتية هداة تقاة في الدجى كالمشاعل

ثمَّ وصف بكاء النساء وحزنهن على ما حلّ بآبائهن وإخوانهن وأزواجهن وأولادهن من القتل والتعذيب والأسر والحبس والتهجير، فقال في ذلك:

فكم عاتق غراءَ تبكي بشجوها وراملة ثكلى وحُبلى وحائل

ينحن بأكباد حرار وعبرة ويكظمن غيظاً في الجوانب داخل

يُرَجِّعنَ ألحان التغاني بحرقة ويُظهرن صبراً عن شمَّات وعاذل

ثم يَصِفُ لك حادثة ترحيل أهل الدرعية، وتهجيرهم عن بلدهم، وتفريقهم ـ على أيدي العثمانيين ـ وتشتيت شملهم في كلّ بلد، حيث قال في ذلك:

---

(١) خمص الحواصل: أي جائعة البطون.

(٢) الأصائل: جمع أصيل؛ وهو آخر النهار.

فلو شاهدت عيناك يوم رحالهم ... عن السكن الأعلى الرفيع المنازل[١]

وفُرِّقَت الأحباب في كلّ قرية ... وسار بهم حزب العدو المزائل

يسوقونهم سوقاً عنيفاً بشدَّةٍ ... ويزجرون أشياخاً بتلك القوافل

لذابت جفون العين واحترق الحشا ... وسالت خدود بالدموع السوائل

ثم يختم قصيدته ببيان أسباب حرب العثمانيين على الدولة السعودية الأولى، فيقول في ذلك:

فقد سامنا الأعداء سوماً مبرحاً ... بقتلٍ وأسرٍ مثقل في الحبائل

على غير جُرمٍ غير توحيد ربّنا ... وهدم قباب المشركين الأباطل

وأمر بمعروف وإنكار منكر ... وفعل صلاة في الجماعة حافل

وأخذ زكاة المال فرضاً مؤكّداً ... يُرَدّ لذي فقرٍ وغُرم وعامل

وصوم وحجّ والجهاد لأنّه ... أمانٌ وعِزٌّ مِن مذلّة خاذل

إذا ما ملكنا قرية أو قبيلة ... أقمنا بها شرع الهداة الكوامل

فنهدم اوثاناً ونبني مساجداً ... ونكسر مزماراً وطبلاً لجاهل

ونقطع سرّاقاً ونَرجم محصناً ... ونجلد سكراناً بنصّ الرسائل

نكفّ ظلوم البدو والحَضر إن غدا ... يُغير على حقّ الضعاف الأرامل

ونتبع آثار النبي وصحبه ... مع السلف البرّ الثقات الكوامل[٢].

---

(١) يشير إلى حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ إلى (القاهرة)، كما يشير إلى من ترك الدرعية خشيةَ تنكيل الباشا.

(٢) الشيخ علي بن حسين ابن الإمام محمد بن عبدالوهاب «منظومة وقعة الدرعية» نشرها سليمان الخراشي في «مجلة الدرعية» العددان ٤٩ ـ ٥٠، بتاريخ ربيع أول ـ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ/ مارس ـ يونيو ٢٠١٠م (ص: ٣٦٩ ـ ٣٧٢).

أمَّا القصيدة الشهيرة الذائعة الصيت، المعروفة بـ«**القصيدة الطنَّانة**»، التي نظمها العالم الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)، والتي بكى فيها أهل الدرعية الذين شرَّدهم العثمانيون وشتَّتوا شملهم وهدموا بلدهم، وكان قد نظمها ابن معمَّر وهو في البحرين بعد أن ترك الدرعية بعد الكارثة، يقول فيها:

إليك إله العرش أشكو تضرّعاً ... وأدعوك في الضرَّاء ربي لتسمعا

إلى أن قال وهو يصف التقتيل والتنكيل والهدم التدمير والترحيل الذي حلَّ بالدرعية وأهلها على يد العثمانيين:

وكم قتلوا من عصبةِ الحقِّ فِتيَةً ... هُداة وضاة ساجدين وركَّعا

وكم دمَّروا مِن مربع كان آهلاً ... فقد تركوا الدار الأنيسة بلقعا

فأصبحت الأموال فيهم نهائباً ... وأصبحت الأيتام غرثى وجوَّعا

وفرّ عن الأوطان مَن كان قاطناً ... وفرق إلف كان مجتمعاً معا[(١)].

وقال الشاعر الشيخ أحمد بن علي بن مشرَّف يرثي الدرعية ويصف ما جرى عليها من تسلّط وبغي عساكر الترك في حملة إبراهيم باشا، حيث قال ابن مشرَّف:

أَلَيْلٌ غشا الدنيا أم الأفق مُسْودُّ ... أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟

أم السرج النجدية الزهر اطفئت ... فأظلمت الآفاق إذ أظلمت نجد؟

نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى ... وضعضع ركن للهدى فهو مُنهَدُّ

لدن بالسمحاء خطب فأوحشت ... مساكنها وازور عيش بها رغد

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٦٧ ـ ٦٨).

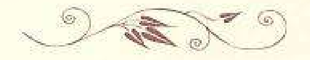
تفرَّق أهلوها وسل على الهدى ... سيوف على هامات أنصاره تشدو

وفل حسام الدين، بل ثل عرشه ... لدن غاب من آفاقه الطالع السعد

بأيدي غواة مفسدين لقد عثوا ... وجاسوا خلال الدار وانتشر العقد

فآهٍ لها من وقعةٍ طار ذكرها ... وكادت تميد الراسيات وتنهد

وفاضت دموع كالعقيق لِما جرى ... وكادت لعظم الخطب تنصدع الكبد[1].



(١) أحمد بن مشرَّف «ديوان ابن مشرَّف» (٥١ ـ ٥٢).



ملحق الفصل العاشر

- حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ وبعض الأعيان من الدرعية إلى القاهرة:

بعد أن انقضت تسعة أشهر منذ قدوم الباشا إلى الدرعية وحصارها وصمودها في وجه عساكره، ثُمَّ استسلامها أخيراً[1]، أمرَ الباشا بعد تلك المدَّة على أمراء آل سعود وأسرة آل الشيخ أن يرحَلُوا من الدرعية إلى مصر[2]؛ فَعَلَ ذلك بعد أن جاءته من أبيه محمد علي باشا الأوامر القاضية بتدمير الدرعية **وَحَمَلَ آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية لِيُسَفَّروا إلى القاهرة[3]، وأن يجتاز هو وعساكره البحر الأحمر عائداً إلى الديار المصرية[4].**

(١) تنبيه: مدَّة الحصار ستَّة أشهر، وبقاء إبراهيم باشا وقت الحرب والحصار ومكوثه في (الدرعية) بعد الصلح قريب من تسعة أشهر أو تزيد قليلاً.

(٢) انظر: فيلكس مانجان في «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٠ ـ ٤٣١).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٣٥).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

وإليكَ تفاصيل تلك الحادثة وتعداد أسماء من رُحِّلُوا فيها بحسب ما أسعفتنا به المصادر، وتفاصيل أحوال المُرَحَّلين حال مكْثهم بمصر، وذِكْر من رَجَع منهم ومن بقي.

ـ المرحلُّون من أسرة آل سعود:

ارتحل من الدرعية آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان البلدة بحريمهم وذراريهم وسار معهم كثير من العساكر إلى مصر، ولم يَبْقَ منهم إلَّا من تَخفَّى أو خرج مثل تركي بن عبدالله وأخوه زيد وغيرهم، كما ذكرناه سابقاً.

ويخبرنا الجبرتي بصفةِ وصول أسرة آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية إلى القاهرة، فيقول: «**وفي يوم الخميس** [١٨ رجب ١٢٣٤هـ/١٣ مايو ١٨١٩م] **حضر بواقي الوهَّابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو الأربعمئة نسمة**»[١].

ومثله ذكر مانجان **أنَّ عددهم ٤٠٠ نفر برجالهم ونسائهم وأطفالهم**[٢]. وهو ذات العدد الذي ذكره إدوارد جوان[٣]. **على أنَّ مؤرّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي يذكر: أنَّ المرحلّين من الدرعية كان عددهم ألف نسمة**[٤]. **بينما ذكر المؤرّخ محمود فهمي**

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٨).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٤) انظر: خليل الرجبي «تاريخ الوزير» (ص١٦٣).

المهندس: أنَّ عددهم خمسمئة نفر[١].

والمرجَّح لديَّ ما استقرَّ عليه الجبرتي وفيلكس مانجان وإدوارد جوان؛ لأنَّهم شهود عيان. وعليه؛ فيكون عدد المرحّلين من آل سعود وآل الشيخ وبعض الأعيان قرابة ٤٠٠ نفر.

وهؤلاء كانوا قد حُمِلوا من الدرعية إلى ينبع تحت حراسة عساكر الترك وكانت السفن تنتظرهم هناك لتنقلهم إلى السويس[٢].

كما أخبرنا الجبرتي أنَّ بعض أفراد آخرين من أسرة آل سعود جاؤوا بعد أولئك إلى القاهرة بتاريخ ٢٧ محرَّم ١٢٣٥هـ/١٥ نوفمبر ١٨١٩م[٣].

ثمَّ جاءت دفعة جديدة من أسرة آل سعود رُحّلوا من نجد إلى القاهرة، وهم الذين قال عنهم الجبرتي: بأنَّه في تاريخ ٣ شوَّال ١٢٣٦هـ/٤ يوليو ١٨٢١م «حضرت هجَّانة من أراضي نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابيَّة مقيَّدون على الجمال، وهم عمر بن عبدالعزيز وأولاده وأبناء عمّه»[٤].

وهؤلاء كانوا قد أُخِذوا من الدرعية مع قسم من المدفعية التركية إلى المدينة النبوية ليرسلوا منها إلى القاهرة[٥].

---

(١) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (ص١٤٧).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٣).

(٤) المصدر السابق (٤/٤٩٥).

(٥) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

وذكر الجبرتي أنَّ العساكر قد أوثقت مشاري بن سعود وأرسلوه إلى مصر فمات في الطريق، أما عمر بن عبدالعزيز ومن معه فأرسلوا لمصر، «وهم الآن مقيمون بمصر بخطَّة الحنفي[١] قريباً من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت»[٢].

أمَّا المؤرِّخ أمين الحلواني فإنَّه أدرك أسرة آل سعود وآل الشيخ في القاهرة والتقى ببعض أفرادهم هناك، وقد أرَّخَ الحلواني حادثة ترحيل الأسرتين من الدرعية إلى القاهرة، فقال: «**أمَّا باقي أمراء الوهابيين المُعبَّر عنهم بآل المقرن وباقي بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب المعبَّر عنهم ببيت الشيخ فإنَّه[٣] نقلهم جميعاً إلى مصر وأسكنهم هناك، ورتَّب لهم معاشات تكفيهم**»[٤].

ويقول الحلواني أيضاً: إنَّ محمد علي باشا «**أسْكَنَ عائلة المقرن - أيْ بيت المُلك - وعائلة عبدالوهاب الديار المصرية، وما رجعوا إلى بلادهم إلَّا بعد أن عاد الحجاز إلى الدولة العليَّة** [العثمانية]»[٥].

ومن خلال مصادر التاريخ المعاصرة للحدث واللاحقة له من كتب النسب والتواريخ؛ نعلمُ أنَّ **إبراهيم باشا رحَّلَ إلى مصر من**

---

(١) خطَّة الحنفي: سيأتي بعد قليل تبيان مكانها.

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥).

(٣) يقصد محمد علي باشا.

(٤) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥ - ١٧٦). ونقلها عنه نصّاً: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٢/٨٣٩).

(٥) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٤٩ - ١٥٠).

كان في الدرعية من آل سعود؛ **أبناء الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود**، وهم: سعد بن سعود وأخوه عبدالرحمٰن وعمر وحسن؛ **نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر بأولادهم ونسائهم، وماتوا هناك**. هكذا أورد أسماءهم المؤرِّخ النسَّابة الشيخ حمد الجاسر(١).

وزاد مؤرِّخ محمد علي باشا إدوارد جوان اثنين؛ هما: الأمير فهد والأمير خالد أبناء الإمام سعود(٢).

يقول المؤرّخ عثمان بن بشر: إنَّ «**سعد وفهد ومشاري وعبدالرحمٰن وعمر وحسن نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر بأولادهم ونسائهم**»(٣).

وفي موضعٍ آخر قال ابن بشر: «**وخالد بن سعود** [ابن عبدالعزيز بن محمد بن سعود] **كان قد انتقل من الدرعية مع آل سعود حين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر**»(٤).

ويخبرنا المؤرّخ الشيخ إبراهيم بن عيسى: أنَّه «كان لسعود بن عبدالعزيز عِدَّة أولاد غير [الإمام] عبدالله المذكور؛ وهم: فيصل [الذي] قُتِلَ في حرب الدرعية، وناصر وتركي؛ ماتا قبل أبيهما، وإبراهيم؛ مات في حرب الدرعية، **وسعد وفهد ومشاري وعبدالرحمٰن وعمر وحسن؛ نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر**

(١) انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (١/٣٤٣).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/١٨).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/١٤٠).

بأولادهم ونسائهم»[١].

أما بالنسبة لمشاري بن سعود فإنَّه كان محمولاً مع إخوته أبناء الإمام سعود وقت ترحيلهم إلى مصر، فهرب من عساكر الترك في الحمراء[٢] واختفى[٣] في ناحية الوشم[٤].

على أنَّ الجبرتي أخبرنا أنَّ مشاري بن سعود كانت العساكر قد أوثقته قبيل شوَّال ١٢٣٦هـ/يوليو ١٨٢١م وأرسلته إلى مصر فمات في الطريق[٥].

بينما تذكر الوثائق البريطانية التي جمعها لوريمر بأنَّ قوات الباشا في الدرعية أسرت أربعة من أشقَّاء الإمام عبدالله، وأرسلوا إلى القاهرة حيث سُجِنُوا فيها، وسبَّب فرار أخ خامس ـ لعلَّه مشاري ـ قلقاً عظيماً للقوات الغازية[٦].

---

(١) إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٩). ومثله: عبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٢). وقبلهم قال مثل ذلك المؤرِّخ العراقي إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري في كتابه «عنوان المجد» (٢١٨).

(٢) الحمراء: قرية في (وادي الصفراء)، كانت تقوم على عينٍ فاندثرت العين، وباندثارها اندثرت القرية وتخرَّبت مبانيها، وتبعد عن (المدينة النبوية) ١٢١ كلم جنوباً، وعن (الصفراء) ٧ كلم شمالاً شرقياً. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٠١).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٤٥) وتعليق الشيخ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على هذا الخبر.

(٥) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥).

(٦) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٥).

ومن **المُرَحَّلين** أيضاً **مشاري بن عبدالرحمٰن بن مشاري بن سعود؛ فإنَّه ظلَّ في القاهرة ولم يعد للرياض إلَّا في سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م، وقد عاد في نفس الوقت الذي عاد فيه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، وكان ذلك لمَّا أصبح خال مشاري - الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود - هو سيِّد نجد وقتها**[(١)].

أمَّا عبدالله بن محمد بن سعود - والد الإمام تركي - فقد كان له أولادٌ كبار مات أكثرهم في مصر بعد ترحيلهم لها[(٢)]. وفي ذلك يقول المؤرِّخ إبراهيم بن عيسى: «**وكان لعبدالله بن محمد بن سعود أولاد غير تركي، نقلهم إبراهيم باشا** [إلى القاهرة] **وماتوا هناك**»[(٣)].

ويقول المؤرِّخ عبدالله بن محمد البسَّام (ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م): «**وباقي أولاد عبدالله بن محمد بن سعود نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر وماتوا هناك**»[(٤)].

وإلى جانب أولئك الأمراء؛ **فإنَّ إبراهيم باشا رحَّلَ فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، حيث حمله من الدرعية إلى مصر، ولم يرجع من مصر إلى نجد إلَّا بعد أن تملَّك أبوه الحكم وأعاد الدولة السعودية الثانية**، فرجع فيصل بن تركي من مصر قاصداً

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١/٢).

(٢) حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٣٤٤/١).

(٣) إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٩).

(٤) عبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٢).

نجد[١]، وكانت المدَّة التي قضاها الأمير فيصل بن تركي في القاهرة نحو تسع سنوات[٢].

ـ المرحلُّون من أسرة آل الشيخ:

أمَّا أسرة آل الشيخ فقد رُحِّل جُلُّهم إلى مصر، ولم يبقَ منهم إلَّا من خَرَجَ وانسلَّ من الدرعية، كما ذكرناه سابقاً، **كما بقي منهم بعض النساء والصغار الذين تخلَّفوا ولم يُحملوا إلى القاهرة.**

وكان من جملة أسرة آل الشيخ المرحَّلين إلى مصر: **الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، وبقي في القاهرة حتَّى توفِّي هناك سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م[٣].

كما جلى معه إلى مصر حرمه وابنه **الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب**[٤]، وقد ظلَّ **الشيخ عبدالرحمٰن في مصر حتَّى صار شيخاً لرواق الحنابلة في الأزهر**[٥]، ولم يزل هناك

---

(١) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٦). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (١/٣٤٤).

(٢) حسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي»، المجلد الثاني (الورقة: ١٢٦).

(٣) عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرها» (٦٨). وعبدالرحمٰن بن قاسم في ترجمته للشيخ عبدالله، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٨٠).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرها» (٧٥). وانظر تعليقه على «عنوان المجد» لابن بشر (١/٤٣١).

(٥) رواق الحنابلة في الأزهر: أنشأه عثمان كتخدا مُنْشِئ زاوية العميان، جدَّده الأمير راتب سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م. وهذا الرواق خارج الأزهر، يُتَوَصَّل إليه=

حتى اخترمته المَنيَّة سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م[(١)].

يقول المؤرِّخ عثمان بن بشر: «**أما عبدالرحمٰن فإنَّه جَلَى مع أبيه إلى مصر في أوّل طلبه العلم وهو قريب البلوغ قبل أن يتمّ له الطلب**، وذُكِرَ لنا أنَّه اليوم في رواق الحنابلة يُدرِّس في الجامع الأزهر وأنَّ له معرفة ودراية عظيمة»[(٢)].

وقال عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام: أنَّ عُمر الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله أربعة عشر عاماً لمَّا رُحِّلَ من الدرعية إلى القاهرة[(٣)].

وعلى هذين القولين علَّق عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ قائلاً: «**ليس صحيحاً ما ذكره ابن بشر والبسام بأنَّ الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب لمَّا رُحِّلَ إلى مصر كان صغيراً أو قريب البلوغ أو في سنِّ الرابعة عشر عاماً، بل إنَّ الشيخ عبدالرحمٰن ابن الشيخ عبدالله قبل ذهابه إلى مصر كان متزوِّجاً وَوُلِدَ له بنت اسمها منيرة تخلَّفَت مع والدتها في نجد**، ولمَّا كبُرَت تزوَّجت الشيخ عبدالملك ابن الشيخ حسين ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب الذي تولَّى القضاء في بلد حوطة بني تميم في عهد الإمام فيصل بن تركي... **ولمَّا رَجعَ أخوها الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن**

= من (باب الجوهرية). انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٥٠). وسعاد ماهر «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/٢١٩).

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٩).

(٣) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣/ ١١٤).

محمد بن عبدالوهاب إلى نجد سنة ١٢٧٢هـ [١٨٥٦م]، زار أخته منيرة في حوطة بني تميم، وذلك بعد مجيئه من مصر بسنة أوسنتين في حدود سنة ١٢٧٤هـ [١٨٥٨م]»[١].

الحاصل؛ قال المؤرّخ أمين الحلواني: «**واعلم أنَّه بقي لعائلة الوهابيين بقيةٌ في مصر ظلُّوا فيها برغبتهم لأنَّه صار لهم أولادٌ وأملاكٌ في مصر؛ مثل الشيخ عبدالرحمٰن [بن عبدالله] بن محمد بن عبدالوهاب النجدي، وقد أدركته في الجامع الأزهر يُدَرِّس مذهب الحنابلة، وكان شيخ رواق الحنابلة سنة ١٢٧٣هـ [١٨٥٧م]، وتوفّيَ في عام ١٢٧٤هـ [١٨٥٨م]، وكان عالماً فقيهاً ذا سمْتٍ حسنٍ يظهر عليه التقوى والصلاح**»[٢].

وقد أنجب الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله المذكور بمصر ثلاثة أولاد منهم: أحمد الأجزجي[٣] وعبدالله كاتب قلعة الوجه[٤]، ومحمَّد[٥].

---

(١) عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٧٧ ـ ١٧٩) باختصار.

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩ ـ ١٨٠) باختصار. ونقل ذلك عن الحلواني: عبدالرزاق البيطار في كتابه «حلية البشر» (٨٣٩/٢) نقله البيطار بشكلٍ يكاد يكون حرفياً؛ بشكلٍ يجعلك تحسب انَّ البيطار هو الذي أدرك آل الشيخ في القاهرة، والواقع أنَّ من أدركهم وشاهدهم والتقى بهم في (القاهرة) هو الحلواني وليس البيطار.

(٣) الأجزجي: لفظٌ تركي، وتعني: صيدلاني. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (١١).

(٤) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩ ـ ١٨٠).

(٥) انظر: تعليقات عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» (١٨٩/١) لابن بشر.

ومحمد هذا هو الذي رجع إلى نجد سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٦م[١].

قال المؤرّخ النسّابة عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: أمّا «أحمد الأجزجي؛ فأنجب ابناً اسمه عبدالرحمٰن حقّي وابنةً اسمها لطيفة حقّي.

وعبدالرحمٰن حقّي هذا أنجب ابناً اسمه محمَّد وابنةً اسمها حنيفة[٢]. وعبدالرحمٰن حقّي هذا كان رئيس إسعاف العيَّاط[٣] بمصر زمن الملك فؤاد وزمن الملك فاروق وزمن الجمهورية، وتوفّيَ بمصر في ٢٢ محرَّم ١٣٧٨هـ [٨ أغسطس ١٩٥٨م]، ورَثَتْهُ جريدة الأهرام المصرية، وخلَّف ابناً اسمه أحمد حقّي (مهندس).

أمّا عبدالله بن عبدالرحمٰن[٤] أخو أحمد الأجزجي؛ أي الصيدلي، فخلَّف أبناءً بمصر لا أعرف أسماءهم.

أمّا محمَّد بن عبدالرحمٰن أخو أحمد الأجزجي وأخو عبدالله، فخرج مِنْ مِصر إلى الرياض سنة ١٢٨٨هـ [١٨٧١م][٥] واستقرَّ بها

---

(١) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٧٩).

(٢) سيأتي بعد قليل خبر عن وصولها الرياض وقت الملك عبدالعزيز.

(٣) العيَّاط: قرية سُمِّيَت على الشيخ أحمد العيَّاط أحد أوليائهم في مصر. وهي اليوم في (مركز العيَّاط) التابع لـ(محافظة الجيزة). وإسعاف العيَّاط هو الكائن في مستشفى العيَّاط اليوم شرقي السكَّة الحديد. انظر: محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني/ الجزء الثالث (ص: ٥٠).

(٤) الذي كان كاتباً في (قلعة الوجه).

(٥) مرَّ معنا قبل قليل أنَّه محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله آل الشيخ رجع إلى نجد سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، بناءً على روايات المسنّين من آل الشيخ التي جمعها عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ في كتابه «التراجم المختارة» (١٧٧ ـ ١٧٩).

حتَّى توفِّي، وأنجب بها ابنين هما: عبدالحميد وعبداللطيف؛ فأمَّا عبدالحميد فتوفِّيَ عام ١٣٣٧هـ [١٩١٩م] وخلَّف ابناً اسمه صالح موجود اليوم[١]، وأمَّا عبداللطيف بن محمَّد فهو الذي قبل عشر سنوات كان قاضياً للأفلاج، واليوم[٢] يصلِّي بالناس الفروض الخمسة في جامع الرياض نيابةً عن الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز»[٣].

المقصود؛ أنَّه رُحِّلَ من الدرعية غير أفراد آل الشيخ الذين ذكرناهم قبل قليل، حيث سُفِّرَ - كذلك - من الدرعية **الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ[٤]، وصحبته حرمه وابنه الشيخ عبداللطيف[٥]، وكان عمر الشيخ عبداللطيف ذاك اليوم لا يزيد على ثمان سنوات[٦].**

وقد مكث الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في مصر ثمان سنوات ثمَّ رجع إلى (الرياض) بعدما تولَّى الإمام تركي بن عبدالله الحكم بسنة واحدة، أي في سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م[٧]، أمَّا ابنه الشيخ

---

(١) موجودٌ في وقت تعليق الشيخ المؤرِّخ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف على كتاب «عنوان المجد».

(٢) في الوقت الذي علَّق فيه آل الشيخ علىٰ كتاب «عنوان المجد».

(٣) من تعليق آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١/١٨٩).

(٤) انظر: تعليق آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١/٤٣١).

(٥) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٦) انظر: تعليق آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١/٤٣١). وعبدالرحمٰن بن قاسم «الدرر السنيَّة» (١٦/٤١٤).

(٧) انظر: تعليق آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١/٤٣١) وانظر كلام ابن بشر في الصفحة (٢/٤١ ـ ٤٢).

عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن فقد مكث في مصر واحداً وثلاثين عاماً[(١)]، وما رجع إلى الرياض إلَّا في سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م وقت ولاية الإمام فيصل بن تركي[(٢)].

كما كان من المرحَّلين إلى مصر: الشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومعه حرمه وابنته سارة. وقد توفِّيَ الشيخ علي في القاهرة[(٣)] سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م[(٤)].

وقد كان للشيخ علي ولدٌ اسمه محمَّد، كان صغيراً وقتها ولم يُرحَّل مع أبيه لمصر، فبقي في نجد، وتوفِّيَ في الرياض فيما بعد، وذريَّته يُعرفون اليوم على انفرادهم باسم آل محمد نسبةً إليه[(٥)].

ومِمَّن رُحِّلُ أيضاً إلى القاهرة؛ الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومعه حرمه وابنته طَرْفَة[(٦)].

والشيخ إبراهيم ليس له عَقِب إلَّا بناتٍ تخلَّفْنَ بعده في نجد ولم يُنقَلْنَ معه إلى مصر، إلَّا ابنته طَرْفَة فقد ذهبت معه إلى مصر[(٧)]. وكانت وفاة الشيخ إبراهيم في القاهرة.

---

(١) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣١/١) وتعليق آل الشيخ على هامش تلك الصفحة، وانظر كلام ابن بشر في الصفحة (٤٢/٢ ـ ٤٣).

(٣) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٦٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٨١).

(٥) انظر: تعليق آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١٩٠/١) (٤٣١).

(٦) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٦٣).

(٧) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٨٠).

يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)[١]: **«الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب لم أقف له على وفاة، ولكنَّه موجود سنة ١٢٥١هـ [١٨٣٥م] في مصر وتوفِّيَ فيها»**[٢].

- ترحيل الشيخ ابن رشيد الحنبلي:

ومِمَّن رَحَّلَهم إبراهيم باشا من الدرعية إلى القاهرة: العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي؛ الذي كان قاضياً لآل سعود في المدينة قبيل وصول الأتراك، وقد بيَّنا في هذا الفصل أنَّه خرج من المدينة النبوية قاصداً الدرعية بعد احتلال الترك للحجاز، **وقد سَفَّرَهُ إبراهيم باشا بعد أن نَدِمَ على تعذيبه لهذا العالم الجليل لَمَّا نكَّل به واقتلع أسنانه في الدرعية بعد التسليم.**

وكان الباشا قد غضب على الشيخ ابن رشيد بسبب حادثتين سبق أنْ فصَّلناها، أمَّا الحادثة الأولى: فهي يوم أرسل الإمام عبدالله مستشاره الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي ومعه صالح بن رشيد الحربي، فعرضا على إبراهيم باشا السلام والهدنة شرط أن يرفع الحصار عن الرسّ، ولكنَّ إبراهيم لم يسمع إلى ما يحمله هذان المبعوثان، وكان

---

(١) هو الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم من آل عاصم إحدى بطون آل روق من قبيلة قحطان. وُلِدَ في (البير) من قرى (المِحمَل) سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، وتوفِّيَ معتزلاً في مزرعة له تسمَّى (المغيدر) قرب (أبي الكباش) في (وادي العمَّارية) شمال غرب (الدرعية). انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣/٢٠٢ ـ ٢٠٨).

(٢) انظر: تراجم عبدالرحمٰن بن قاسم التي أفردها في آخر كتابه «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٨١ ـ ٣٨٢).

جوابه أَنْ أَنْذِر أمير الرسّ بوجوب تسليم البلدة، فقال له الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي: «**هذا ضربٌ من الخيلاء، فأنت تهاجم الرسّ منذ زمنٍ طويل، ولن تستطيع الاستيلاء عليها**». فاغتاظ إبراهيم باشا من كلام ابن رشيد الحنبلي[1].

والحادثة الثانية: يوم رفض الأخير عرض الباشا عليه بأن يبقى قاضياً في المدينة النبوية تحت ظلّ حكم محمد علي باشا، فرفض الشيخ وقال لإبراهيم: **لا أفارق أهل الدرعية إلَّا إذا غُلِبوا**. فأغضب الباشا ذلك، ولمَّا أخذ إبراهيم باشا الدرعية أمسكه وقلع أسنانه وعذَّبه بأنواع العذاب. ثمَّ إنَّ الباشا إبراهيم نَدِمَ على تعذيبه ورحَّله للقاهرة[2].

وفيما حصل من النكبات للشيخ أحمد بن حسن بن رشيد في الدرعية على يد إبراهيم باشا ردٌّ وإبطالٌ لافتراء ابن حُمَيْد في «سُحُبِهِ الوابِلَة»: حين اتَّهَمَ الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد بأنَّه ما كان في الدرعية إلَّا مصانعةً لآل سعود ومداهنةً لآل الشيخ[3].

المقصود؛ **يقال: إنَّ محمد علي باشا هو الذي أرسل لابنه إبراهيم باشا يطلب منه إرسال الشيخ ابن رشيد ليأتيه في القاهرة؛**

---

(١) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤ ـ ١٤٥). وانظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٣ ـ ٥٥٤).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٩). أيضاً: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). ومحمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢٩/١ ـ ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٢/٣) (١٦٨٧). وعبدالله البسّام «علماء نجد» (٤٦٠/١) (٤٦٢).

(٣) انظر: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٨٧/٣). وتعليقات عبدالرحمن العثيمين على كتاب «السحب الوابلة» لابن حميد (١٢٧/١).

لكونِهِ منسوباً من مجاوري المدينة، ولأنَّ محمد علي باشا ـ كما يقول ابن حميد ـ **لم يستحسن تعذيب ابنه إبراهيم للشيخ ابن رشيد.**

ثمَّ إنَّ الشيخ وصل القاهرة، فأكرمه محمد علي باشا[١] ورتَّبَ له رواتب جزيلة وأعطاه جَوَارِيَ حِساناً، وجمع بينه وبين علماء مصر فتناظروا، فَثَبَتَ ثباتاً عظيماً وَعَزَّ في عَيْنِ الباشا، فجعله شيخ المذهب الحنبلي ـ وهو عبارةٌ عن المفتي ـ، وأَمَرَهُ أن يُقرِئَ بعضَ أولادِهِ ومماليكِهِ في القلعةِ وفي بيتِهِ، ويُدَرِّسَ في الأزهر ويَحضرَ عِندَهُ جَمْعٌ، وانفرد بمذهب الإمام أحمد فصار يُرحَلُ إليه للأخذ عنه، ويُرسَلُ إليه من الأماكن للفتاوى ولطلب الإجازة، **وبقي في القاهرة حتَّى توفِّي فيها وقد ناهز الثمانين أو جاوزها سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م**[٢].

* مسكن آل سعود وآل الشيخ في القاهرة:

عملتُ مدَّةً في البحث على تحديد المكان الذي أقام به آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية في القاهرة يوم رُحِّلوا إليها، وقد توصلّتُ بعد بحثٍ طويل من التعرف ـ بشكلٍ دقيق إن شاء الله ـ على الأحياء والحارات والدور والقصور التي أقاموا بها هناك، ثم

---

(١) مسألة إكرام محمد علي باشا للمسفَّرين من (الدرعية) إلى (القاهرة) لا جدال فيها، وهي موثَّقة، وسيأتي مزيد بيانٍ لها. يبقى التساؤل: لماذا أكرمهم محمد علي باشا؟، وهل كان ذلك لأهدافٍ يرمي إليها؟، أو أنَّه حقّاً عرف قدرهم وأنزلهم منزلتهم بعد ذهاب ملكهم!. وسيأتي البحث في هذا.

(٢) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٢٩ ـ ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٨٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/٤٦٠ ـ ٤٦١). وانظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٩).

حاولت أن أوضّح مواقعها في القاهرة بعد التغييرات التي حدثت في البنيان والعمران في يومنا هذا.

فأقول: أخبرنا الجبرتي بموضعهم على التعميم، ذاكراً: أنَّ أسرتي آل سعود وآل الشيخ الذين وصلوا القاهرة يوم الخميس ١٨ رجب ١٢٣٤هـ/١٣ مايو ١٨١٩م وكان عددهم أربعمئة نفر من الرجال والحريم والأولاد[١]، وقد أنزلهم الباشا ـ محمّد علي ـ في القِشْلَةِ[٢] التي بالأُزبكيَّة.

أمَّا ابن عبدالله بن سعود فإنَّ الباشا محمد علي أنزله هو وخواصّه بدارٍ عند جامع مسكة[٣].

ثمَّ إنَّ الباشا أسكن بتاريخ ٢٧ محرَّم ١٢٣٥هـ/١٥ نوفمبر ١٨١٩م جماعةً منهم بدارٍ في حارة عابدين[٤].

ومِنْ بعد أولئك وصلَ عمر بن عبدالعزيز وأولاده وأبناء عَمّه في تاريخ ٣ شوَّال ١٢٣٦هـ/٤ يوليو ١٨٢١م، فأسكنهم محمّد علي باشا

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٢) القِشْلَةْ: والجمع قِشْلاتْ. لفظٌ محرَّف عن أصله التركي «قِشْلاقْ»، وتعني: شتوي، ومشتى، أي: المأوى الشتوي ومسكن الشتاء. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٤٢٠) (٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠). سيأتي التعريف بـ(جامع مِسْكَةْ).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٣). سيأتي التعريف بـ(حارة عابدين).

بخِطَّة الحنفي، قريباً من جماعتهم الذين سبقوهم[١].

هكذا حدَّد الجبرتي سكنى آل سعود وآل الشيخ في القاهرة بشكلٍ مجمل، وإليك نتيجة البحث عن تحديد أماكن سكناهم على وجهٍ التعيين، وتحديد موضعه في القاهرة اليوم، **وقبل تعيين أماكن سكناهم أبدأ البحث ببيان حالة عيشهم ومكانتهم في مجتمع القاهرة وقتها، وحالة الأحياء والحارات والقصور والدُّور التي خصَّصها محمد علي باشا لآل سعود وآل الشيخ ومن معهم:**

* آل سعود وآل الشيخ ضمن الطبقة الراقية في مجتمع القاهرة:

تخبرنا المصادر **أنَّ محمّد علي باشا هو الذي أمر ابنه إبراهيم باشا أن يرسل مَنْ في الدرعية مِن آل سعود وآل الشيخ ليأتوه في القاهرة**، وأنَّ محمد علي باشا طلب ذلك بعد أن جاءه خبر مقتل الإمام عبدالله في إسطنبول؛ بعد أن رفض السلطان العثماني شفاعة محمد علي باشا ألَّا يقتل عبدالله بن سعود؛ خصوصاً أنَّ الإمام عبدالله سلَّمَ نفسه ولم يُقْبَض عليه مأسوراً، وبالرغم من ذلك أُهِينَ الإمام عبدالله ومن معه في إسطنبول وطافوا بهم في شوارعها ثمَّ قتلوهم[٢].

ويذكر الجبرتي: أنَّ محمد علي باشا أكرم آل سعود وآل الشيخ

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥). سيأتي التعريف بـ(خِطَّة الحنفي).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣) (٥٨٦). وعبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٢٠).

لَمَّا نزلوا عنده في القاهرة[(١)].

وربما كانت هذه سياسةً من محمد علي باشا، أو ربما كان قد غضب بعد أن رفض السلطان شفاعته في الإمام عبدالله، وربما يكون لغير ذلك من الأسباب، خصوصاً وأنَّ سياسة محمد علي ـ بعد تلك الحوادث ـ قد تبدَّلت لتصير ضدّ الدولة العثمانية الكارهة لدولة آل سعود ودعوتهم السلفية، حيث حارب محمد علي باشا الدولة العثمانية وأخذ منها بلاد الشام ثمَّ استقلَّ بحكم مصر له ولذريته[(٢)].

ولربَّما ـ والله أعلم بالنيَّات وما استكن في الصدور ـ **أنَّ محمَّد علي باشا قد نَدِمَ وكان صادقاً في إكرامهم**، وسيأتي لاحقاً توثيق من المؤرّخ الفرنسي إدوارد جوان والمؤرّخ المصري عبدالحميد البطريق ما يُلمِح إلى أنَّ هذا هو السبب في طلب محمد علي باشا ترحيل من رُحِّل إليه من أهل الدرعية.

أقول: نعلم أنَّ محمد علي باشا أكرمهم حين أخبرنا الجبرتي بأنَّ الباشا قد أنزلهم في أرقى أحياء القاهرة؛ على بركة الأزبكية، وأنَّه أنزلهم في القشلة هناك، ومعلومٌ أنَّ القشلة كانت قصوراً ودوراً يقضي بها الأمراء والباشوات فصل الشتاء هناك للتَّريُّضِ والاستجمام[(٣)]، ومعلومٌ أيضاً أن سائر الدور والقصور على بركة

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٢) حول حرب محمد علي في بلاد الشام واستقلاله عن العثمانيين، انظر: عبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (٢١٧ ـ ٢٢١) (٢٥١ ـ ٢٥٤) (٢٩٠ ـ ٣٢٠). وعبدالرحمٰن زكي «التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير» (٢٤٣ ـ ٢٩٠)

(٣) انظر: محمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٤٩ ـ ١٥٠) (١٥٤) (١٦٢ ـ ١٦٩).

الأزبكية هي منازل أرقى طبقات مجتمع القاهرة من الأمراء والباشوات وعلماء الدولة وسادات البكرية[١].

كما أنَّ آل سعود وآل الشيخ الذين نزلوا عند جامع مِسْكَة وحارة عابدين وخِطَّة الحنفي؛ هم كذلك أسكنهم الباشا في الدور والقصور التي في تلك النواحي من القاهرة.

وتلك المواضع كانت ذاك الوقت من أرقى أحياء القاهرة؛ حيث ينزلها الأمراء والباشوات ويسكنها أبناء وأحفاد محمد علي باشا[٢].

ومعلومٌ أنَّ مصر كانت في ذاك الوقت من أغنى ولايات الدولة العثمانية، وفيها من الخيرات والأرزاق ما لا يقع تحت الحصر[٣]، وعلى أرضها من القصور والدور التي شَادَها أمراء وأغنياء الدول التي تعاقبت حكوماتها على سُدَّة الحكم في مصر، وهذه القصور كثيرة وعديدة، وهي فخمة فخامةً بيِّنَة، بحيث أنَّ القاهرة على وجه التخصيص قد تميَّزت بها إلى يوم الناس هذا[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٦٢ ـ ١٦٩).

(٢) لا زالت الأحياء التي تقع فيها تلك القصور والدور الفخمة من أرقى أحياء القاهرة منذ ذاك الوقت وحتى يوم الناس هذا، وما زالت تحتفظ بأُبَّهتها رغم ما استجدَّ حديثاً من الضواحي الراقية خارج محيط القاهرة.

(٣) انظر ما يرصده الجبرتي في تاريخه لمنتجات محاصيل الزراعة الواسعة في مصر التي لا تكاد تدخل في الحصر. والجبرتي يرصد ذلك بدقَّةٍ لأنَّه يعمل بوظيفة «ملتزم» لدى الدولة، فهو خبير ثقة فيما يقول.

(٤) انظر على سبيل المثال: عبدالمنصف سالم «قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر» الجزء الأول.

وعليه؛ فإنَّ مسألة إسكان أولئك الأمراء والأعيان من أهل الدرعية في تلك القصور والدور الفخمة الكثيرة والعديدة لم تكن مشكلة بالنسبة لسيِّد مصر وحاكمها المطلق.

ثمَّ إنَّ محمد علي باشا لمَّا نقل آل سعود وآل الشيخ إلى مصر، رأى أن يجتمع بهم في يومٍ مخصوصٍ كلَّ أسبوع؛ «فكان يجتمع بآل الشيخ، وهم: الشيخ عبدالله والشيخ علي والشيخ إبراهيم أبناء الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأيضاً الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب؛ وذلك للبحث معهم بما كانوا عليه من الاعتقاد في العبادة وعقيدة التوحيد وما يدينون به ويدعون الناس إليه وما ينهونهم عنه، وقد صار بينهم جلسات ونقاش واستطراد وتقصّي في البحث، وقد بيَّنوا له ما هم عليه من عقيدة التوحيد، كما دحضوا أمامه الافتراءات التي كان الأعداء يرمونهم بها.

فلمَّا عرف محمد علي باشا ما هم عليه وما يدينون به، صدَّقَهُم وآمن بأقوالهم وما يعتقدونه، وقال: إنَّكم مظلومون، وإنَّ عقيدتكم تلك هي الدين الحقّ.

عند ذلك قدَّموا له النصيحة، وطلبوا منه إزالة القباب التي على القبور، وطمس جميع الشرك الموجود في مصر. فردَّ عليهم أنَّه لا يمكن ذلك ولا يستطيع إزالته»[١].

المقصود؛ **يخبرنا المؤرّخون أنَّ آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية الذين طلب الباشا مجيئهم إلى القاهرة، قد أكرم الباشا نُزلَهم وأجزل لهم الأعطيات والمخصَّصات.** وفي ذلك يخبرنا المؤرخ

---

(١) عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٧١ ـ ٧٣) باختصار.

الفرنسي إدوارد جوان ـ الذي كان من خواص محمد علي باشا ـ قائلاً: **إنَّ محمّد علي باشا وابنه إبراهيم باشا لم يكونا راضِيَيْن عن قتل السلطان للإمام عبدالله، خصوصاً وأنَّ عبدالله قد سلَّم نفسه ولم يُؤسَر، وعدّوا ذلك غدراً وخيانة من السلطان**[١].

ويذكر المؤرّخ المصري عبدالحميد البطريق ـ وهو يعتمد على الفرنسي جوان ـ قائلاً: «**إنِّي أعتقد تماماً؛ أنَّه لم يَكُن يدور بخلد إبراهيم أو بخلد أبيه أن يلقى عبدالله ذلك المصير الأليم الذي لاقاه في الأستانة، فقد قال إبراهيم مخلصاً: ولو أنِّي لا أملك التحكّم في إرادة الوالي والسلطان، إلَّا أنِّي أعتقد أنَّهما من كرم النفس وسِعَةَ الصدر بحيث يأبيان التنكيل بعدوٍّ سلَّم نفسه**»[٢].

ولمَّا كان الإمام عبدالله في القاهرة عند محمد علي باشا، أخبره الباشا أنَّه التمس له العفو عند السلطان، لكن لم يشفع لعبدالله عند السلطان التماس محمد علي باشا ولا رجاؤه بالعفو عنه[٣]. **وألمح البطريق أنَّ طلب الباشا محمد علي في إحضار أسرة آل سعود وآل الشيخ من الدرعية إلى القاهرة ربما يكون لندمه وغضبه على رفض السلطان التماس الباشا في العفو عن عبدالله**[٤].

مِن بعد ذلك يخبرنا الجبرتي ـ وهو شاهد عيان ـ أَنَّ محمد

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣) (٥٨٦).

(٢) عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٢٠).

(٣) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.

(٤) انظر: عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٢٠).

علي باشا أسكن آل سعود وآل الشيخ ومن معهم في دورهم وقصورهم «**من غير حرجٍ عليهم**»[(١)].

أقول: أُسْكِنوا دُورهم وقُصورهم في القاهرة بـ«**غير حرجٍ عليهم**»، هذا على الرغم من أنَّ **الشيخ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ** ذكر في كتابه «**مشاهير علماء نجد وغيرهم**»: أنَّ الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ظلَّ في القاهرة «**محدود الإقامة**» حتَّى توفَّاه الله سنة **١٢٤٢**هـ/١٨٢٦م[(٢)]. بمعنى أنَّه كان قيد الإقامة الجبرية.

وهذا ما لا دليل عليه من التاريخ؛ فهذا الجبرتي، وهو شاهد عيان رآهم بعينه في القاهرة ودرَّس بعضهم[(٣)]؛ قد أكَّدَ أمراً مغايراً لِمَا قاله آل الشيخ؛ إذ قال الجبرتي ـ نَصَّاً ـ عن آل سعود وآل الشيخ وأعيان الدرعية الذين جاؤوا القاهرة: أنَّهم «**طَفِقوا يذهبون ويجيئون ويتردّدون على المشايخ وغيرهم**»[(٤)].

وقال أيضاً ـ نَصَّاً ـ: أنَّ آل سعود وآل الشيخ وأعيان الدرعية الذين في القاهرة كانوا «**يمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات**»[(٥)].

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٢) عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٦٨).

(٣) انظر: إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٦٦).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٥) المصدر السابق (٤/٤٧٠).

ونبَّه الجبرتي: أنَّهم يقومون بكلِّ ذلك - في القاهرة - «من غير حرجٍ عليهم»(١).

كما أنَّ الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب كان حرّاً في التدريس ونشر العلم من محلِّ إقامته في القاهرة؛ فإنَّه درَّس أبناءه وبعض أفراد من آل سعود هناك وبعض أفراد من المصريين، ولم يَذكر أحدٌ أنَّه مُنِعَ من ذلك(٢).

كما كان الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب يلتقي بمحمد علي باشا كلّ أسبوع - كما ذكرنا قبل قليل - **فكان محلّ تقدير ومكانة عند الباشا**(٣).

أقول: **إنَّ هذا الحال لا يتيسَّر لأسير أو محبوس أو من هو في الترسيم وقيد الإقامة الجبرية، إنَّما يتيسَّر لِمَن لا حَرَجَ عليه في الحِلِّ والتنقّل كيفما شاء.**

من هنا؛ ترى أنَّ الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ كان أثناء إقامته في مصر قد وجد حُرِيَّةً في التزوّد بالعلم واقتناء الكتب التي كانت موفورة وفرةً بَيِّنَةٍ في القاهرة، وكان أيضاً حُرّاً في مجالسة العلماء والأخذ عن علماء الأزهر(٤)، والمؤرّخ الجبرتي هو أحد أشياخ عبدالرحمٰن بن حسن في القاهرة، وجالسه الأخير وأخذ عنه

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٧٠ - ٧١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٧١ - ٧٣).

(٤) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/١٨٤ - ١٨٥).

مسلسلات طويلة وروايات عديدة[١]، مِمَّا يدلّك على طول الملازمة ومُدَّة الوقت في طلب العلم على يدي الجبرتي.

وكانت الناس تأتي إلى منزل الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في القاهرة، فيناقشهم ويناقشونه في بعض الأمور، لذلك لم يواجه الشيخ عبدالرحمٰن صعوبةً ولا منعاً في خروجه من مصر حين أراد ـ برغبته هو ـ الخروج منها إلى الرياض سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م[٢]، لمَّا تولَّى الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود زمام الأمور وتسنَّم الحكم على نجد، فراسل تركي من راسله في مصر ليعودوا إليه ويعاونوه، وكان من جملة من راسلهم الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن[٣]، **فرجع ـ برغبته ـ إلى الرياض بعد أن قضى في مصر ثمان سنوات، ولم يمنعه أحد من الرجوع، بل رجع والسلطة في مصر تعلم ذلك.**

وقد كان عبدالرحمٰن بن حسن وهو في مصر كثير الحنين لبلاده التي فارقها؛ ومن الدلائل على حنينه وشوقه لنجد؛ قصيدته التي

---

(١) التقى الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ بالمؤرّخ الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي، وحدَّثه الأخير بالحديث المسلسل بالأوليَّة بشروطه، وأجازه الجبرتي بجميع مرويات مرتضى الحسيني. والشيخ عبدالرحمٰن يَعُدّ الجبرتي من جملة أشياخه في مصر. انظر: إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٦٦).

(٢) انظر: مقدِّمَة عبدالله بن محمد المطوَّع في تحقيقِهِ لكتاب «المقامات» لعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ص١٩). وحول موضوع كثرة تنقُّل الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في مصر لطلب العلم، انظر على سبيل المثال: إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (ص٦٦ ـ ٦٩)؛ مِمَّا يدلّك على أنَّه لا قيود على تنقله هو ومن كان معه في (القاهرة) ولم يكن منهم من كان قيد الإقامة الجبرية.

(٣) تعليقات عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة» (٢/٤٨٦).

تجاوب فيها مع قصيدة ابن معمَّر الشهيرة بـ (الطنانة)[١]، وهذا من طبائع البشر الاعتيادية، **فبسبب مراسلة تركي وبسبب الحنين؛ رجع عبدالرحمٰن بن حسن.**

كما أنَّ خروج عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ من مصر وقدومه إلى الرياض؛ كان في الوقت الذي لا يزال فيه الشيخ عبدالله ابن الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب على قيد الحياة، ولم يخرج الأخير مِن مصر، بل توفِّيَ فيها في السنة التالية لخروج عبدالرحمٰن بن حسن.

وعبارة الجبرتي التي أوردناها قبل قليل واضحة في يُسر حالهم في مصر، وواضحة أيضاً في بيان أنَّ لا حَرَجَ عليهم في أفعالهم وتصرفاتهم هناك.

كما أنَّ الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ لم يرجع من مصر إلَّا في سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م[٢]، فقد مكث في مصر واحداً وثلاثين عاماً[٣]، وما رجع إلى الرياض إلَّا في السنة المذكورة وقت ولاية الإمام فيصل بن تركي[٤]، وقد ظلَّ في مصر حرّاً في تنقلاته لطلب العلم، فتفقَّه وصارت له حلقة تدريس هناك[٥]، ولم

---

(١) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/١٨٢ ـ ١٨٤).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٤٣).

(٣) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣١) (٢/٤٢ ـ ٤٣) بتعليقات آل الشيخ على تلك المواضع.

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٤٢ ـ ٤٣).

يذكر أحد أنَّه كان تحت الترسيم أو قيد الإقامة الجبرية في القاهرة، ولمَّا رجع لم يُمنع من الرجوع مِن قِبَل سلطة باشا مصر وقتها.

نعم هناك رواية للشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام يرويها عن وجيه جُدَّة محمَّد نصيف، خلاصتها: أنَّ الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن خرج من مصر إلى مكَّة وخشي أن يعرف شريف مكَّة بأمره فيعيده إلى مصر، ولكنَّ الشريف طمأنه وأرسله إلى نجد(١).

ولكنَّ سياقات تاريخ الترحيل وإغداق محمد علي باشا على المرحَّلين وكريم العيش الذي يعيشونه في القصور والدور والفدادين والأطيان والأبعديات التي يمتلكونها في مصر مقارنةً بشظف العيش في نجد وعدم استقرار الأمن فيه وقتها. أضف إلى ذلك أنَّ الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن قضى جُلَّ عمره في مصر، دارساً ومدّرساً حرّاً في تنقلاته بين أشياخه وتلاميذه(٢).

أقول: كل ذلك يُعارِض ما نقله البسَّام عن نصيف، خاصة إذا علمنا أنَّ أيَّ أحدٍ من العائدين إلى نجد من مصر لم يذكر أنَّه مُنِعَ من العودة أو أقيم جبراً هناك، وعودة عبدالرحمٰن بن حسن برغبته تؤكِّد ذلك، ومثله عودة فيصل بن تركي برغبته، ومثلهما مشاري ابن أخت الإمام تركي الذي رجع برغبته أيضاً، ومثلهم عودة محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب سنة

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٢٠٤/١).

(٢) انظر على سبيل المثال: أبو الفيض عبدالستار الهندي «فيض الملك الوهاب المتعالي» (١٠٣٨)، الذي عدَّدَ أسماء أشياخ وطلاب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن في مصر. وفيها دلالة على الحريَّة في تنقُّل الشيخ عبداللطيف في مصر، وفيها أيضاً دلالة على كريم العيش الذي كان يعيشه الشيخ في القاهرة.

١٢٧٢هـ/١٨٥٦م[١].

أمَّا الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الذي رُحِّلَ إلى القاهرة مع أبيه وأسرته، **فلم يذكر أحد من أهل التواريخ أنَّه كان محدود الإقامة أو وُضِعَ تحت الإقامة الجبرية، بل بقي بالقاهرة برغبته ولم يرغب في العودة إلى نجد**؛ لأنَّه ـ كما يقول المؤرّخ الحلواني الذي لَقِيَهُ بالقاهرة ـ كان من جملة آل الشيخ وآل سعود ومن معهم من الذين بقوا في القاهرة، التي «**ظلُّوا فيها برغبتهم؛ لأنَّه صار لهم أولادٌ وأملاكٌ في مصر**»[٢].

ومن الدلائل على أنَّ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب وغيره من المرحَّلين كانوا أحراراً ويُعاملون معاملة الطبقة العالية في مجتمع القاهرة؛ أنَّ السلطة في مصر قد سنَّمت الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله منصب شيخ رواق الحنابلة بالأزهر، وهو ما شهد به المؤرِّخ عثمان بن بشر حين قال: «أما عبدالرحمٰن فإنَّه جَلَى مع أبيه إلى مصر في أوّل طلبه العلم وهو قريب البلوغ قبل أن يتمّ له الطلب، وذُكِرَ لنا أنَّه اليوم في رواق الحنابلة يُدرِّس في الجامع الأزهر وأنَّ له معرفة ودراية عظيمة»[٣].

وشهد به من بعده المؤرّخ أمين الحلواني حين قال: «**أمَّا الشيخ عبدالرحمٰن المذكور، فقد أدركته في الجامع الأزهر يُدَرِّس مذهب**

---

(١) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٧٩).

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٩). =

الحنابلة، وكان شيخ رواق الحنابلة سنة ١٢٧٣هـ [١٨٥٧م]»[١]، «وتخرَّجَ على يديه كثير من الطلبة والعلماء الأفاضل»[٢].

وكان الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب هو واجهة آل سعود وآل الشيخ الموجودين في القاهرة لدى خديوي مصر؛ الخديوي عباس، حيث كان الشيخ يرعى شؤونهم ويدير أمورهم هناك[٣]؛ فقد أُوكِلَ إلى الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله أن يكون رئيساً ومسؤولاً لآل سعود وآل الشيخ مِن قِبَلِ الخديوي، فكان للشيخ عبدالرحمٰن الإشراف التام عليهم والمسؤول عنهم والمتفقِّد لأحوالهم، وكانوا ـ آل سعود وآل الشيخ ـ يرجعون إليه في مطالبهم وما يحتاجون إليه من أمورهم[٤].

كما كان للشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله الجاه والمنزلة الرفيعة والممتازة عند الخديوي عباس حاكم مصر، فكان الخديوي يُقدِّره ويحترمه ولا يَرُدّ له ـ في الغالب ـ مطلباً[٥].

وهناك دلائل أخرى تدلُّنا على أنَّ إقامتهم بمصر لم تكن جبرية **وأنَّهم ظلّوا مكرَّمين معزَّزين هناك**؛ مثلما حصل من محمد علي باشا حين أرسل لابنه إبراهيم باشا أن يجعل الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي من جملة المرحَّلين من الدرعية للقاهرة، فلمَّا وصل

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٢) عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٧٦).

(٣) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٧٦ ـ ٧٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٩٤).

(٥) انظر: المصدر نفسه (١٩٤).

الشيخ إلى القاهرة؛ أكرمه محمد علي باشا ورتَّبَ له رواتب جزيلة وأعطاه جَوَارِيَ حِساناً، وجعله شيخ المذهب الحنبلي - وهو عبارةٌ عن المفتي -، وأمَرَهُ أن يُقرِئَ بعضَ أولادِهِ ومماليكِهِ في القلعةِ وفي بيتِهِ، وكان ابن رشيد يُدرِّسَ في الأزهر ويَحضرَ عِندَهُ جَمْعٌ، وانفرد بمذهب الإمام أحمد فصار يُرحَلُ إليه للأخذ عنه، ويُرسَلُ إليه من الأماكن للفتاوى ولطلب الإجازة، ثمَّ توفّي في القاهرة وقد ناهز الثمانين أو جاوزها سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م[١]، ولم يرجع أو يُمنَع من الرجوع لو رغب في ذلك.

فجملة المرحَّلين كانوا محل التكريم من قِبَلِ سيِّد مصر محمد علي باشا وأبنائه من بعده[٢]، وهذا ما أرَّخ له الجبرتي حين وصول المرحَّلين من الدرعية، لمَّا ذكر: إنَّ باشا مصر أسكنهم في الأماكن الراقية في (القشلة) مشتى الباشوات والأمراء بالأزبكية، وفي الدور والقصور التي في عابدين وعند جامع مِسْكَةْ وعند خِطَّة الحنفي، ثمَّ ذكر أنَّهم تمتَّعوا بحرية الحركة في مصر كيفما شاؤوا من غير حرجٍ عليهم[٣].

---

(١) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٢٩ - ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٨٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/٤٦٠ - ٤٦١). ويوسف شلحد «رحلة إلى الدرعية في الربع الأول من القرن الثالث عشر»، «مجلة العرب»، ج٣ - ٤، السنة ١٩، رمضان - شوال ١٤٠٤هـ/ يونيو - يوليو ١٩٨٤م (ص: ١٥٢ - ١٥٣).

(٢) ينبغي أنْ يُتنبَّه إلى أنَّ محمد علي باشا وقتها قد استقلَّ عن الدولة العثمانية وسلطانها الكاره لدولة آل سعود ودعوتهم السلفية، بل صار محمد علي باشا محارباً للدولة العثمانية وسلطانها في بلاد الشام، وأصبح مستقلّاً بمصر وحكمها الذي صار له ولأولاد وذريَّته من بعده.

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

أقول: **وهذا لا يتيسَّر إلَّا لمن وُسِّعَ عليه في المسكن والمعاش، وهذا ما صنعه الباشا مع آل سعود وآل الشيخ في القاهرة وسعيه في تسيير المرتَّبات الشهرية لهم وإنزالهم منزل الطبقة الراقية هناك.**

وهذا الأمر أكَّده أحد خواص محمد علي باشا؛ وهو المؤرّخ الفرنسي فيلكس مانجان حين قال: إنَّ آل سعود وآل الشيخ لمَّا وصلوا القاهرة «**شملهم محمد علي بكرمه، فقرَّر لهم جميعاً مخصَّصات شهرية**»[1]. وقال مثل ذلك المؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس[2].

أقول: **ما صنع محمد علي باشا مع آل سعود ذلك الصنيع بتكريمهم في المعاش والمسكن؛ إلَّا لأنَّ محمد علي باشا يعلم أنَّ آل سعود هم ذريَّة بيت الحكم الذي امتدّ نفوذه على سائر جزيرة العرب إلا ما ندر**، والآن ـ وقت ترحيلهم للقاهرة ـ قد ذهبت دولتهم ـ الدولة السعودية الأولى ـ، **لذلك أنزل سلالة الأئمة والأمراء وأعيان تلك الديار المنزلة التي يستحقّونها.**

وإليك شيءٌ من التعليل لتكريم محمد علي باشا لأولئك المرحَّلين:

أكَّدَ المؤرخ الفرنسي إدوارد جوان ـ وهو من خواص محمد علي باشا ـ السبب في تكريم محمد علي باشا للمرحلين من الدرعية، حيث قال جوان: «**وقد وصلوا**[3] **إلى القاهرة، فقرَّر لهم محمد علي باشا المرتَّبات لمعاشهم بسخاءٍ عظيم؛ ليهوِّنَ عليهم ذلَّ السقوط من**

---

(١) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٩٣).

(٢) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (ص١٤٧).

(٣) يقصد المرحَّلين من أسرة آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية.

عرش الإمارة ويُعَوِّضَ عليهم بعض ما خسروه من أموالهم»[١].

وأكَّد ذات الأمر مؤرّخ محمد علي باشا فيلكس مانجان الفرنسي حين قال: «**قرّر**[٢] **لهم مخصَّصات شهرية تهوّن عليهم الأسى الذي تسبِّبه لهم ذكريات الماضي العظيم»**[٣].

كما أكَّدَ مسألة التكريم أيضاً مؤرّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي، الذي قال: «**فساروا**[٤] **حتَّى دخلوا مصر أجمعين، منضَمِّين ومجتمعين، وكان يوماً مشهوداً وعيداً من أكبر الأعياد معدوداً، فَفَرَّقهم فرقتين وأسكنوهم بمصر في جهتين**[٥]**، ورتَّبَ لهم صاحب السعادة ما يكفيهم من رَفدِهِ وإحسانه أَمْناً يوافيهم»**[٦].

وهو ما شهد به المؤرّخ أمين الحلواني ـ الذي كان قد أدرك أسرة آل سعود وآل الشيخ في القاهرة والتقى ببعض أفرادهم هناك ـ حيث قال: «**أمَّا باقي أمراء الوهابيين المُعبَّر عنهم بآل المقرن وباقي بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب المعبَّر عنهم ببيت الشيخ فإنَّه**[٧] **نقلهم جميعاً إلى مصر وأسكنهم هناك، ورتَّب لهم معاشات**

---

(١) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥ ـ ٥٩٦).

(٢) يقصد محمد علي باشا.

(٣) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٩٣).

(٤) يقصد المرحَّلين من أسرة آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية.

(٥) جهة (بركة الأوزبكية) وجهة (جامع السِّتّ مِسْكَةْ) مع (خطَّة الحنفي) و(حارة عابدين) وكلّها أماكن النخبة العالية والطبقة الراقية في (القاهرة).

(٦) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٦٣ ـ ١٦٤).

(٧) يقصد محمد علي باشا.

تكفيهم»[١].

أقول: وقد ظلَّ منهم بقية في مصر برغبتهم ولم يرجعوا لأنَّ أملاكهم كثرت هناك وارتبطوا بوظائفهم في تلك الديار، وأولادهم نشؤوا في ذاك القُطر، وهذا الأمر شهد به وَوَكَّدَهُ المؤرّخ الحلواني ـ الذي أدركهم في القاهرة ـ حيث قال: «واعلم أنَّه بقي لعائلة الوهابيين بقيةٌ في مصر، ظلُّوا فيها برغبتهم؛ لأنَّه صار لهم أولادٌ وأملاكٌ في مصر؛ مثل الشيخ عبدالرحمٰن [بن عبدالله] بن محمد بن عبدالوهاب النجدي، وله أولاد منهم: أحمد الأجزجي وعبدالله كاتب قلعة الوجه»[٢].

* تحديد القُصور التي سكنها آل سعود وآل الشيخ على بركة الأُزْبَكِيَّة:

بحثتُ طويلاً عن موضع سكنى آل سعود وآل الشيخ بين القصور الكثيرة للأمراء والباشوات التي كانت تطلُّ على بركة الأُزْبَكِيَّة ذاك الوقت، وشُغِفت بتعيينها؛ فقمتُ بزيارة بركة الأزبكية ـ التي هي اليوم حديقة الأزبكية بعد أن رُدِمَت البركة ـ، كما قمتُ بجرد كتب خطط القاهرة، فما تيسَّر لي وقتها تعيين موضع سكنى آل سعود وآل الشيخ على بركة الأُزْبَكِيَّة.

ولكن ـ وبفضل الله ـ وقع بين يَدَيَّ كتاب قديم للمستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين (ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)، وعنوان الكتاب «القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر»، فوجدتُ وأنا أراجع ما

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥ ـ ١٧٦).

(٢) المصدر السابق (١٧٩ ـ ١٨٠).

قاله عن بركة الأُزبكيَّة، فإذا به يُحدِّد ـ ما عاينه بجثمانه وشاهده بعينيه ـ سكنى آل سعود وآل الشيخ على بركة الأُزبكيَّة.

ولم أجد ـ بحسب علمي ـ من حدّد موضعهم وسكناهم على بركة الأُزبكيَّة بمثل ذلك التحديد سوى هذا المستشرق الإنجليزي.

يخبرنا إدوارد وليم لين ـ حين تحدّث عن بركة الأزبكية وما يحيط بها من قصور ودور وجوامع ـ قائلاً: «**وبداخل باب الألفي مباشرةً إلى اليمين، مبنى كبير غير مرتفع، كان يشغله الوهابيين**»(١). انتهى كلام إدوارد لين.

أقول: **من خلال التحديد الدقيق الذي أتى به إدوارد وليم لين؛ نجد أنَّ آل سعود وآل الشيخ سكنوا في القصور المطلّة مباشرةً على بركة الأزبكية.**

وبتحديد إدوارد وليم لين عرفتُ أنَّ قصورهم كانت على اليمين مباشرةً من **باب الألفي**؛ وهو الذي كان جنوب **قصر الألفي**(٢)

---

(١) إدوارد وليم لين «القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر» (١٣٨).

(٢) قصر الألفي: كان من القصور العظيمة على الشاطئ الغربي لـ(بركة الأُزْبَكِيَّة) وكان له شأنٌ كبير في القرن ١٢هـ/ ١٨م، ولمَّا أتَت الحملة الفرنسية، سكنه نابليون بونابرت وجعله مقرّاً لقيادته، ثمَّ اتخذه القائد الفرنسي كليبر سكناً له، ولمَّا قُتِلَ كليبر سكنه من بعده القائد الفرنسي مينو. فلمَّا أحضر الإنجليز العثمانية وأعادوا حكمهم لمصر وتولّى فيما بعد محمد علي باشا على مصر رغب في سكنى هذا المكان، فأعاد بنائه على هيئة أخرى وأتقنه ثمّ سكنه مدَّة حتَّى أهداه لابنته زينب هانم، فعُرِفَت بسراي زينب هانم وكذا بسراي الأزبكية. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٥/٣). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣٦٢/٣ ـ ٣٦٣). وعبدالحميد نافع بِكْ «ذيل خطط=

مباشرةً، وهو القصر الذي كان يُسمَّى باسم سراي الأزبكية، وهي السراي التي كانت واقعةً بشكلٍ مباشرٍ على بركة الأزبكية.

وقد هُدِمَ القصر، وموضعه اليوم في (**حديقة الأزبكية**)، يطلّ مباشرةً على (**شارع محمد بِك الألفي**)؛ وهذا الشارع أوَّله من الغرب يتقاطع مع (**شارع الجمهورية**)[1] ونهايته من الشرق يتقاطع مع (**شارع عماد الدين**)[2].

ومسكن آل سعود وآل الشيخ تحديداً: في الشمال الغربي من البركة، وهو على التمام يمين المكان المسمَّى **باب الألفي**[3]؛ **وهو يفتح على شارع بولاق**؛ الذي سمِّيَ فيما بعد باسم: **شارع فؤاد الأول**[4]، **ثمَّ هو اليوم يسمَّى: شارع ٢٦ يوليو.**

= المقريزي» (١٢٠). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلّد الثاني (الورقة: ٨٦).

(١) شارع الجمهورية: كان اسمه في السابق (الشارع السلطاني)، ثم صار (شارع إبراهيم باشا)، حتَّى استقرَّ على اسم (شارع الجمهورية). انظر: عبدالمنصف سالم «قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر» (١/١٥٠). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل» (٣٠٦).

(٢) وفي الضفَّة الجنوبية لـ(شارع الألفي) تجد (مسرح عبدالمنعم مدبولي) و(سينما ديانا)، وعلى ناصيته الشمالية الغربية (محطة بنزين التعاون) وهي مشهورة اليوم. انظر على سبيل المثال: محمد الشتشاوي «متنزهات القاهرة» (١٦٨).

(٣) عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (١٢٠).

(٤) شارع فؤاد هو الذي قال فيه الشاعر عبدالله اللويحان ـ شاعر الملك سعود ـ أبياته المشهورة، التي منها:

إنْ مِتْ؛ في شارع فؤاد ادفنوني ياطا على قبري بناتٍ مزايين.

وسراي **الأزبكية** ـ الذي كان اسمها **سراي الألفي** ثمَّ **سراي زينب هانم** ـ هي في الشمال من الشارع المذكور[١]. وهي تحديداً عند تقاطع **شارع ٢٦ يوليو** مع **شارع الجمهورية** الملاصق لحديقة الأزبكيَّة، فالحديقة في الضفَّة الشرقية لشارع الجمهورية[٢].

وبالتحديد الذي عيَّنه المستشرق إدوارد وليم لين نعلم أنَّ ما كان يمين باب الألفي هي ثلاثة قصور، وجامع واحد قريب، وجامعٌ ثانٍ على مسافة قصيرة منه.

وعليه؛ فإن القصور التي على يمين باب الألفي والتي سكنها آل سعود وآل الشيخ هي: قصر محمد آغا، وقصر عثمان آغا الخازندار، وقصر مراد بيك، وبجانبهم جامع الحلبي[٣]، وبمسافة قريبة ليست بالبعيدة: جامع الكيخيا[٤]. وكلّها تقع على الضفَّة الغربية لبركة الأزبكية.

---

(١) انظر: عبدالمنصف سالم «قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر» (١/١٤٥ ـ ١٤٦). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل» (١٠٧).

(٢) انظر: تعليقات أحمد سالم على كتاب «مصر منتصف القرن التاسع عشر» لإدوارد وليم لين (ص٤٢).

(٣) ذهبت تلك القصور وهذا الجامع وما عادت موجودة اليوم، ومكانها اليوم تقاطع (شارع الجمهورية) مع (شارع ٢٦ يوليو).

(٤) (جامع الكيخيا) لا يزال موجوداً حتى الآن، وهو كائنٌ اليوم عند تقاطع (شارع الجمهورية) و(شارع قصر النيل) من وِسْطِ البَلَد. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٩٢). وحسن عبدالوهاب «تاريخ المساجد الأثرية» (١/٣٢٣ ـ ٣٢٦). ومحمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٦٦) (٣٨٠).

وكانت مدرسة الألسن[(١)] تقع شمال قصور آل سعود وآل الشيخ بجوار سراي زينب هانم[(٢)]، ثمَّ أبطل محمد علي باشا تلك المدرسة وجعلها في سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م لوكاندة للإنجليز سُمِّيَت لوكاندة شبرد[(٣)] التي كان اسمها اللوكاندة الخديوية[(٤)]، التي كانت من أشهر وأهم فنادق الشرق قاطبة، وظلَّت باقية إلى أن أحرقته الغوغاء في حادثة حريق القاهرة سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م[(٥)] وبقي

---

(١) مدرسة الألسن: أنشئت سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م، ومقرها في (بيت الدفتردار) بجوار (سراي الأزبكية/ قصر الألفي) على الضِفَّةِ الغربية لـ(بركة الأزبكية)، وكانت تُعرف بمدرسة الترجمة، وأُلحِقَ بها مدرسة تجهيزية، وتولَّى نظارتها رفاعة بِكْ الطهطاوي. انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٩١). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (٤٠٣). وأحمد عزَّت عبدالكريم «تاريخ التعليم في مصر» (١/٢٣٣ ـ ٢٣٥). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلّد الثاني (الورقة: ٨٦).

(٢) انظر: عبدالمنصف سالم «قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر» (١/١٤٩ ـ ١٥٠). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل» (١٤٤).

(٣) نسبةً إلى المستر صمويل شبرد الألماني الأصل والإنجليزي الموطن، الذي كان أحد جيران قصور آل سعود وآل الشيخ على (بركة الأزبكية). وعن لوكاندة شبرد وتاريخها انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٦٣). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلّد الثاني (الورقة: ٨٦). وانظر ملاحق الصور في نهاية الكتاب الذي بين يديك.

(٤) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٢٥١). ومحمد الشِشتاوي «متنزهات القاهرة» (١٥٣). وانظر صورة اللوكاندة الخديوية/ لوكاندة شبرد في الملاحق آخر هذه الدراسة التي بين يديك، وستعلم أنَّ الحيّ الذي سكنه آل سعود وآل الشيخ كان حيّاً غاية في الرقي.

(٥) انظر: حسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلّد الثاني (الورقة: =

مكانها فضاءً[١]**، ومكانها الآن عند تقاطع شارع الألفي مع شارع الجمهورية الملاصق لحديقة الأُزبَكِيَّة**[٢]**.**

وبجانب قصور آل سعود وآل الشيخ من جهة جنوب بركة الأزبكية تقع دور الأمراء وقصور الباشوات التي ذهب أكثرها، ويقوم مكانها اليوم **ميدان الأوبرا**[٣] **الذي يقف عليه تمثال إبراهيم باشا، وبجانبه جراج الاوبرا**[٤]**، وبجانبه كوبري الأزهر، وبجانبه ميدان العتبة.**

وفي الضفَّة المقابلة لقصور آل سعود وآل الشيخ ـ أعني الضِفَّة الشرقية لبركة الأزبكية/حديقة الأزبكية[٥] ـ كان ثمَّت قصور لبعض الأمراء والباشاوات، هُدمت بعض أجزائها، ويقوم مكانها الآن **تياترو الأوبرا/التياترو الخديوي**[٦] **ـ الذي أصبح اسمه اليوم: المسرح**

= ٨٦). وتعليقات أحمد سالم على كتاب إدوارد وليم لين «مصر منتصف القرن التاسع عشر» (١٣٧).

(١) انظر: محمد الشِشتاوي «متنزهات القاهرة» (١٥٣).

(٢) انظر تعليقات خالد عزب ومحمد السيِّد حمدي على كتاب عبدالحميد نافع بِكْ «ذيل خطط المقريزي» (٩١).

(٣) ميدان الأوبرا يقوم اليوم على المكان الذي كان فيه قصر علي بِكْ الكبير. انظر: محمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٦٧).

(٤) جراج الأوبرا هو الذي حلَّ محل دار الأوبرا القديمة. انظر: محمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٦٣).

(٥) وهي التي يحاذيها الآن من الشرق (شارع البوسطة).

(٦) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٢٥١).

القومي[(١)] - وبجانبه جراج العتبة، وبجانبه مسرح القاهرة للعرائس.

هذا ما تيسَّر بحثه حول تحديد وتعيين موضع سكنى آل سعود وآل الشيخ وأعيان الدرعية الذين نزلوا في تلك القصور الفخمة والدور الراقية التي على بركة الأزبكية.

* آل سعود الذين سكنوا عند جامع مِسْكَةْ وحارة عابدين وخطَّة الحنفي:

أخبرنا الجبرتي أنَّ ابن عبدالله بن سعود وخوَاصّه قد أسْكَنَهم محمد علي باشا في دارٍ عند جامع مِسْكَةْ من غير حرجٍ عليهم[(٢)]. واكتفى الجبرتي بذلك.

أقول: **جامِع مِسْكَةْ** هو عَيْنُهُ جامعُ السِّتّ مِسْكَةْ، أو **جامع السِّتِّ حَدَقْ مِسْكَةْ**[(٣)]، **الكائن في القاهرة في حيِّ السيِّدَة زينب اليوم، ويعتبر أيضاً ضمن ثمن عابدين**[(٤)].

ويحيط بجامع الستّ مِسْكة حارة مِسْكة غرباً[(٥)]، ومن حارة

---

(١) انظر: محمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٣٦١ - ٣٦٢).

(٢) انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٣) حَدَق مِسْكَةْ: هي الدَّادَة حَدَق المعروفة باسم سِتّ مِسْكَةْ القَهْرَمانَة الناصرية، جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون ودَدَاته التي ربَّته وحضنته. انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٣/٣٨٦ - ٣٨٧) (٤/٢٥٥) (٣٢١). وشهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة» (٢/٧).

(٤) انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٢٨ - ٢٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (٧١).

مِسْكة تنفذ على حارة الرافعي ـ التي تحيط بالجامع من جهته الشمالية ـ، ومن جهته الشمالية الشرقية زقاق قرقماز[١]، ومن جهته الشرقية تقع حارة درب الحجر[٢] في شارع درب الحجر الذي اسمه اليوم شارع أبو طبل[٣].

وكانت مساكن آل سعود في تلك المنطقة الراقية من هذا الحارة (حارة درب الحجر) وذاك الشارع (شارع درب الحجر/شارع أبو طبل اليوم)[٤].

أما جنوب الجامع فتقع سِكَّة سوق مِسْكَة[٥] الملاصقة له، ولن تستطيع النفوذ إليه ـ من قبل وحتى هذا اليوم ـ إلَّا إذا اتخذت شارع

---

(١) نسبةً لمدرسة الشيخ قرقماز، والتي تحولت فيما بعد إلى جامعٍ يعرف اليوم باسم جامع جنبلاط. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقيَّة» (٣/٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(٢) حارة درب الحجر: هي حارة من يسار (شارع درب الحجر/ شارع إسماعيل باشا أبو طبل). وفي الحارة خمس زقاقات مسدودة: حارات سد، وبها (زاوية الطوخي) الذي تعمل عنده حضرة كلّ أسبوع ومولد كل عام. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٦).

(٣) شارع درب الحجر: اسمه اليوم (شارع إسماعيل باشا أبو جبل، وتسميه العامَّة: أبو طبل). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٦).

(٤) كما رجَّحه لي عالم الخطط والآثار في القاهرة الدكتور محمد حسام الدين في مهاتفة تليفونية معه.

(٥) سكَّة سوق مِسْكَةْ: في (السيِّدة زينب)، والسكَّة جنوب جامع الستِّ مِسْكَةْ، مُمْتَدَّة من (حارة مِسْكَةْ) التي هي غربي الجامع إلى جنوبه لتتصل بالسكَّة المذكورة. انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٢٦).

مجلس الشعب[١] ونفذتَ من درب السرجة ـ غرب جامع مسكة ـ فتنفذ بعدها إلى سكَّة سوق مسكة الملاصقة للجامع من الجنوب، أو تنفذ من شارع مجلس الشعب على شارع سوق السباعين الذي كان يسمَّى شارع سويقة السباعين[٢] فتنفذ منه على حارة مِسْكَةْ الملاصقة للجامع من الشرق.

وجميع محيط الستّ مِسْكَة ـ في الوقت الذي أتى فيه آل سعود وآل الشيخ إلى القاهرة ـ كان مسكناً للأمراء والأعيان، وأنشؤوا فيه الحمَّامات والأسواق وغير ذلك من مظاهر الأبَّهَة[٣].

ومسكن ابن عبدالله بن سعود وخواصّه الذي ذكره الجبرتي أقرب ما يكون في القصور والدور الكبيرة التي في شارع درب الحجر الذي يُعرف اليوم بشارع إسماعيل أبو طبل شمال وشمال شرق جامع الستّ مِسْكَةْ.

وأشهر هذه الدور والقصور التي عند جامع مسكة هي: بيت

---

(١) شارع مجلس الشعب: كان اسمه (شارع خليل طينة) ثمَّ تبدَّل إلى (شارع الأمَّة) وهو اليوم يُعرف باسم (شارع مجلس الشعب). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٦ ـ ٣٣٨). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (١٨٢).

(٢) سويقة السباعين: شارع يبتدئ من آخر (شارع درب الحجر/ شارع إسماعيل أبو طبل)، وينتهي لـ(شارع الناصرية)، وبه من جهة اليسار عطفة موصلة لـ(سوق مِسْكَةْ) وهي (حارة مِسْكَةْ) ودربٌ آخر موصل للسوق اسمه (درب السرجة). وفي هذا الشارع جامع سنقر المعروف بالجامع الأخضر، وفيه زاوية الشيخ محمد الجبَّاص، وضريح مشهور يعرف بالأربعين. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٣) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٦).

مرعشلي باشا، وبيت ورثة خورشيد باشا، ودار السِّتّ الوسطانية، وفي الشارع نفسه من الدور الكبيرة مثل: سراي الأمير راغب باشا، ودار الأمير عثمان باشا، ودار ورثة صالح باشا صبح، ودار الأمير إسماعيل باشا أبي جبل حقّي، ودار كريمة أحمد باشا ابن جنتمكان إبراهيم باشا الكبير، ومنزل حافظ بيك، ودار خورشيد باشا السناري، وبيت جاهين بيك. وكل تلك القصور والدور بجنائن، ويوجد غيرها من الدور الصغيرة[١].

وأقرب ما يكون سكنهم عِند ـ أو في ـ سراي الأمير راغب باشا؛ التي أصبحت اليوم مقرّاً لمعهد البرموني الأزهري[٢].

أمّا أعيان الدرعية الذين جاؤوا في **٢٧ محرَّم ١٢٣٥هـ/١٥ نوفمبر ١٨١٩م**، فقد أسكنوا في **حارة عابدين**[٣] **تجاه قنطرة الذي كفر**[٤]، وهي حارة كبيرة، وجزءٌ من **شارع عابدين** ـ الذي أصبح اسمه اليوم **شارع مصطفى عبدالرازق**[٥] ـ، **يبتدئ شرقاً من شارع الخليج المصري ـ الذي أصبح اسمه اليوم شارع بور سعيد** ـ ويسير مُغَرِّباً حتى يتقاطع مع **درب الملاحفية**، ثمَّ ينعطف شمالاً ليسير في شارع عابدين القديم ـ الذي يُعرف باسم **شارع غيط**

---

(١) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٦ ـ ٣٢٧) (٣٣٧ ـ ٣٣٨).

(٢) رجَّح لي ذلك الدكتور محمد حسام الدين في مهاتفة تليفونية معه، إذ بيَّنَ أنَّ هذه الدار التي تنزل فيها ضيوف الباشا، فلعلَّه أخلاها للسعوديين.

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٣).

(٤) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٠).

(٥) انظر: محمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٢١١).

العدَّة[١] -، حتى يقف في النقطة الشمالية عند شارع التميمي[٢] - الذي صار موضعه اليوم قسم شرطة عابدين[٣] - بجوار سراي عابدين اليوم من جهتها الشمالية الشرقية.

وفي هذا الشارع من القصور والدور المشهورة مثل: بيت رشوان بيك[٤]، وتقابله سراي الأمير راغب باشا[٥] وبجواره بيت الأمير حيدر باشا[٦]، وبيت شربتلي باشا، وبيت خورشيد باشا.

وعند ميدان عابدين الذي كان بركة[٧] توجد سراي شريف باشا الكبير وبيت الأمير ثابت باشا وعددٌ وافرٌ من المنازل والدور الصغيرة

---

(١) شارع غيط العدَّة: يقع اليوم بين (ميدان باب الخلق) و(شارع عابدين، الذي يُعرف اليوم بشارع مصطفى عبدالرازق).

(٢) علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٣).

(٣) محمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٣١٣).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٠٣).

(٥) سراي الأمير راغب باشا هذه غير التي في (درب الحجر/ شارع أبو طبل)، أمَّا التي في (حارة عابدين)، كانت في الأصل دار علي آغا كتخدا الجاوشية. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٢٨١). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٧).

(٦) أصبح فيما بعد سراي فاطمة هانم بنت إسماعيل باشا، وموقعها اليوم عند مدخل (شارع البراموني) من جهة (باب باريس) إلى الجنوب من سراي عابدين من جهة مستشفى الجمهورية. انظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» المجلد ٣ ج٣ (ص١٠٦٩). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٣٨٩).

(٧) كان ميدان عابدين بركةً تسمَّى (بركة الشقاف) ثمَّ رُدِمَت وأصبحت الميدان المعروف اليوم. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٢).

والعُطف والحارات والبساتين الواسعة[١].

وقد سَكَنَ هذا الجزء أعيان الدرعية المرحَّلين إلى ذلك الشارع المعروف ذاك الوقت، والذي كان ـ قبل بناء سراي عابدين ـ واحداً من ضواحي القاهرة التي يقطنها الأمراء والباشوات والطبقة الراقية.

وأعيان الدرعية الذين سكنوا قصور عابدين هم قريب من ابن عبدالله بن سعود وخواصّه الذين عند جامع مِسْكَة، فليس بينهم إلَّا حارة التمساح[٢] قبل التطور العمراني الحديث.

فيستطيع القاطنون من أعيان الدرعية الذين في (شارع أبو طبل) أن ينفذوا من (حارة التمساح) التي في أول شارعهم من الغرب، ليصلوا إلى من في (حارة عابدين) حيث سكنى إخوانهم اهل الدرعية المرحَّلين إلى تلك الحارة.

أمَّا أهل الدرعية الذين وصلوا القاهرة مرحَّلين من نجد بتاريخ ٣ شوَّال ١٢٣٦هـ/٤ يوليو ١٨٢١م، فهم الأمير عمر بن عبدالعزيز آل سعود وأولاده وأبناء عمّه، **وقد أنزلهم الباشا بخِطَّة الحنفي قريباً من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت**. هكذا قال الجبرتي واكتفى بذلك[٣].

---

(١) علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٣ ـ ٣٢٤). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٣١٥ ـ ٣١٦).

(٢) حارة التمساح: في (السيِّدَة زينب) عند (شارع إسماعيل أبو طبل/ شارع درب الحجر سابقاً)، ذكرها علي باشا مبارك باسم (حارة التمساح) وقال إنَّها حارة كبيرة يُتوصَّل منها إلى (حارة عابدين). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٦).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٤ ـ ٤٩٥).

أقول: **خِطّة الحنفي** التي ذكرها الجبرتي؛ هي الكائنة عِندَ **جامع الأستاذ الحنفي** الكائن في حارة الحنفي(١)، وليس بين الأمير عمر بن عبدالعزيز آل سعود - الموجود في الحنفي - وإخوانه الذين عند جامع مِسْكَة سوى شارع واحد، وهو شارع خليل طينة (اسمه اليوم شارع مجلس الشعب).

وقد أُسكِنَ الأمير عمر ومن معه من آل سعود في القصور التي في الحنفي، وهي لا بدّ أن تكون إحدى القصور التي في **حارات درب الهياتم** المحيط بالحنفي فقط(٢)، مثل: حارة السلطان الحنفي، وحارة الشوربجي، وعطفة عمر الركني (وتسميه العامة عمر الركن)(٣)، وحارة المبيّضة، أو في حارة فقوسة الملاصقة لجامع الحنفي، أو في عطفة البقلي.

---

(١) حارة الحنفي: تنفذ شرقاً من (شارع الحنفي) النافذ جنوباً من (شارع خليل طينة/ الذي اسمه اليوم: شارع مجلس الشعب). وهذا الجامع أنشأه الأستاذ شمس الدين أبو محمود الحنفي، الشهير بالسلطان الحنفي (ت: ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م)، بناه بجوار داره سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م، وفيه ضريحه داخل الجامع تعلوه قبّة مرتفعة وعليه مقصورة من الخشب المرصّع بالصدف والعاج، يُعمل له مقرأة كلّ أسبوع ومولد كلّ عام. انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٤/٣٢٨). ويوسف بن تغري بردي «النجوم الزاهرة» (١٥/٥٠٠). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٨).

(٢) درب الهياتم: دربٌ كبيرٌ في السيِّدَة زينب، بداخله الجامع المعروف بجامع الهياتم، أنشأه الأمير يوسف جُربَجي حمليان هياتم. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٧). وعبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٢٦) (٧٠).

(٣) نسبةً لضريح الشيخ عمر الركني الكائن على يسار الداخل لجامع الحنفي. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٨).

إذ في حارات وعطفات هذا الدرب قصور وسرايات كثيرة، مثل: دار الأمير سليم باشا أباظة، ودار الأمير إبراهيم باشا جركس[١]، ودار أحمد باشا الطوبجي، ودار مراد بِكْ، ودار الأمير مصطفى بِكْ فرحات، ودار الأمير رستم بِكْ، ودار الأمير أمين باشا الزمرلي، وسراي الهياتم. وكل تلك القصور والدور بجنائن، ويوجد غيرها من الدور الصغيرة[٢].

❋ ❋ ❋ ❋

❋ مَنْ بَقِيَ من المرحَّلين في القاهرة وَمَنْ رَجَعَ منهم إلى نجد:

١ ـ الذين بقوا في مصر:

بقي في مصر من آل سعود: **أبناء الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود**، وهم: سعد بن سعود وأخوه عبدالرحمٰن وعمر وحسن وفهد وخالد؛ **نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر بأولادهم ونسائهم، وماتوا كلّهم هناك**[٣].

أمّا عبدالله بن محمد بن سعود فقد كان له أولادٌ كبار مات

---

(١) هي ذاتها دار الأمير يوسف جربجي حمليان هياتم، صاحب جامع الهياتم. علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٨).

(٢) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٨).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/١٨) (١٤٠). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٩). وعبدالله بن محمد البسّام «تحفة المشتاق» (٣٢). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (١/٣٤٣).

أكثرهم في مصر بعد ترحيلهم لها[١]. وفي ذلك يقول المؤرّخ إبراهيم بن عيسى: «**وكان لعبدالله بن محمد بن سعود أولاد غير تركي، نقلهم إبراهيم باشا [إلى القاهرة] وماتوا هناك**»[٢].

ويقول المؤرّخ عبدالله بن محمد البسَّام: «**وباقي أولاد عبدالله بن محمد بن سعود نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر وماتوا هناك**»[٣].

وأسرة آل سعود لم يَبْقَ منهم أحد في مصر؛ لموت أغلبهم هناك، ولانقطاع نسلهم هناك، ولرجوع أغلبهم إلى نجد. وفي ذلك يقول الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «**لم يَبقَ في مِصرَ من أسرة آل سعود ـ فيما نعلم ـ أحد**»[٤].

أمَّا أسرة آل الشيخ؛ فإنَّ الذي بقي منهم في مصر هم: الشيخ عبدالله ابن الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإنَّه لم يرجع إلى نجد، بل ظلَّ في مصر حتَّى توفِّيَ فيها سنة **١٢٤٢**هـ/١٨٢٧م[٥].

وبقي في مصر من آل الشيخ أيضاً: الشيخ علي ابن الشيخ

---

(١) حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (١/٣٤٤).

(٢) إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٩).

(٣) عبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٢).

(٤) مِن تعقيبات الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ على كتاب «الدعوة الوهابية» (٧١) لعبدالكريم الخطيب.

(٥) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرها» (٦٨). وعبدالرحمٰن بن قاسم في ترجمته للشيخ عبدالله، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٨٠).

محمد بن عبدالوهاب، بقي في مصر ولم يرجع إلى نجد، حتَّى توفِّيَ في القاهرة[١] سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م[٢].

أمَّا محمد ولده ـ ولد الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب ـ فإنَّه لم يخرج من نجد أصلاً؛ لأنَّه كان صغيراً وقتها ولم يُرحَّل مع أبيه لمصر، فبقي في نجد، وتوفِّيَ في الرياض فيما بعد، وذريَّته يُعرفون اليوم على انفرادهم باسم آل محمد نسبةً إليه[٣].

ومِمَّن بقي من آل الشيخ في مصر ولم يرجع: الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤]، **والشيخ إبراهيم ليس له عَقِب إلَّا بناتٍ تخلَّفْنَ بعده في نجد ولم يُنقَلْنَ معه إلى مصر، إلَّا ابنته طَرْفَة فقد ذهبت معه إلى مصر**[٥]. **وكانت وفاة الشيخ إبراهيم في القاهرة.**

يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم: «**الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب لم أقف له على وفاة، ولكنَّه موجود سنة ١٢٥١هـ [١٨٣٥م] في مصر وتوفِّيَ فيها**»[٦].

ومن آل الشيخ الذين بقوا في مصر ولم يرجعوا: الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، بقي في مصر ولم

---

(١) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٦٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٨١).

(٣) انظر: تعليق آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١/١٩٠) (٤٣١).

(٤) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٦٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٨٠).

(٦) انظر: تراجم عبدالرحمٰن بن قاسم التي أفردها في آخر كتابه «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٨١ ـ ٣٨٢).

يرجع؛ لأنَّه ـ كما يقول **المؤرِّخ الحلواني** الذي لَقِيَهُ بالقاهرة ـ كان من جملة آل الشيخ ومن معهم من الذين بقوا في القاهرة، التي «**ظلُّوا فيها برغبتهم؛ لأنَّه صار لهم أولادٌ وأملاكٌ في مصر**»[1].

ويقول عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ: «**كان للشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أسباب عِدَّة في عدم خروجه وبقائه في مصر**، منها:

١ ـ انشغاله بالعلم والتعليم والتدريس وإلقاء المواعظ والمحاضرات في الجامع الأزهر الكبير.

٢ ـ قيامه بعمل الدعوة إلى الله ونشر العقيدة السلفية في مصر.

٣ ـ إشرافه ورعايته على [شؤون] أسرتي آل الشيخ وآل سعود هناك، وكان هو الواجهة أمام الخديوي حاكم مصر.

٤ ـ تَأَهُّلَهُ وتزَوُّجَهُ هناك، وقد رُزِقَ بأولادٍ وذُرِيَّة.

٥ ـ وقد تملَّك وتحصَّلَ على ثروةٍ وضِيَاعٍ في مصر.

كلُّ هذه الأسباب ـ وغيرها ـ جعلت الشيخ عبدالرحمٰن لا يُفكِّر في الخروج [من مصر] **والقدوم إلى نجد**»[2].

وكان الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب قد تزوَّج في مصر بأرملة الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وكان من ضمن نصيبها من التركة سيفٌ للإمام

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩).

(٢) عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٩٥).

عبدالله يسمَّى **سيف أبو المفاتيح**، وقد حمله الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب إلى الإمام فيصل بن تركي يوم رَحَلَ محمد بن عبدالرحمٰن من مصر قاصداً نجد[١].

المقصود؛ أنَّه بقي في مصر ـ أيضاً ـ أبناء الشيخ عبدالرحمٰن، مثل: ابنه **أحمد الملقَّب بالأجزجي/الصيدلي**[٢]، وابنه **عبدالمجيد**، وأخ غير شقيق لهم هو **عبدالله**[٣] **الذي عمل كاتباً في قلعة الوجه**[٤]، **وابنتين هما: لطيفة وخديجة**[٥].

قال المؤرِّخ النسَّابة عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: أمَّا «أحمد الأجزجي فأنجب ابناً اسمه **عبدالرحمٰن حقِّي** وابنةً اسمها **لطيفة حقِّي**.

وعبدالرحمٰن حقِّي هذا أنجب ابناً اسمه **محمَّد** وابنةً اسمها حنيفة.

وعبدالرحمٰن حقِّي هذا كان رئيس إسعاف العيَّاط بمصر زمن الملك فؤاد وزمن الملك فاروق وزمن الجمهورية، وتوفِّيَ بمصر في ٢٢ محرَّم ١٣٧٨هـ [٨ أغسطس ١٩٥٨م]، ورَثَتْهُ جريدة الأهرام

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢١٤).

(٢) انظر: تعليقات عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» (١/١٨٩) لابن بشر.

(٣) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٩٦).

(٤) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩ ـ ١٨٠).

(٥) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٩٦ ـ ١٩٧).

المصرية، وخلَّف ابناً اسمه أحمد حقّي؛ مهندس»[١].

قال عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ: إنَّ أحمد حقّي (المهندس) ابن محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب عَمِلَ «مهندس عَمَل» في السعودية في مطار جُدَّة مدَّةً من الزمن، وقد رجع إلى مصر وتوفّيَ هناك، وخلَّفَ ابناً اسمه آدم وابنة اسمها حوّاء[٢].

أمَّا حنيفة بنت عبدالرحمٰن حقّي ابن أحمد الأجزجي ابن الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، فقد ذكر بعض الفضلاء من أحفاد الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: **أنَّ السيدة حنيفة بنت عبدالرحمٰن حقّي سُمِّيَت حنيفة على اسم وادي حنيفة، وأنَّها لمَّا زارت الرياض عَرَضَ عليها الملك عبدالعزيز الجنسية**[٣].

أمَّا عبدالله بن عبدالرحمٰن[٤] أخو أحمد الأجزجي؛ أي الصيدلي، فخلَّف أبناءً بمصر[٥].

ومِمَّن بقي بمصر - أيضاً - ورفض الرجوع إلى نجد: أحمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، فإنَّ

---

(١) من تعليق آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١/١٨٩).

(٢) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٩٦).

(٣) أخبرني بذلك فضيلة الشيخ المؤرّخ الدكتور عبدالله بن سعد بن محمد أبا حسين؛ أنَّ بعض الفضلاء من أحفاد الشيخ محمد المذكور في الأعلى رواها له.

(٤) الذي كان كاتباً في (قلعة الوجه).

(٥) من تعليق آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١/١٨٩).

أباه حين أراد الرجوع إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨هـ، أبَى ابنه أحمد بن عبداللطيف الخروج مع أبيه، وبقي بمصر، ولما لاقاه عمّه إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن وحاول معه أن يأتي إلى نجد، إلَّا أنَّه رفض، وتوفّيَ بمصر ولا يُعرَف له ذريَّةٌ بها[١].

كما بقي في مصر العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي، الذي كان قاضياً لآل سعود في المدينة قبيل وصول الأتراك، وهو من المرحَّلين الذين بقوا في مصر ولم يرجعوا إلى نجد، وكان تسفيره من نجد إلى القاهرة بناءً على أمرٍ شخصيٍّ من محمد علي باشا[٢]، كما ذكرناه سابقاً.

٢ ـ الذين رجعوا إلى نجد:

رجع منهم فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود؛ حيث خرج من مصر سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م وَقَدِمَ على أبيه تركي بن عبدالله في الرياض[٣].

يقول المؤرّخ عثمان بن بشر: «أقبَلَ الإمام فيصل بن تركي مِن مِصرَ هارباً، وقَدِمَ على أبيه في الرياض، واستبشر الإمام والمسلمون بقدومِهِ، وصارت هذه السنة [١٢٤٣هـ/١٨٢٨م] كلّها ميمونة وبشائر السعادة معها مقرونة»[٤].

---

(١) انظر: أحمد العوين «علماء آل الشيخ» (٨٨).

(٢) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٢٩ ـ ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٨٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/٤٦٠ ـ ٤٦١).

(٣) انظر: عبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٣٠١).

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٦٣).

ثمَّ إنَّ عساكر محمد علي باشا في نجد قبضت على الإمام فيصل بن تركي في سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م ورحَّلته إلى مصر[١] بعد حوادث طويلة ليس هذا مكان بحثها. ثمَّ في سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م خرج مِن مصر إلى نجد واستقرَّ بها حاكماً وإماماً[٢].

ومِمَّن رجع أيضاً: **مشاري بن عبدالرحمٰن بن مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن، قَدِمَ مِنْ مِصر سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م إلى بلد الرياض، فأكرمه خاله تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود[٣] ـ الذي كان أوَّل حكَّام الدولة السعودية الثانية ـ، فجعله تركي أميراً في بلد منفوحة[٤].**

وفي نفس السنة ـ ١٢٤١هـ/١٨٢٦م ـ **أقبل العالم الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب مِنْ مصر قادماً على الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، والإمام تركي هو الذي أرسل للشيخ عبدالرحمٰن بالرسائل ليأتيه في نجد،** فلمَّا جاءه اكرمه الإمام تركي غاية الإكرام، واغتبط به أهل نجد[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٥١/٢).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٢٠٥/٢ ـ ٢٠٨).

(٣) يقول عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: «إنَّ الإمام تركي هو خال مشاري وابن عمِّهِ». انظر تعليقات آل الشيخ على «عنوان المجد» (٩٧/٢) لعثمان بن بشر.

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١/٢). وعبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١/٢ ـ ٤٢).

وفي سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م جاء إلى نجد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن قادماً من مصر[١]. وقد تخلَّف ابنه عن المجيء إلى نجد وفضَّل البقاء في مصر[٢].

وفي سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م جاء رجلٌ مِن مصر وادَّعى أنَّه خالد بن سعود، وقَدِمَ بريدة وتزوَّجَ فيها، وأمر الإمام تركي البلدان بإكرامِهِ والقيام بما ينوبه من بيت المال، فلمَّا أقبل على الرياض تلقَّاه الإمام تركي وأكرَمَه، فلمَّا قَدِمَ الرياض عَرَفَهُ أناسٌ يعرفون خالد في مصر وأنَّ هذا الرجل غيره، وأنه دَعِيٌّ تسمَّى عليه، فهرب الدعيُّ من الرياض إلى مصر، وقيل إنَّ محمد علي باشا قتله[٣].

وفي سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م رجع خالد بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٤]، رَجَعَ بمعيَّة عساكر أرسلها محمد علي باشا لمحاربة الإمام فيصل بن تركي[٥]. ولمَّا وقعت الحوادث ذهب إلى مكة عند الشريف محمد بن عون[٦].

أمَّا عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب فقد خرج من مصر إلى نجد في وقت الفتنة بين سعود بن فيصل بن تركي، وبين أخيه عبدالله بن فيصل، وحضر مع أهل

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/٤٣).

(٢) انظر: أحمد العوين «علماء آل الشيخ» (٨٨).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٩٠).

(٤) هذا هو خالد بن سعود الحقيقي، وليس الدعيُّ الذي ذكرناه قبل قليل.

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/١٤٠).

(٦) انظر: المصدر السابق (٢/٢٤٠).

الرياض وقعة أمّ العصافير، **ولم يَطب له المقام بسبب الفتن التي كانت في نجد، فذهب إلى المدينة النبوية وتوفِّيَ فيها**[(١)].

كما خرج من مصر الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م بعد وفاة والده الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب؛ **خرج محمد راكباً البحر حتَّى وصل جُدَّة، ومنها إلى مكَّة ونزل عند الشريف عون فأكرمه، وبعد ذلك توجَّهَ إلى الرياض ونزل عند الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، فأكرمه غاية الإكرام واستبشر بقدومه.**

وكان عُمر محمد بن عبدالرحمٰن يوم قدومه إلى نجد حوالي ثمانية عشر سنة، في عهد الإمام فيصل بن تركي، ولمَّا قَدِمَ على الإمام فيصل بن تركي فرح به الأخير واستبشر بقدومه، ثمَّ أمر له بما يلزم من السكن والمصروف، وقد أهدى الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن إلى الإمام فيصل سيفاً يُسمَّى **سيف أبو المفاتيح**؛ وهو من سيوف الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود كان عند أرملة الإمام التي تزوجها من بعده الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب يوم رُحِّلوا إلى مصر[(٢)].

هؤلاء هم الذين أسعفتنا بذكرهم المصادر؛ مِمَّن بقي من المُرَحَّلين ومِمَّن رجع منهم بعد حادثة الترحيل، والله أعلم.



---

(١) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٢٠٠).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٢١١ ـ ٢١٤).



الخاتمة

تمَّ - بحمدٍ من الله وفضله - الكتاب بعد تطواف أتى على عشرة فصول وملحق. وللباحث في تلك الخاتمة محاولة لتسليط الأضواء على ما أثبته الكتاب من حقائق معتمدة على التوثيق:

أثْبَتَ الفصل الأول من هذ الكتاب: الحال البائس الذي كانت عليه نجد قبل قيام الدولة السعودية وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونوَّهَ - هذا الفصل أيضاً - على عظيم النِّعمَة التي أنعم الله بها على جزيرة العرب بقيام هذه الدولة وظهور هذه الدعوة. كما أثبتَ هذا الفصل أنَّ نجداً لم تكن تابعة - بأيِّ حالٍ من الأحوال - للدولة العثمانية أو غيرها من الدول، من قبل نشوء الدولة السعودية أو أثناء قيامها حتَّى سقوطها سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، وقد تمَّ توثيق ذلك هناك.

ثمَّ جاء الفصل الثاني مثبتاً لحالة نجد الدينية التي كانت تعجُّ بالشرك ومظاهره قبل قيام دولة آل سعود الأولى وانتصارهم لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد وثَّقتُ ذلك من مصادر أوَّليَّة.

وجاء الفصل الثالث موثِّقاً لانتشار الشرك والانحراف العقدي في جزيرة العرب ومحيطها قبل قيام الدولة وظهور الدعوة، وهو حالٌ مزري جداً.

بعد ذلك جاء الفصل الرابع مُتَتَبِّعاً دعوة الشيخ منذ نشأتها في حريملاء ثمَّ العيينة، وصولاً إلى الدرعية التي انتصر حكَّامها آل سعود للشيخ ودعوته رغم ما أحاط بهم من مخاطر جمَّة. ثم وثَّق هذا الفصل حادثة ميثاق الدرعية، وناقش مسائل تاريخية مهمة أحاطت به.

ثم جاء الفصل الخامس ليوثّق قيام المعارضة ضدّ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ورصد هذا الفصل الشبهات التي أذاعتها المعارضة في نجد وغيرها، ثمَّ نوقشت كلّ تلك الشبهات المرصودة. وخلال هذا الفصل تمَّ تتبّع اتسَّاع رقعة الدولة السعودية الأولى في نجد والأحساء، والحروب التي شُنَّت عليهم من جهاتٍ عِدَّة. وقد ختم الفصل صفحاته بحادثة وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وجاء الفصل السادس ليرصد اتساع الدولة السعودية الأولى في جزيرة العرب، ثمَّ ناقش الفصل الشبهات والأكاذيب التي شاعت ضدّ الدولة وأتباعها في أماكن شتَّى.

ثم أتى الفصل السابع ليوثّق الحملات التي شنَّتها الدولة العثمانية خلال باشويتها في بغداد ضدَّ الدولة السعودية الأولى، وهناك تمَّ توثيق ما يلي: أنَّ الوالي العثماني في العراق هو من بدأ العداوة والتحرّش بالسعوديين، وأنَّ ما حدث من حروب بين السعوديين وأتباع الباشا التركي في العراق إنَّما هو ردّ فعلٍ من السعوديين على تلك الاعتداءات. وفي ذات الفصل تمَّت مناقشة حادثة اغتيال الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وقد تمَّ توثيق أنَّ الباشا التركي في العراق كان وراء ذلك الاغتيال الغادر. ثمَّ نوقشت مسألة حرب السعوديين في كربلاء، وقد حاولت في ذلك الفصل بيان الحق فيها

وبيان ما أحيط بها من أكاذيب وافتراءات، وقد أطلتُ النَّفَسَ في بحثها ومناقشتها لأهميتها.

ثمَّ خُتِم الفصل السابع بوصول النفوذ السعودي إلى أماكن كثيرة في بلاد الشام.

أمَّا الفصل الثامن فإنَّه خُصِّصَ لمناقشة الدعايات المشينة التي أشاعتها الدولة العثمانية على السعوديين، وقد ناقشتُ في هذا الفصل كلّ شبهة وَرَدَت فيه ونَقَضْتُها بتوثيقات من وثائق العثمانيين أنفسهم ومن كتابات من يوالونهم، ثم عزَّزتُ ذلك النقض بأقوال العلماء والكتَّاب والمستشرقين والسياسيين الأجانب المنصفين الذين دحضوا أكاذيب العثمانيين ضدَّ السعوديين ونقضوها نقضاً.

ثم وثَّقتُ في الفصل التاسع حملة طوسون باشا ضدَّ السعوديين، وفيه ناقشت فساد الجيش الذي ساقه محمد علي باشا بمصاحبة ابنه طوسون إلى الحجاز، وفيه رصدت مخازي هذا الجيش في حقّ المصريين قبل أن تتحرّك عساكره إلى الحجاز. ثمَّ بعد ذلك رصدت ضخامة تلك الحملة وعدَّدتُ فِرقها وأجنادها وعتادها وغيره.

ثمَّ وثَّقتُ جرائم جيش طوسون في حقّ أهل الحجاز: في بدر والمدينة، ثمّ وثَّقت جرائمهم في الطائف وتربة والقنفذة وغيرها.

وختمتُ هذا الفصل بالصلح الذي جرى بين الإمام عبدالله وطوسون باشا، وبيَّنتُ فيه خطأ من اتَّهمَ الإمام عبدالله أنَّه نقض الصلح، فوثَّقتُ أنَّ النقض إنَّما حصل من محمد علي باشا.

ثم جاء الفصل الأخير (الفصل العاشر)، وهو مخصوص بحملة إبراهيم باشا ضدَّ الدولة السعودية الأولى، وقد استقصى هذا الفصل

حقيقة أنَّ حملة إبراهيم باشا كانت عثمانية خالصة بأمرٍ من السلطان العثماني الذي عزَّز تلك الحملة لإسقاط الدولة السعودية الأولى وتدميرها. ثمَّ رصدت ضخامة تلك الحملة التي كانت مدَجَّجة بأحدث الأسلحة وأقواها، ووثَّقتُ أنَّ أكثر تلك الأسلحة جاء من تركيا وأوروبا. كما تمَّ توثيق أنَّ تلك الحملة صاحَبَها مهندسو حصار فرنسيون وأطباء وخبراء عسكريون من فرنسا وغيرها.

من بعد ذلك تمَّ رصد بسالة السعوديين في صدِّ عدوان إبراهيم باشا وعساكره، وكانت تلك البسالة واضحة منذ بداية تلك الحرب حتَّى نهايتها، لولا أنَّ المدافع وأمور أخرى كانت السبب في سقوط الدولة.

كما تمَّ ـ في الفصل نفسه ـ توثيق جرائم إبراهيم باشا وعساكره في حقّ البادية والحاضرة من أهل الصويدرة والحناكية وماوية وبريدة وشقراء وضرما والدرعية والأحساء وغيرها. وهي جرائم بشعة تمثَّلت بقطع الرؤوس والآذان والتمثيل بالجثث وتمزيق الأجساد وحرق البيوت وإتلاف الزروع وغير ذلك كثير.

ثم جعلت للفصل ملحقاً منفرداً بذاته؛ تناولت فيه حادثة ترحيل إبراهيم باشا لبعض أفراد أسرة آل سعود وآل الشيخ وتسفيرهم من الدرعية إلى مصر، وقد تابعتُ الترحيل منذ تحرّكه من الدرعية حتَّى وصوله إلى القاهرة، وعدَّدتُ أسماء المرحَّلين، وحدَّدتُ أماكن إقامتهم في مصر، ورصدتُ من مات منهم في مصر ومن رجع منهم إلى نجد بعد مدَّة طويلة.

وخلاصة ما وصل إليه الكتاب: أنَّ قيام هذه الدولة وانتصارها لتلك الدعوة المباركة نعمةٌ أنعم الله بها على جزيرة العرب، بل على

المسلمين عموماً، فقد انتهى ما كان يعانيه أبناء جزيرة العرب من فوضى ضاربة وأمن منعدم وفُرْقَة شائعة وشرك منتشر وانحراف عقدي ذائع، حيث تبدَّل ذلك - بقيام هذه الدولة وتلك الدعوة - إلى نظام رَغبَ بِهِ كُلّ من يعرف قيمته، وَأَمْنٍ شَهِدَ بِهِ القريب والبعيد والصديقُ والعدو، وأصبح الناس إخواناً يُلْقون على بعضهم السلام بعد أن كانوا - من قبل - يتحاربون ويتقاتلون، وانتشر دين الله في الحاضرة والبادية، وتعلَّم الناس التوحيد وما يضادّه من الشرك، وعرفوا الخير وتجنّبوا الشرّ في دينهم ومعتقدهم.

وصار الناس - في ظل تلك الدولة المباركة - يَحُجُّونَ ويَرجِعونَ إلى أوطانهم لا يخشون أحداً من البوادي لا بحربٍ ولا نهب أو سلب، وانتهى ما كان يؤخذ من الحجَّاج وغيرهم من الإخاوَات [الإتاوات] وما شابهها؛ فالراكب في ظلّ هذه الدولة يَخرُجُ وَحده من اليمن وتهامة الحجاز والبصرة والبحرين وعُمان ونُقرَة الشام لا يحمل سلاحاً، بل سلاحه عصاه، لا يخشى كيد عدوّ، ولا يريده أحدٌ بسوء.

وهذه **الدولة لم تَعْتَدِ على أحد، بل كانت تردّ اعتداء من أرادها أو أراد أتباعها بسوء، فيكتب الله لها النصر والتمكين والتوسّع والقوّة**، وهذا ما وثَّقه الكتاب في الفصل الخامس والسادس على وجه التخصيص.

وكذلك؛ **فإنَّ أئمة وحكَّام هذه الدولة لم يعرفوا الغدر أو الخيانة حتَّى مع ألدّ أعدائهم، بل كانوا يتعاملون بالصدق وتحرّي الوفاء بالعهد والعمل بالمواثيق**، وهو ما شهد لهم به أعداؤهم، وهو ما قرَّره الفصل السابع والتاسع والعاشر.

وإنَّ سقوط هذه الدولة لم يأتِ مِن ضعف في مقاومة المعتدين، أو قلَّة رجالٍ يستبسلون في الدفاع عن وطنهم، بل جاء نتيجة تفوّق سلاح العدو على سلاح أبناء الوطن، وأمور أخرى تمَّت مناقشتها في الفصل العاشر.

وَبَعْدُ، أيها القارئ: فهذه حقائق تاريخية لا ينكرها أحد؛ وما عليك إلا مراجعة تلك الوثائق والمصادر التي أوردتها لك في كلّ صفحة من صفحات هذا الكتاب لتتأكد من صدق ما أوردناه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

كتبه:
د. سلطان فالح الأصقه آل حثلين
رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات

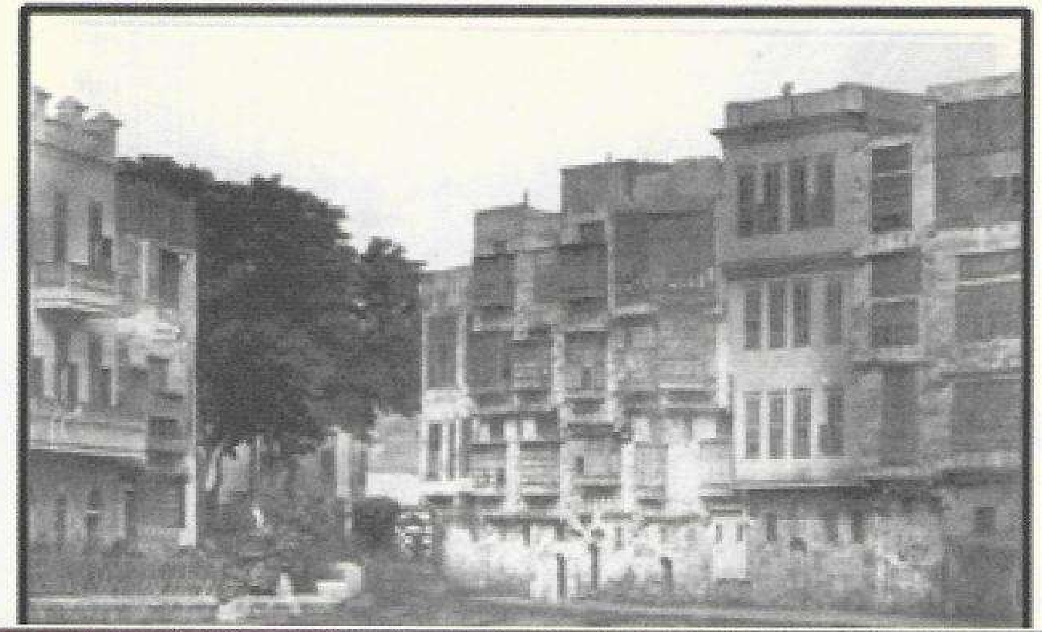


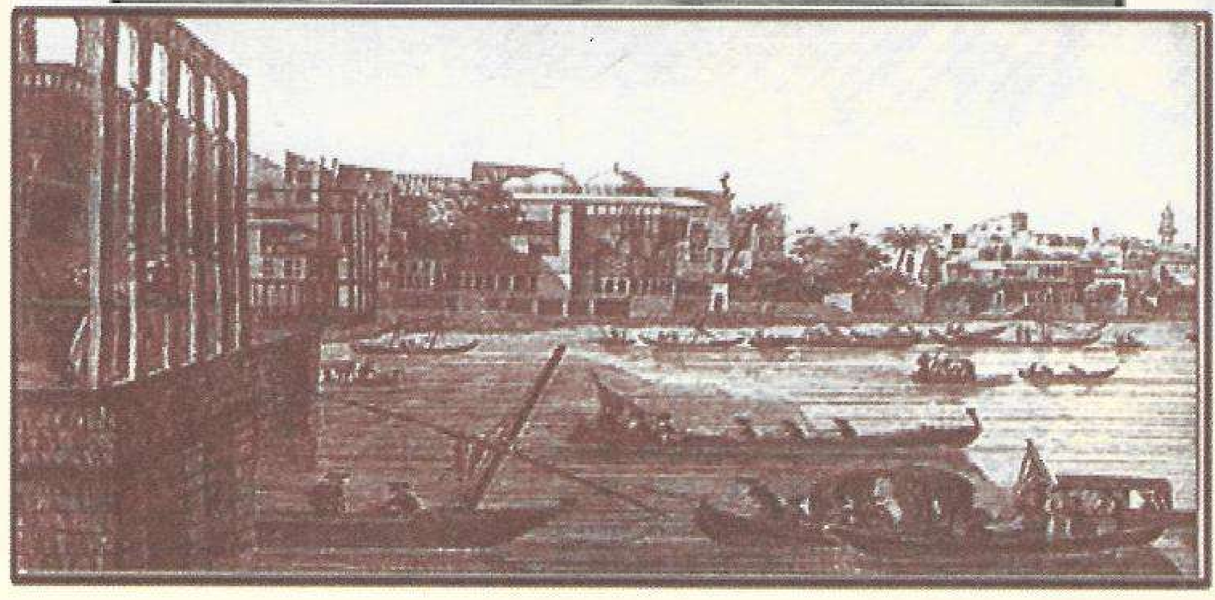


ملحق الصور

١ ـ القصور الفاخرة التي كانت تطلّ على بركة الأزبكية ذاك الوقت (فترة البحث)، وكانت قصور آل سعود وآل الشيخ من ضمنها.

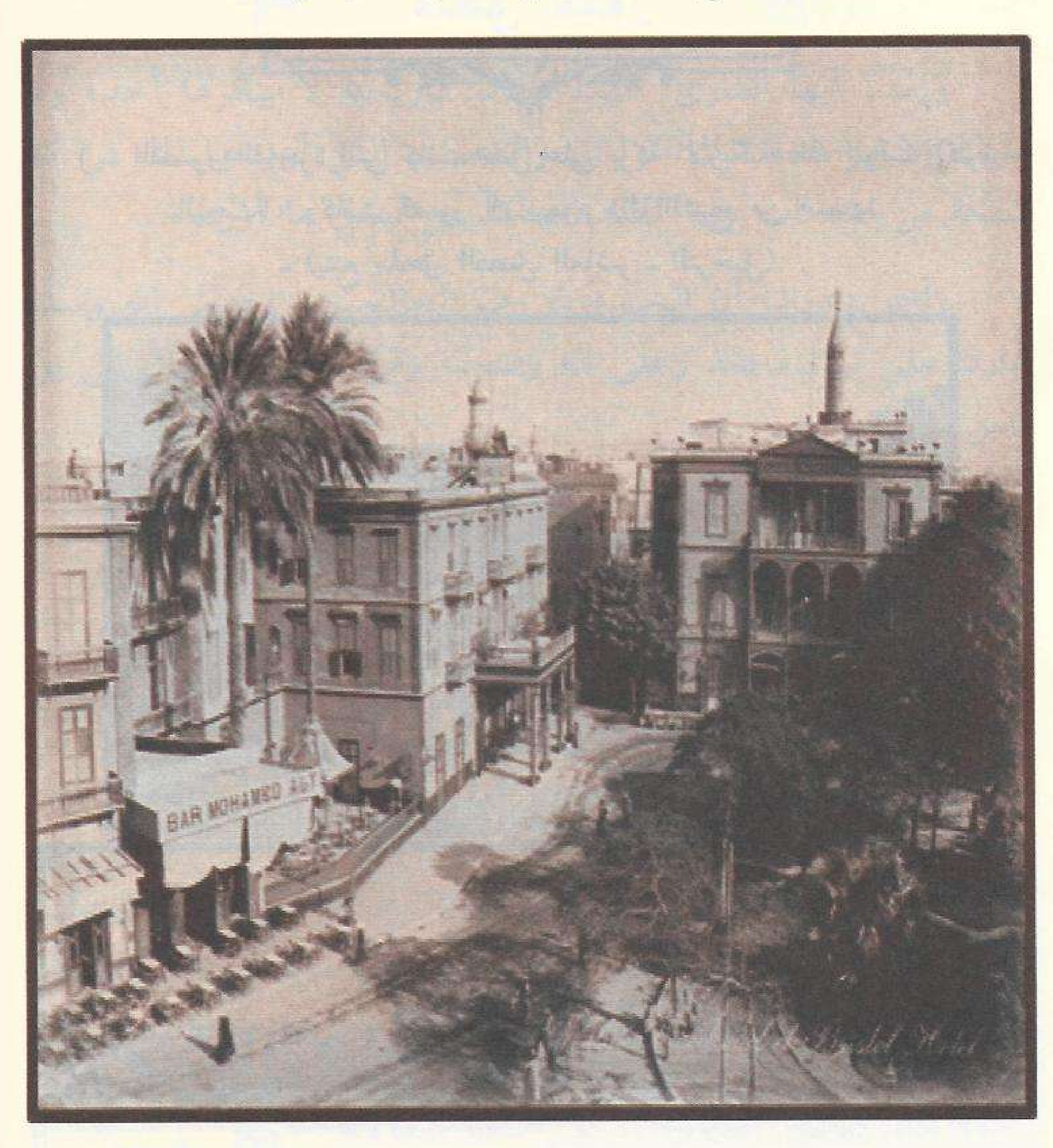
ـ (يتبع ملحق الفصل العاشر ـ الترحيل).





٢ ـ صورة اللوكاندة الخديوية وبجانبها فندق بريستول على بركة الأزبكية؛ والقصر الأوسط وما على يساره (يسار الصورة) وما خلفهما؛ هي التي أرجِّح كونها قصور آل سعود وآل الشيخ التي على بركة الأززبكية.

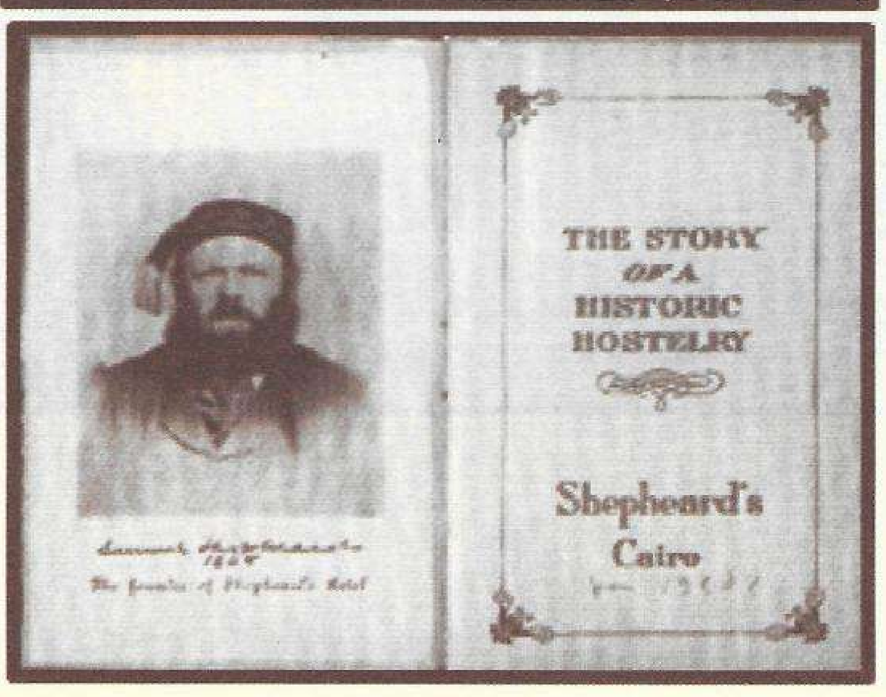
ـ (يتبع ملحق الفصل العاشر ـ الترحيل).



٣ ـ صمويل شبرد، الذي كان يسكن بجوار قصور آل سعود وآل الشيخ على بركة الأزبكية، والذي حوَّل مدرسة الألسن إلى فندق باسمه: فندق شبرد، بجانب قصور آل سعود وآل الشيخ هناك.

ـ (يتبع ملحق الفصل العاشر ـ الترحيل).





٤ ـ صورة قديمة لدرب الهياتم في خطَّة الحنفي، المطلّ على السيِّدَة زينب؛ وهو الدرب الذي كان فيه قصور الأمير عمر بن عبدالعزيز آل سعود وأولاده وأبناء عمّه.

٥ ـ (يتبع ملحق الفصل العاشر ـ الترحيل).



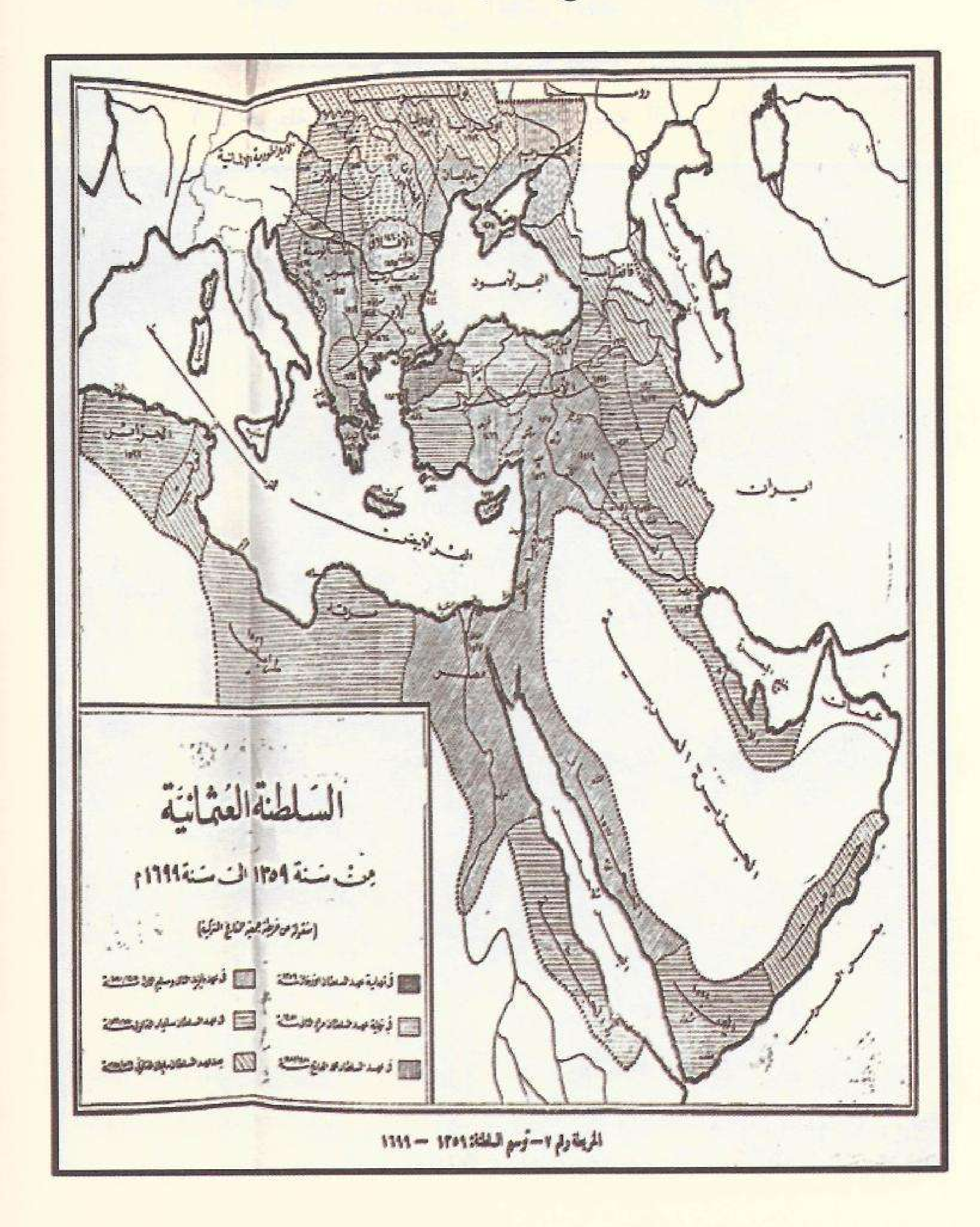


ملحق الخرائط

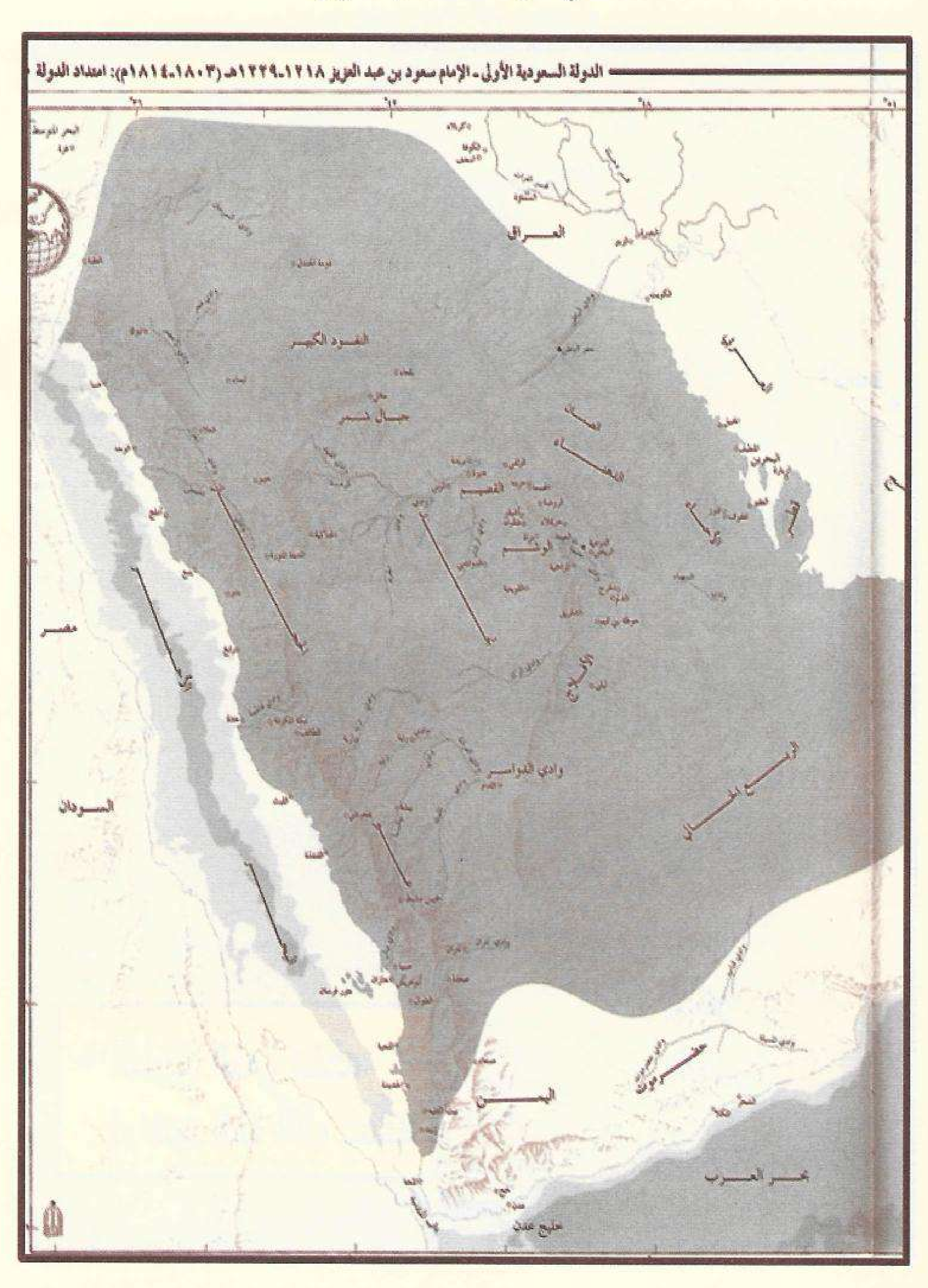
١ - خريطة تبيِّن أقاليم منطقة نجد. (يتبع الفصل الأول).

٢ ـ خريطة تبيِّن أنَّ نجد لا تدخل ضمن مناطق النفوذ العثماني. خريطة أوردتها «جمعية التاريخ التركي»، وهي موجودة في متحف «طوب قابي»، وقد أوردها ساطع الحصري في ملاحق كتابه «البلاد العربية والدولة العثمانية».

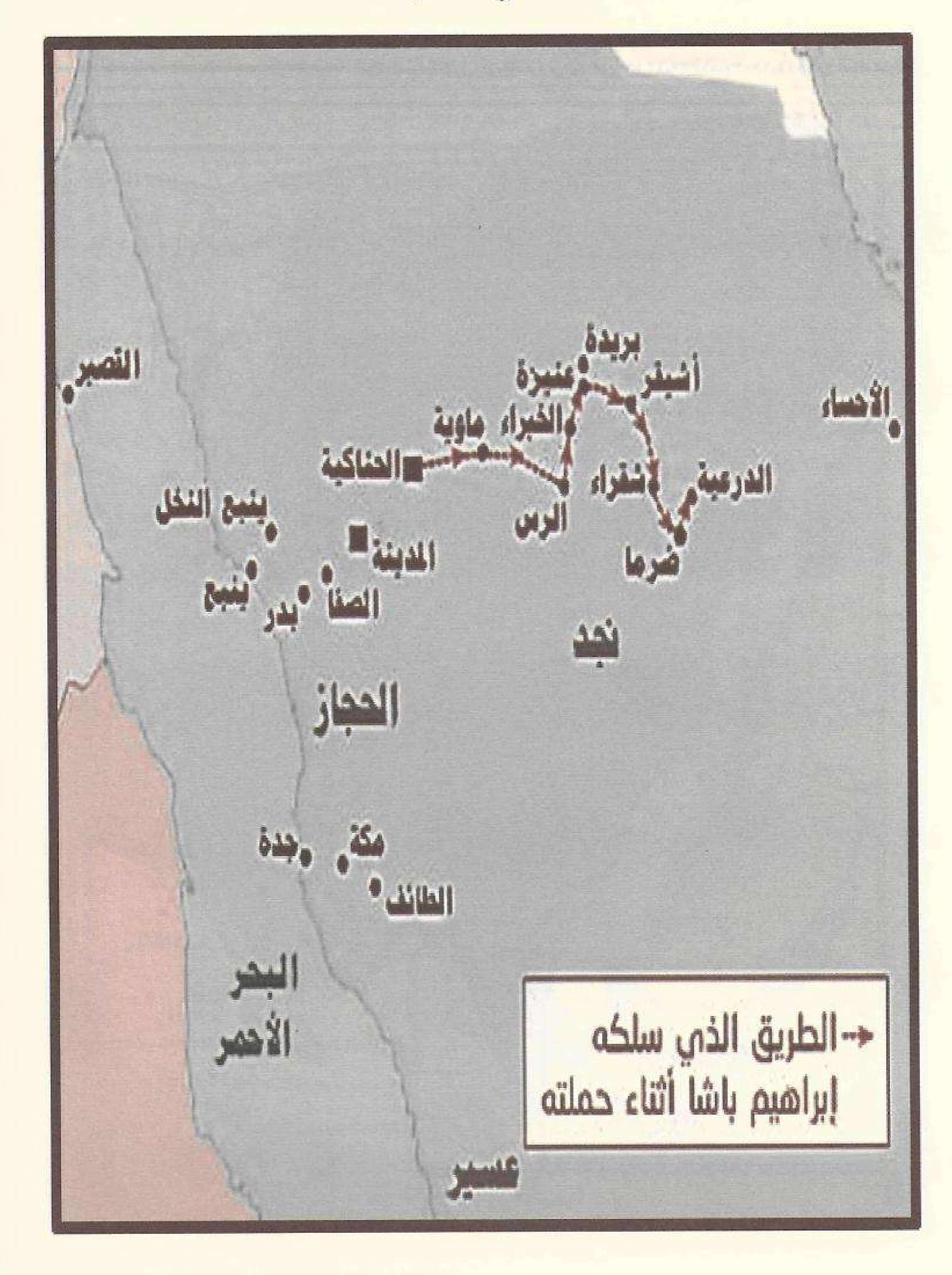
(يتبع الفصل الأول).



٣ ـ خريطة تبيِّن أقصى اتِّساع وصلت إليه الدولة السعودية الأولى. منقول عن: أطلس دارة الملك عبدالعزيز.



٤ ـ خريطة تبين الطريق الذي سلكه إبراهيم باشا في حملته على نجد. (يتبع الفصل العاشر).





الوثائق (الإنجليزية والفرنسية والعثمانية)

غير المنشورة:

١ ـ الوثائق الموجودة في المجلَّد الثاني من:

Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2, The early Caliphal, Mamluk and Ottoman periods (630-1814), A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. Archive Editions, an imprint of Archive International Group, 1993.

٢ ـ Records of Saudi Arabia; L/PS/10/389. الوثائق البريطانية في دارة الملك عبدالعزيز.

3. Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique.

٤ ـ الأرشيف العثماني في دارة الملك عبدالعزيز، H.H, 803/37119-M إعلامٌ باستخلاص الحجاز من الوهابيين مِن قِبَل طوسون باشا.

٥ ـ الأرشيف العثماني في دارة الملك عبدالعزيز: HAT. 0345/19665, N310, R6/104 تهنئة واردة من سفير روسيا للسلطان العثماني بمناسبة تغلّبه على الوهابيين.

المخطوطات:

٦ ـ حسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي»، نسخة بخطّ المؤلِّف كتبها سنة ١٩٤٥م بالقاهرة.

٧ ـ مطلق بن صالح «مخطوطة: شذا الند في تاريخ نجد».

الوثائق المنشورة:

٨ ـ «التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، عرض حكومة المملكة العربية السعودية»، المجلد الأول، الأساس، ١١ ذي الحجَّة ١٣٧٤هـ/٣١ يوليو ١٩٥٥م.

٩ ـ «الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد»، جمع وترجمة وإعداد إبراهيم ناجي، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

١٠ ـ «دليل الخليج»، القسم التاريخي والجغرافي، جمع: ج. ج. لوريمر، ترجمة: قسم الترجمة في مكتب أمير قطر، تُرجم أواخر الستينيات أوائل السبعينيات الميلادية.

١١ ـ «وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث»، جمع ونشر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن عبدالرحيم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠١م.

12 - Charles Rathbone Low, History of The Indian Navy 1613-1863, London; Richard Bentley and Son, New Burlingtn Street, 1877.

المصادر الأجنبية:

13- Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf.

14- D. G. Hogarth, Arabia, Oxford, At the Clarendon press, 1922.

15- Dictionnaire Francais- Arabe, Librairie du Liban Publishers.

المصادر والمراجع العربية والمُعَرَّبة:

١٦ ـ أ. ج. جرانت وهارولد تمبرلي «أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين»،

ترجمة: بهاء فهمي، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، القاهرة، ط (بلا)، ت (بلا).

١٧ - أ.ب. كلوت بيك «لمحة عامة إلى مصر»، ترجمة: محمد مسعود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١١م.

١٨ - الأب لويس شيخو اليسوعي «تاريخ الآداب العربية ١٨٠٠ - ١٩٢٥م»، منشورات دار المشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩١م.

١٩ - إبراهيم أحمد المقحفي «معجم البلدان والقبائل اليمنية»، دار الكلمة، صنعاء، ط (بلا)، ٢٠٠٢م.

٢٠ - إبراهيم السامرَّائي «المجموع اللفيف؛ معجم في المواد اللغوية التاريخية والحضارية»، دار عمَّار، عمَّان - الأردن، ط١، ١٩٨٧م.

٢١ - إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن «تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديَّان وذكر حوادث الزمان»، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ.

٢٢ - إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي «رسالة في تاريخ عسير/نُشِرَت باسم: تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون»، تحقيق: محمد بن مسلط البشري، د. ن. (بلا)، ط٥، ١٤١٣هـ.

٢٣ - إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٤ - إبراهيم بن عيسى «عَقْدُ الدُّرَرِ فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٥ - إبراهيم بن عيسى وعبدالله بن محمد البسَّام «مجموع في التاريخ النجدي»، ضمن «خزانة التواريخ النجدية»، لعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام.

٢٦ - إبراهيم بن محمد بن ضويَّان «تاريخ ابن ضويَّان»، تحقيق: إبراهيم بن راشد الصقير، د. ن (بلا)، ط. ت (بلا).

٢٧ - إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري «عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٨ - إبراهيم مصطفى وأحمد الزيَّات وحامد عبدالقادر ومحمد النجَّار «**المعجم الوسيط**»، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٩ - ابن حجر العسقلاني «**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**»، دار الجيل، بيروت.

٣٠ - ابن حجر العسقلاني «**إنباء الغمر بأبناء العمر**»، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، ط (بلا) ١٩٦٩م.

٣١ - ابن سعيد الأندلسي «**نشوة الطرب**»، تحقيق: نصرت عبدالرحمٰن، مكتبة الأقصى، عمَّان - الأردن، ط (بلا)، ١٩٨٢م.

٣٢ - أبو عبدالرحمٰن ابن عقيل الظاهري «**تباريح التباريح، سيرة ذاتية ومذكَّرات وهجِّيري ذات**»، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٣ - أبو عبدالرحمٰن ابن عقيل الظاهري «**شيءٌ من التباريح، سيرة ذاتية وهموم ثقافية**»، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٣٧هـ.

٣٤ - أحمد (أبو العباس) بن علي القلقشندي «**قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**»، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢م.

٣٥ - أبو القاسم بن حوقل النصيبي «**صورة الأرض**»، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط (بلا)، ١٩٩٢م.

٣٦ - أبو بكر شطا الدمياطي الشافعي «**نفحة الرحمٰن في بعض مناقب سيِّدنا ومولانا وشيخنا المرحوم السيد أحمد ابن المرحوم السيد زيني دحلان**»، مكتبة ابن حرجو الجاوي، ط١، ٢٠١٦م.

٣٧ - أبو داوود (الحافظ) سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني «**سنن أبي داوود**»، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قرَّه بلِّلي، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٨ - أبو طالب بن محمد خان «**رحلة أبو طالب خان إلى العراق وأوروبا**»، ترجمة: مصطفى جواد، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٣٩ ـ أبو منصور الجواليقي؛ موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر «**المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**»، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب، مصر، ط٢، ١٩٦٩م.

٤٠ ـ أحمد (تقي الدين) بن عبدالحليم ابن تيمية «**اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم**»، تحقيق: خالد العَلَمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٤١ ـ أحمد (تقي الدين) بن عبدالحليم ابن تيمية «**مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**»، جمع: عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم.

٤٢ ـ أحمد (تقي الدين) بن عبدالحليم ابن تيمية «**منهاج السنَّة النبوية**»، تحقيق: محمد رشاد سالم، د. ن. (بلا)، ط١، ١٩٨٦م.

٤٣ ـ أحمد (تقي الدين) بن علي المقريزي «**المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار**»، تحقيق: أيمن فؤاد سيِّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط٢، ٢٠١٣م.

٤٤ ـ أحمد (تقي الدين) بن علي المقريزي «**درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**»، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٤٥ ـ أحمد (جمال الدين) بن علي الحسني المعروف بابن عنبة «**عمدة الطالب في أنساب أبي طالب**»، المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، ١٩٦١م.

٤٦ ـ أحمد (شمس الدين) بن محمد بن أبي بكر بن خلِّكان «**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**»، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٤٧ ـ أحمد ابن الحمصي «**حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**»، تحقيق: عبدالعزيز فيَّاض حرفوش، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٨ ـ أحمد ابن القاضي المكناسي «**جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام في مدينة فاس**»، دار المنصور للطباعة، الرباط، ط (بلا)، ١٩٧٣م.

٤٩ ـ أحمد آل فايع «**دور آل متحمي في مدّ نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها**»، د. ن. (بلا)، ط١، ٢٠٠٦م.

٥٠ ـ أحمد البديري الحلاق «**حوادث دمشق اليومية ١١٥٤ ـ ١١٧٥هـ/١٧٤١ ـ ١٧٦٢م**»، تحقيق: أحمد عزّت عبدالكريم، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م.

٥١ ـ أحمد السباعي «**تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران**»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٥٢ ـ أحمد أمين «**قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**»، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٥٣ ـ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي الزبيدي «**طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص**»، الدار اليمنية، ط١، ١٩٨٦م.

٥٤ ـ أحمد بن الخيَّاط الموصلي «**ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء**»، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية، الموصل، ط (بلا)، ١٩٦٦م.

٥٥ ـ أحمد بن حجر آل أبو طامي «**الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه**»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٥٦ ـ أحمد بن خالد الناصري السلاوي «**الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**»، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط (بلا)، ١٩٩٧م.

٥٧ ـ أحمد بن زنبل الرمَّال «**واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم**»، تحقيق: عبدالعزيز جمال الدين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١٤م.

٥٨ ـ أحمد بن عبدالرحمٰن العوين «**علماء آل الشيخ**».

٥٩ ـ أحمد بن علي بن دعيج «**تاريخ ابن دعيج**» منظومة لوصف حوادث حرب إبراهيم باشا على نجد، ضمن «**خزانة التواريخ النجدية**» لعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام.

٦٠ ـ أحمد بن فضل الله العُمري «**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**»، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ط (بلا)، ١٩٨٥م.

٦١ ـ أحمد بن محمد الحضراوي المكّيّ الهاشمي «**نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر**»، تحقيق: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ط (بلا)، ١٩٩٦م.

٦٢ ـ أحمد بن محمد المنقور التميمي النجدي «**الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**»، شركة الطباعة العربية السعودية، ط٥، ١٩٨٧م.

٦٣ ـ أحمد بن محمد المنقور التميمي النجدي «**تاريخ الشيخ أحمد المنقور**»، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٦٤ ـ أحمد بن محمد المنقور التميمي النجدي «**جامع المناسك الثلاثة الحنبلية**»، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٩٨هـ.

٦٥ ـ أحمد بن مشرَّف «**ديوان ابن مشرَّف**»، مكتبة الفلاح، الأحساء ـ السعودية، ط٤، ت (بلا).

٦٦ ـ أحمد زيني دحلان «**خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبي ﷺ إلى وقتنا هذا بالتمام**»، مطبوعات أرض الحرمين، بلد النشر (بلا)، ط (بلا)، ت (بلا).

٦٧ ـ أحمد عزَّت عبدالكريم «**تاريخ التعليم في مصر عصر محمد علي**»، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١١م.

٦٨ ـ أحمد علي بن أسد الله الكاظمي «**آل سعود**»، دار الشبل، الرياض، ط٢، ١٩٩٤م.

٦٩ ـ أحمد مختار عمر «**معجم اللغة العربية المعاصرة**»، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٧٠ ـ أحمد وصفي زكريا «**عشائر الشام**»، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٣م.

٧١ ـ إدوارد جوان «**مصر في القرن التاسع عشر؛ سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم باشا والمغفور له سليمان باشا الفرنسي من الوجوه الحربية والسياسية والقصصية**»، تعريب: محمد مسعود، د. ن. (بلا)، القاهرة، ط١، ١٩٢١م.

٧٢ ـ إدوارد وليم لين «القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر»، ترجمة: أحمد سالم سالم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.

٧٣ ـ إدوارد وليم لين «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم»، ترجمة: سهير دسوم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.

٧٤ ـ إسماعيل (الميرلاي) سرهنك ناظر المدارس الحربية «حقائق الأخبار عن دول البحار»، تحقيق: عبدالوهاب بكر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠٩م.

٧٥ ـ إسماعيل باشا البغدادي «هدية العارفين عن أسماء المؤلفين والمصنفين»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٧٦ ـ إسماعيل باشا البغدادي «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٧٧ ـ إسماعيل بن عمر ابن كثير «البداية والنهاية»، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.

٧٨ ـ إسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني»، ترجمه عن التركية: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٧٩ ـ إلياس الأيوبي «محمد علي؛ سيرته وأعماله وآثاره»، مكتبة الآداب، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١٢م.

٨٠ ـ الأمير حيدر بن أحمد الشهابي «الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان/المعروف بـ: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين»، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط (بلا)، ١٩٣٣م.

٨١ ـ الأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

٨٢ ـ أمين الحلواني «مختصر مطالع السُّعُود بطيب أخبار الوالي داوود»، بتعليقات: محبّ الدين الخطيب، اعتني بنشره: سليمان الخراشي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٩م.

٨٣ ـ أمين الريحاني «تاريخ نجد الحديث»، دار الجيل، بيروت، ط. ت. (بلا).

٨٤ ـ أمين سامي باشا «تقويم النيل»، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٣٨م.

٨٥ ـ أمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية»، دار الكاتب العربي، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٨٦ ـ آندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين»، ترجمة: عبدالله الصالح العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٣٤هـ.

٨٧ ـ أوليا جلبي «سياحتنامه مصر»، ترجمة: محمد علي عوني، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١٦م.

٨٨ ـ أيوب صبري باشا «مرآة جزيرة العرب»، ترجمة: أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

٨٩ ـ البارون إدوارد نولده «رحلة إلى وسط الجزيرة العربية ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م»، ترجمة: عماد الدين غانم، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

٩٠ ـ بكر عبدالله أبو زيد «طبقات النسَّابين»، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

٩١ ـ التليلي العجيلي «صدى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البلاد التونسية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٣١هـ.

٩٢ ـ توفيق الطويل «التصوف في مصر إبَّان العصر العثماني»، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ط. ت. (بلا).

٩٣ ـ جار الله بن فهد الهاشمي المكي «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان المشتهر بسليمان القانوني»، تحقيق: محمد سلامة العطوي، دار أروقة، عمَّان ـ الأردن، ط١، ٢٠١٨م.

٩٤ ـ جاكلين بيرين «اكتشاف جزيرة العرب؛ خمسة قرون من المغامرة والعلم»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٩٥ ـ جان جاك بيريبي «الخليج العربي»، ترجمة: نجدة هاجر وسعيد الغز، المكتب التجاري، بيروت، ط١، ١٩٥٩م.

٩٦ ـ جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم»، ترجمة: خير الدين البقاعي، وتعليقات أبو عبدالرحمٰن بن عقيل الظاهري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٤هـ.

٩٧ ـ جبر بن سيَّار «نبذة في أنساب أهل نجد»، تحقيق: راشد بن عساكر، شفق للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٩٨ ـ جعفر الخيَّاط «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة»، وزارة الإعلام العراقية، ط١، ١٩٧١م.

٩٩ ـ جلال الحنفي البغدادي «معجم اللغة العاميَّة البغدادية»، مطبعة أسعد، بغداد، ط (بلا)، ١٩٦٦م.

١٠٠ ـ جلال الدين السيوطي «تاريخ الخلفاء»، دار الفكر، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

١٠١ ـ جمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر»، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.

١٠٢ ـ جمال زكريا قاسم «دولة البو سعيد في عمان وشرق أفريقيا»، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ط (بلا)، ٢٠٠٠م.

١٠٣ ـ جورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية»، ترجمة: عيسى أمين، وزارة الإعلام، مملكة البحرين، ط١، ٢٠٠٥م.

١٠٤ ـ جورجي زيدان «تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر». دار مكتبة الحياة، بيروت، ط٢، ت (بلا).

١٠٥ ـ جون ب. كيلي «بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠م»، ترجمة: محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، ط (بلا) ت (بلا).

١٠٦ ـ جوهان لودفيغ بوركهارت «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية»، ترجمة: هتاف عبدالله، دار الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٠٧ ـ جوهان لودفيغ بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين»، ترجمة: عبدالله الصالح العثيمين، دار ومكان النشر (بلا)، ٢٠٠٣م.

١٠٨ ـ جيرالد دي غوري «حكام مكة»، ترجمة: محمد شهاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

١٠٩ - جيمس بيلي فريزر «رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤م»، ترجمة: جعفر الخياط، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

١١٠ - حافظ وهبة «جزيرة العرب في القرن العشرين»، د. ن (بلا)، ط٣، ١٩٥٦م.

١١١ - الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني «صفة جزيرة العرب»، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م.

١١٢ - الحسن بن أحمد عاكش الضَمَدي «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني/المسمَّى: الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك»، تحقيق: إسماعيل البشري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٤هـ.

١١٣ - حسن بن جمال بن أحمد الرِّيكي «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب»، تحقيق: عبدالله العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.

١١٤ - الحسن بن عبدالله الأصفهاني «بلاد العرب»، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة، الرياض، ط (بلا)، ت (بلا).

١١٥ - حسن عبدالوهاب «تاريخ المساجد الأثرية التي صلَّى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول»، دار الكتب المصرية، ط (بلا)، ١٩٤٦م.

١١٦ - حسن علي الإبراهيم «الكويت دراسة سياسية»، مؤسسة دار العلوم، الكويت، ط٢، ١٩٨٠م.

١١٧ - حسين بن أبي بكر بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» المسمَّى في جزئه الأول «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» وجزئه الثاني المسمَّى «الغزوات البيانية والفتوحات الربانية»، اعتنى به: سليمان الخراشي، دار الثلوثية، الرياض، ط١، ٢٠١٠م.

١١٨ - حسين بن عبدالرحمٰن الأهدل اليمني «كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين»، د.ن. (بلا)، ط. ت (بلا).

١١٩ - الحسين بن محمد الورثيلاني «**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار/الرحلة الورثيلانية**»، مطبعة بيير بونتانا الشرقية، الجزائر، ط (بلا)، ١٩٠٨م.

١٢٠ - حسين بن مهدي النعمي «**معارج الألباب في مناهج الحق والصواب**»، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطابع الرياض، ط٢، ١٩٧٣م.

١٢١ - حسين خلف الشيخ خزعل «**تاريخ الكويت السياسي**»، مكتبة الهلال، بيروت، ط (بلا)، ١٩٦٢م.

١٢٢) **حسين مجيب المصري** «**معجم الدولة العثمانية**»، الدار الثقافية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٢٣ - حسين مؤنس «**الشرق الإسلامي في العصر الحديث**»، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط (بلا)، ١٤١٣هـ.

١٢٤ - حمد (أبو سليمان) بن محمد الخطابي البستي «**معالم السنن**»، طبعه وصحَّحه: محمد راغب الطبَّاخ في مطبعته العلمية بحلب، ط١، ١٩٣٤م.

١٢٥ - حمد الجاسر «**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/المنطقة الشرقية**»، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٩٧٩م.

١٢٦ - حمد الجاسر «**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/معجم مختصر**»، دار اليمامة، الرياض، ط (بلا)، ت (بلا).

١٢٧ - حمد الجاسر «**جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد**»، دار اليمامة، الرياض، ط٣، ٢٠٠١م.

١٢٨ - حمد الجاسر «**مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٢هـ.

١٢٩ - حمد الجاسر في «**معجم قبائل المملكة العربية السعودية**»، النادي الأدبي في الرياض، ط١، ١٩٨١م.

١٣٠ - حمد السعيدان «**الموسوعة الكويتية المختصرة**»، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط١، ١٩٧٠م.

١٣١) **حمد بن لعبون** «**تاريخ ابن لعبون**»، ضمن «**خزانة التواريخ النجدية**»، جمع: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام.

١٣٢ ـ حمد بن لعبون «تاريخ حمد بن محمد بن لعبون الوائلي النجدي الحنبلي/الأنساب»، مكتبة المعارف، الطائف، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٣٣ ـ حمدان بن عثمان خوجة «المرآة»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط (بلا)، ٢٠٠٦م.

١٣٤ ـ حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين»، تحقيق: عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط٥، ٢٠٠١م.

١٣٥ ـ خالد محمد الفرج «الخبر والعيان في تاريخ نجد»، تحقيق عبد الرحمٰن الشقير، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

١٣٦ ـ خليل بن أحمد الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا»، تحقيق: دانيال كريسليوس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

١٣٧ ـ خير الدين الزركلي «الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٤، ١٩٩٩م.

١٣٨ ـ دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٣٩ ـ دلال بنت مخلد الحربي «نساء شهيرات من نجد»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٩هـ.

١٤٠ ـ دومنغو باديا/علي باي العباسي «رحلة إسباني في الجزيرة العربية»، ترجمة: صالح السنيدي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٩هـ.

١٤١ ـ راشد الفرحان «مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية»، مطبعة المدني، القاهرة، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

١٤٢ ـ الرحالة الإنجليزي جاكسون «مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧م»، ترجمة: خالد فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٤٣ ـ رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء»، ترجمه عن التركية: موسى كاظم نورس، مكتبة النهضة، بغداد، ط (بلا)، ت (بلا).

١٤٤ ـ رود لفوميكاكي «طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي»، ترجمة: طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا، ط (بلا)، ت (بلا).

١٤٥ ـ ريتشارد بايلي وايندر «المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي»، راجع الترجمة وعلّق عليها: فهد السماري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٣٤هـ.

١٤٦ ـ رينهارت دوزي المستشرق الهولندي «المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب»، ترجمة: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

١٤٧ ـ س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية»، ترجمة: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٤٨ ـ ساطع الحصري «البلاد العربية والدولة العثمانية»، معهد البحوث العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٥٧م

١٤٩ ـ سعاد ماهر محمد «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون»، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

١٥٠ ـ سعد بن عبدالله الجنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/عالية نجد»، دار النشر (بلا)، الرياض، ط٢، ١٩٩٦م.

١٥١ ـ سعد بن عبدالله الجنيدل «معجم التراث والسلاح»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٧هـ.

١٥٢ ـ سلطان فالح الأصقه «إمارة الكويت في ظلّ التنافس الدولي في عهد الشيخ مبارك الصباح»، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ٢٠١٤م.

١٥٣ ـ سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة «آثار الأدهار/القسم التاريخي»، المطبعة السورية، ط١، ١٨٧٧م.

١٥٤ ـ سليمان بن سحمان «الأسنة الحِداد في ردّ شبهات علوي الحداد»، مطابع الرياض، ط٢، ١٣٧٦هـ.

١٥٥ ـ سليمان بن سحمان «الضياء الشارق في ردِّ شبهات الماذق المارق»، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط. ت. (بلا).

١٥٦ ـ سليمان بن سحمان «الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية»، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٤٢هـ.

١٥٧ ـ سليمان بن سحمان «**تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين**»، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٤٣هـ.

١٥٨ ـ **سليمان بن سحمان** «**كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأفهام**»، أضواء السلف، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.

١٥٩ ـ سليمان بن سحمان «**منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع**»، تحقيق: عبدالسلام بن برجس العبدالكريم، مكتبة الفرقان، عجمان ـ الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤١٧هـ.

١٦٠ ـ سليمان بن صالح الخراشي وخالد بن أحمد الزهراني «**دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حقائق علمية وشهادات منصفة**»، دار سلف، السعودية، ط (بلا)، ١٤٣٩هـ.

١٦١ ـ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب «**التوضيح عن توحيد الخلَّاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**»، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٩٨٤م.

١٦٢ ـ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب «**تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**»، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.

١٦٣ ـ سنت جون فيلبي «**تاريخ نجد ودعوة محمد بن عبدالوهاب السلفية**»، ترجمة: عمر الديراوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٦٤ ـ سهيل صابان «**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**»، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢١هـ.

١٦٥ ـ **سهيل صابان** «**مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني**»، مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٥هـ.

١٦٦ ـ السيِّد رجب حرَّاز «**الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب**»، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٧٠م.

١٦٧ ـ السير هارفرد جونز بريدجز «**موجز لتاريخ الوهابي**»، ترجمة: عويضة بن متيريك الجهني، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٦٨ ـ سيف مرزوق الشملان «**من تاريخ الكويت**» ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٦٩ ـ شارل هوبير «رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨ ـ ١٨٨٢م، الحماد، شمَّر، القصيم، الحجاز»، ترجمة: أيسار سعادة، دار كتب، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٧٠ ـ الشرفي بن محمد الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية»، تحقيق: محمد الأندلسي، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، المملكة المغربية، ط١، ٢٠١٧م.

١٧١ ـ شمس الدين ابن قيِّم الجوزية «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان»، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٧٢ ـ شمس الدين ابن قيِّم الجوزية «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد، السعودية.

١٧٣ ـ شمس الدين محمد بن عبدالرحمٰن السخاوي «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، دار الجيل، بيروت، ط. ت. (بلا).

١٧٤ ـ صالح بن فوزان الفوزان «إتحاف الأفاضل بشرح رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك» وهي من تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

١٧٥ ـ صالح بن فوزان الفوزان «فتح الولي الحميد في شرح كتاب الدرّ النضيد» وهي للإمام الشوكاني، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ.

١٧٦ ـ صالح بن عبدالعزيز آل عثيمين «تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة»، تحقيق: بكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.

١٧٧ ـ صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني؛ معجم موسوعي مصوَّر»، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ٢٠١٦م.

١٧٨ ـ صالح عبدالله العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي»، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط٣، ١٩٩٦م.

١٧٩ ـ صلاح الدين المنجد «ولاة دمشق في العهد العثماني»، د. ن (بلا)، دمشق، ط (بلا)، ١٩٤٩م.

١٨٠ ـ صلاح العقاد «التيارات السياسية في الخليج العربي»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٧٤م.

١٨١ ـ ضاري بن فهيد الرشيد «**نبذة تاريخية عن نجد**» أملاها المؤلف، وكتبها: وديع البستاني، تحقيق: عبدالله العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

١٨٢ ـ الطاهر أحمد الزاوي «**معجم البلدان الليبية**»، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠١٨م.

١٨٣ ـ عاتق بن غيث البلادي «**معجم معالم الحجاز**»، دار مكة، مكة المكرمة، ط٢، ٢٠١٠م.

١٨٤ ـ عاتق بن غيث البلادي «**معالم مكة التاريخ والأثرية**»، دار مكة، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٨٣م.

١٨٥ ـ عائض بن خزام الروقي «**حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ١٢٤٧/١٢٥٥هـ، ١٨٣١/١٨٣٩م**»، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط (بلا)، ١٤١٤ هـ.

١٨٦ ـ عباس العزاوي «**تاريخ العراق بين احتلالين**»، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ط (بلا)، ١٩٥٥م.

١٨٧ ـ عبّاس العزّاوي «**تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق لِما بعد العهود العباسيَّة**»، اعتنى به: عمر أحمد آل عباس، دار التوحيد، الرياض، ط١، ٢٠١١م.

١٨٨ ـ عباس العزّاوي «**ذكرى أبي الثناء الألوسي، عصره ومجتمعه وحياته العلمية والأدبية والتاريخية والسياسية ومؤلفاته**»، شركة التجارة والطباعة، بغداد، ١٩٥٨م.

١٨٩ ـ عباس العزّاوي «**عشائر العراق**»، مطبعة بغداد، بغداد، ط (بلا)، ١٩٣٧م.

١٩٠ ـ العباس بن إبراهيم السملالي «**الإعلام بمن حلَّ مُرَّاكِشْ وأَغْمات من الأعلام**»، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٨م.

١٩١ ـ عبد العزيز البداح «**حركة التصوف في الخليج العربي**»، د. ن (بلا)، ط (بلا)، ١٤٣٦هـ.

١٩٢ ـ عبد الوهاب أحمد عبد الرحمٰن «**الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث**»، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٤م.

١٩٣ ـ عبدالأول بن حمّاد الأنصاري «**المجموع في ترجمة العلامة المحدِّث الشيخ حمَّاد بن محمَّد الأنصاري رحمه الله تعالى، سيرته وأقواله ورحلاته**»، الناشر: المؤلّف، المدينة النبوية، ط١، ٢٠٠٢م.

١٩٤ ـ **عبدالحسين الأميني النجفي** «**شهداء الفضيلة**»، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

١٩٥ ـ عبدالحسين الكليدار آل طعمة سادن الروضة الحسينية «**بغية النبلاء في تاريخ كربلاء**»، مطبعة الإرشاد، بغداد، طُ (بلا)، ١٩٦٦م.

١٩٦ ـ عبدالحميد البطريق «**إبراهيم باشا في بلاد العرب**»، ضمن كتاب «**ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨ ـ ١٩٤٨م**»، مجموعة أبحاث ودراسات نشرتها الجمعية الملكية للدراسات التاريخية بمناسبة انقضاء مئة عام على وفاته، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٠م.

١٩٧ ـ عبدالحميد بِكْ نافع «**ذيل خطط المقريزي**»، تحقيق: خالد عزب ومحمد السيد حمدي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

١٩٨ ـ عبدالحميد بن أبي زيَّان بن شنهو «**دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**»، المجلس الشعبي، الجزائر، ط (بلا)، ت (بلا).

١٩٩ ـ عبدالحميد صالح حمدان «**تاريخ القبائل العربية في مصر**»، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٠٠ ـ عبدالحيِّ بن أحمد بن محمد العكري الشهير بابن العماد الحنبلي «**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**»، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط٢/٢٠١٦م.

٢٠١ ـ عبدالحيّ بن فخر الدين الحسيني «**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المسمَّى: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**»، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٢٠٢ ـ عبدالرحمٰن الأنصاري «**تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**»، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٩٧٠م.

٢٠٣ ـ عبدالرحمن الرافعي «**تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر**»، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٧م.

٢٠٤ ـ عبدالرحمن الرافعي «**عصر محمد علي**»، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٩م.

٢٠٥ ـ عبدالرحمن العريني «**الإمام محمد بن سعود**»، الأمانة العامَّة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢٠٦ ـ عبدالرحمن الكواكبي «**أم القرى**» ضمن «**المجموعة الكاملة لأعمال الكواكبي**»، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٠٧ ـ عبدالرحمن بن أحمد البهكلي «**نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود**» ومعه «**تكملة نفح العود**» للحسن بن أحمد عاكش، تحقيق: محمد أحمد العقيلي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٩٨٢م.

٢٠٨ ـ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ «**المقامات**» ضمن «**الدرر السنية**» الجزء الثاني عشر، د. ن (بلا)، ط٨، ٢٠١٢م.

٢٠٩ ـ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ «**المقامات**»، تحقيق: عبدالله بن محمد المطوّع، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ٢٠٠٥م.

٢١٠ ـ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ «**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**»، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢١١ ـ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ «**قرَّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، حاشية على كتاب التوحيد**» بتعليقات الشيخ صالح الفوزان، الإمام الذهبي، الرياض، ط١، ٢٠١٨م.

٢١٢ ـ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ «**كشف ما ألقاه إبليس من البَهْرَجِ والتَّلْبيس على قلب داوود بن جرجيس**»، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٢١٣ ـ عبدالرحمن بن حسن الجبرتي «**عجائب الآثار في التراجم والأخبار**»، تحقيق: عبدالرحيم عبدالرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠٣م.

٢١٤ _ عبدالرحمٰن بن خلدون «**العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**»، تحقيق: إبراهيم شبوح وإحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٦م.

٢١٥ _ عبدالرحمٰن بن عبدالعزيز المانع «**معجم الكلمات الشعبية في نجد/منطقة الوشم**»، د. ن (بلا)، ط١، ١٤١٨هـ.

٢١٦ _ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ «**مشاهير علماء نجد وغيرهم**»، دار اليمامة، الرياض، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٢١٧ _ عبدالرحمٰن بن قاسم بن محمد العاصمي «**الدرر السنية**»، د. ن (بلا)، ط٨، ٢٠١٢م.

٢١٨ _ عبدالرحمٰن بن محمد بن زيدان السجلماسي «**إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**»، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٢١٩ _ عبدالرحمٰن زكي «**التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير**»، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٥٠م.

٢٢٠ _ عبدالرحيم عبدالرحمٰن عبدالرحيم «**الدولة السعودية الأولى**»، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م.

٢٢١ _ عبدالرحيم عبدالرحمٰن عبدالرحيم «**محمد علي وشبه الجزيرة العربية**»، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.

٢٢٢ _ عبدالرزاق الكاشاني «**معجم اصطلاحات الصوفية**»، تحقيق: عبدالعال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

٢٢٣ _ عبدالرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الدمشقي «**حِلْيَة البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**»، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٢٢٤ _ عبدالستار (أبو الفيض) بن عبدالوهاب البكري الصديقي الهندي المكّي الحنفي «**فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**»، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط٢، ٢٠٠٩م.

٢٢٥ _ عبدالعزيز الرشيد «**تاريخ الكويت**»، بحواشي ابن المصنف: يعقوب عبد العزيز الرشيد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط. ت (بلا).

٢٢٦ ـ عبدالعزيز الشناوي «**الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٢م.

٢٢٧ ـ عبدالعزيز القاضي «**العنيزية**»، ضمن «**خزانة التواريخ النجدية**»، جمع: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام.

٢٢٨ ـ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تعقيباته على كتاب «**الدعوة الوهابية**» لعبدالكريم الخطيب، دار الشروق، عمَّان ـ الأردن.

٢٢٩ ـ عبدالعزيز سليمان نوَّار «**داوود باشا والي بغداد**»، وزارة الثقافة ببغداد، ط (بلا)، ٢٠١٣م.

٢٣٠ ـ عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم «**أمراء وغزاة، قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج العربي دراسة وثائقية**»، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢٣١ ـ عبدالعزيز محمد العبد اللطيف «**دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عرض ونقض**»، دار طيبة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٨٩م.

٢٣٢ ـ عبدالعزيز محمد عوض «**الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤م**»، دار المعارف، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٦٩م.

٢٣٣ ـ عبدالعظيم عبدالسلام الفرجاني «**قبائل العرب في مصر**»، دار غريب، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٧م.

٢٣٤ ـ عبدالغني بن إسماعيل النابلسي «**الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز**»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٨٦م.

٢٣٥ ـ عبدالفتاح أبو علية «**محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى**»، دار المريخ، الرياض، ط (بلا)، ٢٠٠٢م.

٢٣٦ ـ عبدالقادر بن بدران «**النفخة على النفحة والمنحة**»، اعتنى بها: خالد الزهراني، دار سلف، الرياض، ط١، ٢٠١٨م.

٢٣٧ ـ عبدالقادر بن بدران «**منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**»، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٢٣٨ ـ عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس الهندي «**النور السافر عن أخبار القرن العاشر**»، تحقيق أحمد حالو ومحمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٣٩ ـ عبدالكريم بن عبدالله المنيف الوهبي «**بنو خالد وعلاقتهم بنجد**»، دار ثقيف، الرياض، ط١، ١٩٨٩م.

٢٤٠ ـ عبدالكريم محمود غرايبة «**مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ ـ ١٩١٨م/العراق والجزيرة العربية**»، مطبعة جامعة دمشق، ط (بلا)، ١٩٦٠م.

٢٤١ ـ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «**مصباح الظلام في الردّ على من كذب على الشيخ الإمام ونَسَبَهُ إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام**»، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ٢٠١٣م.

٢٤٢ ـ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «**منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داوود بن جرجيس**»، دار الهداية، الرياض، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٤٣ ـ عبدالله (عفيف الدين) بن عبدالملك المرجاني «**بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار**»، تحقيق: محمد عبدالوهاب فضل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٤٤ ـ عبدالله الصالح العثيمين «**الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**»، دار العلوم، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٣م.

٢٤٥ ـ عبدالله الصالح العثيمين «**العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت**»، دار النشر (بلا)، الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ.

٢٤٦ ـ عبدالله الصالح العثيمين «**تاريخ المملكة العربية السعودية**»، الجزء الأول، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٤٧ ـ عبدالله العسكر «**تاريخ اليمامة في صدر الإسلام محاولةٌ للفهم**»، دار جداول، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٢٤٨ ـ عبدالله القصيمي «**الثورة الوهابية**»، دار الانتشار العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٢٤٩ ـ عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي «**مرآة الجنان وعِبرَة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢٥٠ ـ عبدالله بن حسن باشا بن فضل باشا أمير ظفار العلوي الحسيني الحجازي «صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر»، مطبعة كومين، اللاذقية ـ سورية، ط (بلا)، ت (بلا).

٢٥١ ـ عبدالله بن خميس «المجاز بين اليمامة والحجاز»، دار اليمامة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٧٠م.

٢٥٢ ـ عبدالله بن خميس «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/معجم اليمامة»، د. ن (بلا)، ط١، ١٩٧٨م.

٢٥٣ ـ عبدالله بن خميس «راشد الخلاوي؛ حياته، شعره، حِكَمه، فلسفته، نوادره، حسابه الفلكي»، دار الخضرمة، الرياض، ط٦، ٢٠٠٢م.

٢٥٤ ـ عبدالله بن سعد بن محمد أبا حسين «تعدد الخلفاء في الزمن الواحد دراسة تاريخية عقدية»، دار قرطبة، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٢٥٥ ـ عبدالله بن سعود آل محمود «تحذير أهل الإيمان عمّا تضمّنته رسالة ابن فيروز من البهتان»، عني بها: سليمان الخراشي، دار الخزانة، الكويت، ط١، ٢٠١٧م.

٢٥٦ ـ عبدالله بن صالح المطوع «الجواهر واللآلي في تاريخ عُمان الشمالي» تحقيق: فالح حنظل، مطبوعات جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٩٩٤م.

٢٥٧ ـ عبدالله بن صالح المطوّع «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان»، تحقيق: محمد بن سليمان الخضيري، د. ن (بلا)، ط (بلا)، ٢٠١٠م.

٢٥٨ ـ عبدالله بن عبدالرحمٰن البسّام «علماء نجد خلال ثمانية قرون»، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢٥٩ ـ عبدالله بن عبدالظاهر المصري «الروضة البهيّة الظاهرة في خطط المُعِزِّيّة القاهرة»، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

٢٦٠ ـ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة للإمام عبدالله وأبناءه وبعض أحفاده»، دار القاسم، الرياض، ط (بلا)، ٢٠٠٧م.

٢٦١ ـ عبدالله بن محمد أبو داهش «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٦٢ ـ عبدالله بن محمد البسام «**تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**»، تحقيق: إبراهيم الخالدي، شركة المختلف، الكويت، ط ١، ٢٠٠٠م.

٢٦٣ ـ عبدالله بن محمد العياشي «**الرحلة العياشية**»، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٦٤ ـ عبدالله بن محمد الغازي المكي «**إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمَّى بإتمام الكلام**»، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٦٥ ـ عبدالله بن محمد الغازي المكي «**نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**»، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، المكتبة الأسدية، مكة المكرمة، ط١، ٢٠١٤م.

٢٦٦ ـ عبدالملك بن حسين العصامي المكي «**سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٦٧ ـ عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمٰن القاسم «**العالم العابد الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن قاسم**». د. ن (بلا)، ت (بلا).

٢٦٨ ـ عبدالمنصف سالم نجم «**قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر**»، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٦٩ ـ عبدالمنعم سيد عبدالعال «**معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية**»، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

٢٧٠ ـ عبدالواحد محمد راغب دلال «**البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران**»، د. ن. (بلا)، ط١، ١٩٩٥م.

٢٧١ ـ عبدالوهاب الشعراني «**الطبقات الكبرى**»، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط (بلا)، ت (بلا).

٢٧٢ ـ عبدالوهاب الشعراني «**لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدُّث بنعمة الله على الإطلاق/المعروف بالمنن الكبرى**»، دار التقوى، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٧٣ ـ عبدالوهاب بن عبدالرحمٰن البريهي السكسكي اليمني «**طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي**»، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ١٩٩٤م.

٢٧٤ ـ عبدالوهاب بن محمد بن حميدان بن تركي «**تاريخ نجد**»، ضمن «**خزانة التواريخ النجدية**» لعبدالله بن عبدالرحمن البسَّام.

٢٧٥ ـ عثمان بن بشر «**عنوان المجد في تاريخ نجد**»، تحقيق وتعليق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٤، الجزء الأول ١٤٠٢هـ/الجزء الثاني ١٤٠٣هـ.

٢٧٦ ـ عثمان بن سند «**سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد**»، مطبعة البيان، بومبي (الهند)، ط (بلا)، ١٣١٥هـ.

٢٧٧ ـ عثمان بن سند «**مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود**»، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، الدار العبية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م

٢٧٨ ـ علماء نجد الأعلام «**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية؛ فتاوى ورسائل علماء نجد الأعلام**»، مطبعة المنار، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٢٨م.

٢٧٩ ـ علوي بن أحمد بن حسن بن علوي الحدَّاد «**مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردِّ شُبَه البدعي النجديّ التي أضلَّ بها العوام**»، المطبعة العامرة الشرقية، بلد النشر (بلا)، ط (بلا)، ١٣٢٥هـ.

٢٨٠ ـ علي (الشريف) بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي «**التعريفات؛ معجم يشرح الألفاظ المُصطَلَح عليها بين الفقهاء والمتكلمين والنحاة والصَّرفِيِّين والمفسرين وغيرهم**»، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٣٨م.

٢٨١ ـ علي (عزّ الدين) بن محمد الشهير بابن الأثير «**الكامل في التاريخ**»، دار صادر، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٢٨٢ ـ علي (نور الدين) بن أحمد بن عمر السخاوي الحنفي «**تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات**»، مطبعة العلوم والآداب، القاهرة، ط١، ١٩٣٧م.

٢٨٣ ـ علي إبراهيم الحربي «**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/منطقة عسير**»، نادي أبها الأدبي، أبها، ط (بلا)، ١٤١٧هـ.

٢٨٤ ـ علي الوردي «**لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**»، دار الورَّاق، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.

٢٨٥ ـ علي باشا مبارك «**الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠٨م.

٢٨٦ ـ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي «**جمهرة أنساب العرب**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (بلا)، ١٩٩٨م.

٢٨٧ ـ علي بن بخيت الزهراني «**الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما على حياة الأمة**»، دار طيبة، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٩٨م.

٢٨٨ ـ علي بن تاج الدين السنجاري «**منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**»، الجزء الرابع، تحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٨م.

٢٨٩ ـ علي بن شايخ البكري الشهري «**محمد بن دهمان الشهري ودوره في بسط نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى بلاد بني شهر**»، مطابع أضواء المنتدى، السعودية، ط١، ٢٠١٢م.

٢٩٠ ـ علي بن لالي بالي المعروف بِمِنق «**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**»، ملحقٌ بكتاب «**الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**» لعصام الدين أحمد طشكبري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٢٩١ ـ علي صالح السلوك الزهراني «**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/بلاد غامد وزهران**»، دار اليمامة، الرياض، ط٢، ١٩٨١م.

٢٩٢ ـ عمر الإسكندري وسليم حسن «**تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قُبَيل الوقت الحاضر**»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط (بلا)، ت (بلا).

٢٩٣ ـ عمر بن مظفر الشهير بابن الورديَ «**تاريخ ابن الوردي**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢٩٤ ـ عويضة بن متيريك الجهني «**نجد قبل الوهابية، الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية إبان القرون الثلاثة التي سبقت الحركة الوهابية**»، ترجمة: إحسان زكي، جسور للترجمة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٢٩٥ ـ فاطمة القحطاني «**حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها**»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ٢٠١٠م.

٢٩٦ - فتحي حافظ الحديدي «**التطوّر العمراني لشوارع مدينة القاهرة من البدايات حتى القرن الحادي والعشرين**»، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

٢٩٧ - فؤاد سعيد العابد «**سياسة بريطانيا في الخليج خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر**»، ذات السلاسل، الكويت، ط (بلا)، ١٩٨١م.

٢٩٨ - فيلكس مانجان «**تاريخ الدولة السعودية الأولى**»، ترجمة: خبر الدين البقاعي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٤هـ.

٢٩٩ - فيليب حَتِّي «**تاريخ العرب**»، دار الكشاف، بيروت، ط (بلا)، ١٩٤٩م.

٣٠٠ - قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي «**الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**»، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط (بلا)، ١٩٩٦م.

٣٠١ - قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي «**البرق اليماني في الفتح العثماني/أو غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة**»، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٩٦٧م.

٣٠٢ - ك. أ. كريزويل «**وصف قلعة الجبل**»، ترجمة: جمال محمد محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٧٤م.

٣٠٣ - كامل البالي الحلبي الغزّي «**نهر الذهب في تاريخ حلب**»، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣٠٤ - كريستيان سنوك هورخرونيه «**صفحات من تاريخ مكة المكرمة**»، ترجمة: علي عودة الشيوخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٠٥ - لطف الله بن أحمد جَحّاف «**درر نحور الحور العِين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين**»، تحقيق: إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٠٦ - لوثورب ستودارد «**حاضر العالم الإسلامي**»، بتعليقات الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ.

٣٠٧ - لويس ألكسندر دو كرانسييه «**تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى ١٨٠٩م**»، ترجمة: محمد خير الدين البقاعي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٦هـ.

٣٠٨ ـ محمد (تقي الدين) بن أحمد الحسني الفاسي المكي «**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**»، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٣٠٩ ـ محمد (تقي الدين) بن أحمد الحسني الفاسي المكي «**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**»، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٣١٠ ـ محمد (جمال الدين) بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري «**لسان العرب**»، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٣١١ ـ محمد (شمس الدين) بن أحمد بن عثمان الذهبي «**العبر في خبر من غَبَر**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

٣١٢ ـ محمد (شمس الدين) بن أحمد بن عثمان الذهبي «**سير أعلام النبلاء**»، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٣١٣ ـ محمد (شمس الدين) بن أحمد بن عثمان الذهبي «**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**»، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

٣١٤ ـ محمد (نجم الدين) بن محمد الغزّي «**الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٣١٥ ـ محمد أحمد العقيلي «**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ مقاطعة جازان/المخلاف السليماني**»، دار اليمامة، الرياض، ط٢، ١٩٧٩م

٣١٦ ـ محمد أحمد العقيلي «**تاريخ المخلاف السليماني**»، مطابع الوليد، السعودية، ط٢، ١٩٨٩م.

٣١٧ ـ محمد أحمد دهمان «**معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي**»، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٣١٨ ـ محمد أديب غالب «**من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي**»، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٩٧٥م.

٣١٩ ـ محمد آل عبد القادر الأحسائي «**تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٩هـ.

٣٢٠ ـ محمد الأمين (السيِّد) «**الحصون المنيعة في ردّ ما أورده صاحب المنار في حقّ الشيعة**»، دار الزهراء، بيروت، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

٣٢١ ـ محمد البسَّام التميمي النجدي «**الدرر المفاخر في أخبار العرب الأوائل والأواخر**»، تحقيق: سعود غانم الجمران العجمي، د. ن. (بلا)، الكويت، ط١، ١٩٨١م.

٣٢٢ ـ محمد الخضر الجكني الشنقيطي «**مشتهى الخارف الجاني في ردّ زلقات التجاني الجاني**»، دار البشير، عمَّان ـ الأردن، ط٢، ١٩٩٣م.

٣٢٣ ـ محمد السنوسي «**الرحلة الحجازية**»، تحقيق: علي الشنوفي، الشركة التونسية، تونس، ط (بلا)، ١٣٩٦هـ.

٣٢٤ ـ محمد الششتاوي «**متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني**»، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

٣٢٥ ـ محمد الصغير الإفراني «**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**»، تحقيق: عبداللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

٣٢٦ ـ **محمد أمان بن علي الجامي** «**مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنَّة**»، دار المنهاج، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

٣٢٧ ـ محمد أمين بن فضل الله المُحبّي الحنفي «**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٣٢٨ ـ محمد بشير السهسواني الهندي «**صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان**»، د. ن (بلا)، ط٥، ١٩٧٥م.

٣٢٩ ـ محمد بن إبراهيم بن زين العابدين الحفظي «**نفحات من عسير**»، د. ن (بلا)، ط (بلا)، ١٩٧٤م.

٣٣٠ ـ محمد بن أبي بكر الشلّي «**السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر**»، تحقيق: إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٤٢٥هـ.

٣٣١ ـ محمد بن أبي بكر الشلّي «**عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر**»، تحقيق: عبدالرحمٰن سليمان المزيني وراشد سعد القحطاني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠١٤م.

٣٣٢ ـ محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بالصبَّاغ «تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام»، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٣٣ ـ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤م.

٣٣٤ ـ محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي «اللجام المكين والزمام المتين»، تحقيق: عبدالله محمد أبو داهش، د. ن. (بلا)، ط١، ١٩٨٥م.

٣٣٥ ـ محمد بن إسماعيل الصنعاني «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، مكتبة الإمام الوادعي، صعدة ـ اليمن، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٣٦ ـ محمد بن إسماعيل الصنعاني «ديوان الأمير الصنعاني»، مطبعة المدني، القاهرة، ط (بلا)، ت (بلا).

٣٣٧ ـ محمد الصغير الإفراني «صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر»، تحقيق: عبدالمجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٣٨ ـ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي»، دار المعارف، الرباط، ط (بلا)، ١٣٤٠هـ.

٣٣٩ ـ محمد بن حمد بن عبَّاد العوسجي «تاريخ بن عبَّاد»، تحقيق: عبدالله الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٤٠ ـ محمد بن خليل بن غلبون الطرابلسي «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار»، عني به وعلَّق عليه: الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ططا، ٢٠٠٤م.

٣٤١ ـ محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة»، تحقيق: عبدالله الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٤٢ ـ محمد بن سالم البيحاني «أشعة الأنوار على مرويات الأخبار»، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٤٣ ـ محمد بن سليمان الخضيري «**الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية؛ دور الأحساء والعراق في استراتيجية الدولتين**»، دار الصولتية، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٠هـ.

٣٤٤ ـ محمد بن عبدالرحمٰن بن عفالق الحنبلي الأحسائي «**تهكّم المقلدين في مدَّعي تجديد الدين**»، منشورة على الشبكة العنكبوتية بلا بيانات نشر أو طبع.

٣٤٥ ـ **محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي** «**فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ مفتي المملكة ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية**»، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ.

٣٤٦ ـ محمد بن عبدالسلام الناصري «**الرحلة الناصرية الكبرى**»، تحقيق: المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، بالمملكة المغربية، ط١، ٢٠١٣م.

٣٤٧ ـ محمد بن عبدالله ابن بطُّوطة «**تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**»، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٣٤٨ ـ محمد بن عبدالله بن حميد النجدي ثمَّ المكي «**السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**»، تحقيق: عبدالرحمٰن العثيمين وبكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٣٤٩ ـ محمد بن عبدالله بن يوسف «**تاريخ ابن يوسف**»، تحقيق: عويضة بن متيريك الجهني، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٥٠ ـ محمد بن عبدالوهاب «**مسائل الجاهلية**»، مع شرحها للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

٣٥١ ـ **محمد بن عثمان الشاوي** «**القول الأسدُّ في الردِّ على الخصم الألدّ**»، عني بنشره: سليمان الخراشي، دار التدمرية، الرياض، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٥٢ ـ محمد بن علي الشوكاني «**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٣٥٣ ـ محمد بن علي الشوكاني «**الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد**»، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٥٤ ـ محمد بن علي الشوكاني «**الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني**»، تحقيق: محمد صبحي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط (بلا)، ت (بلا).

٣٥٥ ـ محمد بن علي الشوكاني «**شرح الصدور بتحريم رفع القبور**»، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ٢٠١١م.

٣٥٦ ـ محمد بن علي بن أحمد بن طولون؛ الجزء الأول المسمَّى «**مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م. والجزء الثاني المسمَّى «**تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني**»، تحقيق أحمد أيبش، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ٢٠١٠م.

٣٥٧ ـ محمد بن عمر الطيب با فقيه «**تاريخ الشَّحَرْ وأخبار القرن العاشر**»، تحقيق: عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٥٨ ـ محمد بن عمر الفاخري «**تاريخ الفاخري**»، تحقيق: عبدالله الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٥٩ ـ محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي «**سنن الترمذي وهو الجامع الكبير**»، دار التأصيل، القاهرة، ط٢، ٢٠١٦م.

٣٦٠ ـ **محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف** «**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٣٦١ ـ محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسني اليمني الصنعاني «**نيل الوطر من تراجم اليمن في القرن الثالث عشر**»، د. ن (بلا)، ط. ت (بلا).

٣٦٢ ـ محمد بن ناصر العبودي «**الأمثال العامية في نجد**»، دار الثلوثية، الرياض، ط٢، ٢٠١٠م.

٣٦٣ ـ محمد بن ناصر العبودي «**معجم بلاد القصيم**»، دار الثلوثية، الرياض، ط٣، ٢٠١٦م..

٣٦٤ ـ محمد بن ناصر العبودي «**معجم غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول الدخيلة**»، دار الثلوثية، الرياض، ط١، ٢٠١٦م.

٣٦٥ ـ محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدي السكسكي الكِندي «**السلوك في طبقات العلماء والملوك**»، تحقيق: محمد علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ١٩٩٥م.

٣٦٦ ـ محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمران في جزيرة العرب وغيرها»، د. ن. (بلا)، ط (بلا)، ١٣٥٤هـ.

٣٦٧ ـ محمد حسام الدين إسماعيل «مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل ١٨٠٥ ـ ١٨٧٩م»، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

٣٦٨ ـ محمد حمزة الحدَّاد «قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي»، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠٦م.

٣٦٩ ـ محمد خليل المرادي «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»، تحقيق: أكرم حسن العلبي، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠١٢م.

٣٧٠ ـ محمد رشيد رضا «الوهابيون والحجاز»، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٤٤هـ.

٣٧١ ـ محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٤م.

٣٧٢ ـ محمد سعيد الراوي البغدادي «تاريخ الأسر العلمية في بغداد»، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٧م.

٣٧٣ ـ محمد شفيق غربال «محمد علي الكبير»، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١٠م.

٣٧٤ ـ محمد شكري نعمة «دليل الأستانة»، مطبعة جرجي غرزوزي، الإسكندرية، ط (بلا)، ١٩٠٩م.

٣٧٥ ـ محمد صبري «مصر في أفريقيا الشرقية/هرر وزيلع وبربرة»، مطبعة مصر ومكتبتها، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٣٩م.

٣٧٦ ـ محمد عبدالجواد القاياتي «نفحة البشام في رحلة الشام»، دار الرائد العربي، بيروت، ط (بلا)، ١٩٨١م.

٣٧٧ ـ محمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدريَّة في تراجم السادة الصوفية»، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٣٧٨ ـ محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، يحتوي على الكلمات التركية والفارسية والإفرنجية المتداولة في اللغة العثمانية»، د. ن (بلا)، ط. ت (بلا).

٣٧٩ ـ محمد عمر رفيع «في ربوع عسير ذكريات وتاريخ»، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٥٤م.

٣٨٠ ـ محمد فريد بِك «البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية»، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م.

٣٨١ ـ محمد كرد علي «المذكرات»، مطبعة الترقي، دمشق، ط (بلا)، ١٩٤٨م.

٣٨٢ ـ محمد كرد علي «خطط الشام»، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٣٨٣ ـ محمد ناصر الدين الألباني «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

٣٨٤ ـ **محمد هادي البكري العجيلي** «الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين»، تحقيق: عبدالله محمد أبو داهش، د. ن. (بلا)، ط. ت. (بلا).

٣٨٥ ـ محمود شكري الآلوسي «المسك الأذفر»، مطبعة الآداب، بغداد، ط (بلا)، ١٩٣٠م.

٣٨٦ ـ محمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط (بلا) ت. ن. (بلا).

٣٨٧ ـ محمود شكري الألوسي «فتح المنَّان تَتِمَّة منهاج التأسيس ردُّ صلح الإخوان»، عني به: عمر أحمد آل عباس، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٨٨ ـ محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر»، تحقيق: لطيفة محمد سالم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ١٤٢٨هـ.

٣٨٩ ـ محمود محمد شاكر «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»، طبعت في صدر كتاب «المتنبي»، دار المدني، جدة، ط (بلا)، ١٤٠٧هـ.

٣٩٠ ـ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي «نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين»، تحقيق: عبدالله محمد الكندري، دار النوادر، ط١، ٢٠١٢م.

٣٩١ ـ المستر جورج يانج «تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل»، تعريب: على أحمد شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

٣٩٢ ـ المستر ستيفن هيمسلي لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث»، ترجمة: جعفر الخياط، دار الرافدين، بيروت، ط٥، ٢٠٠٤م.

٣٩٣ ـ المستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي»، ترجمة: زكي محمد حسن بك وزملائه، دار الرائد العربي، بيروت، ط (بلا)، ١٤٠٠هـ.

٣٩٤ ـ مسعود الندوي «محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه»، ترجمة: عبدالعليم البستوي، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط (بلا)، ١٤٢٠هـ.

٣٩٥ ـ أحمد مصطفى أبو حاكمة «تاريخ الكويت الحديث»، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.

٣٩٦ ـ مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية»، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣٩٧ ـ مقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود»، ضمن «خزانة التواريخ النجدية» لعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام.

٣٩٨ ـ الملا علي بن سلطان القاري «الرد على القائلين بوحدة الوجود»، تحقيق: علي رضا، دار المأمون، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

٣٩٩ ـ منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية»، د. ن (بلا)، ط٢، ١٩٩٣م.

٤٠٠ ـ موسى (شرف الدين) بن أحمد بن موسى بن سالم أبو النجا الحجَّاوي المقدسي «الإقناع لطالب الانتفاع»، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٤٠١ ـ مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب»، تحقيق: عبدالله العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٩٨٣م.

٤٠٢ ـ مي عبدالعزيز العيسى «الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٧هـ.

٤٠٣ ـ ميخائيل جرجس مشاقة الطبيب «مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان»، دار مكتبة بيبليون، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٠٤ ـ ميخائيل الدمشقي «تاريخ حوادث الشام ولبنان/أو تاريخ ميخائيل الدمشقي»، تحقيق: غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ط٢، ١٩٨٢م.

٤٠٥ ـ ناصر خسرو علوي «سفرنامة»، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

٤٠٦ ـ نزار أباظة ومحمد المالح «إتمام الأعلام»، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٤٠٧ ـ نور الدين السالمي «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان»، مكتبة السالمي، عُمَان، ط. ت (بلا).

٤٠٨ ـ هـ. آرمسترونج «الذئب الأغبر مصطفى كمال»، دار الهلال، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٥٢م.

٤٠٩ ـ هارولد ر. ب. ديكسون «الكويت وجاراتها»، دار الحكمة، لندن، ط٢، ٢٠١٧م.

٤١٠ ـ هاشم بن سعيد النّعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٩٩٩م.

٤١١ ـ وليم جيفورد بالجريف «وسط الجزيرة العربية وشرقها»، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠١م.

٤١٢ ـ ياسين بن خير الله العُمري الموصلي «غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر»، تعليق: يوسف عزّ الدين السيد، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٤١٣ ـ ياسين بن خير الله العُمري الموصلي «منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء»، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل، ط (بلا)، ١٩٥٥م.

٤١٤ ـ ياقوت الحموي «معجم البلدان»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧هـ.

٤١٥ ـ يعقوب سركيس «مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد»، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ط (بلا)، ١٩٤٨م.

٤١٦ ـ يلماز أزتونا «تاريخ الدولة العثمانية»، ترجمة عدنان سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ط (بلا)، ١٩٨٨م.

٤١٧ ـ يوسف (جمال الدين أبي المحاسن» بن تغري بردي الأتابكي «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور»، تحقيق: محمد كمال الدين، عالم الكتب، ١٩٩٠م.

٤١٨ ـ يوسف (جمال الدين أبي المحاسن) بن تغري بردي الأتابكي «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١م.

٤١٩ ـ يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل «تحفة الأحباب بمن ولي مصر من الملوك والنوّاب»، تحقيق: عبدالرحيم عبدالرحمٰن، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٨م.

٤٢٠ ـ يوسف عز الدين «داوود باشا ونهاية المماليك في العراق»، منشورات دار البصري، بغداد، ط (بلا)، ١٩٦٧م.

الدوريات والمجلات العلمية:

٤٢١ ـ الأمير شكيب أرسلان «عدوٌّ عاقلٌ لكنَّه شديد الخطر: سنوك هورغرونجه»، «مجلة الفتح» المصرية، العدد ٢٤٣، السنة الخامسة، ٢٩ شوَّال ١٣٤٩ه.

٤٢٢ ـ بسمة عبداللطيف «العثمانية الجديدة في ضوء التطورات الإقليمية الراهنة»، مجلة شؤون تركية، العدد١، صيف ٢٠١٥م.

٤٢٣ ـ تقرير بعنوان «مسجد عكاش شاهدٌ على تاريخ جُدَّة» عن صحيفة الشرق الأوسط (السعودية) بتاريخ: ٢١ ذو القعدة ١٤٣٤هـ/٢٦ سبتمبر ٢٠١٣م.

٤٢٤ ـ جمال زكريا قاسم «موقف الكويت من التوسّع السعودي في نجد وسواحل الأحساء»، «المجلة التاريخية المصرية» المجلد ١٠، السنة ١٩٧٠م.

٤٢٥ ـ حمد الجاسر «المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م.

٤٢٦ ـ خبر وفاة الشيخ عبدالقادر بن بدران، وَرَدَ في «مجلة الفتح» المصرية، العدد ٦٧، السنة الثانية، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ.

٤٢٧ ـ سعد صادق محمد «رجلٌ عظيم»، «مجلة الهدي النبوي»، المجلد ٢٣، العدد: ٩، شهر رمضان ١٣٧٨هـ.

٤٢٨ ـ سلطان فالح الأصقه «**الخليج العربي في السياسة البريطانية بين نظرية القشرة الواقية للهند والبحيرة المغلقة**»، نُشِرَ في سلسلة مداولات اللقاء السنوي السادس عشر لجمعية التاريخ والآثار بمجلس التعاون لدول الخليج العربية. ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ/٢٤ أبريل ٢٠١٥م.

٤٢٩ ـ سليمان الدخيل «**سوق الشيوخ**»، «**مجلة لغة العرب**» ج١، السنة ٢: محرم ١٣٣١هـ/كانون أول ١٩١٢م.

٤٣٠ ـ سليمان بن صالح آل دخيّل «**تحفة الألبا في تاريخ الأحساء**» ضمن «**مجلة العرب**» ج٥ ـ ٦، السنة ١٠، ذو القعدة والحجَّة ١٣٩٥هـ/نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥م.

٤٣١ ـ السيد أحمد مرسي عباس «**حقائق جديدة عن حرب الدرعية وهل اشترك فيها الجنود المصريون حقاً؟**»، «**مجلّة الدراة**» العدد٣، ١٣٩٧هـ.

٤٣٢ ـ **الشيخ علي بن حسين ابن الإمام محمد بن عبدالوهاب** «**منظومة وقعة الدرعية**» نشرها سليمان الخراشي في «**مجلة الدرعية**» العددان ٤٩ ـ ٥٠، بتاريخ ربيع أول ـ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ/مارس ـ يونيو ٢٠١٠م.

٤٣٣ ـ **عبدالحكيم العواد** «**أماكن يُتَبَرَّك بها في الدرعية قبل ظهور الدعوة السلفية**»، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ١٢٥٨٢، الأحد ٢١ صفر ١٤٢٨ه/١١ مارس ٢٠٠٧م.

٤٣٤ ـ عبدالحميد بن باديس، مقال بعنوان «**وهابي**»، «**مجلة الصراط السويّ**»، ٤ رجب ١٣٥٢ه/٢٥ أكتوبر ١٩٣٣م، العدد ٥.

٤٣٥ ـ عبدالرحمٰن الوكيل وآخرون، عدد مخصّص بمناسبة وفاة الشيخ محمد حامد الفقي، نُشِرَ في «**مجلة الهدي النبوي**»، المجلد ٢٣، العدد: ٧ ـ ٨، رجب وشعبان ١٣٧٨هـ.

٤٣٦ ـ عبدالعزيز الرشيد «**الافتراء على أهل نجد**»، جريدة «**التوحيد**» لعبدالعزيز الرشيد، تصدر في جاوة ـ أندونيسيا، ٥ ذي القعدة ١٣٥١هـ/١ مارس ١٩٣٣م.

٤٣٧ ـ عبداللطيف الحميدان «**إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة**»، «**مجلة العرب**» ج١، السنة٢، رجب وشعبان ١٤٠٠هـ/مايو ويونيو ١٩٨٠م.

٤٣٨ ـ عبدالله الحقيل «علاقة نجد بالشام من ١١٥٧هـ إلى ١٢٢٥هـ»، «مجلة الدارة»، العدد ٤، سنة ١٤٠٢هـ.

٤٣٩ ـ عبدالله الشبل «من تاريخ اليمامة: الدولة الأخيضرية»، «مجلة كليَّة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية/جامعة الإمام محمد بن سعود» العدد: ٦، السنة: ١٩٧٦م.

٤٤٠ ـ عبدالله الصالح العثيمين «نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، «مجلة الدارة»، العدد١، سنة٢.

٤٤١ ـ عبدالله بن خميس «الدرعية معالم وأطلال»، «مجلة الدارة»، العدد١، ربيع أول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م.

٤٤٢ ـ عبدالله بن خميس؛ ردّه على عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ في بحثٍ نشره ابن خميس بعنوان «التحقيق والتعليق على تاريخ ابن بشر للشيخ عبدالرحمٰن آل الشيخ»، «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م.

٤٤٣ ـ عبدالله بن محمد أبو داهش «الشيخ محمد بن أحمد الحفظي من أعلام الدعوة الإصلاحية السلفية»، «مجلة العرب»، ج١ ـ ٢، رجب/شعبان ١٤٠٧هـ ـ مارس/أبريل ١٩٨٧م.

٤٤٤ ـ فهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة منذ سقوط دولة الأخيضريين حتَّى قيام الدرعية»، «مجلة الدرعية»، المجلد ٨، العدد ٣٢، يناير ٢٠٠٦م.

٤٤٥ ـ كاتب مجهول «حوليات تاريخية مختصرة حول قيام الدولة السعودية الأولى ١١٥٧ ـ ١٢٣٣هـ في بعض بلدان عسير/بلاد السروات»، حولية مخطوطة نشرها: عبدالله بن محمد أبو داهش في «حوليات سوق حباشة» العدد ١٦، السنة ١٦، ٢٠١٠م.

٤٤٦ ـ محمد (كمال الدين) الغزّي رسالة «الورد الإنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله عبدالغني النابلسي» منشورة في «مجلة التراث العربي» سنة ١٩٨٣م.

٤٤٧ ـ محمد السعيد الزاهري «الوهابيون سنيُّون حنابلة»، «مجلة الصراط السويّ»، بتاريخ ٢٦ جمادى الثانية ١٣٥٢ه/١٦ أكتوبر ١٩٣٣م، العدد ٥.

٤٤٨ ـ محمد بن سعد الشويعر «مخطوط عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان» «مجلة الدارة»، العدد الثاني، السنة ١١، محرَّم ١٤٠٦هـ/سبتمبر ١٩٨٥م.

٤٤٩ ـ مقال «قصر الأخيضر ورأي العلامة الآلوسي فيه» منشور في «مجلة لغة العرب»، ج٢: شعبان ١٣٣٠هـ/آب ١٩١٢م.

٤٥٠ ـ يوسف شلحد «رحلة إلى الدرعية في الربع الأول من القرن الثالث عشر» منشور في «مجلة العرب»، ج٣ ـ ٤، السنة ١٩، رمضان ـ شوال ١٤٠٤هـ/يونيو ـ يوليو ١٩٨٤م، فيها انتقادات الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي على «رحلة فتح الله الصايغ»؛ نقل يوسف شلحد انتقادات الحنبلي من مخطوط برقم ٢٢٩٩ محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس.

الرسائل العلمية غير المنشورة:

٤٥١ ـ جملاء مبارك المرِّي «تاريخ مدينة الدرعية سياسياً وحضارياً»، رسالة ماجستير/الإدارة العامَّة لكليات البنات بالمنطقة الشرقية/كلية الآداب للبنات/الدمَّام، ٢٠٠٧م.

٤٥٢ ـ سامية محمد أسعد بشاوري «إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢ ـ ١٢٢٨هـ/١٧٨٧ ـ ١٨١٣م» رسالة ماجستير/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الملك سعود، ١٩٨٤م.

٤٥٣ ـ عبدالرحمٰن بن علي العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد منذ القرن العاشر الهجري إلى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، رسالة دكتوراه/كلية العلوم الاجتماعية/قسم التاريخ/جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٩م.

٤٥٤ ـ عبدالرحمٰن عبدالعزيز الحصين «إبراهيم بن عفيصان القائد والأمير والداعية في الدولة السعودية الأولى» رسالة ماجستير/كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/قسم الدراسات العالية التاريخية والحضارية/جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، ١٩٨٩م.

٤٥٥ ـ عبير بنت أحمد القرني «الحياة العلمية في مدينة ضَمَد وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها خلال القرن ١٣هـ/١٩م»، رسالة ماجستير/كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية/جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، ٢٠٠٩م.

٤٥٦ ـ علي دخيل الله الحازمي «**الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه**»، رسالة ماجستير/قسم التاريخ والحضارة/كلية العلوم الاجتماعية/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ.

٤٥٧ ـ **محمد علي بيومي** «**مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبَّان العصر العثماني**»، رسالة ماجستير/كلية اللغة العربية/جامعة الأزهر، ١٩٩٩م.







فهرس المواضيع

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان | رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان | رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة



